وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ
جامعة يحيى فارس بالمديّة
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربيّة وآدابها

شِعْرِيَّةُ الرِّثَاءِ فِي الشِّعْرِالْجَزَائِرِيِّ الْحَدِيْثِ وَالْمُعَاصِرِ
دِرَاسَـةٌ فَنِـيَّةٌ أُسْلُوبِـيَّةٌ

شِـعْـرُ (محمّد العيد آل خليفة – أحمد سحنون – محمّد باي بلعالم)" أنموذجاً"

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه الطّور الثّالث(ل.م.د) في اللّغة والأدب العربيّ
تخصص:الأدب الجزائريّ الحديث والمعاصر

إعداد الطّـالـب:
محمّد فوضيل

إشـــراف الدّكـتور:
محمّد كوشنان

الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصّفة
محمّد سريـــر	أستاذ التّعليم العالي	المديّة	رئيساً
محمّد كوشنان	أستاذ محاضر (أ)	المديّة	مشرفاً ومقرراً
مولاي مدقدم	أستاذ محاضر (أ)	المديّة	عضواً مناقشاً
اسماعيل محروق	أستاذ محاضر (أ)	المديّة	عضواً مناقشاً
سعيد تومي	أستاذ التّعليم العالي	البليدة 02	عضواً مناقشاً
سيدي محمّد بن كعبة	أستاذ محاضر (أ)	البليدة 02	عضواً مناقشاً

السّنةالجامعيّة: 2022 / 2023


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء:

أهدي هذا العمل المتواضع إلـى:

-الوالدين الغاليين أميّ الحنونة وأبي العطوف، وكلّ أفراد عائلتي.

-ريحانة القلب أمّ البنين زوجتي الغاليّة تغمدها الله بواسع رحماته،وأسكنها فسيح جناته.

-كلّ من حُظِيْتُ بالتّـعَلُّمِ على يدهم، مربين ومعلمين وأساتذة ودكاترة في مقدمتهم:

والدي الكريم(حفظه الله)،والأساتذة:عبد الكريم بن عبد الله التّوهاميّ،عبد القادر بوخيرة، السّاسيّ بن ميلود،محمّد بايشي،رمضان منصوري،عبد الله كادي،محمّد مولاي،حنيني بوحمو،عبد السّلام الصّادق،محمّد دابلة،بوجمعة بايحيا،رابحي مدني،الجلالي كاملين،مصطفى بن دريسو،عبد الله خيّ،محمّد بن عبو،مقدّم الصّديق،عبد الله كروم،محمّد مبروكي،عبد القادر دهاج،عبد القادر سيدا عمر،داوود الدّابلة، قابة ابراهيم،عبد القادرحضار،عبد القادر باناصر،المهدي باناصر(رحمه الله)،محمّد بركة،وبوجمعة بركة(رحمة الله عليهما).

- أرواح علماء الأمّة العاملين المخلصين.

-أرواح شهداءنا الأبرار.

- أرواح شهداء فلسطين العزيزة.

شكر وعرفان:

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات،وبعونه تنال الرّغبات،وتدرك الغايات،يَطِيْبُ لي أنْ أتوجه بأسمى آيات الشّكر والعرفان،والتّقدير والاحترام لمدير أطرحتي سعادة المشرف**الدّكتور الأستاذ محمّد كوشنان**،إذ كان لي نعم المشرف والنّاصح والمرشد والموجه،حيث لم يدخر جهداً من أجل أن يرى هذا البحث النّور، مُذْ ما كان فكرة،حتّى اكتمال انجازاً.

ثمّ الشّكر موصول لنائبه سعادة **البروفيسور محمّد سرير**،الذي كان موجهاً لي ومرشداً ومشجعاً.وإلى سعادة **البروفيسورمسعود ناهليّة** على دعمه وتوجيهاته المميزة،وحرصه وسهره الدّائمين على تكويننا، **والبروفيسيور القدير بلخير دوالي** الذي كان يتابع العمل خطوة بخطوة توجيهاً ونصحاً،وإلى كلّ الدّكاترة الذين جمعتني بهم الأقدار في كليتنا أيّام التّكوين دون استثناء،مع حفظ الأسماء والألقاب والرّتب،وغيرهم من الأساتذة ممن قدّموا لي يد المساعدة من أمثال **البروفيسور سعاد بسناسي**رئيسة أكاديميّة الوهرانيّ للدّراسات العلميّة والتّفاعل الثّقافيّ بوهران،والتي لم تبخل عليّ يوماً بالتّوجيه والنّصح والمساعدة،ثمّ أعطف عليهم بشّكر زملائي الطّلبة في الدّفعة،وأخصّ بالذّكر الصّديق الوفي **وليد مباركي**.

دون أن أغفل توجيه الشّكر الجزيل لمستشار التّربيّة **الأستاذ القدير عبد الله حميدو**،والشّاعر الجزائريّ الموهوب **الأستاذ محمّد شايطة**.

وإلى كلّ من كان له شيء من المساهمة،لاكتمال هذا البحث،راجيّاً من الله سبحانه وتعالى،إنْ يثيب الجميع، ويجزيهم عني خير الجزاء.

*** مُحَمَّدٌ***

مُقَدِّمَةٌ

مــقدّمة

الحمد لله حمد الشّاكرين لنعمائه،المعترفين بفضائله وآلائه،نـحمده على كلّ نعمة أنعم بـها علينا وتكرّم في الحياة وبعد الممات،حمداً يلقي بجلاله وعظمته وكبريائه، حمداً كثيراً حتّى يبلغ الحمد مداه، والقصد منتهاه،ونصلي ونسلّم على خير البريّة، نبيّنا محمّد بن عبد الله،صلاة وسلاماً تامين كاملين، دائمين متلازمين، نرجو بهما ستر العيوب،وغفران الذّنوب، والرّضا من علّام الغيوب.

إنّ الدّارس للأدب الجزائريّ قديمه وحديثه ومعاصره لا محالة سيكتشف ظواهر كثيرة،تضطره للوقوف عندها طويلاً،حيث يجدها تحاكي ما سبقها،أوتخالفه وتتغاير معه،وتتمايز عليه،بل تُبْدِعُ في كثير من الأحيان،وتَتَفَرَّدُ عما عاصرها في الزّمن، لـحدّ إثارة الانتباه والفضول والإعجاب، فاستحقت بذلك إنفاق الوقت ومضاعفة الجهد،من أجل دراستها، ومعرفة أسباب ظهورها، ودوافع حضورها وسماتها،وخصائصها في التّميز والتّفرد،أواكتشاف نقاط التّشابه والتّشاكل مع غيرها،أومظاهر التّأثر بغيرها،ومواطن تأثيرها في الحقول المتداخلة:اجتماعيّة وإنسانيّة وثقافيّة وفكريّة وأدبيّة وفنيّة إبداعيّة وجماليّة.

كانت تلك الظّواهر في مجموعها سبباً في أثارة قرائح أهل التّخصص،ومن يشاركهم في الاهتمام،ودفعتهم للبحث رغبة في إدراك كُنْهِهَا،ومعرفة أسرارها، وأصولها وجذورها، وقيمتها في حياة النّاس،هذا ما يوجد في حقول الدّراسات الأدبيّة،على اختلاف أقسامها وأشكالها،حيث اتخذت من الأجناس الأدبيّة الشّعريّة أوالنثريّة ميداناً لأبحاثها ودراساتها ومستنبطة فوائدهاومميزاتها وسماتها.

والشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر يُشكلُ حقلاً خصباً،ومساحة شاسعة للبحث والدّراسة، بسبب ثرائه بالظّواهر الأدبيّة،وقضاياها الموضوعاتيّة،وخصائصها الفنيّة،حيث كان ولا يزال ميداناً يحتاج إلى تسليط الضّوء على تلك الفرائد من الظّواهر اللافتة والمثيرة للاهتمام،والتي تتعلق بموضوعاته شكلاً ومضموناً،فهو يحتوي ضمن أغراضه المختلفة مادّة دسمة للبحث، فمنها مايتعلق بالصّورة الشّكليّة والبنائيّة، ومنها ما يتعلق بالوجهة الفنيّة،ومنها ما يتّصل بالنّاحية الإبداعيّة،ولـمّا كان الشّعر في عمومه يخاطب النّفوس،والعواطف والوجدان،ويُـثِيْـرُ الانفعالات الذّاتيّة لِـمُتَلَقِيْهِ،شَكَّلَتْ تلك الظّواهر حافزاً للبحث،واستدعت الاهتمام،والاختيار لموضوع أثار اهتمام الدّارسين والنّقاد قديماً وحديثاً، ألا وهو موضوع فنّ الرّثاء.

فكان هذا اللّون من الشّعر شُغْلَ الْبَاحثين،لِـمَا له من علاقة مباشرة بالحياة الاجتماعيّة، وتأثيرها على المشاعر والأحاسيس المرهفة للشّعراء،والذين جَادَتْ قرائحهم بأنفس الأشعار والقصائد،

معلنين من خلالها أحزانهم وأشجانهم،مظهرين تأثراتهم من تلك الفواجع والمواجع،رُسِمَتْ في صُوَّرٍ فنيّة،ورُصِّعَتْ في أساليب جَزْلَةٍ،وشُحِنَتْ في أجمل التّراكيب والعبارات والألفاظ،وحَمَلَتْهَا للمتلقي الحصيف عَوَاطِفٌ جيَّاشَةٌ،مُشَكِّلَةً مواضيع تتطلب البحث والدّراسة،لمعرفة فرائدها،وتلائدها،ومن هذا المنطلق جاء عنوان بحثي والموسوم بـ:"**شعريّة الرّثاء في الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر دراسة فنيّة أسلوبيّة شعر(محمّد العيد آل خليفة–أحمد سحنون– محمّد باي بالعالم) "أنموذجاً**".والذي يثير الاشكالية التّالية:هل لشعر الرّثاء حضور في مدوانات الشّعراء الجزائريين في العصر الحديث والمعاصر؟ فيم تتجلى شعريّة الرّثاء عند الشّعراء الجزائريين المحدثين والمعاصرين؟ ما المظاهر الفنيّة والاسلوبيّة في قصائد الرّثاء الجزائريّة الحديثة والمعاصرة؟

إنّ اختيار هذا الموضوع، والحاجة الملحة لحلّ تلك الإشكاليّة، يشي حتماً بوجود دوافع خفيّة، كانت السّبب غير المباشر في بلورة فكرة البحث،هذه الدّوافع تنقسم بدورها إلى دوافع ذاتيّة، وأخرى موضوعيّة،يمكن بيانهما في التّالي:

أ– الدّوافع الذّاتـيّة:

بعد المطالعة والقراءة المتأنيّة في عدد لابأس به من دواوين الشّعراء الجزائريين،في العصر الحديث والمعاصر،أسَـرَتْ انتباهي بعض موضوعاتها، وكذلك بعض عناوينها الفرعيّة والمفرداتيّة، تعلقت بفنّ الرّثاء بكلّ أقسامه(النّدبة،التّأبين والعزاء)،فضلاً عن رغبتي الجامحة في اكتشاف أغراض الشعراء من الكتابة في هذا الفنّ.

ب –الدّوافع الـموضوعيّة:

إنّ انعدام مؤلفات تختصّ بدراسة "فـنّ الرّثاء"في ميدان الشّـعر الجزائريّ، في العصر الحديث والمعاصر،بل حتّى في العصر القديم،وما ورد منها في شأن هذا الموضوع،لايعدو في كونه بعض مقالات عامّة،أوعناوين جزئيّة فرعيّة،كان موضوع الرّثاء مطروقاً فيها في شكل موجز ومختصر،بالمقارنة مع المصنفات المؤلفة في الحقب والعصور الأدبيّة السّابقة له،كالعصر الأندلسيّ والعصر العباسيّ،والعصر الأمويّ والعصر الرّاشدي،انتهاء بالعصر الجاهليّ،حيث تناولت ذلك الفنّ بشكل بارز ومنفرد ومتميّز،ولافت للأنظار،فكان أكبر دافع موضوعيّ يلقي بظلاله على اهتماماتيّ الخاصّة،في ميدان الشّعر برمته.

وتحت ظلال تلك الدّوافع الذّاتيّة والموضوعيّة،تبلورت فكرة هذا البحث،ودفعتني الأقدار دفعاً لدراسته،مستفيداً من كلّ ما يمكنه إثر الفكرة الأساسيّة،أويقدّم ما أمكنه تقديمه من بيانات ذات

بالٍ،تساهم في مجموعها عند النّهاية،في حلّ الإشكاليّة الجوهريّة في الموضوع،وعندها تتجلى أهميّة البحث،وماسابقه من دراسة علميّة،والتي حاولت هي الأخرى الإجابة عن تساؤلات وإشكاليّات مماثلة،قاسمها المشترك مع موضوع هذا البحث،هو فنّ الرّثاء ومتعلقاته في الأدب الجزائريّ قديمه وحديثه.

أهميّة البحث والدّراسات السّابقة له:

تتجلى أهميّة هذا البحث،في نفضه للغبار على الكثير من الدّواوين والقصائد والأشعار،التي اهتمت بشعر الرّثاء،وطالها النّسيان أوالكتمان،أوظلّت في صوّر مخطوطات في خزائن أصحابها،لـم تلق أيّ اهتمام من الباحثين والدّارسين،وعن طريق هذه الدّراسة سيتاح لها الظّهور والذّيوع،ويسمح لها بالانتشار بعون الله وحوله.

كما أنّ عنوان هذا الموضوع، لم تسبقه دراسة مماثلة في العصر الحديث والمعاصر،بِيْدَ أنّنا نعثر على دراسات يتقارب معها في بعض المضامين،والتي تناولت شعـر الرّثاء في الشّعر الجزائريّ القديم جاءت في شكل رسائل ماجستير،أو مقالات علميّة،نشرت على صفحات المجلات العلميّة الأكاديميّة،والمنتديات الثّقافيّة،والمجلات الالكترونيّة،نذكر من تلك المصنفات:

- رثاء المدن في الشّعر الجزائريّ القديم ابن خميس"أنموذجاً"دراسة فنيّة،نزيهة درار،سميّة حطري، (مقالة)،مجلّة العلامة،2017م.
- قصائد الرّثاء في الشّعر الجزائريّ القديم:دراسة فنيّة،محمّد بوعلاوي،جامعة المسيلة،(مقالة)،مجلّة الباحث،2015م.
- الحسّ المأساويّ في الشّعر الجزائريّ القديم-عصر بني حمّاد" أنموذجا"،السّعيد بخليلي،جامعة بسكرة، 2008/2007م،(مذكرة ماجستير).

لهذا البحث أهداف كثيرة، يسعى في تحقيقها من خلال بسطه محاوره، وشرحه للأفكار الرّئيسيّة، حيث يمكن إجمال تلك الأهداف، فيما يلي:

- القيام بعمليّة مسح شامل للوصول إلى ما أمكن من الدّواوين والقصائد والأشعار،التي تناولت فنّ الرّثاء في الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر.
- البحث عن أكبر عدد من المدّونات الشّعريّة التي تضمنت قصائدها فنّ الرّثاء،أوشكّل محوراً لها.
- التّعرف على موضوعات المرثيّات وأسباب تأليفها ومناسباتها.
- التّعرف على أهمّ سمّات الشّكل والمضمون، وطرائق العرض لتلك المراثي المدّونة والأشعار.

– الوقوف على أهمّ خصائصها الفنيّة، والمستويّات الأسلوبيّة.

– التّعرّف على أوجه التّشابه والاختلاف القائمة في فنّ الرّثاء، بين العصور القديمة والعصر الحديث والمعاصر.

– الوقوف على أهمّ المميزات الإبداعيّة والجماليّة،والتي تفرّد بها الشّعر الجزائريّ في فنّ الرّثاء،في العصر الحديث والمعاصر، واختلف بها عن سابقيه من العصور المتقدّمة.

– إثراء المكتبة الجزائريّة خصوصاً والعربيّة عموماً،بما يمكن أن يفيد الدّارسين والباحثين في أبحاثهم.

ولتحقيق هذه الأهداف من خلال هذه الدّراسة،تـمّ اعتماد المنهج الأسلوبـيّ،المدعوم بالتّاريخيّ،وهذا الأخير ما تـمّ الاستناد عليه الميدان النّظريّ، لكونه ميداناً تتبع الجذور التّاريخيّة ظاهرة الرّثاء في الشّعر الجزائريّ قديمه وحديثه ومعاصره،كما تمّ توظيف الوصف والتّحليل،لأنّهما الأنسب في دراسة الشّعر،إذ يُمَكِّنُ الدّارس من الغوص في ثنايا البحث وخباياه،حتّى يصل إلى أصغر الوحدات والأجزاء، والتّفاصيل بشكل سلس،دون عناء أوغموض،يحدوه في ذلك طلب المعرفة،ومعرفة الحقائق من أصولها ومصادرها،ثـمّ تأثيراتها المختلفة في ميادينها الأساسيّة،أو في الميادين المجاورة والمتقاطعة مع الميادين الرّئيسيّة.

لقد تمّ اعتماد خطّة من شأنها الإجابة على الإشكاليّة الرّئيسيّة،حيث رُسِّمَتْ في مدانين (نظريّ وتطبيقيّ)،يمكن تقديمهما في شيء من التّفصيل:

أولاً –الميدان النّظريّ:

هو الجانب النّظريّ الذي يتناول البحث من الوجهة النّظرة المعرفيّة الأكاديميّة،وبتحديد المفاهيم وشرحها للمتلقي،ثـمّ بيان أصولها وجذورها التّاريخيّة، وأقسامها وأنواعها،وعلاقاتها المتخلفة، مع تقديم نماذج توضيحيّة لها،وهذا ما سيُذكر في حينه.

–المدخل التّمهيديّ:

يتـمّ في هذا المدخل التّمهيديّ التّطرق إلى مفهوم الشّعر والشّعريّة في الأدب الغربيّ والأدب العربيّ، ونقدهما قديماً وحديثاً، مع تقديم نماذج من المفاهيم النّظريّة عند أعلام النّقد العربيّ،أمثال:جان كوهينJanCohen،رومان جاكوبسونRoman Jacobson،وتزيفطان طودورف Tzintan Todorf، والأمر عينه مع أعلام النّقد العربيّ الحديث،أمثال:كمال أبو ديب،وأدنيس،وبعد ذلك يتمّ الوقوف على العلاقة القائمة بين الشّعر والشّعريّة والأسلوبيّة.ثـمّ التّأصيل لفنّ الرّثاء، وتعريفه، دوافعه

وأغراضه،وأقسامه، ولتوضيح الصّورة، وزيادة الفهم،نسوق نماذج من الرّثاء في الأدب العربيّ (القديم والحديث والمعاصر).

الفصل الأول: امتدادات شعر الرّثاء الجزائريّ الحديث والمعاصر في الأدب القديم وتجلياتها.

يتناول هذا الفصل الحديث عن الامتدادات التّاريخيّة لشعر الرّثاء الجزائريّ الحديث والمعاصر، وصلتها بالشّعر الجزائريّ القديم،وتجلياتها في المنجزات الأدبيّة ومدونات الشّعراء الجزائريين، وقد سُطِّرَ هذا الفصل في مبحثين،حُدِدَا في النّقاط التّاليّة:

المبحث الأول: الرّثاء في الشّعر الجزائريّ القديم.

يتطرّق هذا المبحث إلى ذكر أشهر الشّعراء الجزائريين قديماً،وأهمّ أشعارهم في فنّ الرّثاء وقصائدهم في الشّعر الجزائريّ القديم، المؤلفة في العهود،والعصور التّاليّة:

1-شعر الرّثاء على عهد الرّستميين (160هـ-292هـ / 776م- 909م).

2-شعر الرّثاء على عهد الحمّاديين(398هـ-547هـ/ 1007م -1152م) .

3-شعر الرّثاء على عهد الزّيانيين(633هـ-962هـ/1235م-1554م).

4-شعر الرّثاء على عهد الأتراك العثمانيين (930هـ-1246هـ/ 1514م -1830م).

المبحث الثاني:تجليات الرّثاء في الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر من الاحتلال الفرنسيّ وما بعده.

يبحث هذا المبحث عن شعر الرّثاء في الشّعر الجزائريّ خلال العصر الحديث والمعاصر،منذ دخول الغزاة الفرنسيين واحتلالهم أرض الجزائر إلى فترة الاستقلال والبناء والتّنميّة الحضاريّة، وينقسم هذا المبحث إلى عنوانين رئيسيين، تتخللهما عناوين أخرى فرعيّة، يمكن بيانها في التّاليّ:

1-شعر الرّثاء في عهد الاحتلال الفرنسيّ (1830م-1930م):يبحث هذا المطلب عن شعر الرّثاء في الشّعر الجزائريّ مدّة مائة سنة، من سنة الاحتلال 1830إلى1930م،وذلك باختيار بعض الشّعراء منهم :محمّد المكيّ بن عزوز الجزائريّ،محمّد بن مصطفى بن الخوجة الجزائريّ،ومحمّد الدّيسيّ.

2-شعر الرّثاء من فترة الثّلاثينيّات إلى عشية الاستقلال 1962م:يبحث هذا المطلب:عن شعر الرّثاء في الشّعر الجزائريّ في الحقب المذكورة،والتي يمثّلُها من الشّعراء الجزائريين:محمّد بن العابد الجلالي،عمر بن البسكريّ العُقبي،الرّبيع بوشامة،ومحمّد الأخضر السّائحيّ.

المبحثالثّالث:نماذج من الرّثاء في الشّعر الجزائريّ المعاصر من الاستقلال حتّى القرن 21م.

يتطرق هذا المبحث إلى البحث عن نماذج من قصائد الرّثاء في الشّعر الجزائريّ المعاصر بنوعيه (العموديّ والحرّ)،من فجر الاستقلال إلى القرن الحال،وتفاديّاً للإطالة،سيتمّ الاقتصار على أنواع محدد من الرّثاء هي:رثاء العلماء والأدباء،رثاء الرّؤساء والزّعماء والقادة،رثاءالإبطال والشّهداء،رثاء الأوطان والمدن.

ثانياً – الميدان التّطبيقيّ:

هو الجانب التّطبيقيّ الذي يتناول البحث من الوجهة العمليّة،حيث يقوم بإنزال الكثير من المعطيات والبيانات المذكورة في الميدان النّظريّ السّابق،وعرضها على محكّ الاختبار لبيان موافقتها للتّنظير،أوبُعْدِها عنه،وهذا ما سيلفي القارئ،في هذا الميدان–بعون الله–والذي تمّ تخطيطه في جزءين، يـمكن بيان خطوطهما العريضة فيما يلي:

الفصل الثّانيّ: الجانب التّطبيقيّ(الجزء الأول)

شعر الرّثاء بين التّقليد والتّجديد في قصائد:"محمّد العيد آل خليفة–أحمد سحنون–محمّد باي بلعالم".

يقدّم هذا الفصل قراءة تحليليّة لمدونات مختارة،من الدّواوين والقصائد الشّعريّة الواردة إلينا في شكل مؤلفات أومخطوطات،للأعلام الثّلاثة:محمّد العيد آل خليفة،أحمد سحنون،ومحمّد باي بلعالم وزعت مخرجاته على ثلاثة مباحث،جاءت كما يلي:

المبحث الأول:قراءة وصفيّة تحليليّةلمراثي محمّد العيد آل خليفة.

يتعرّف القارئ في هذا المبحث على شخصيّة الشّاعر محمّد العيد أل خليفة،من خلال التّعريف به،والحديث عن حياته وسيرته،وذكر بعض مؤلفاته، ثـمّ تقديم موجز ديوانه الشّعريّ في دراسة وصفيّة موجزة،مع إحصاء وجرد كلّ عناوين قصائد الرّثاء الواردة في الدّيوان، وتكملته وبيان أنواعها،وبعد هذا يتمّ الوقوف على بعض النّماذج من تلك الأنواع من المراثي مع قراءتها وتحليلها.

المبحث الثّاني:قراءة وصفيّة تحليليّة لشعر الرّثاء في ديوان أحمد سحنون:

بالطّريقة ذاتـها ستتم مناقشة أفكار هذا المبحث،والذي سيتناول الرّثاء عند أحمد سحنون، بحيث يتطرّق إلى التّعريف بالشّاعر أحمد سحنون، من خلال تقديم نبذة تعريفيّة مختصرة عنه،مع ذكر شيء من حياته وسيرته ومنجزاته وآثاره،وبعدها يتمّ تقديم ديوانه الشّعريّ المكوّن من جزءين،ثمّ إحصاء وجرد كلّ عناوين مرثياتـهما،مع تصنيفها بحسب نوع الرّثاء فيها،يتمّ كلّ ذلك في قراءة وصفيّة تحليليّة.

المبحث الثّالث: قراءة وصفيّة تحليليّة لمرثيات محمّد باي بلعالم:

لن يشذّ هذا المبحث عن سابقيه،في عرض أفكاره،بل سيسلك مسارهما في تقديم معطياته،إذ يتناول التّعريف بالشّيخ محمّد باي بلعالم،وتقديمُ شيءٍ من حياته وسيرته،وذكر بعض مؤلفاته،وبعدها يتمّ ذكر عناوين مرثيّاته وتصنيفها بحسب أنواع الرّثاء المنضويّة تحته،وبعد ذلك يتمّ الوقوف لقراءة بعض النّماذج منها،مع اعتماد الوصف والتّحليل لكلّ ما يتمّ عرضه من بيانات.

الفصل الثّالث:الجانب التّطبيقيّ (الجزء الثّانيّ)

الدّراسة الفنيّة والأسلوبيّة في المراثي لشعر الرّثاء عند:محمّد العيد آل خليفة–أحمد سحنون–محمّد باي بلعالم .

في هذا الجزء الثّاني من الميدان التّطبيقيّ،سيتناول هذا الفصل الدّراسة الفنيّة والأسلوبيّة لمرثيّات مختارة من مدونات الشّعراء الثّلاثة:محمّد العيد آل خليفة،أحمد سحنون،ومحمّد باي بلعالم، في أربعة مباحث،هي كالتّالي:

المبحث الأول: شعريّة الموسيقى والإيقاع الشّعريّ في المدّونات الثّلاثة.

سيتناول هذا المبحث البحث عن مواطن شعريّة الموسيقى والإيقاعيّ الشّعريّ في دواوين وقصائد شعر الرّثاء عند الشّعراء الثّلاثة:محمّد العيد آل خليفة،أحمد سحنون،ومحمّد باي بلعالم، للتّعرف على ذوق كلّ شاعر في الجانب الموسيقى وإيقاعاتها الشّعريّة،وأحواله النّفسيّة والشّعوريّة عند توظيفها،في هذه المرثيّة أوتلك.

المبحث الثّانيّ: شعريّة الصّورة الشّعريّة ودلالاتها الفنيّة.

في هذا المبحث سيتم بحث شعريّة الصّور الشّعريّة الواردة في بعض مراثي الشّعراء الثّلاثة، واستنتاج دلالاتها ووظائفها الفنيّة، فكلّ مخرج من مخارجها البلاغيّة أو النّحويّة وغيرها إنْ وجدت.

المبحث الثّالث: شعريّة التّناصّ وتجلياتها النّصيّة.

سيعنى هذا المبحث بالبحث عن مظاهر شعريّة التّناص وتجلياتها النّصيّة في مرثيّات الأعلام الثّلاثة(محمّد العيد آل خليفة،أحمد سحنون،ومحمّد باي بلعالم)،علماً بأنّه سيتم الاكتفاء بشكل واحد من أشكال التّناصّ في هذا الموضوع،ألا وهو التّناص مع نصوص القرآن الكريم،لمعرفة مدى حدود التّوظيف ومدى التّأثر بالأسلوب القرآنيّ في الكتابة الشّعريّة عند الشّعراء الثّلاثة.

المبحث الرّابع: التّحليل الأسلوبيّ للمستويات:(الصّوتيّ/ المعجميّ/التّركيبيّ/ الدّلاليّ) للنّماذج المختارة.

في هذا المبحث سيتم البحث عن صور أشكال الظّواهر الأسلوبيّة على المستويّات الأربعة: (الصّوت،والمعجم،والتّركيب،والدّلالة)،ويمثل بقضية واحدة في كل مستوى، على النّحو التّالي:

-التّكرار على المستوى الصّوتيّ:سيتناول بحث ظاهرة التّكرار على المستوى الصّوتيّ في مراثي الشّعراء الثّالثة،ويقتصر الحديث هنا،على ظاهرة التّصريع في مطالع القصائد الشّعراء الثّلاثة، لمعرفة مميزات هذه الظاهرة،وتأثير على مبنى القصيدة بشكل عام،وإضافتها الأسلوبيّة لمحتوى النّصّ المختار.

-**التّقابل على المستوى المعجميّ**:يتمّ هنا بحث ظاهرة تقابل المفردات والعبارات في النّماذج المختارة من المرثيّات،لمعرفة الآثار الأسلوبيّة على مستوى المعاني الجزئيّة لكلّ المفردات والمفردات المتقابلة، والتّأثيرات المعنويّة على المعاني الكلّيّة في كلّ نموذج.

-التّماثل على المستوى التّركيبيّ:في هذا الفرع المبحثيّ،يتمّ البحث عن بعض صور التّماثل ومواطنه على المستوى التّركيبيّ في كلّ مرثيّة يتم اختيارها للدّراسة،من أجل الوقوف على أهميّة المفردة في هذا التّركيب أو ذلك،وقيمة وجودها في هذا الموضع، أوفي غيره من المواضع.

-الانزياح في المستوى الدّلاليّ: تحت هذا العنوان سيكون البحث عن بعض أشكال الانزياحات الدّلاليّة،ودورها في تشكيل المحتوى العام للقصيدة المختارة،وتداعيّاتها الأسلوبيّة في مضمون النّص الشّعريّ المدروس.

خاتمة:يتمّ فيها تقييد أهمّ النّتائج، والاستنتاجات المتوصل إليها، من خلال أجزاء البحث الرّئيسيّ، والتي تعدّ خلاصة البحث المتواضع،في الموضوع:شعرية الرّثاء في الشّعر الجزائر الحديث والمعاصر وزبدته،ولا نزعم أنّها نهايته، بل هي بدايته،ووجهة نظر لا غير،يمكنها أنّ تفيد القارئ الباحث بشيء ذا بال، يستند عليه للإثراء البحث في وجهات نظر أخرى، تزيد الموضوع ثراء في شكله الواسع المفتوح.

تمّ الاستعانة في دراسة هذا البحث،وبسط أفكاره، وإنجاز خطته المقترحة على جملة من المصادر والمراجع،تنوعت في تصانيفها بين الكتب والمخطوطات،والدّوريات والمقالات العلميّة،والمنتديّات الفكريّة والثّقافيّة،ومن أهم تلك المصادر والمراجع الأساسيّة:((ديوان محمّد العيد آل خليفة))،((ديوان أحمد سحنون(جزءان))،((مراثي محمّد باي بلعالم(مخطوط))).((الشّعر الجزائريّ الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنيّة(1925-1975م)،لمحمّد ناصر))،((الشّعريّة تزفيطان طودوروف،ترجمة:شكري المبخوت ورجاء بن سلامة))،((بنيّة اللّغة الشّعريّة جون كوهين،ترجمة:محمّد الوالي ومحمّد العمريّ))، ((الأسلوبيّة والأسلوب، عبد السّلام المسدي)).

لم يكن طريق انجاز هذا البحث محفوفاً بالورود،لا متاح السّير على البساط الوثير لبلوغ غاياته، وتحقيق أهدافه،بل اعترضته عقبات كَـأْدَاءٍ،في مقدمتها زحمة الأشغال،وصعوبة الحصول على بعض المراجع من أمّهات الكتب،بسبب الحجر الصّحيّ الذي عاشته البلاد على غرار بلدان العالم في ظلال الجائحة الكونيّة المسماة بـ"كوفيد19"أو"كورونا"،والتي تسبب في تعذّر التّنقل وانعدامه،مما عطّل السّفر لاقتناء موارد المادة العلميّة،ومصادر المعرفيّة المتعلقة بالبحث بشكل مباشر،لكّنّ مع العسر يسراً،وبعون من الله، تمّ التّكيّف مع تلك الأوضاع ومختلف الظّروف،واستمرت مسيرة البحث حتّى نهايته بفضل الله وتوفيقه.

وفي الأخير يسرّني وبكلّ معان المحبّة والإخاء،أن تقدّم بالشّكر الجزيل،والثّناء العميم، لمدير الأطروحة المشرف الدّكتور محمّد كوشنان،على قبوله الإشراف،ومرافقته المتميزة للبحث،وتحمّله أعباء البحث منذ انطلاقه حتى لحظات المناقشة،وحرصه على إنجازه في ثوب قشيب،كما أعطف عليه بالشّكر لنائبه في الإشراف الأستاذ الدّكتور محمّد سريرعلى بصماته التّوجيهيّة،ونصائحه المتميزة، والشّكر موصول كذلك للجنة المناقشة عضواً عضواً،على تجشمهم أعباء المناقشة ونـصائحهم وتوجيهاتهم القيّمة المقدّمة في تقويم وتقييم هذا البحث،دون أن أنسى الشّكر لكلّ الأساتذة والدّكاترة وزملائي الطّلبة مع حفظ الأسماء والألقاب والرّتب،وأصحاب المكتبات الخاصّة والعموميّة.والله المستعان،وهو ولي التّوفيق.

أدرار::الاثنين :10 ربيع الأول 1445 هـ/ 25 سبتمبر2023 م

المدخل التّمهيديّ

أولاً: مفهوم الشّعر والشّعريّة في الأدَبيْنِ الغربيّ والعربيّ قديماً وحديثاً وعلاقة الشّعر بالشّعريّة والأسلوبيّة.

ثانياً: الـرّثــاء:تعريفه، دوافعه وأغراضه، أقسامه.

ثالثاً:نماذج من الرّثاء العربيّ(القديم والحديث).

المدخل التمهيديّ:

يحاول هذا المدخل التّمهيديّ تقديم مفهوم الشّعر والشّعريّة،في الأدبين الغربيّ والعربيّ قديماً وحديثاً،والعلاقة التي تجمعهما بالأسلوبيّة،ثـمّ يتطرّق إلى التّعريف بشعر الرّثاء مع بيان دوافعه وأغراضه وأقسامه،وبعد هذا يورد نماذج من شعر الرّثاء في الأدب العربيّ القديم والحديث.

أولاً:مفهوم الشّعر والشّعريّة في الأدبيْن الغربيّ والعربيّ قديماً وحديثاً وعلاقة الشّعر بالشّعريّة والأسلوبيّة.

1- مفهوم الشّعر والشّعريّة في الأدب العربيّ والأدب الغربيّ العربيّ قديماً وحديثاً:

1-1-مفهوم الشّعر في الأديّ الغربيّ والأدب العربيّ قديماً:

إنّ الباحث عن مفهوم الشّعر،سَيَلْفِي بأنّ له تعريفات كثيرة جداً،لا يمكن حصرها في هذا المدخل،وسنكتفي بذكر بعضها،لدواعي الموضوع المعرفيّة التّقنيّة، رغبة في تقديم تصوّر عام حول هذا المصطلح، وما يحتويه من مفهوم.

فبعد العودة إلى أشهر كتاب عرفتها السّاحة الأدبيّة الغربيّة قديماً،وبالتّحديد عند قدامى اليونان، هو كتاب"فنّ الشّعر" لأرسطو، نجد أنّ مفهوم الشّعر له جذور قديمة، إذ يرى أرسطو بأنّ "الشّعر فنّ ينشأ عن ميول فطريّة في الإنسان،ودوافع الإنسان إلى المحاكاة تعتبر من أبرز خصائص عمليّة إبداعيّة إلّا أنّها أشدّ تأصيلاً وأقوى تطبيعاً في الإنسان،فهو يكتسب معارفه في طريق المحاكاة،كما أنّه يميل بفطرته إلى الإيقاع والوزن"[1].

وهذه المحاكاة تتطلب توافر وجود عناصر أساسيّة ثابتة،راسخة الحضور في المنجز الإبداعيّ الفنيّ، يقول في شأنها أرسطو:"والمحاكاة فيها تتحقق باستخدام مواد:الوزن، واللّغة،والإيقاع"[2]،بمعنى أنّ القصيدة الشّعريّة المحكيّة،تقوم على الوزن،واللّغة والإيقاع.

فالشّعر بحسب رأي أرسطو هو"محاكاة"،ولاتعني المحاكاة النّقل المطابق للواقع وتصويره تصويراً فوتوغرافيّاً جافّاً،ولايعني بها تقييد الشّاعر بالأحداث المعبّر عنها كما وردت في الواقع،بل يتوجب عليه

1 - أرسطو،كتاب أرسطو في فن الشّعر،ترجمة وتقديم وتعليق إبراهيم حمادة، النّاشر مكتبة الأنجلو المصريّة،ص 26.

2 - المصدر نفسه،ص 56.

أنّ يقدّم معاني كثيرة، ورؤيا فنيّة جماليّة مضبوطة بالإيقاع والانسجام،معروضة بلغة مثيرة،وهي الأداة التّعبيريّة التي بواسطتها يتّمكن الشّاعر من ترجمة أفكاره وأحاسيسه،والتّعبير عن عواطفه ومكبوتاته.

أمّا في تراثنا العربيّ ابن منظور في لسانه:"والشِّعْرُ:منظوم القول،غَلَبَ عليه لشرفه بالوزن والقافيّة،وإن كان كلّ عِلْمٍ شِعْراً من حيث غلب الفقه على علم الشّرع..."[1]،ويُضف أيّضاً قولاً للأزهريّ يحدّد بوضوح مفهومه للشّعر قائلاً:"الشّعْرُ القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها،والجمع أشعارٌ، وقائلُه شاعِرٌ لأنّه يَشْعُرُ مالاَ يَشْعُرُ غيره،أي يَعْلَمُ،وشَعَرَ الرَّجُلُ يَشْعُرُ شِعْراَ وشَعْراً وشَعُرَ، وقيل:شَعَرَقَالَ الشِّعْرَ، وشَعُرَ أَجَادَ الشِّعْرَ، ورَجُلٌ شَاعِرٌ،والجمع شُعَرَاءُ"[2].

يظهر من خلال هذا التّأصيل،أنّ مادة"شَعَرَ" ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الشّعر وقوله،وما يتعلق بهما من الإجادة المرتكزة على الفطنة،مما يدفعنا للبحث عن تعريف الشّعر،في عُرْفِ الاصطلاحيين. ولتكون البداية بابن سلّام الجمحيّ(ت231هـ)،لقد وضع تعريفاً للشّعر،يقول فيه:"صناعة وثقافة، يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصّناعات،وليس لجودة صفة،وإنّما هو شيء يقع في النّفس عند المميز، ويعرفه النّاقد عن المباينة"[3].

أمّا ابن طباطبا(ت322هـ)فيعرّفه في مصنفه"عيار الشّعر"بقوله:"الشّعر-أسعدك الله-كلام منظوم....ونظمه معلوم محدود، فمن صحّ طبعه وذوقه،لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشّعر بالعروض،التي هي ميزانه،ومن اضطراب عليه الذّوق،لم يستغن من تصحيحه،وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به،حتّى تعتبر معرفته المستفادة كالطّبع الذي لا تكلف معه"[4].

يلاحظ أن ابن طباطبا(ت322هـ) في تعريفه هذا للشّعر،لم يتعرض لذكر القافيّة.مؤكدّاً على خاصيّتي الطّبع والذّوق في نظم الشّعر من غير تكّلف ولا تصنّع،إذ لاحاجة لمن سَلِمَ عنده الطّبع والذّوق للأوزان العروضيّة وتفعيلاتها الشّعريّة لضبط قوله، وتصحيح منظومه.

وجاء قدامة بن جعفر(337هـ)،ليعرّف لنا الشّعر تعريفاً يحدد فيه معالمه،غير تارك مجالاً للتّأويل في كلامه، مخالفاً به ابن طباطبا، معتبراً الوزن والقافيّة هما الشّعر ذاته،إذا كانا يحملان معنى، حيث

---

1 -أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن علي الإفريقيّ المصريّ بن منظور،لسان العرب، دار صادر،ط1،بيروت-لبنان، 1300هـ،ج 04، ص 410.

2 - بن منظور، لسان العرب، المصدر نفسه، ج 04، ص 410.

3 - محمّد عزّام،المصطلح النّقديّ في التّراث الأدبيّ العربيّ، دار الشّرق العربيّ، حلب-سوريا، ص341.

4 - محمّد أحمد بن طباطا العلويّ، عيار الشّعر،شرح وتحقيق عباس عبد السّاتر،مراجعة نعيم زرزور،منشورات محمّد علي بيضون دار الكتب العلميّة، ط2، بيروت-لبنان، 2005م- 1426هـ،ج01،ص09.

يقول:"إنّه هو قول، موزون مقفى يدل على معنى"[1].يُفْهَمُ من قول قدامة، بأنّ تعريف"الشّعر" يوسم به كلّ قول مضبوط بالأوزان الشّعريّة، مقيد بالقافيّة، يحمل في مضمونه معنى، وتكون هذه الصّورة المحددة،هي الصّورة المميّزة للعمل الأدبيّ المصنوع المنتمي لجنس الشّعر،مع شرط دلالته على معنى يريد الشّاعر من خلاله قوله للتّحقيق الفهم بينه وبين متلقيه.

وأمّا الشّعر عند القاضي الجرجانيّ(ت366هـ)،فهو"علم من علوم العرب يشترك فيه الطّبع والرّواية، والذّكاء،ثمّ تكون الدّربة مادّة به، وقوّة كلّ واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال هو المحسن المبرّز،وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان"[2]،فالطّبع والرّواية والذّكاء ثمّ الدّربة هي المرتكزات صناعة الشّعر، وبفضلها يتمكّن الشّاعر على تقوّية الأداء،فكلّها خصال ضروريّة لإنتاج الشّعر الحسن وجزالته، فقوته من قوة تلك الخصال، وضعفه وضحالته مقرونة بضعفها وضحالتها.

ويعرفه عبد الكريم النّهشليّ(ت405هـ) بقوله:"لمّا رأتْ العرب المنثور نبذٌ عليهم، ويتفلَتُ من أيديهم، ولم يكن لهم كتاب يتمضن أفعالهم تدّبروا الأوزان والأعاريض، فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء فجاءهم متسويّاً،ورأوه باقيّاً على مرّ الأيام،فألفوا ذلك وسمّوه شعراً"[3]،ويضيف قائلاً:"والشّعر عندهم الفطنة،ومعنفولهم:ليت شعري أيّ ليت فطنتي،والشّعر أبلغ البيانين،وأطول اللسانين،وأدب العرب المأثور،وديوان علمها المشهور"[4].

ولما بلغ زمان ابن رشيق (ت463هـ)،أخذ يُنَظِّرُ في كتاب المشهور"العمدة في صناعة الشّعر ونقده"لقضايا كثيرة في مجال الشّعر ومقتضياته، فَقَدْ بيّن حدود الشّعر وبنيته،حيث يقول في ذلك: "الشّعر يقوم بعد النّية من أربعة أشياء،وهي:اللّفظ،والوزن،والمعنى، والقافية.هذا هو حدّ الشّعر،لأنّ من الكلام موزوناً مقفّى وليس بشعر،لعدم القصد والنّية،كأشياء اتّزنت من القرآن،ومن كلام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وغير ذلك، مما لم يطلق عليه أنّه شعر،والمتّزن:ما عُرض على الوزن فَقَبِلَهُ فكأن الفعل صار له"[5].

---

1 –أبو الفرج قدامة بن جعفر،نقد الشّعر،تحقيق وتعليق:محمّد عبد المنعم خفاجيّ، دار الكتب العلميّة،بيروت– لبنان،ص 64.

2 –القاضيّ علي بن عبد العزيز الجرجانيّ، الوساطة بين المتنبي وخصومه،تحقيق وشرح: محمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجاويّ، دار إحياء الكتب العلميّة مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ وشركائه، القاهرة،ص15.

3–عبد الكريم النّهشليّ القيرواني،الممتع في صناعة الشّعر،تحقيق محمّد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندريّة،ص19.

4–المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

5 –أبو علي الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزديّ، العمّدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقد وتحقيق:محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الجيل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط5،بيروت– لبنان، 1401هـ - 1981م،ج 01،ص ص 119، 120 .

ويقولصاحب"المصباح المنير"أبو العباس أحمد بن محمّد بن علي المقرِيء الفيوميّ (ت834هـ): "والشّعر العربيّ هو النّظم الموزون،وحدّه ما تركّب تركباً متعاضداً، وكان مقفّى مقصوداً به ذلك،فما خلا من هذه القيود أوبعضها فلا يسمى شعراً، ولا يسمى قائله شاعراً، ولهذا ما ورد في الكتّاب والسّنة موزوناً، فليس بشعر لعدم القصد أوالتّقفيّة، وكذلك ما يجري على الألسنة بعض النّاس من غير قصد،لأنّه مأخوذ من شَعَرْتُ،إذا فطنت وعلمت، وسُمِّيَ شاعراً لفطنته وعلمه به،فإذا لم يقصده فكأنّه لم يشعر به"[1].

يستفاد من التّعريفين الأخيرين لحدّ الشّعر،أنّ الوزن والقافيّة والقصد،قيود ومرتكزات أساسيّة يَتَمَيّز بها الشّعر،ويُمَيَّز بها عن غيره، مماتَتَحَرَّكُ به ألسنة النّاس نطقاً:كقراءة القرآن والأحاديث النّبويّة الشّريفة،وغيرهما ومما يجري على ألسنتهم،من أمثال وحكم...الخ،وهذا ما يجعل الشّعر يختلف عما سبق من الملفوظات(القرآن الكريم/الأحاديث النّبوية الشّريفة/ الأمثال والحكم، وغيرها)،والمركّبة تركيباً مفيداً في معانيه،يخاطب المتلقي،أويُرْجَى منه التّجاوب معها،فضلاً عن تفرد كلّ ملفوظ منها، بخصائصه ومميزاته وطرائق تقديمه وعرضه،وإخراجه للمتلقين،شكلاًومضموناً.

ولمّا جاء عبد الرّحمن بن خلدون(808هـ)،ونظر في تعريفات العروضيين،بحيث أنّهم يكادون يجمعون على أنّ الشّعر هو"الكلام الموزن المقفى"،فلم يرق له هذا التّعريف،ورأه تعريفاً فضفاضاً يمكن أن ينسحب على المنثور المسجوع من كلام النّاس،وقدّم تعريفاً بلاغيّاً للشّعر بديلاً عن التّعريف المألوف في عُرْفِ القوم،يقول فيه:"الشّعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف،المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والرّوي،مستقلٌ كلّ جزء منها في غرضه،ومقصده عما قبله،وبعده الجاري على الأساليب العرب المخصوصة به"[2].

فابن خلدون يرى الكلام البليغ المؤسس على الاستعارة،والأوصاف،المفصّل بالأجزاء المتفقة في وزنها ورويها،ذات أغراض ومقاصد محددة،في ثنايا الأبيات الشّعريّة،بأساليب عربيّة مخصوصّة،ذلك هو الشّعر دون غيره من الكلام الذي تتكلّم به العرب.

أمّا الشّريف الجرجانيّ(816هـ)يقول في تعريفه للشّعر الذي ضمّنه تعريف المنطقيين،بأنّه:"قيّاس مؤلّف من الخيّلات،والغرض منه انفعال النّفس بالتّرغيب والتّنفير،كقولهم:الخمرُ يَاقُوتَةٌ سَيّالَةٌ،والعسل

---

1 – أحمد بن محمّد بن علي الفيوميّ، المصباح المنير (معجم عربيّ– عربيّ)،مكتبة لبنان، بيروت – لبنان ،1987م، ص120.

2 –عبد الرّحمن بن خلدون، مقدمة بن خلدون،مراجعة سهيل زكار،دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع،بيروت–لبنان،1421هـ–2001م، ج1،ص789.

مرّة مُهُوِّعَةٌ"[1]،في هذا التّعريف يحدد الجرجانيّ وجهة نظر المناطقة في الشّعر،فهو أداة قياس تُعرف بها مجموعة الأخيّلة التي يوردها الشّاعر في كلامه،كما تتمّ بواسطته،تحدد الغرض الذي يريده إثارته في نفسيّة المتلقي، سواء قصد التّرغيب والتّحبيب،أو قصد التّنفير والتّبغيض.

لابأس هنابالإشارةفي إطلالة سريعة،إلى أغراض الشّعر التي دأب الشّعراء العرب القدامى الكتابة فيها،ودرج على سيرتهم، من لحق بهم من صنّاع الشّعر،إذ وقف النّقاد على أقسام كثيرة،نذكر منها ما يقوله قدامة بن جعفر(337هـ)،في هذه القضيّة للتّنوير،حيث أورد أقسام المعاني من أغراض الشّعراء في أشعارهم،وأنّه لانـهاية لعددها،واكتفى بذكر بعضها، قائلاً:"من أغراض الشّعراء وما هم عليه أكثر حوماً،وعليه أشدّ روماً،وهو:المديح والهجاء والنّسيب والمراثي والوصف والتّشبيه"[2].

وعن الفكرة ذاتها،يتحدث أبو هلال العسكريّ(ت395هـ)، مؤكداً على كثرة أغراض الشّعر وتنوعها،ذاكراً ما كَـثُرَ استعماله بين الشّعراء وقيّدوه في قصائدهم،في قوله:"ولـمّا كانت أغراض الشّعراء كثيرة،ومعانيهم متشعبة جمّة لا بلغها الإحصاء،كان من الوجه أن نذكر ماهو أكثر استعمالاً وأطول مدارسة له، وهو المدح والهجاء والوصف والنّسيب والمراثي والفخر"[3].وهي أغراض تتناسب وحالات النّفس البشريّة،وتستجيب لمتطلبات البوح،وللتّعبير عن المشاعر والأحاسيس،وتـفي بمرادات الشّاعر التي يتطلع لتحقيقها من خلال شعره المنظوم،وأغراض الشّعريّة المنتقاة بعناية.

لقد أوردها ابن رشيق القيرواني(ت456هـ)تحت مسمى"أركان الشّعر"تارة، وبمسمى"أغراض الشّعر"،حيث ينقل لنا قول بعض العلماء في أركان الشّعر،مانصّه:"وقال بعض العلماء بهذا الشّأن: بُنِـيَّ الشّعر على أربعة أركان، وهي:المدح،والهجاء،والنّسيب، والرّثاء"[4]،أمّا بخصوص أغراض الشّعر، والتي بلغت خمسة أغراض،اعتمد على تعريف الرّمانيّ عليّ بن عيسى،الذي يقول فيه:"أكثر ما تجري عليه أغراض الشّعر خمسة: النّسيب،والمدح،والهجاء،والفخر،والوصف"[5].

1-الشّريفالجرجانيّ،معجم التّعريفات،تحقيق وتقديم:محمّد صدّيق المنشاوي،دارالفضيلة للنّشر والتّوزيع والتّصدير، القاهرة،2004م، ص109.

2 – أبو الفرج قدامة بن جعفر،نقد الشّعر،مصدر سابق ،ص91.

3 – أبو هلال الحسن العسكريّ،كتاب الصناعتين"الكتابة والشّعر"،تحقيق:علي محمّد البجاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربيّ للطّباعة والنّشر،ط2،مصر،1971م،ص137.

4 – أبوعلي الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزدي،العمّدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقدِه، مصدر سابق،ج1، ص 120.

5 –المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

يُلاحظ من خلال هذا التّقسيم التّنوع والتّعدد للأغراض الشّعريّة من حيث المعاني،مع التّأكيد على ضرورة العودة إلى التّقسيمات الأخرى للنّقاد، والتي قد تتفقمع هذا التّقسيم من حيث وجهة النّظر،أوتزيد عليه،حتّى يتمّ الإلمام بكلّ الأغراض والأقسام الشّعريّة.ولاغرو أنّ في ذلك ثراء علميّ ومعرفيّ،بصرف النّظر عن المصطلحات المختلفة، التي وُسِمَبها الموضوع في حدّ ذاته،مثل:

أغراض الشّعر	أنواع الشّعر	ضروب الشّعر	بيوت الشّعر
	فنون الشّعر	بيوت الشّعر	أركان الشّعر
	صنوف الشّعر	مقاصد الشّعر	أقسام الشّعر

علاوة على بقية من الأسماء،التي قصدوا بـها تعدد الشّعر،وتنوعه في الـمضامين والموضوعات، والمترجمة للواقع المعيش لحياة النّاس،أفراداً وجماعات،ورغبتهم القصوى من ذلك،هي المشاركة في فعاليات المجتمع بالأداة المتاحة والممكنة،والقادرين على توظيفها بكيّفة مناسبة تفي بالغرض.

1-2- مفهوم الشّعر في الأدب العربيّ والغربيّ حديثاً:

يقول جبور عبد النّور في تعريفه الشّعر،هو:"فنّ يعتمد الصّورة،والصّوت،والجرس،والإيقاع، ليوحي بإحساسات،وخواطر،وأشياء لا يمكن تركيزها في أفكار واضحة للتّعبير عنها في النّثر المألوف والمعروف»[1]،ومن خلال هذا التّعريف تتجلى رؤية جبور عبد النّور للشّعر، فهو يعتبره الفنّ الذي يُؤسس قوامه على أربع قوائم هي:(الصّورة،والصّوت،والجرس،والإيقاع الموسيقي)،تمكّن الشّاعر عند توافرها من الإنتاج الأدبيّ، والبوح بأفكاره، والتّعبير عن مشاعره وأحاسيسه في عرض واضح مميّز،لا يَتَأتى له فعله في الأجناس النّثريّة المعروفة والمألوفة في دنيا النّاس.

قدّم إبراهيم فتحي للشّعر تعريفين متقاربين في دلالتهما،يقول في الأول:"الشّعر عمل أدبيّ، في شكل موزون، أولعبة ذات نسقٍ منتظمٍ"[2]،يتشابه هذا التّعريف مع التّعريفات القديمة،كونه يعتبر الشّعر عمل أدبيّ، يُعرض في شكل يرتكز على الوزن،وهو الذي يميز الشّعر عن غيره من كلام النّاس،بل يعتبر إبراهيم فتحي الشّعر"لعبة"موصوفة بالتّنسيق والتّنظيم والتّرتيب،وهذا يعني بضرورة بذل الجهد في إنتاج ذلك العمل الأدبيّ الموزون،و"اللّعب"هنا يتطلب الفطنة،والذّكاء،وحسن الأداء،لتحقيق المقاصد، وصناعة النّجاح، والتّفوق على المنافسين، والتّميّز على الجادّين منهم،وتوقيع بصمة الإبداع.

---

1 - جبور عبد النوّر، المعجم الأدبيّ، دار العلم للملايين، ط2، بيروت – لبنان، 1983م، ص148.

2 - إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبيّة، المؤسسة العربيّة للنّاشرين المتّحدين،صفاقس–تونس،1986م، ص215.

أمّا التّعريف الثّانيّ للشّعر لإبراهيم فتحي،يقول فيه:"فن الإنشاء اللّغويّ الإيقاعيّ،الذي يهدف إلى تحقيق متعة خاصة عبر المعنى الجماليّة الرّفيعة مجنحة الخيال أوذات العمق"[1]،في هذا التّعريف يعتبر إبراهيم فتحي الشّعر((فنّ الإنشاء اللّغويّالإيقاعيّ))،هدفه الأساس المتعة الفنيّة الخاصّة،من خلال المعاني الجماليّة الرّفيعة، أداته في ذلك هي الخيال المجنّح،أو العمق الفكريّ،فالخيال الواسع، والفكر العميق،دون إهمال اللّغة السّليمة والإيقاع المضبوط، فكلّها شروط لازمة لإنتاج الشّعر، لذا تجب العنايّة والاهتمام بها.

لم يكتف إبراهيم فتحي بتعريفيْه السّابِقِيْنِ،بل أورد جملة من التّعريفات للشّعر في العصر الحديث صّادرة عن لفيف من الأدباء والنّقاد الغربيين أمثال:شيللي"Shelley"،ماتيو أرنولد "Matthew Arnold"،وردزوورث"Ward Zsworth"،إدجار ألان بو"Edgar.A. Poe"،أدوين أرلنجتون روبنسون"E.A.Robinson"،وديلانتوماس"DylanThomas"،غايته تقدّيم وجهات نظر مختلفة،تتقاطع أوتتباين في نظرتها للشّعر في العصر الحديث،نختار منها-على سبيل القصر لا الحصر- ما يلي:

يقول ورد زوورت"Ward Zsworth"في تعريفه للشّعر:"الشّعر هو التّعبير الخياليّ عن وجدان عارم،إيقاعيٍّ في المعتاد...وهو التّدفق التّلقائيّ لمشاعر قويّة يتمّ تذكرها عند الهدوء"[2].هذه النّظرة للشّعر،في هذا التّعريف،تعتبر الشّعر:هو التّعبير الخياليّ، عما يجيش من وجدان الشّاعر في صورة عارمة تـميّز ذلك التّعبير الإيقاعيّ، والتّدفق العفويّ للمشاعر القويّة،والتي يتذكّرها الشّاعر عند هدوئه وراحة باله، وربما تتفق بعض الشّيء هذه النّظرة مع تعريف إدجار ألان بو"Edgar AllanPoe"،حينما يعرف الشّعر بقوله:"شعر الكلمات هو الخَلْقِ الإيقاعيّ للجمال والفيصل الوحيد،الذي يُعْتَرَفُ به هـو الذّوق، وباستثناء بعض الحالات العرضيّة، فهو لايـأبه على الإطلاق بالواجب أو الـحقيقة"[3].

فالذّوق بحسب رأي إدجار"Edgar"،هو المعيار الوحيد في الحكم على الكلام،والقياس عليه إذا كان شعراً، أوليس بشعر، وما دون ذلك لا قمة له على الإطلاق،كما أن الاستثناء أحياناً واجب في التّمييز بين التّعابير الدّالة على الشّعر، أوغيرها التّعابير الكلاميّة، التي تحتوي على معايير تجعلها تتنافى مع متطلباته.

---

1 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

2 -إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبيّة، المرجع نفسه، ص215.

3 - المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

ويعرف ماتيو أرنولد"Matthew Arnold"الشّعر،بقوله:"الشّعر...نقدللحياة في الشّروط التي تصنعها لهذا النّقد قوانين الحقيقة الشّعريّة والجمال"[1]،فهو يرى أنّالشّعر((عمليّة نقديّة للحياة))،ولاغرو أنّ هذه النّظرة،تتسمّ بالرّؤية الفلسفيّة والمنطقيّة الفاحصة للواقع الحياتيّ، لكونها تضبط ماهيّة القول الشّعريّ ووظيفته،وتشترط قوانين بيّنة المعالم، محدّدة بقوانين الحقيقة الشّعريّة والجمال وهذا يعني، أنّها تجعل الشّعر أداة نقديّة مضبوطة بقوانين، تدرس حياة النّاس وواقع معيشتهم،بلمسات فنيّة،وصوّر جماليّة.

2- مفهوم الشّعريّةالأدبيّ الغربيّ في الأدب العربيّ قديماً وحديثاً:

2-1-مفهوم الشّعريّة في الأدب الغربيّ والأدبيّ العربيّ قديماً:

لوعدنا لمصادر الأدب الغربيّ القديم سنجد" أنّ الشّعريّة النّظريّة قد بدأت مع أرسطو الذي وضع مجموعة من القواعد الخاصّة بالشّعر والمسرح والخطابة،في كتابيه(فنّ الشّعر)،و(فنّ الخطابة). وتتجلى هذه الشّعريّة في وضع نظريّة للأجناس الأدبيّة؛ حيث قسم الأجناس الأدبيّة إلى شعر، وملحمة، ودراما"[2].

أمّا في تراثنا العربيّ فقد علمنا بأنّ لفظة "الشّعر"مأخوذة من مادة((ش،ع، ر))،بحسب المعاجم والقواميس،وقياساً على هذا يمكن القول عن الأصول اللّغويّة لفظة "الشّعريّة"،أنّها مأخوذة من المادّة ذات الجذر((ش،ع،ر))،وإذا تعددت مفاهيم الشّعر وحدود صناعته بين العروضيين والنّقاد، هذا يدفع بالضّرورة إلى تعدد مفاهيم ومدلولات مصطلح الشّعريّة عندهم.

وبعد عمليّة التّمحيص في بعض كتب النّقد العربيّ القديمة،ستنتهي نتائج البحث بـإنّ الشّعريّة" لم يعرفها العرب القدماء بمعناها الحديث،وإنّما ترددت عندهم ألفاظ مثل:((الشّاعريّة))، و((شعرشاعر)) و((القول الشّعريّ))،و((القول غير الشّعريّ))..."[3].

وبالنّظر في اللّفظة نجد أنّ"الشّعريّة مصدر صناعيّ، والمعلَّم بزيادة اليّاء النّسبة المشددة والتّاء المربوطة:(يّة)آخر الاسم(الشّعر)،فيصير(الشّعريّة)،وُضِعَ للدّلالة على اللّفظة الفرنسيّة Poetique أواللّفظة الانكليزيّةPoetie"[4]، ولقد وردت في النّقد القديم عدّة مصطلحات قريبة من المفهوم للشّعريّة

---

1 -المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

2 - جميل حمدوي،تاريخ الشّعريّة الغربيّة، المجلة الثّقافيّة الجزائريّة، https://thakafamag.com/?p=17049 ، أطلع عليه يوم: 2022/08/03م، على السّاعة 23:50.

3 -أحمد مطلوب، في المصطلح النّقديّ،مكتبة لبنان ناشرون،ط1،بيروت –لبنان، 2012م،ص129.

4 -المرجع نفسه، ص 130.

مثل:"صناعة الشّعر"،أو"نظم الكلام"،أو"عمودالشّعر"،أو"الأقاويل الشّعريّة"[1]، وراح الدّارسون والباحثون ينظرون في آثار القدامى بحثاً عن أصول هذا المصطلح،"وحامت آراء النّقاد على أبواب ((عمود الشّعر))وتنوعت،ولم تتضح الشّعريّة،إلّا في دراسات عبد القاهر الجرجاني(471هـ أو474هـ) الذي انطلق في فهم الأدب من النّظم"[2]،حيث يرى "أنّ النّظمَ سوى تعليق الكَلِمِ بعضِها بِبَعْضٍ، وَجَعْلِ بعضها بسببٍ من بعضٍ"[3].

يتّضح من هذا القول ما يلفت الإفهام،"فلقد نقض عبد القاهر الجرجانيّ بنظريّة "النّظم" الكثير من الأسس التي قام عليها"عمود الشّعر"،وحرر الشّعريّة العربيّة من قيدها، ولذا يمكننا القول،بأنّ الجرجانيّ لايقف عند حدود النّظم، وإنّما ميّز بين نظم ونظم،وبناءً على هذا التّصور المحدث،نكتشف الشّعريّة التي يدعو إليها فهي: النّظر إلى النّصّ الشّعريّ،باعتباره مجموعة من الْبُنَى لاقيمة لإحداها دون الأخرى، والأهم من ذلك هو تحديد ماهية العلاقة بينها"[4].

وفي موضع آخر نجد عبد القاهر الجرجانيّ من كتابه "دلائل الإعجاز"،يؤكد على ضرورة توخي المعاني مع الالتزام بقواعد النّحو،وأحكامه وأصوله،حيث يقول:"واعلم أن ليس ((النّظم)) إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه((علم النّحو))،وتعملعلى قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُـهِجَتْ، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك، فلا تُخلَّ بشيء منها"[5].

ولو بحثنا مسألة الشّعريّة عند حازم القرطاجني،ونظرته إليها والتّعامل معها،نقف على ما يقوله الطّاهر بومزبر نصّاً:"لقد سلك حازم في الشّعريّات منهجاً فريداً، ميّزه عن غيره من أسلافه،غريباً عن المنهج البلاغيّ العربيّ التّراثيّ في تعامله مع الخطاب الشّعريّ"[6].ففي هذا المنهج الغريب الفريد،"يدعو حازم القرطاجنيّ إلى منهج قراءة يستنبط قوانين صناعة الشّعر،من النّصّ الشّعريّ نفسه، لأنّ إقامة عَلْمِ الشّعر لا تكون إلّا بالتّأمل في مادته، والخروج من هذا التّأمل بقوانين كلّيّة، تحدد مفهوماً كلّيّاً

1 – مشري بن خليفة،الشّعريّة العربيّة مرجعياتها وإبدالاتها النّصّيّة/ دراسة،ديوان المطبوعات الجامعيّة،الجزائر،2007م،ص19.

2 – أحمد مطلوب،في المصطلح النّقديّ،المرجع السّابق،ص133.

3 – عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجانيّ،كتاب دلائل الإعجاز،قراءة وتعليق: محمّود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي،ط5، القاهرة–مصر،2004م،ص4.

4 – مشري بن خليفة،الشّعريّة العربيّة مرجعياتها وإبدالاتها النّصّيّة/ دراسة، مرجع سابق، ص ص21،20.

5–عبد القاهر الجرجانيّ،كتاب دلائل الإعجاز،المصدر السّابق،ص81.

6 – الطّاهر بومزبر،أصول الشعريّة العربية،الدّار العربيّة للعلوم–ناشرون،منشورات الاختلاف ،ط1،الجزائر،1428هـ–2007م، ص21.

للشّعر، والذي يقول فيه:"الشّعر كلام موزون مقفّى من شأنه أنْ يحبّب إلى النّفس ما قصد تحبيبه إليها،ويكره إليها ما قصد تكريهه،لتحمل بذلك على طلبه،أوالهروب منه، بما يتضمّن من حسن تخييل له،ومحاكاة مستقلّة بنفسها أومتصوّرة،بحسب هيأة تأليف الكلام، أوقوّة صدقه،أوقـوّة شهرته، أوبمجموع ذلك، وكلّ ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فإنّ الاستغراب والتّعجّب حركة للنّفس إذا اقترنت بحركتها الخياليّة قوى انفعالها وتأثرها"[1].

الجدير بالملاحظة من تعريف حازم القرطاجنيّ، تميّزه بالطّول نسبياً،لكّنّه تعريف يمكن أن يُوصف"بالدّقة من حيث أداؤه لمهمة محددة يُتْكَشَفُ فيها العنصر الشّكليّ في الشّعر من ناحيّة وزنه وقافيته،فيما يتكشف فيها العنصر الإبداعيّ الذي يقرن الشّعر بالتّعجب والاستغراب،ويباعد بينه وبين التّقليد السّادج،وأخيراً عنصر التّأثير في المتلقي من زاويّة التّخيّل،وما ينطوي عليه من أبعاد نفسيّة"[2].

إنّ غاية حازم القرطاجنيّ مما قاله في تعريفه، هي تقديم رأيّه في ماهيّة الشّعر،وتحديد حقيقته تحديداً دقيقاً،وإحاطتهما بكلّ المعاني التي تزيل عن دائرتهما اللبس والغموض،وفي إطار هذا الفهم، سعى لبيان منظوره في الشّعريّة.

ولقد"حصر حازم قواعد الشّعريّة في ثمانيّة عناصر، تتفاوت فيما بينها فاعليّة،وتأثيراَ، وهي: التّخييل،والتّصور الحسّيّ،والنّظم والتّـركيب والتّناصّ،والتّماسك النّصيّ،والإغراب والتّعجب،والوزن والإيقاع والتّذوق الفنّيّ"[3].إنّ هذه العناصر الثّمانيّة تُشَكِّلُ في مجموعها،النّظرة الشّاملة للشّعريّة عند حازم القرطاجنّي، يـمكن بفضل معالجة الكثير من إشكالات متعلقة بالنّصّ المبحوث، وفكّ شفراته، والوقوف على عتباته النّصيّة،ويلحقها من نصوص موازيّة،وبؤر ومساحات فارغة، يضطر القارئ إلى التّفاعل معها،كي يتواصل مع النّصّ ومعطيات،وتتحقق بعض غايات المؤلف من كتاباته.

2-2- مفهوم الشّعريّة في الأدب الغربيّ والأدبيّ العربيّ الحديثيْن:

2-2-1- الشّعريّة في المنظور الغربيّ الحديث:

---

1 - أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء،تحقيق وتقديم: محمّد الحبيب ابن الخواجة، دار الغرب الإسلاميّ، ط3، بيروت -لبنان، 1986م، ص71.

2 -عليّ حبيب الله عليّ إبراهيم، الشّعر عند حازم القرطاجنيّ من خلال كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء،مجلّة كليّة الآداب، المجلد/ العدد ع2، جامعة أم درمان الإسلاميّة، 2010م، الصّفحات:95-128.

3 -محمّد صلاح زكي أبوحميدة،عناصر الشّعريّة عند حازم القرطاجنيّ،مجلةجامعة الأزهر،سلسلة العلوم الإنسانيّة،المجلّد5،العدد1، 2002م،ص42.

ترجع محاولة تأسيس شعريّة حديثة إلى الشّكليين الرّوس، الذين كان يدفعهم إحساس بضرورة إقامة علم الأدب، بمعنى وضع مبادئ مستمدة من الأدب نفسه[1]، وهي الفكرة التي أرسها أحد أعلام هذه الجماعة،وهو رومان ياكبسون من خلال مقولته الشّهيرة:«ليس موضوع العلم الأدبيّ هو الأدب، وإنّما الأدبيّة،أيّ ما يجعل من عمل معين عملاً أدبيّاً»[2]،وهذا يعني:«أن استقلاليّة الشّعريّة رهينة بقيام الأدب بذاته»[3].ومن هذا المنطلق، نورد بعض توجهات الشّعريّة الغربيّة التّاليّة:

2-2-1-1-شعريّة جان كوهين"John Cohen" :

يـعرّف جان كوهين"**John Cohen**"الشّعريّة بقوله:"الشّعريّة علم موضوعه الشّعر"[4]،من خلال هذا التّعريف يلاحظ بأنّ كوهن يدعم برأيه نظريّة رومان ياكبسون"**Roman Jakobson**" القائلة:"بأدبيّة الأدب"،وأنّ عنصر الشّعريّة، علم يدرس الشّعر، وهو أحد فنون الأدب،ولم يكتف بهذا التّعريف بل ننقل عن تعريفاً آخر للشّعريّة، يقول فيه:"إنّ الشّعريّة هي ما يجعل من نص نصّاً شعريّاً، وتعريف كهذايترك الباب مفتوحاً في أمر العلاقة بين الأدبيّة والشّعريّة"[5].

ولعل الملمح الأساسيّ الذي تقوم عليه شعريّة جان كوهين هو مبدأ الانزياح اللّغويّ، وهو"مركز عمل كوهين،إذ الشّعر عنده انزياح عن معيار قوانين اللّغة،كلّ صورة تخترق قاعدة من قواعد اللّغة أومبدأ من مبادئها، إلّا إنّ هذا الانزياح لايكون شعريّاً إلّا إذا كان محكوماً بقانون يجعله مختلفاً عن المعقول"[6].ومن هذا الفهم"يتضح أنّ الشّعريّة التي نادى بها كوهن هي شعريّة أسلوبيّة تقوم على منطلق الانزياح،انزياح لغويّ يمس ثلاثة مستويات كبرى،المستوى التّركيبيّ والصّوتيّ والدّلاليّ،مع

---

1 -حسن كاظم،مفاهيم الشّعريّة(دراسة في مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم)،المركزالثّقافيّ العربيّ،ط01،بيروت،1994م، ص79.

2 -تزفيطان طودوروف،الشّعريّة،ترجمة:شكري المبخوت،ورجاء بن سلامة،دار توبقال للنشر،ط2،الدّار البيضاء-المغرب،1990م، ص84.

3 -المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

4 -جان كوهين، النّظريّة الشّعريّة:بناء لغة الشّعر،ترجمة:أحمد درويش،دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع،ط4،القاهرة-مصر، 2000م،ص29.

5 المصدر نفسه،ص260.

6 -جان كوهن، بنية اللّغة الشّعريّة،ترجمة:محمّد الوالي ومحمّد العمري،دارتوبقال للنّشر،ط1،الدّار البيضاء-المغرب،1986م،ص6.

حرصه الشّديد على تضافر المستويين الصّوتيّ والدّلاليّ في الحكم على شعريّة النّصوص،حيث لم يكن التّمييز بين الشّعر والنّثر بالاستناد إلى الوزن،بقدر ماكان الاستناد إلى تضافر هذين المستويين"[1].

فالواضح من هذا القول،أنّ الانزياح اللّغويّ هومحور الشّعريّة عند جان كوهين، وأنّ تكامل المستويات الثّالثة "التّركيبيّ والصّوتيّ والدّلاليّ"في نصوص الشّعر دون غيرها من النّصوص الأدبيّة، يجعل النّصّ ذا قيمة لغويّة لسانيّة معرفيّة فنيّة تتحقق فيها الظّاهرة الشّعريّة،والتي باتت مطلباً جوهريّاً في العمل الأدبيّ الحديث والمعاصر، استجابة للتّحولات العلميّة والاجتماعيّة والثّقافيّة والفكريّة وغيرها.

2-2-1-2-شعريّة رومان جاكبسون "Roman Jakobson":

ينطلق رومان جاكبسون"Roman Jakobson"في إرسائه لمفاهيمه الشّعريّة،بتأكيده على العلاقات بين اللّسانيات الشّعريّة،حيث يقول:"إنّ موضوع الشّعريّة هو قبل كلّ شيء،الإجابة عن السّؤال التّاليّ:ما الذي يجعل من رسالة لفظة أثراً فنيّاً؟ وبما أنّ هذا الموضوع يتعلق بالاختلاف النّوعيّ الذي يفصل فنّ اللّغة عن الفنون الأخرى،وعن الأنواع الأخرى للسّلوكات اللّفظيّة، فإنّ للشّعريّة الحق في أنْ تحتلّ الموقع الأول من الدّراسات الأدبيّة"[2].فهو يراها علم من علوم اللّسانيّات،وفي إطاره يقدّم تعريفاً أخر،يقول فيه:"ويمكن للشّعريّة أن تُعَرّفَبوصفها الدّراسة اللّسانيّة للوظيفة الشّعريّة،في سياق الرّسائل اللّفظيّة عموماً، وفي الشّعر على وجه الخصوص"[3].

وفي ظلّ تلك العلاقات القائمةبين الشّعريّة واللّسانيات،والتي تؤكد الصّلة الوشيجة بينهما، حيث تتمّ دراستهما بشكل تكاملي تلازميّ،طفق رومان جاكبسون"Roman Jakobson" يحدد الشّعريّة بصورة أدق،مبرزاً وظائفها واهتمامها،في قوله:"ويمكن تحديد الشّعريّة باعتبارها ذلك الفرع في

---

1 -بشير تاوريريت، الشّعريّة والحداثة بين أفق النّقد الأدبيّ وأفق النّظريّة الشّعريّة، دارسلان للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق-سوريا، 2010م،ص56.

2- رومان جاكبسون،قضايا الشّعريّة، ترجمة: محمّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنّشر،ط1،الدّار البيضاء-المغرب، 1988م، ص24.

3-المصدر نفسه، ص78.

اللّسانيّات الذي يعالج الوظيفة الشّعريّة في علاقاتها مع الوظائف الأخرى للّغة[1]، وتهتم الشّعريّة،بالمعنى الواسع للكلمة بالوظيفة الشّعريّة"[2].

يُدْرَكُ من هذا التّحديد،بأنّ فهم الشّعريّة عند رومان جاكبسون يشترطإنزالها منزلة علوم اللّسانيّات، واعتبارها فرعاً من فروعها،وجعل علاقتها بالحقول اللّسانيّة علاقة تكامليّة،كما أنْ لها وظيفة شّعريّة لسانيّة،تضاف إلى باقي الوظائف اللّغويّة الأخرى،وتدرس النّصوص كونها نصّوصاً لسانيّةً شعريّةً صرفةً، أوترقى إلى درجة الشّعر إذا كانت مظاهر الوظيفة الشّعريّة بمستويّات الثّالثة:(اللّفظيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة) قويّة الحضور.

2-2-1-3- شعريّة تزيفطان طودورف " Tzivtan Todorf" :

بحسب رأي تزفيطان طودروف"Tzivtan Todorf" يتطلب لفهم الشّعريّة عنده، وُجُبُ التّمييزِ بين موقفين هامّين،يتمثل"أولهما في النّص الأدبيّ ذاته موضوعاً كافيّاً للمعرفة،ويعتبر ثانيهما كلّ نص معين تجلّياً لبنية مجردة،ودراستهما في إطار الدّراسات الأدبيّة"[3]،فعند المقارنة والبحث عن مميزات الموقفين،وآلية تعاملهما مع العمل الأدبيّ،في دائرة العلم والتّأويل،والمعرفة العامّة للنّاتج الأدبيّ والْمُدْرِكَةِ لقوانين الأدب ذاته، يتمّ عندها فهم الشّعريّةبالتّعريف العامّ، الذي جاء فيه:"الشّعريّة إذن مقارنة للأدب((مجردة))و((باطنيّة))في الآن نفسه"[4].

ويحدد طودوروف موضوع شعريّته بقوله:"ليس العمل الأدبيّ في حدّ ذاته هوموضوع الشّعريّة، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النّوعيّ الذي هو الخطاب الأدبيّ،وكلّ عمل عندئذ لا يعتبر إلّا تجلّياً لبنية محدّدة وعامّة،ليس العمل إلّا إنجازاً من انجازاتها الممكنة"[5].فاهتمام الشّعريّة بخصائص الخطاب الأدبيّ النّوعيّ ودراستها مقدمة عن الخطاب ذاته،لأنّه حسب طودروف من إنجازات تلك الخصائص التي تجلى منه عملاً أدبيّاً ممكناً،ويؤكد على هذا الأخير قائلاً:"إنّ هذا العلم لايعنى بالأدب الحقيقيّ،بل بالأدب الممكن،وبعبارة أخرى،يعنى بتلك الخصائص المجردة،التي تصنع فَرَادَةُ الحدث

---

1 -الوظائف اللّغويّة عند رومان جاكبسون، ستة،هي:1.الوظيفة التّعبيريّة، 2.الوظيفة الإفهاميّة،3. الوظيفة الانتباهيّة، 4.الوظيفة المرجعيّة،5.الوظيفة ماوراء اللّغة، 6.الوظيفة الشّعريّة، ينظر:الطّاهر بومزبر،التّواصل اللّسانيّ والشّعريّة مقاربة تحليليّة لنظريّة رومان جاكبسون، الدّار العربيّة للعلوم-ناشرون ومنشورات الاختلاف،ط1،الجزائر،1428هـ -2007م، ص ص 35-52.

2 -المصدر نفسه ،ص35.

3 -تزفيطان طودوروف، الشّعريّة ،مصدر سابق، ص20.

4-المصدر نفسه،ص23.

5 - المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

الأدبيّ أيّ الأدبيّة"[1].وأثناء الدّراسةتظهرأهمية الشّعريّة ودورها والمتمثل في"الكشف عن البُنى الأدبيّة الثّاويّة وراء كثافة النّصّ،كما أنّ هذه العناصر(اللّفظيّة،التّركيبيّة،الدّلاليّة)قابلة للملاحظة مباشرة،من خلال عالم الأدب،باعتبارها تمظهراً لبنية مجرّدة،وأنّ دورالشّعريّة هو البحث عن مستويات تداخلها وانتظامها داخل النّصّ"[2].

يستشف من كلّ هذه الشّعريّات الغربيّة المذكورة، شدّة احتفائها بالدّراسات الأدبيّة، واعتبار النّصّ محوراً مهمّاً، تتمّ الانطلاقة منه أوالاشتغال عليه،بالرّغم من اختلاف أدواتها في تحليله،ليصير في النّهاية نصّاً مفتوحاً لقراءات متعددة،لـها منطلقاتها وأبعادها،كما أنّ لها أهدافها ونتائجها،شريطة تَوَفُرِ القدرة على التّحليل،والرّغبة في التّأويل،من أجل القراءة الواعيّة للنّصّ،وإدراك مآلاته المختلفة، وفي اتجاهات متنوعة،ومستويات لانهائيّة،إذ يمكن معرفتها من خلال معرفة نمط القراءة،ومنهج التّحليل لهذا النّص أو ذاك، علاوة على سعة الأفق والاطلاع الواسع لتحقق عملية الفهم المرجوة.

2-2-2-الشّعريّة في المنظور العربيّ الحديث:

لقد أحدثت العصر الحديث انشقاقاً في الحياة العربيّة،وهو نتيجة لاتصال العرب بالغرب الأوربيّ وترتب عن ذلك ما يسميه أدونيس بـ-صدمة الحداثة[3]،صدمة كانت لها تبعاتها وتأثيراتها في أغلب البيئات العربيّة، وعلى الرّغم من كون درجات التّأثر كانت بنسب متباينة، لكنّها عكست انبهار عدد لابأس به من فئة النّخبة المثقفة،والذي راح يقلّد من تأثر بهم من أهل الغرب، تبعاً لقول ابن خلدون: "إنّ المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره ونحله وسائر أحواله وعوائده"[4]، محاولاً التّقليد تارة، والتّجديد تارة أخرى،في الأجناس الأدبيّة، شكلاً ومضموناً،وفي الطّرائق التّعبيريّة،نـاهيك عن المصطلحات المفاهيم، مما سينسحب ذلك على مفهوم الشّعريّة،كلّ ذلك بدعوات وصيحات مختلفة، كالتّجديد والحداثة المعاصرة، وغيرها من حالات الموحية بالقلق والاضطراب والانبهار،حيث سيلفي الدّارس أنّ الشّعريّة الحديثة اتخذت منهجاً،وَوُسِمَتْ بمفاهيم متعدِّدَة بين المهتمين المشتغلين بجزئياتها وكلّياتها، تزعّمها لفيف من الحداثيين والتّجديديين من أمثال:محمّود درويش،نازك الملائكة،وبدر شاكر السّياب،ويوسف الخال،وكمال أبوديب،وأدونيس،نكتفي بذكر النّموذجيْن الأخيريْن تمثيلاً لحالة التّأثر والإعجاب، في سّاحة النّقد العربيّ الحديث.

---

1 - المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

2 - عثماني الميلود، شعرية تودوروف،عيون المقالات، ط1، الدّار البيضاء،1990م، ص27.

3 -مشري بن خليفة،الشّعريّة العربيّة مرجعياتها وإبدالاتها النّصّيّة/ دراسة، مرجع سابق،ص84.

4 - عبد الرّحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق،ص184.

2-2-2-1-شعريّة كمال أبو ديب:

يبسط كمال أبو ديب في كتابه"في الشّعريّة"،غير مخفٍ تأثره بالمرجعية الغربيّة، وهذا ما لا تخطئه عين الدّارس للكتاب،حيث يرى أنّ الشّعريّة "خصيصة علائقيّة،أيّ:أنّها تجسيد في النّصّ لشبكة من العلاقات،التي تنمو بين مكونات أوليّة سِمَتُها الأساسيّة، أنّ كلّا منها يمكن أنْ يقع في سياق آخر من دون أنْ يكون شعريّاً،لكّنه في السّياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات،وفي حركته المتواشجة مع مكونات أخرى لها السّمات الأساسيّة ذاتها،يتحول إلى فاعليّة خلق للشّعريّة،ومؤشراً على وجودها"[1].

إنّ الشّعريّة في مفهوم كما أبوديب تستند إلى الفجوة:مسافة التّوتر،التي هي فاعل أساسي في التّجربة والإنسانيّة بأكملها[2]،ويحددها"بأنّها الفضاء الذي ينشأ من إقحام مكونات الموجود،أواللّغة أو أيّ عناصر تنتمي إلى مايسمى ياكبسون"نظام التّرميز"(codé)فيسياق تقوم فيه بينها علاقات ذات بُعْدِيْن متميزيْن".[3]

لقد أبان كمال أبو ديب وأفصح عن تصوّره لشعريّته دون لَبْسٍ أوغُمُضٍ،حيث يقول: "الشّعريّة،في التّصوّر الذي أحاول أن أنمّيه هنا،وظيفة من الوظائف ما سأسميه الفجوة أومسافة التّوتر،وهو مفهوم لاتقتصر فاعاليته على الشّعريّة،بل إنّه الأساسيّ في التّجربة الإنسانيّة بأكملها"[4]، ويعني هذا القول بالمعنى العام"خروج الإبداع الأدبيّ عن كلّ ما هو متوقع من طرف القارئ، وهي ما سُمِّيَ بـ(خيبة أفق القارئ)، وهذا سرّ جماليّة الإبداعالأدبيّ"[5]،ويجعل من النّصّ المقروء نصّاً مفتوحاً.

2-2-2-2- شعريّة أدونيس:

عند العودة إلى كتاب الشّعريّة لأدونيس،سيتعرف المتلقي على أربعة أنواع من الشّعريّات،جاءت تلك الأنواع بالأسماء التّاليّة:"الشّعريّة والشّفويّة الجاهليّة"،"الشّعريّة والفضاءالقرآنيّ"،"الشّعريّة والفكر"، و"الشّعريّة والحداثة"،يجتهد أدونيس في شرح عن أصول شعريته ومرجعياتها،وبسط مضامينها وبيان خصائصها، وعلاقتها باللّغة العربيّة،ودورها في تنشيط عمليّة الكتابة والإبداع.

---

1 -كمال أبو ذيب ،في الشّعريّة، مطبعة الأبحاث العربيّة ش.م .م، ط1، بيروت –لبنان،1987م،ص14.

2 – مشري بن خليفة،الشّعريّة العربيّة مرجعياتها وإبدالاتها النّصّيّة/ دراسة، مرجع سابق ،ص26.

3 -المرجع نفسه ، ص21.

4 – المرجع نفسه، ص20.

5 – هدى أوبيرة، مصطلح الشّعريّة عند محمّد ينس(رسالة ماجستير)،إشراف:مشري بن خليفة،جامعة قاصدي مرباح بورقلة-الجزائر، 2011م-2012م،ص32.

كان لنّوع"الشّعريّة والحداثة" أوفر حظاً في التّنظير عند المؤلف،و"لقد شكّلت الحداثة في مشروع أودنيس التّنظيريّ هاجساً مركزيّاً،لأنّه استطاع أن يعلن عن موقف لا مفكر في مفهومه للشّعر،فهو عنده"نبوة ورؤيا وخلق،فالشّعر هو هذا البحث الذي لا نهاية له"[1].

إنّها دعوة صريحة من أدونيس للبوح والانفتاح والإبداع والكتابة في أشكال للتّعبير الشّعريّ جديدة،ويعضّد هذا القول ما يقال جمال الدّين بن الشّيخ مؤكداً رأيه، بقوله:"إنّ الشّاعر يجمع بالفعل كلمات وصوّراً حسب شبكات تحمل في ذاتها مبادئها التّنظيميّة،وهو لايجعل الواقع يتجلى في اكتماله الأكبر،وفي تنوع الرّؤى التي يعرضها،بل يتوفر على ترسانة لغويّة،بالمعنى الواسع للكلمة، ومسموح له بتناول أي موضوع، لا بالمعرفة المباشرة لهذا الموضوع،بل بمعرفة الألفاظ التي تدل عليه،فهو يمكن أن يحب دون أن يعرف الهوى، ويمكن أن يبكي دون أن يعاني الألم..."[2].

وفي موطن أخر يفرق أدونيس بين الشّعر والنّثر في إطار توضيحه للشّعريّة،التي يدندن حولها، بقوله:«إيضاحاً لما أعني بـ((الشّعريّة))،أشير إلى أن هناك من النّاحيّة((الكميّة))طريقتين في التّعبير الأدبيّ:الوزن والنّثر.ومن النّاحيّة النّوعيّة أربع طرق:أ-التّعبيرنثريّاً بالنّثر،ب-التّعبيرنثريّاً بالوزن،ج-التّعبيرشعريّاً بالنّثر،د-التّعبيرشعريّاً بالنثر...وهذا يوصلنا إلى القول أنّ الفرق بين الشّعر والنّثر ليس في الوزن،بل في طريقة استعمال اللّغة"[3].

إنّ الشّعريّة الحديثة في المنظور الأدونسيّ شعريّة تدعى للثّورة على المفاهيم المعتادة، في ميدان الكتابة والإبداع،فالثابت في منظورها مرفوض في عصر تطور في كلّ شيء،إذ لابد من مواكب التّطور،والتخليّ عن كلّ ما يعيق التّجديد، ويقيد العقل المبدع،وتحطيم المفاهيم ذات الدّلالة القديمة، والتي تجاوزها الزّمن،وتنبي طرق جديدة في أشكال التّعبير،واستخدام اللّغة المحملة بمفاهيم العصر ومدلولاتها.

3- علاقة الشّعر بالشّعريّة والأسلوبيّة:

لقد تبيّن من خلال حديثنا عن الشّعر والشّعريّة، بأنّ الأول:هو فنّ من الفنون الأدبيّة،وشكل من أشكال التّعبير،يعبر بواسطته الشّاعر عن أحاسيسه،وأفكاره، ومشاعره وآرائه،وأحواله النّفسيّة،

---

1 - مشري بن خليفة،الشّعريّة العربيّة مرجعياتها وإبدالاتها النّصّيّة/دراسة، المرجع السّابق،ص128.

2 -جمال الدّين بن الشّيخ،الشّعريّة العربيّة،ترجمة:مبارك حنون،ومحمّد الوالي ومحمّد أوراغ،دار توبقال للنّشر،ط1، الدّار البيضاء-المغرب،1996م،ص294.

3 -أدونيس،سياسة الشّعر، دراسات في الشّعريّة العربيّة المعاصرة، دار الآداب،ط1،بيروت ،1985م،ص ص 22-24.

محمّلة بمعاني تجربته الشّخصيّة منتجاً في النّهاية نصوصاً شعريّة ذات بأغراض شعريّة متباينة:كالمدح، والهجاء، والغزل، والاستجداء،والرّثاء وغيرها.

وكما رأينا بأنّ الشّعريّة:وظيفة من وظائف اللّغة التّعبير الفنيّالإبداعيّ الجماليّ،مع مراعاة تضافر مستوياتها الثّلاثة(اللّفظية،والتّركيبيّة،والدّلاليّة)،"حيث يربط((جريماس))بشكل واضح بين درجة الكثافة الشّعريّة وعدد العلاقات البنيّويّة في النّصّ،الأمر الذي يتيح له أن يأخذ في حسابه((نوع التّجربة)) ويبتعد قليلاً عن الشّكليّة...يكمن حينئذ أن نجعل درجة الكثافة معياراً لتصنيف الأعمال الشّعريّة، ويتقاطع هذا المعيار بدوره مع نمطي الاختيار المتبادلين للمستويات والأشكال المتّصلة بالخطاب وفاعليته اللّغويّة"[1]،وهذا ما تسعى الشّعريّة إلى تحقيقه على مستوى النّصوص الأدبيّة.

أمّا الأسلوبيّة حسب وجهة نظر عبد السّلام المسدّي، فهي:"بحث عما يتميز به الكلام الفنيّ عن بقية مستويات الخطاب أولاً عن سائر أصنف الفنون الإنسانيّة ثانيّاً"[2].وهذه وظيفة المتلقي النّاقد المطّلع على اللّسان العربيّ وفروعه، وخبايا الشّعر وأغراضه،وأسرار الشّعريّة ومقتضياتها."وهي بذلك علم شامل للدّلالات المكرسة في جهاز الأثر الأدبيّ"[3]،فولوج أعماق النّصوصّ يستوجب امتلاك الكفاءات والمهارات المؤهلة،والأدوات المتيحة لعمليّة الفهم السّليم للمحتويات النّصيّة،دون إسفاف في المعاني،أو إخلال بمضمون الخطاب المبحوث.

توحي العلاقة بين الثّلاثيّ(الشّعر والشّعريّة والأسلوبيّة)،أنّها علاقة ترابط وانسجام،وتناسق وتكامل،حيث لايمكن للشّاعر البوح عن أي موضوع،وفي أيّ شكل من أشكال الشّعر،وفي أي قالب إبداعيّ فنيّ،من غير امتطاءه صهوة الشّعر،المصبوغ بقوانين الشّعريّة وإبدالاتها المختلفة،في إطار اللّغة التّواصليّة الممكنة،والتي يتمّكّن المتلقي الواعي،منتأويل أساليبها المتنوعة،دون عناء أوإرهاق للفكر،أوغموض مقيت يصيب الذّهن بسبب التّراكيب الأسلوبيّة مفككة،أوبسبب الألفاظ الغريبة، الموحشة المستغلقة في معانيها ودلالتها،وغير ذلك من عناصر"النّصّ الجامع"ومتطلباته.

فالشّعر المجافي للشّعريّة ضرب من اللّغو واللّغط،والشّعريّة التي لا تستجيب لإحساس الشّاعر مجرد مشاجب تعلق عليها الألفاظ،تخدع قائلها بأنّه متناغم مع الطّقوس الشّعر التّوخاة في كتابة النّصوص،كما أنّ الشّعر الذي لا يحسن قائله توظيف الأسلوبيّة في الصّورة القادرة على عرض نصّه

1 - صلاح فضل، أساليب الشّعريّة المعاصرة، دار الأدب،ط1،بيروت –لبنان،1995م، ص24.

2 –عبد السّلام المسدّي، الأسلوبيّة والأسلوب، الدّار العربيّة للكتاب،ط3، طرابلس –ليبيا،1982م،ص37.

3 .أحمد مطلوب، في المصطلح النّقديّ،مرجع سابق،ص111.

بالصّورة المثلى نوع الهذيان،وأن الأسلوبيّة المقيّدة للإبداع والبوح،وتفرض شروطاً تثني الشّاعر عن الخيال،وتوظيف الأفضية والأزمنة المناسبة لقوله عند حالة نفسية معينة وتعطلّ فيها المقولة المشهورة: "يجوز للشّاعر ما لا يجوز للنّاثر"،وترفض الانزياح والعدول المنسجميْن وروح النّص،فهي(الأسلوبيّة) عند ذلك سجن لا يؤمن بالتّجديد والحريّـة، وأن القوالب الأسلوبيّة الحرفيّة التّنفيذ،تظلّ فارغة من المحتوى والجوهر،والذي تمثله الأفكار المنسجمة،ومعاني الألفاظ المعبّرة عن الخواطر،والمشاعر الصّادقة، والعواطف الجيّاشة،والأحاسيس المرهفة.

وعليه فالشّعر بحاجة إلى الشّعريّة التي تترجم الأحوال النّفسيّة للشّاعر في سياقاتها المختلفة، وكذلك هو بحاجة إلى الأسلوبيّة تستجيب لمتطلبات روح العصر،مدركة لنوع التّحولات الجديدة، ودرجة التّحديات القائمة في الحياة بوجه عامّ،كي يكون وقع الغارات الفكريّة،وتأثير الصّدمات الثّقافيّة ضئيلاً، ويمكن أن يحصل المأمول إذا كانت القراءات للأحداث تمّت بشكل صحيح،وتأويلاتها مبنيّة على أسس علميّة موضوعيّة،ورؤى معرفيّة رصينة، وقواعد منهجيّة متيّنة،تقبل النّقاش،وترفض الجدل غير المؤسس،والذي يقدّم قيمة مضافة إلى حقول المعرفة.

ثانياً: الـرّثــاء تعريفه،دوافعه وأغراضه، أقسامه، نماذج من الرّثاء العربيّ (القديم والحديث).

لقد سبقت الإشارة في معرض حديثنا عن الشّعر،إلى أغراض الشّعر، وعرفنا أن له أغراضاً جمّة، منها: المدح، الهجاء،الغزل،النّسيب،الوصف،الفخر، والرّثاء،وغيرهامن ضروب الشّعر،ويمكن الوقوف علىكلّ غرض بعد قراءة البيت الشّعريّ،وإدراك مضمونه، ومراد قائله منه.وكلامنا الموالي،سيقتصر على التّعريف بغرض الرّثاء،ودوافعه وأنواعه،ثمّ تقديم بعض النّماذج الرّثائيّة من شعرنا العربيّ القديم والحديث على حدّ سواء.

1-تعريف الرّثاء:

1-1-في اللُّغَةِ:

يقولُ ابن فارس(ت 395هـ) في معجم المقاييس في اللّغةِ:"رَثَى:الرّاءُ والثّاءُ والحرفُ المعتلُ أُصَيْلٌ يدلُّ على رِقّةٍ وإشفاقٍ.يُقَالُ رثَيْتُ لفُلانرَقَقْتُ، ومن البَابِ قَولُهُمْ:رَثَى الميِّتَ بِشِعْرٍ، ومن العرب من يقول:رَثَأْتُ، ولِيْسَ بِالْأَصْلِ"[1].

أمّا ابنُ منظور(ت711هـ)فِي لِسَانِ العربِ،يقول:"رَثَى فُلاَنٌ فلاناً يَرْثِيهِ رَثْياً ومَرْثِيَةً إِذَا بَكَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.فَإِنْ مدَحَه بَعْدَ مَوْتِهِ قِيْلَ رثَّاهُ يُرَثِّيه تَرْثِيةً.ورَثَيْتُ الميّتَ رَثْياً ورِثاءً ومَرْثاةً ومَرْثِيةً.ورَثَّيْتُه:مَدَحْتُه بعد الموتِ وبَكَيْتُه.ورثَوْتُ الميِّتَ أَيْضاً إِذا بَكَيْتُه وعدَّدتُ محاسنه،وكذلك إِذا نظَمْت فيه شعراً"[2].

ونجد تعريفاً يصف حالة القلوب،وتأثير الموت في النّفوس،وتصرفات أصحابها فقدهم لميتهم، إنّه تعريف نَجْمُ الدّيْنِ أَحْمَدُ بَنُ الأَثِيْرِ الْحَلَبِيُّ(ت737هـ)للرِّثَاءُ في كتابه جوهر الكنز قائلاً:"الرِّثاءُ مَصْدَرُ رَثَيْتُ،ومعنى رَثَيْتُ فُلَاناً:إِذَا بَكَيْتُهُ وعَدَدْتُ مَحَاسِنَهُ،وتَقُوْلُ:رَثَى فُلَانٌ لِفُلَانٍ:إِذَارَقَّ لَهُ،لِأَنَّ الميِّتَ تخشَعُ لَهُ الْقُلُوبُ وتَرِقُّ لُهُ النَّفْسَ لأنّ الميت تخشع له القلوب وترِقّ له النّفسُ"[3].

من التّعريفات اللّغويّة السّابقة نكتشف،أنّ معاني الرّثاء يُمْكِنُ أنْ تُجْمَلَ في أربعة معان هي:الرّقةُ،والنّوح،والبكاء،وتعداد المحاسن.وفي مجملها تحْمِلُ في دلالاتها العميقة،ومعانيها الدّقيقة،معنى الحزن على فقد أمر عزيز،أوضياعه،أوفنائه، وانقضائه،يصعب على نفس الرّاثيّ تحمّل ذلك الفقد

1- أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم المقاييس في اللّغة،تحقيق شهاب الدّين أبو عمرو، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع،ط1، بيروت – لبنان، 1432- 1433 هـ / 2011 م، ص: 442.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر،مصدر سابق،مج 14، ص309.

3 – نجم الدّين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، جوهر الكنز" تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة"، تحقيق محمّد زغلول سَلام،(د .ط)، النّاشر منشأة المعارف بالإسكندريّة، الإسكندريّة – مصر، 2009 م،ص 531 .

والغياب،ولاحيلة لها في مثل هذاالموقف العصيب،إلّا التّحسّرعلى سالفٍ فَرَطَ،ومفقود غاب،لايمكن استرداده، وتَظَلُّ التّسريّة بذِكْرِ كلّ ما له صلة بذلك المفقود:كذكر مكانته في القلوب،وتعداد آثاره، ومناقبه، ومحاسنه، وخصاله.

1-2- في الاصطلاح:

يُشَكِّلُ التّعريف اللّغةمرجعاً للتّعريف الاصطلاحيّ،إذ طارالأدباءَ والنّقادَ المهتمينبالشّعرِ قديماً وحديثاً، يجتهدون في تعريفهم للرّثاءِ،"ويبدوأنّ النّـقادَ العربَ لميفرقوا بين كلمتي الرّثاءِ والتّأبين،وكانوا يضعون إحدى الكلمتين موضع الأخرى"[1]،نذكر بعض تلك التّعريفات، في التّالي:

يقولالأصمعي(ت210هـ):"وطريق الشّعرإذا أدخلته في باب الخير لاَنَ،ألاترى أنّ حسّاناً بن ثابت كان عَالماًفي الجاهليّة والإسلام، فَلَمَّا دَخَلَ شِـعْرُهُ في باب الخيرِ من مراثي النّبيّ وحمزة وجعفر رضوان الله عليهم لاَنَ شِعْرُهُ"[2].

ويذكرها بن سلّام الجمحي(ت231هـ) فيكتابه طبقات الشّعراء،بعنوان فرعيّ أسماه"أصحاب المراثي" يقول بشأنه:"وجعلنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر طبقات"[3]،وأورد أشهر الشعراء الرّثائيين أمثال:المتمم بن نويرة بن حمزة اليربوع يرثى أخاه مالكاً،والخنساء رثت أخويها صخراً ومعاوية، وأشى باهلة رثى المنتشر بن وهب الباهليّ،وكعب بن سعد الغنويّ رثى أخاه أبا المغوار،ويذكره كذلك "الجاحظُ(ت255هـ)في كتابه البيان والتّبيين مصطلح(الرّثاء)بمعناه العام:أيّ فنّ الرّثاء، والخاص،أيّ: بكاء الميّت وإحصاء محاسنه"[4].

أمّا قُدَامَةُ بن جعفر(ت337هـ) يقدّم لنا صورةً من شِعْرِ الرّثاءِ، بقوله:"ومن الشّعرِمن يَرْثِي بذكرِ بُكَاءِ الأشياءِ التي كَانَ الميّتُ يُزاولُها"[5]. لم يحدد قدامة بن جعفر وترك أمر البكاء والحزن غير مقصور على شيء من الأشياء،بل علقه على أيّ شيء يذكّر بالعزيز الميت المفقود،وله صلة به.

ونجد ابن رشيق القراوني(ت456هـ)في أحد موازناته:"وسبيلُ الرّثاءِ أنْ يَكُونَ ظَاهِرُ التَّفَجُّعِ، بَيِّنَ الْحَسْرةِ،مخلوطاً بالتّلهُّفِ والْأَسَفِ والاسْتِعْظامِ،إنْ كَانَ الميِّتُ مَلِكاً،أورئيساً كبيراً"[6].فمكانة المتوفي

1- محمّد عزّام، المصطلح النّقدي في التّراث الأدبيّ العربيّ، دار الشّرق العربيّ، بيروت – لبنان، ص184.

2 - أبو سعيد الأصمعيّ، فحولة الشّعراء، تحقيق عبد المنعم خفّاجيّ، دار القلم للتّراث، القاهرة – مصر، ص39 .

3- محمّد بن سلّام الجمحيّ ، طبقات الشّعراء،دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان ، 1422هـ -2001م، ص82.

4 -محمّد عزام، المصطلح النّقدي في التّراث الأدبيّ العربيّ، مرجع سّابق، ص 184.

5- أبو الفرج قدامة بن جعفر نقد الشّعر،مطبعة الجوائب،ط1، قسطنطينية، 1302هـ ، ص 33.

6 - أبوعلي الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزدي،العمّدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقدِه، مصدر سابق ،ج2، ص147 .

إن كان من كبير القوم،وأعلاهم قدراً وحظوة،كأن يكون ملكاً أورئيساً، وجب أن يكون الرّثاء عند فقده ظاهراً، ومظهره، هو التّلهف والأسف والتّحسر استعظاماً لجلالة الموقف،وإفاءة لقدره،ويؤكد حازم القرطَاجَنيّ(ت684هـ)على ضرورة تميز غرض الرّثاء في ألفاظ خاصّة،ذات دلالة وقصديّة، ومناسبة لمقام الشّجن في قوله:"وأما الرّثاء فيجب أنْ يكون شاجيَ الأقاويل،مُبكيَ المعاني،مثيراً للتّباريح،وأن يكون بألفاظ مألوفةٍ سَهْلةٍ،في وزنٍ متناسبٍ ملذُوذٍ،وأن يستفتح فيه بالدّلالة على المقصد،ولا يُصَدَّر بنسيب،لأنّه مناقض لغرض الرّثاء،وإنْ كان هذا قَد وقع للقدماء نحو قصيدة دُرَيد يُرثي أخاه التي أَوَّلُها:

أرَثَّ جَدِيْدُ الحَبْلِ من أُمِّ مَعْبَـدٍ بعاقبةٍ أُمِّ أخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدِ

وفي قصيدة للنّابغة يرثي بعض آل جفنة وهي من بحر الطّويل يقول فيها:

دعاك الهوى واِسْتَجْهَلَتْكِ المنازِلُ وكيف تَصابي المرءُ والشّيْبُ شامِلُ

وفي قصيدة من بحر الرّجز لعَديّ بن زَيد يرثي ولده علقمة قال :

أعرفت أمس مِـنْ لميس طَلَلِ مثلا لكتابِ الدّارسِ الأحوالِ"[1]

من خلال نرى بساطة الألفاظ، معبرّة عن الأسى والتّحسر والحزن، الخاليّة من التّعقيد، مـوفيّة بغرض الرّثاء.

ويقول السّيد أحمد الهاشميّ في تعريفه للرّثاء:"وهو تعداد مناقب الميت،وإظهار التّفجّع،والتّلهف عليه، واستعظام المصيبة فيه"[2].نلاحظ توافق هذا التّعريف مع تعريف ابن رشيق القيروانيّ، في مظاهر الرّثاء والبكاء الميت،كإظهار التّفجع،والتّلهف،واستعظام جلالة الموقف والمتمثل في فقدان فرد عزيز من ذوي الشّأن والمكانة والجاه.

ويعرّفه شوقي ضيف(ت2005م) في مقدمة كتابه الرّثاء بقوله:"الرّثاء من الموضوعات البارزة في شعرنا،إذ طالما بكى شعراؤنا من رحلوا عن دنياهم وسبقوهم إلى الدّار الآخرة، وهو بكاء يتعمق في القدم،منذ وجد الإنسان،وجد أمامه هذا المصير المحزن: مصير الموت والفناء الذي لابد أن يصير إليه، فيصبح أثراً بعد عين،وكأن لم يكن شيئاً مذكوراً"[3].

---

1 – أبو الحسن حازم القرطاجنيّ ،منهاجُ البُلغَاء وسِرَاجُ الأدَباءِ، تقديم محمّد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلاميّ، ط3، بيروت– لبنان، ص ص351،352.

2– السّيد أحمد الهاشميّ،جواهر الأدب في أدبيات لغة العرب،المكتبة التّجاريّة،ط27،القاهرة –مصر،1389هـ-1969م، ص27.

3– شوقي ضيف، الرّثاء، دار المعارف، ط01، القاهرة – مصر،1987م، ص 05.

يُلاحظ في هذه التّعريفات الاصطلاحيّة،أنّها تشترك في مفهوم الرّثاء والدّلالة على معانيه،والتي يمكن إجمالها في: البكاء،والحسرة والتّفجّع،والتّأسف والحزن على المفقود، والوَجْدُ على من مات وغاب من هذه الدّنيا،وكلّ هذه الأمورفطريّة ألفتها الطّبيعة الإنسانيّة،إذ تتسرى بها النّفوس،علّها تجد عزاء وسلوى في مصائبها،وتصّبّراً على المصير الحتمي((الموت)).

من التّعريفين اللّغويّ والاصطلاحيّ، يظهر للقارئ التّداخل والتّقارب الشّديد بين معاني الرّثاء، إلى درجة التّوافق، فكلا التّعريفين يؤكد على المعاني الدّقيقة والرّقيقة للرّثاء،والتي تلخص في الحزن على المفقود، والبكاء على الميّت،وحسرة القلب على فراقه، وتّفجعه من حالة فقد، وتعداد المحاسن والآثار، والمناقب التي تركها بعده.

2- دوافع الرّثاء وأغراضه:

2-1-الدّوافع:

إنّ لكلّ شيء سبباً،فإذا كان ذرف الدّموع من العيون على الخدود، ولطم الوجوه وشقّ الجيوب واستجلاب النّواحات،والصّياح والصّراخ،وكثرة العويل لإظهار شدّة وقع أثرالموت في النّفوس،وهي حَيَّلُ العوامّ من النّاس يلجأون إليها،مع بعض ساداتهم،ممن لا يجيدون القول،ولا يحسنون التّعبير عن انطباعاتهم، ومشاعرهم ومواقفهم من الحزن، في قوالب اللّغة المتعارف عليها،سواء كان نثراً أوشعراً،وكلّها عادات وتصرفات،كانت سائدة في عهد الجاهليّة،حارب الإسلام جلّها، ولم يبح منها إلّا ذرف الدّموع،وحزن القلوب مع الاسترجاع.

أمّا من حيث امتلك أدوات البوح والتّعبير عن أحاسيسه وخواطره وعواطفه،والإفصاح عن مشاعره خصوصاً الشّعراء، فالدّوافع عندهم إلى الرّثاء،هي:"إكبار يخالطه الوفاء والجزع، أوحبّ يساوره التّفجع والتّحسّر...وإحساس الشّاعر بالضّعف أمام الموت، وبالعجز عن مغالبته"[1].

2-2-الأغراض:

يهدف الشّاعر الرّاثي من خلال شعره "إلى إفراغ النّفس من لواعج لاشفاء لها منها إلّا بالبكاء على الرّاحل،وتعداد مناقبه"[2].فالشّاعر يجد فضاء للتّنفيس على نفسه، فيأتي شعره مشحوناً بالدّموع، والعبارات الحزينة،والكلمات المترجمة لذلك العجز عن نفع الميت،المقطوع الصّلة بأعزّ النّاس من أهله

1- غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهليّ:قضاياه.أغراضه.أعلامه.فنونه،دار الإرشاد، ط1، حمص-سوريا،1412هـ-1992م، ص 194.

2 - غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي:قضاياه.أغراضه.أعلامه.فنونه،المرجع نفسه،ص194.

وأحبابه،لذا نجد الشّاعر في رثائه، يمزج نفسه بالميت ويشبها به،"فكأنّه حينما يحزن على الفقيد يحزن على نفسه،إذ يشعر على نحوٍ ما أنّ موت غيره نذير بموته، وكلّما كان الفقيد أقرب إلى الفاقد كان إحساسه بالخسارة أشدّ،وتفجعه على الميّت آلـم"[1].

وهذا سوقنا بالضّرورة إلى الوقوف على أغرض الرّثاء التي طرقها الشّعراء قديماً وحديثاً، وهي كثيرة جدّاَ،لكّن أهمّ شيوعاً وتناولاً في قصائد الشّعراء،وأشعارهم الطّويلة والقصيرة، نجد:

- رثاءالأهلوالأقارب:الأب والأمّ والإخوة والأزواج والأبناء وغيرهم من أفرادالقبيلة والعشيرة،أصولاً وفروعاً وأحفاداً وأصهاراً،وكلّ من تربطه بالشّاعر صلّة القرابة، من الدّم والنّسب.
- رثاء الأصدقاء والخلان.
- رثاء العلماء والأدباء والشّعراء ونخبة الفكر.
- رثاء الملوك والخلفاء والأمراء والرّؤساء والوزراء.
- رثاء القادة والعظماء والشّهداء وأهل الفضل من الوجهاء.
- رثاء المدن الحضاريّة، والدّول العظيمة، البلدان العريقة ذوات الشّأن في حياة النّاس.
- رثاء الأشياء:كرثاء الحصان، وأدوات الكتابة(القلم والمحبرة)، والكتاب...الخ.
- رثاء النّفس وأحوالها وما يلحقهافيالأزمنة:كالعمر،والصّبا،مرحلة الشّباب،قوة الفتوة...الخ.

لقد وردت هذه الأغراض من الرّثاءوغيرها،فـي ثنايا المؤلفات وصفحاتها:دواوين وكتب، أوقصائد منفردة،وهي تترجم للشّخصيّات والأعلام،أو تورد أخبار المدن والبلدان،أوقصص القبائل والعشائر أفراداً وجماعات،حملت أسماءصريحة ومتنوعة، نحو:"قصائدالرّثاء"[2]مرثية فلان...،"المراثي"[3]، وغير ذلك من العناوين الرّئيسة أو الفرعيّة التي حفلت بها تلك المدونات.تنتظر القراءة والدّراسة.

3-أقسام الرّثاء:

لو تقصّينا تراثنا العربيّ النّري والغنيّ بقضاياه الدّسمة،وبحثنا في كتب أدبنا قديمه وحديثه ومعاصره وتأملنا ما كتبه شعراؤنا في شعر الرّثاء،وموضوعاته المختلفة، وأغراضه المتعدد،لألفينا أنّ شعر الرّثاء ينقسم إلى ثلاثة أنواع،بحسب تصنيف شوقيّ ضيف في كتابه"الرّثاء"وذلك ما قاله في العبارة الصّريحة:

---

1 - المرجع نفسه،ص ص 194،195.

2-حامد حسن، الأعمال الشّعريّة الكاملة-الجزء الأول- المجلد الأول- قصائد الرّثاء(ديوان شعري) ، دار الينابيع للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق –سوريا،2003م.

3 - "المراثي" الباب الخامس من كتاب جمهرة أشعار العرب، ينظر:أبو زيد محمّد القرشي،شرح جمهرة أشعار العرب،شرح :علي حسن وشجيع فرجاني، مراجعة:حمزة القرشي،شركة القدس للنّشر والتّوزيع،ط1،القاهرة،2012م،ص393.

"وللرّثاء ألوان ثلاثة وهي النّدب، والتّأبين، والعزاء"[1].

3-1-النّدبُ:

يعرّفه محمّد عزّام بقوله:"هو بكاء الأهل والأقارب،حين يعصف بهم الموت،فيَئِنُ الشّاعَرُ ويَتَفَجَّعُ"[2].

ويعرّفه شوقي ضيف،بقوله:"النّدب هو النّواح والبكاء على الميّت بالعبارات المشجيّة،والألفاظ المحزنة التي تصدّع القلوب القاسيّة،وتذيب العيون الجامدة،إذ يُولولُ النّائِحون والباكون،ويصيحون ويعولون مسرفين في النّحيب والنّشيج وسكب الدّموع"[3].كندبتمم بن نويرة بن حمزة اليّربوعيّ التّميميّ،الذي قُتل أخوه مالك في حروب الرّدة،فرثاه رثاءً حاراً، لايصدر إلّا عن قلب موجع،وفؤاد ملتاع،حيث ظلّ يبكيه حتى ابيضت عيناه من الحزن...وصار ندبه لأخيه مصير الأمثال[4]،ومن أروع ما قال فيه، قوله:

لَقَدْ لَامَنِـــي عِند الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَا رَفِيقِي لتـذراف الدّموعِ السّوافكِ
أمِــنْ أجلِ قَبْــرٍ بِالمـلا أَنْتَ نَائِحٌ عَلَى كُلِّ قَبْــرٍ أوعَلَى كُلِّ هَالِكِ
يَــقـُـولُ: أتَبْـكِي كُـلَّ قَـبْـرٍ رَأَيْتَهُ لَقَبْرٍ ثَـوى بَيْنَ اللّـوى فَالدّكَـادكِ
فَـقُلْتُ لَهُ:إنّ الشّجَا يبْعَثُ الشّجَا فَـدَعْنِـي، فَـهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ[5]

لقد بلغ الحزن من متمم بن نويرة مبلغه،وخُيِّلَتْ له كلّ القبور قبر أخيه مالك،حتّى وإنْكان قبـر مالك بعيداً جداً عنه، وفي وجهة معاكسة لوجهة وجود متمم.وهذا قمّة الشّجا،التي سيطرت على نفسه وقلبه،بل حتّى على عقله، وكلّ كيانه.

3-2-التّأبين:

يُؤصل شوقي ضيف لناأصل التّأبي ويعرفه،في قوله:"أصل التّأبين الثّناء على الشّخص حيّاً وميتّاً، ثمّ اقتصر اِستخدامه على الموتى فقط،إذ كان من عادة العرب في الجاهليّة،أنْ يقفوا على قبر

1- شوقي ضيف، الرّثاء. المرجع السّابق، ص5.

2 - المصطلح النّقديّ في التّراث العربيّ، المرجع السّابق، ص 185.

3 - الرّثاء، شوقي ضيف، المرجع السّابق، ص 12.

4 - إميل ناصف، أروع ما قيل في الرّثاء، دار الجيل للطّبع والنّشر والتّوزيع،ط2، بيروت –لبنان، ص21.

5 - ابتسام مرهون الصّفار، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعيّ، مطبعة الإرشاد ،بغداد، 1968م، ص125.

الميّت، فيذكروا مناقبه، ويعددوا فضائله، وشهروا محامدَه، وأصبح من سننهم وعاداتهم،ولولم يقفوا على القبور، كأنّهم يريدون أنْ يحتفظوا بذكرى الميت على مرّ السّنين"[1].

يوضّح محمّد عزّام معنى التّأبين،مبرزاً قيمته العلميّة،وآثاره الاجتماعيّة،من خلال هذا القول: "وليس التّأبين نواحاً ولانشيجاً كالنّدب،بل هو أدنى إلى الثّناء منه إلى الحزن الخاصّ،فيشيد الشّعراء بالفقيد منوّهين بمكانته السّياسيّة أوالعلميّة أوالأدبيّة،ومن هنا كان التّأبين ضرباً من التّعاطف والتّعاون الاجتماعيّ"[2].ويقول الطّاهر توات عنه:"وهذا النّوع عادة ما يكون في العظماء"[3]،ونسوق مثالاً على ذلك،يتمثل في رثاء الشّماخ الخليفة الثّانيّ لرسول اللهﷺأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضيّ الله عنه المغدور بطعنة أبي لؤلؤة المجوسيّ،أرداه قتيلاً،حيث كان قائماً في المحراب يصلّي بالنّاس،يقول الشّماخ في هذه المصيبة التي ألـمّتْ بالمسلمين جميعهم:

جَـزى اللهُ خيراً من أميـرٍ وَبَارَكَتْ يَـدُ اللهِ فِـي ذَاكَ الأَدِيـمِ الْمُـمَزَّقِ
فَـمَنْيَسْعَ أو يـرَكَبْ جَنَاحَىْ نَعَامَةٍ لِيُـدرك مَـاقَـدَّمْتَ بالأمسِ يُسْبَـقِ
قَـضيتَ أموراً ثـمّ غَادَرْتَ بَعْـدَهَا بَـوَائِج فِي أَكْمَامِها لَـمْتُـفَتَّـقِ[4]

استهل الشّماخ مطلع مرثيّته في الخليفة عمر رضي الله عنه، بالدّعاء له،أن يجزيه الله عن الرّعيّة خير الجزاء،وأن يبارك في أديمه الممزق بخنجر أبي لؤلؤة المجوسيّ،ثمّ أخذ يعدد خصال الخير وصنائع المعروف،التي عُرِفَ بها أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه،كإمارته للمسلمين،واستصلاحهم شؤونهم،وتفقد أمورهم،وقضاء حوائجهم ومصالحهم،حتّى حاز لقب((الخليفة العادل))،فمن رام أن يصنع مثل الأمير عمر رضي الله عنه، ليلحق به،ظلّ مسبوقاً خائباً لن يبلغ مرتبته،حتّى لو امتطى جناح النّعامة،واتعب نفسه من أجل الظّفر بتلك المكانة المرموقة.

ثمّ يخاطب الشّماخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلاً:(قضيت أموراً)فبصفته خليفة وأميراً للمؤمنين،كان في خدمة رعيته،وساسهم بالعدل،لكنّ لـمّا رحل وغادر هذه الحياة، ترك وراءه الكثير من القضايا تنتظر حلولاً،ثمّ يواصل الشّمّاخ في رثاءه للخليفة العادل متسائلاً:

1- شوقي ضيف،الرّثاء، مرجع سابق، ص 54.

2 - المصطلح النّقديّ في التّراث العربيّ، المرجع السّابق، ص 185.

3-الطّاهر توات،أدب الرّسائل في المغرب العربيّ في القرنين السّابع والثّامن الهجريّ، ديوان المطبوعات الجامعيّة،ط2،الجزائر، 2010م، ج2،ص43

4 -الشّمّاخ الذّبياني،ديوان الشّماخ بن ضرار الذّبيانيّ،تحقيق وشرح صلاح الدّين الهاديّ،دار المعارف،القاهرة-مصر،1968م، ص ص 448،449.

أبَـعْدَ قَـتِيلٍ بالــمدينةِ أظْـلَمتْ لَـهُ الأرضُ تهْتَزُّ الغَضَاهُ بِأسْؤاقِ
تَظَلُّ الْحَصَانُ البِكْرُ يُلْقِى جَنِيْنَهَا نَثَاخَبَــرٍ فُــوْقَ المطيّ معَــلَّقِ
وَما كُنْتُ أخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ بِكِفّيْ سَبَنْتَى أَزْرَقِ الْعَيْنِ مُطْـرَقِ
ألاَ إنَّـمَا الــــدَّاءُ الْعَـيَاءُ مَرَامُنَا أُمُوراًتُــوَاتِـي غَيْرُنَا وَهْـوَ أَخْــرَقُ
وتـــــزداد شَـرّاً أَنْنَـرُومَ صَغِيْرَهَا فَكِيْفَ عَظِيْـمُ الْأَمْرِ فِيْهَا يُوَفَّقُ[1]

يصوّر الشّماخ حالة المدينة عند اغتيال الخليفة عمر،إذأظلمت الأرض،وحَزِنَ الكلّ على مقتله، البشر والحجر والشّجر،"ثمّ أخذ يتحدث عن فظاعة الحادثة مُتَعَجِباً أن يورق،ويهتز شجرُ الغضاه بعد أن نزلت بالمسلمين هذه الفاجعة،التي لم تسمع النّساء حتّى سقط حَمْلُهن استشعاراً لم تطوى من شر مستطير"[2]،حقاً إنها مصيبة عظيمة لا حيلة إلاّ الصّبر،وتفويض الأمر لله.

3-3- الْعَــزَاءُ :

العزاء هو:الصّبر عن كلّ ما فقدت،وقيل حُسنُهُ، وعَزَيْتُه أُعزيه تَعْزِيَّةً:أسّيتُه وضربت له الأسى[3].

يواصل شوقي ضيف في تأصيله لأقسام الرّثاء،قسماً قسماً،حتّى يبلغ تأصيله للعزاء،إذ يقوله في شأنه: "وأصل العزاء الصّبر،ثمّ اقتصر استعماله في الصّبر على كارثة الموت،وأن يرضى مَنْ فقد عزيزاً بِمَا فَاجَأَهُ بِهِ القَدَرُ"[4].

ويقدّم محمّد عزّام شرحاً لمعنى العـزاء في كتابه"المصطلح النّقديّ"،بقوله:"أمّا العـزاء فهو في مرتبة عقلية فوق مرتبة التّأبين،ينفذ فيها الشّاعرمن حادثة الموت الفرديّة، إلى التّـفكير في حقيقة الموت والحياة، وقد ينتهي به هذا التّفكير إلى معان فلسفيّة عميقة"[5].

وفيما يلي،نورد مثالاً عن قسم العزاء،يتمثل في قصيدة رثائيّة لحافظ إبراهيم بمناسبة وفاة ابنة محمّود سامي البارودي باشا عنونها"بين السّرائر ضِنّة دفنوك"،يقول فيها معزيّاً:

بَـيْـنَ السَّــرائِـرِ ضِـنَّةً دَفَـنـوكِ أمْ فـي المـحَاجِرِ خُلْـــسَةً خَـــبَؤُكِ
ما أثْــتِ مِــمَّنْ يَـرْتَضِي هَذَا الثَرى نُــزُلاً،فَــــهَل أُرضَوكِ أم غَبَـنُــوكِ؟
يا بِــنْتَ (مَحمودٍ) يَعِـزُّ عَلَى الْوَرَى لَمْـسُ التُّـرَاب لِـجِسْمِكِ المَنْهُوكِ

1 – الشّمّاخ الذّبياني،ديوان الشّماخ بن ضرار الذّبيانيّ، المصدر السابق،ص ص449،451،452.

2– شوقي ضيف،الرّثاء،مرجع سابق، ص58.

3–صالح العلي الصّالح وآمنة الشّيخ سليمان الأحمدي، المعجم الصّافي في اللّغة العربيّة،(د.ط)،(د،ت)،ص415.

4 –شوقي ضيف، الرّثاء، المرجع السّابق،ص 86.

5 –محمّد عزّام،المصطلح النّقديّ في التّراث العربيّ، مرجع سّابق، ص 185.

تَـرَكُوا شَبابَكِ فِـيهِ نَـهْباً لِلبِـلَى وَاهاً لِـغَضِّ شَـبَابِكِ الـمَتْـرُوكِ
وَحَثّوهُ فَـوقَ سَنَاكِ يَا شَمْسَ الضُّحَى فَـبَكَى لَـهُ بَـدْرُ السَّـمَاءِ أَخُـوكِ
دَاسَ الـحِمامُ عَـرِينَ آسَـادِ الشَّرَى يَـالَيْتَ شِـعْرِي أيـنَ كَانَ أَبُـوكِ
عَـهْدِي بِـهِ يَـلقي الرّدَى بمُهَنَّدٍ يَـعْلُوه غِـمْدٌ مِنْ دَمٍ مَـسْقُـوكِ
يَـا نَـفْسَ (مـحمود) وأنتِ عَلِيمَةٌ بـطَرِيْـقِ هَـذَا الْعَالَـمِ الْـمَسْلُوكِ
عَهَـدُوكِ لَا تَتَصَدَّعِيْـنَ لِـحَادِثٍ أَوَ أَنْتِ بَـاقِـيَةٌ كَـمَا عَـهِـدُوكِ
هَـذَا التُّرَابُ -وَأَنْتِ أعْلَمُ- مُلْـتَقَى هَـذَا الْـوَرَى مِـنْ سُوْقَةٍ وَمُـلُوك
هَـلْ أَنْتِ إلّا بَيْـنَ جَنْبَىْ مَاجِدٍ صَعْبِ الشّكِيْمَةِ للخُطُوب ضَحُوك[1]

في هذه المرثيّة نبرة الحزن والتّفجّع والتّحسر ممتدة على طول أبيات القصيدة،يكشف حافظ إبراهيم،من خلالها قَدْرَ ابنة محمود باشا ومكانتها عند النّاس،كونها عالمة نبيهة،تركت من الآثار ما تحفظه ذاكرة من عايشوها،فاستحق الحزن على فراقها.فضلاً عن كونها ابنة رجل من رجال مصر العظماء،شهد له الزّمان بذلك.

عند الجَمْعِ بين أقسام الرّثاء الثّلاثة(النّدب،التّأبين،والعزاء)والقراءة في أصولها،التّـأمل في دلالاتها،نستنجأنّها تشترك في الحقل الجامع وهو الرّثاء ومظاهره،المتصلة بالبكاء على الميّت، والنّياحة عليه، لهول الفاجعة،ووطأة الفَقْدِ على القلب،وشدّة ألـم الفراقِ والوجْدِ،والحزنِ على الميّت والحـسرة، وبـيان العجز على نفعه،وإنتفاء القدرة على إسترداد المفقود،أوالاستعاضة عنه،والاكتفاء بتعداد محاسنه،وذكر مناقبه،وتذّكر خصاله وآثاره،بغية التّخفيف على النّفس في مصابها الجلل،بعد الاستسلام للقدر المحتوم الذي لا يتجاوزه كائن حيّ، ولايُجارى فيه فاعله،ولا يُعْترض على قضائه فيه.

من يمكن القول بأن شعر الرّثاء شعر وجدان بامتياز، يعدّ ملاذاً آمناً للشّاعر، يهرع إليه للبوح، عن أشجان وأحزانه وكلومه، مانحاً نفسه كلّ الوقت، للتعبير وبكلّ حرقة وصدقاً ووفاء وحبّاً للفقيد، وترجمة مشاعر النّفس وأحوال الضّيق التي تنتابها عند اللّحظات الأولى المصاحبة لسماع خبر النّعي، ولم يستثن في ذلك الرّثاء،إذ خصّ كلما له صلة قريبة بالشّاعر بعيدة.

1 -حافظ إبراهيم،ديوان حافظ إبراهيم، ضبط وشرح وترتيب:أحمد أمين وأحمد الزّين،إبراهيم الإبياريّ،الهيئة المصريّة العامّة للكتاب،ط3، مصر،1987م،ص ص560،561.

ثالثاً– نماذج من الرّثاء من الأدب العربيّ القديم والحديث:

لاغرو إنّ تراثنا زاخر بالقصائد والدّواوين،التي قيّدت أشعارالشّعراء،الذين بَكُواْ ورَثُواْ مالم تتحمل قلوبهم فراقه،وضاقت نفوسهم عند اللّحظات الأولى، المرافقة للوداع الأخير، والذي لن تكون بعده عودة.

1– نماذج من الأدب العربي القديم:

فمنذ العصر الجاهليّ حتّى ساعة النّاس هاته،والشّعر يُوثّق تلك اللّحظات العصيبة على الأقرباء والأصدقاء والأحباب،بل حتّى على المعجبين،شَهِدَتْها صوّرُ النّدبِ ساعات انتشار أخبارالنّعي، وحفظتها ورقات التّأبين ساعة مراسيم الدّفن،وترجمتها خلجات النّفوس أيّام تقديم العزاء،وتناقلتها وسائل الأخبار للذكرى والإتساء وأخذ الدّروس والعبر،وما أثرها،وعلى اختلافها،فهذا يرثي أهله،وذاك يرثي نبيه أومعلمه أوصديقه،والثّالث يرثي خليفته،أورئيسه أوأميره وغيرهم من ذوي الحكم والسّلطان أويرثي مدينته،أوبلده أوشهداء وطنه، والرّابع يرثي قائده أوعظيم يقتدي به،والأخر يرثي نفسه وهكذا. ويمكننا أن نقيد بعض الصّور من الرّثاء، في التّاليّ:

1–1–رثاء المهلهل[1] بن ربيعة لأخيه كليب:

لـمّا بلغ المهلهل نَعْيُ أخيه كليب،حزن عليه حزناً شديداً،ورثاءه شعراً، يقوله في بعضه:

أَهَـاجَ قَـذَاةَ عَيْنـيَ الإذِّكَـارُ هُدُوءاً فَالدُّمُوعُ لَهَا انحِدَارُ
وَأَبْكِـي وَالنّـُجُومُ مُطَـلِّعَاتٌ كَأَنْ لَمْ تَحْوِهَا عَنِّي البِحَارُ
عَلَى مَنْ لُوْنُعـيْتُ وَكَانَ حَيّاً لَقَادَ الْخَيْلَ يَحْجُبُهَا الْغُبَارُ
دَعَـوْتُكَ يَا كُلِيْبُ فَلَمْ تُجِبْنِي وَكَيْفَ يُجِيْبُنِي الْبَلَدُ الْقِفَـارُ
أَجِبْنِـي يَا كُـلِيْبُ خَلَاكَ ذَمٌّ ضَنِينَاتُ النُّفُوسِ لَـهَا مَزَارُ
أَجِبْنِـي يَا كُلِـيْبُ خَـلَاكَ ذَمٌّ لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَـارِسِهَا نِـزَارُ
سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّـكَ كُنْتَ غَيْثاً وَيُسْراً حَيْـنَ يُلْتَمَسُ الْيَسَارُ
أَبَتْ عَيْـنَايَ بَـعْدَكَ أَنْ تَكُفَّا كَـأَنَّ غَضَا الْقَتَادِ لَهَا شِـفَارُ
وَإِنّـَكَ كُنْتَ تَـحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ وَتَعْفُـو عَنْهُمْ وَلَكَ اِقْتِدَارُ[2]

---

1 – المهلهل:هو عديّ بن ربيعة التّغلبيّ ،شاعر جاهليّ،وخال الشّاعر امرئ القيس، لقب بالزّير لكثرة مجالسته النّساء، له ديوان شعريّ أهمّ ما فيه رثاؤه لأخيه كليب،ورثاه مزيج من دمع وحرب ،ينظر: إميل ناصف، أروع ما قيل في الرّثاء،مرجع سابق:ص9.

2 – مهلهل بن ربيعة،ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم:طلال حرب، الدّار العلميّة،(ن.ط)،(د.ت)،ص ص31،32.

فوطأة النّعي وشدّة الفاجعة على قلب المهلهل،والبكاء والنّحيب،والجزع وومرارة الأسى على كليب هي سمات الغالبة على الأبيات،وهذا حال كلّ فاقد يرثي فقداً عزيزاً على فؤاده.

1-2- رثاء الخنساء[1] لأخيها صخر:

بَكَتْ الخنساء على أخويْه:معاوية وصخر،حزناً على مقتلهما، ورثتهما رثاء،لازال محفوظاً في ديوانها،والذي كان لصخرٍ الحظّ الأوفر من مجموع قصائده، لمكانته الخاصّة في قلبها،وهاهي تقول في بعض أبياتها،والتي تصوّر فيها،حالتها النّفسيّة، بعد موت صخر:

يُـؤَرِّقُنِي التَّذَكُّـرَ حَيْـنَ أَمْسِـي فَأُصْبِحُ قَدْ بُلِـيْتُ بِفَرْطِ نُكْسِ
عَلَى صَخْرٍ، وَأَيُّ فَتَى كَصَخْرِ لِيَـوْمِ كَرِيْـهَةٍ وَطِـعَانِـــحِلْسِ؟
فَـــلَمْ أَرَ مِثْـلَـــهُ رُزْءاً لِـجِنٍّ، وَلَـــمْ أَرَ مِـــــثْلَهُ رُزْءاً لِإِنْـسِ
يُـــذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْراً وَأَذْكُـــرُهُ لِـكُلِّ غُـرُوبِ شَمِسِ
وَلَـوْلَا كَـثْرَةُ الْبَاكِيْـنَ حَوْلِـي عَلَى إِخْوَانِهِمْ،لَقَتَلْتُ نَفْسِي![2]

فالخنساء تصّور ما أصابها من شدّة الأرق،والذي أصبح ملازماً لها،في الصّباح والمساء من فرط الحزن على صخر،فهو لايضاهه الجّنّ ولا في الإنس في الرّزء،وإنّ الشّروق الشّمس وغروبها يذكّرانِها به،مما يدفعها للتّفكير في الانتحار،لتخلص نفسها من وطأة الأسى،ووحشة الفراق لأخيها صخر.

1-3- رثاء حسّان بن ثابت رضي الله عنه في النّبيّ محمّدﷺ:

عُرِفَ حسان بن ثابت بشاعر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم،لأنّه كان يرافقه في أغلب الأحداث الكبرى،حيث شجّعه النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام على قول الشّعر،لما رأه فيه من اقتدار وتمّكن من فعل ذلك، فانبرى حسّان بن ثابث مستجيباً لطلب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم،له قصائد كثيرة في مدح النّبيّ ﷺ،وأخرى في وصف أخلاقه، وحسن سيرته،وتعامله مع جميع النّاس، وأخرى في رثائه، ومما قال في شأن الرّثاء هذه الأبيات المختارة :

بِطِـيْبَةَ رَسْـمُ لِلـرّسُولِ وَمَعْـهَدُ مُنِـيْرٌ وَقَدْ تَعْفُو الـــرّسُومُ وَتَهْـمَدُ
وَلَا تَنْمَحِي الآيَاتُ مِنْ دَارِحُرْمَةٍ بِهَا مَنْبَرُ الْهَادِي الْذِي كَانَ يَـصْعَدُ
فَبُورِكْتَ يَا قَبْـــرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ بِـــلَادٌ ثَـوَى فِيْهَا الرَّشِيْدُ الْـمُسَدَّدُ

1-الخنساء هي: تُماضر بنت عمرو بن الحارث بنت الشّريد السّلميّ، واحدة من أبرز شاعرات العرب منذ العصر الجاهلي حتى السّاعة، ينظر:الخنساء،ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه:حمدُو طمّاس،دار المعرفة للطّباعة والنّشر والتّوزيع ،ط2، بيروت-لبنان، 1425هـ -2004م،ص5.

2 - المصدر نفسه،ص ص 70،71.

وَبَكّي رَسُولَ اللهِ يَا عَيْنُ عِبْرَةً وَلَا أَعْرِفَنَّكِ الدَّهْرُ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
وَمَا لَكِ لَاتَبْكِيْنَ ذَا النِّعْمَةِ الّتِي عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
وَجُودِي عَلِيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعْوِلِي لَفَقْدِ الّذِي لَامِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ وَلَا مِثْلَهَ حَتَّى الْقَيَّامَةِ يُفْقَدُ[1]

فحسّان بن ثابت في هذه الأبيات الرّثائيّة، يطلب من عينه أن تسكب العبرات حزناً على النّبيّ محمّدﷺ، وأن لا تكفّ عن البكاء طوال الدّهر، بسبب فقدان هذه النّعمة المهداة من الله تعالى،إذ لم يعرف الدّهر مثل فقدانه إلى يوم القيامة، فهو القدوة التي لا مثيل لها.ولن تتكرر.

2- نماذج من الأدب العربيّ الحديث والمعاصر:

درج الشّعراء العرب في العصر الحديث والمعاصر على نهج أسلافهم،يرثون من فقدوا،ويحنّون إلى ذكرياتهم معهم،معددين أخلاقهم وخصالهم،ذاكرين آثارهم ومناقبهم،مظهرين تفجّعهم وتحسّرهم وتأثرهم وأحزانهم على فراقهم،كاشفين اضطراب قلوبهم وأنفسهم،وحيرة عقولهم وأفكارهم،داعين الله أن يرحمهم ويعفو عنهم،وقد وثقوا ذلك في دواوينهم وأشعارهم،نذكر من أمثلتها مايلي:

2-1-رثاء أحمد شوقي في حافظ إبراهيم:

رثى أحمد شوقي الشّاعر الكبير حافظ إبراهيم، بقصيدة طويلة يقول في مطلعها:

قَدْ كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ تَقُولَ رِثَائِي يَا مُنْصِفَ الْمَوْتَى مِنَ الْأَحْيَاءِ
لَكِنْ سَبَقْتَ،وَكُلُّ طُوْلِ سَلَامَةٍ قَدَرٌ، وَكُلُّ مَنِيَّةٍ بِقَضَاءِ
الْحقُّ نَادَى فَاسْتَجَبْتَ،وَلَمْ تَزَلْ بِالْحَقِّ تَحْفِلُ عِنْدَ كُلِّ نِدَاءِ[2]

في هذه الأبيات تمنى أحمد شوقي الموت قبل حافظ إبراهيم،وآثر أن يقول فيه رثاء، لأنّه يُنصف الموتى حين يرثيهم،لكّنّ قدر الله وقضاءه عجّلا بوفاة حافظ إبراهيم،وسَبِقَ أحمدَ شوقي استجابةً لنداء الحق،وهي سجيّة من سجايا حافظ عُرِفَ بها طول حياته، وهكذا راح أحمدُ شوقي يبّين خصال الرّجل ومناقبه ومآثره،من خلال أبيات القصيدة.

2-2-رثاء نزار قباني لمدينة قرطبة:

---

1 -سيد حنفي حسنين،حسان بن ثابت شاعر الرّسول، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ،المؤسسة المصريّة العامّة للتّأليف والتّرجمة والطّباعة والنّشر،(د.ط)،مصر،(د.ت)،ص ص192،191،194.

2-أحمد شوقي،الشّوقيّات، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثّقافة،(د.ط)،القاهرة-مصر،2012م، ص607.

تعدّ الأندلس الواقعة في إسبانيا،أحد معاقل الحضارة الإسلاميّة، وهي أحدى أرقى عهودها في تاريخها التّليد،ولـمّا سقطت الخلافة الإسلاميّة،وطُرِدَ منها المسلمون على يد الصّليبين،حـزن عـليـها الأدباء الشّعراء المسلمون وألّفُوا في خسارتها مؤلفات جمّة، ويستمر الحزن حتى عصر الشّاعر السّوريّ نزار قباني، الذي قال فيها قصيدة رثائيّة عنونها بـــ"أحزان في الأندلس"[1]،نختار منها مايلي:

لَـمْ يَبْقَ فِيإِسبانيَـهْ
مِنّا، ومن عصورنا الثّمانيَهْ
غيرُ الذي يَبْقَى من الخمرِ،
بِـجَوْفِ الآنيَـهْ..
وأعينٍ كبيرةٍ.. كبيرةٍ
مازال في سَوَادِهَا ينامُ لَيْلٌ الباديَـهْ..
لم يبقَ من قُرطبةٍ
سوى دموع المئذنات الباكيَهْ
سوى عَبِيْرِ الْوَرْودِ، وَالنّارنْجِ والأضاليَهْ..
لَمْ يبقَ من ولاّدةٍ ومن حكايا حبِّها..
قَافِيْةٌ. وَلَا بَقَايَا قَافِيَهْ..

*

لَمْ يَبْقَ مِنْ غَرْنَاطَةٍ
وَمِنْ بَنِي الْأَحْمَرَ.. إِلَّا مَا يَقُولُ الرَّاوِيَـهْ
وغير (لا غالب إلاَّ الله)
تلقاكِ بكلِّ زاويَهْ

.....

مضت قرونٌ خمسةُ.. ياغاليهْ
كأنَّنا.. نخرجُ هذا اليوم من إسبانيَهْ..

هذه الأبيات مشحونة بالأحزان،والتّحسر عن القرون الخمسة التي عاشها المسلمون في إسبانيا،حيث بنوا فيها حضارتهم العريقة، والتي يدين لها العالم اليوم،بفضل رجالها،من القادة والعلماء

1 –نزار قباني، الأعمال الشّعريّة الكاملة،منشورات نزار قباني،بيروت–لبنان،ج1، ص ص564،565.

وغيرهم من العظماء،ولم يبق من ذلك إلّا الآثار،وبعض المعالم الشّاهدة على وجودهم،ممايستدعي الرّثاء،وهذا يدّونه نزار قباني،رغم بعد المكان والزّمان،لكنّه استطاع أن يستدعي خواطره،ليرثي الجوهرة الضّائعة،والمجدّ التّلِيد،وحُقّ له ذلك،فحالها الذي آلت إليه،بعد تلك الحضارة العتيقة والرّائعة بمنجزاتها في الأندلس،يُكْلِمُ كُلَّ قلبٍ مخلصٍ،ويُؤلِمُ كلّ عربيّ ومسلم غيور،تجذرت فيه النّخوة العربيّة،وروح الانتماء الخالصة الوفيّة لعهودها، ولتاريخ أمتها.

2-3- رثاء عبد الرّحمان صالح العشماويّ للشّهيد الفلسطينيّ محمّد جمال الدّرة:

شهد العالم كلّه المشهد المأسويّ الدّمويّ الهمجيّ،والمنقول مباشرة من الأراضي المقدّسة بفلسطين المحتلة،يوثق بالصّوت والصّورة لحظات إعدام الطّفل محمّد جمال الدّرة،هذا المشهد جعل أرباب الشّعر ينتفضون ضدّه،ويتعاطفون بكلماتهم مع أسرة الشّهيد المغدور به،نقرأ في هذا الموطن بعض ما رثى به الشّاعر عبد الرّحمان العشماوي محمّد الدّرة، حيث يقول:

صورة المأساةِ تشهد:
أنَّ طفلاً وأباً كانا على وعدٍ من الموتِ محدَّد
مات رامي أو محمَّدٌ
مات في حُضْنِ الأَبِ المسكينِ،
والعالَمُ يشهدُ
مَشهدٌ أبصرَه النّاسُ.
وكم يخفى عن الأعيُنِ مشهَد
هو رامي أومحمَّد[1].

تروي هذه الأسطر لحظة قتل الصّهاينة للطّفل رامي محمّد الدّرة، وهو في حضن والده المسكين، والعالم كلّه يشهد على هذه الجريمة البشعة النّكراء، وهو مشهد يخفي الكثير عن الأعين،إنّه مشهد لا تطيق القلوب السّليمة،والنّفوس الأبيّة،ولعلّ ما يزيد في قتامته ردود العالم الذي وقف مكتوف الأيدي متفرجاً.

1-عبد الرّحمان الصالح العشماوي،ديوان قوافل الرّاحلين،مكتبة العبيكان،ط1،الرياض،1428هـ/2007م،ص ص72،73.

الفصل الأول

(الجانب النّظريّ)

امتدادات شعر الرّثاء الجزائريّ الحديث والمعاصر

في الأدب الجزائريّ القديم وتجلياتها.

الفصل الأول:امتدادات شعر الرّثاء الجزائريّ الحديث والمعاصر في الأدب الجزائريّ القديم وتجلياتها.

يتناول هذا الفصل الحديث عن الامتدادات التّاريخيّة لفن الرّثاء،وصلتها بالشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر،وتجلياتها في المنجزات الأدبيّة للشّعراء، وقد سُطر كما يلي:

أولاً– المبحث الأول: الرّثاء في الشّعر الجزائريّ القديم.

1- شعر الرّثاء على عهد الرّستميين(160هـ- 292هـ/776م- 909م).

2- شعر الرّثاء على عهد الحماديين (398هـ-547هـ/1007م-1152م).

3- شعر الرّثاء على عهد الزّيانيين(633هـ-962 هـ/1235م-1554م).

4-شعر الرّثاء على عهد العثمانيين الأتراك (930هـ-1246هـ/1514م-1830م).

ثانياً–المبحث الثّاني:تجليات الرّثاء في الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر من الاحتلال ومن بعده.

1-شعر الرّثاء في عهد الاحتلال الفرنسيّ للجزائر(1830م/1930م).

2-شعر الرّثاء في فترة الثّلاثينات إلى عشية الاستقلال 1962م.

3-نماذج من الرّثاء في الشّعر الجزائريّ المعاصر من الاستقلال حتّى القرن 21م.

الفصل الأول: امتدادات شعر الرّثاء الجزائريّ الحديث والمعاصرفي الأدب الجزائريّ القديم وتجلياتها

يتطرق هذا الفصل للحديث عن الامتدادات التّاريخيّة لفن الرّثاء،وصلتها بالشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر، وتجلياتها في المنجزات الأدبيّة للشّعراء،علماً بأنّه لا يمكن الفصل بين الأزمنة التّاريخيّة،وما قمنا به إلّا من باب الدّراسة من جهة، وندرة المراجع التي تغطي كلّ الفترات الدّويلات المتعاقبة على الجزائر،والتي كانت تعرف فالمغرب الأوسط،وقد سُطر كما يلي:

أولاً–المبحث الأول: الرّثاء في الشّعر الجزائريّ القديم.

لكلّ شيء جذوره،يمدّها بعيداًكي تربطه بأصوله،ويكسب بذلك الارتباط مصداقيّة الهويّة، وإثبات الشّخصيّة،وللاستعانة بها على متانة المرجعيّة، فلا يألُو جهداً في السّعي لتحقيق هذه الأهداف لضمان وجوده،وللمحافظة على استمراريته،ومنافسته نظرائه،والشّعر الجزائريّ قديمه وحديثه، يؤكد في السّاحة الأدبيّة والثّقافيّة والفكريّة والفنيّة على عراقة أصوله،ورسوخ أقدمه،وصفاء مشاربه، والتي يردها إلى صفحات الأدب العربي القديم المشرقة، وعصورها الزّاهرة،الحافلة بالنّفائس والدّرر. بحيث"يعتبر الأدب العربيّ القديم من أغزر الرّوافد التي صبّت في الشّعر الجزائريّ الحديث فساعدت على الثّراء والنّماء، وطبعته بالتّالي بطابع القوة والجزالة"[1].

هذا ما يقف على الدّرس للشّعر الجزائريّ القديم والحديث من خلال بحث فنونهما وقضاياهما، وموضوعاتهما المختلفة،بل حتّى في أغلب خصائصهما ومميزاتهما، فالتأثر بارز من خلال المدونات الشّعريّة.وشعر الرّثاءمن الفنون الشّعريّة التي يظهر فيها ذلك التّأثر،ويتّضح من خلالها الارتباط بالأدب العربيّ القديم،وهذا ما تُحيلنا عليه الوقفات الآتيّة.

1–شعر الرّثاء على عهد الرّستميين (160هـ – 292هـ/776م– 909م)

1–1–الحياة العلميّة الثقافية والأدبيّة في العهد الرّستميّ:

نشأت الدّولة الرّستميّة عام160هـ الموافق 776م على يد القائد عبد الرّحمان بن رستم،"وقد دان لسلطانها كلّ المدن والقرى الواقعة بين الزّاب وفاس وسجلماسة على قول البارنيّ "[2]،اعتمدت المذهب الإباضيّ،الذي أرس قواعده،الشّيخ عبد الله بن إباض،اهتم القائمون على أمرها،على تأسيس

1–محمّد ناصر،الشّعر الجزائريّ الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنيّة 1925–1975،دار الغرب الإسلاميّ،ط2،بيروت–لبنان، 2006م،ص45.

2 – محمّد الطّمار، الرّوابط الثّقافيّة بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعيّة،2007م، ص 93.

تأسيس حضارتهم بالعناية الفائقة بالشّؤون المختلفة للدّولة:(السّياسية،الاجتماعيّة،الاقتصاديّة، الدّينيّة، العلميّة،والثّقافيّة...)،وكلّ أمر يقدّم إضافة نوعّية في سلّم الرّقي العامّ، ويشكّل الوعيّ الاجتماعيّ، ويصنع الثّقافة،ويبني الحضارة،ويخلد أنشطتها.

لقد كانت مدينة تيهرت عاصمة للدّولة الرّستميّة،والتي شهدت"توافد الخوارج من مصر والعراق والجزيرة العربيّة وفاس"[1]،مما أهّلها أن تكون مركزاً إشعاعاً علميّاً قويّاً،يجمع لفيفاً لابأس به من الفرق المذهبيّة الدّينيّة،في مقدمتها المذهب الإباضيّ،وهو المذهب الرّسميّ للدّولة الرّستميّة،وفرقة الصّفريّة، والأزارقة،والواصلة المعتزلة،"كانت هذه الفرق والمذاهب تتمتع بحرية الفكر،فكان لكلّ منها،مسجدها وعلماؤها وحلقات دروسها"[2].

والمستقصي لأخبار التّاريخ،يلفي"إنّ بني رستم شملوا الثّقافة الدّينيّة والأدبيّة برعايتهم،حتّى نهضت نهضة عامّة، في تيهرت ونواحيها،ويظهر تنشيطهم لهذه الثّقافة، في أنّهم كلّما ظهر بالمشرق كتاب يهمّهم جلبوه إليهم، وزودوا به مكتبتهم "المعصومة"التي أسسوها لهذه الغاية"[3].فكانوا أهل علم وثقافة وحضارة وريادة.

وكيف لا يكون الأمر كذلك،وهم يرددون في مجالسهم ويومياتهم،سيرة أحدّ أشهر قادتهم وأعلامهم الكبار والمسمى الإمام أفلح بن عبد الوهاب"كان رضيّ الله عنه من الأدباء، ذا اقتدار على النّظم، وحفظه،له من كلّ ما رّق وطاب، فمن شعره الرّائق تلك المنظومة المشهورة بين التّلاميذة الجامع لحكم ونصائح، هي جديرة بالحفظ والاعتناء"[4]،وما قاله في قصيدته الطّويلة حاضّاً غيره على طلب العلم، مبيّناً فضله وخصائصه،ونورد الأبيات التّاليّة:

العـلمُ أبْـقَى لِأهْلِ الْعِلْمِ آثـاراً ... يُـرِيكَ أَشْخَاصَهُم رُوحـاً وَأبْـكَاراً

حَيٌّ وَإِنْ مَاتَ ذُوْ عِلْمٍ وَذُوْ وَرَعٍ ... مَا مَاتَ عَبْدٌقَضَى مِنْ ذَاكَ أَوْطَاراً[5]

ذُو حَيَاةٍ عَلَى جَهْلٍ وَمَنْقَصَةِ ... كَمَيّتٍ قَدْ تَرَى فِي الرّمْسِ أَعْصَاراً

لِلَّهِ عُصْبَةُ أهْلِ الْعِلْمِ إِنَّ لَهُمْ ... فَضْلاً عَلَى النَّاسِ غَيَّاباً وَحُضّاراً

1- المصدر نفسه،ص94.

2-المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

3 -المصدر نفسه،ص 94.

4 -سليمان باشا الباروني، الأزهار الرّياضيّة في أئمّة وملوك الإباضيّة،مراجعة: محمّد علي الصّليبي، دار الحكمة،ط1،لندن، 2005م، ص239.

5-أوطار (م) وطر:بغية، حاجة،مأرب.

الْــعِلْمُ عِلْمٌ كَفَى بِالْعِـلْمِ مَكْرُمَةً وَالْـجَـهْلُ جَهْلٌ كَفَى بِالْجَهْلِ إِدْبَاراً
الْعِلْمُ عَنْدَ اِسْـمِهِ أَكْرِمْ بِهِ شَرَفاً وَالْـجَهْلُ عِنْدَ اِسْـمِهِ أَعْظِمْ بِهِ عَاراً[1]

فانتشرالعلوم والمعارف،واهتم السّاكنةبالعلم والتّعليم،فقصدوا المدارس والمساجد والمجالس العلميّة والدّينيّة،وليستفيدوا ويظفروا بحلول لمشكلاتهم،والتي تعترض سيرورة عيشهم،وتعيق معاشهم،وليشهدوا دروس العلماء وأرباب العلوم والمعارف،في الفقه والحديث والتّفسير وعلم الكلام والأدب وغيرها.

فــي هذا المناخ العلميّ، وُجِدَتْ المناظرات،وتعدّدت الآراء،وكَثُرَتْ النّقاشات والحوارات،وسعى الكلّ في تأكيد أفكاره وقناعاته،ودحض آراء نظرائه،متكأ على ما يراه رصيناً من الحجج والأدّلة، والبراهين النّقليّة والعقليّة،فكثرالأتباع والمريدون،وتنوعت صوّر الرّدود وأشكالها،ونشط الأدباء والشّعراء، مغتنمين الواقع النّاميّ والدّاعي للنّهوض،كي لايتجاوزهم ركب الحضارة،فألفوا وأبدعوا، فجاءت انتاجاتهم متنوعة في طرائق عرضهاالفنيّ(نثر وشعر)،ومتباينة في أغراضها:(حبّ وحنين وهجاء واعتذار وبكاء ومديح وورثاء...)،تنقل واقع أصحابهاالمعيش،وسمات مجتمعاتهم،وخصائص نفسياتهم، ومميزات أشعارهم، نورد فيما يلي،أشهرهم ذكراً،وأكثرهم شعراً، وأشهرهم رثاء:

1-2- شعر الرّثاء في أشعار بكر بن حماد التّاهرتيّ(200هـ -296هـ)[2]:

في العهد الرّستميّ"أجاد بكر موضوع الرّثاء، وتدفقت فيه عواطفه الأدبيّة تدفقاً، ذلك لأنّه كان يعبّر فيه عن عاطفته الحزينة المكلومة،ويصوّر فيه آلامه وهمومه،بعد نكبته في ولده عبد الرّحمن"[3]،إذ يروى أنّه"خرج فاراً من القيروان مصحوباً بابنه عبد الرّحمن،ولــمّ بلغا المكان المعروف بقلعة ابن حمّه على مسافة قريبة من تاهرت،في النّاحيّة الشّماليّة منها، تعرض لهما الصّوص في الطّريق فجرحوا الأب وقتلوا الابن"[4]،فرثاه بالقصيدة الطّويلة، ننقل منها هاته الأبيات:

بَكَيْتُ عَلَى الْأَحِبَّةِ إِذْ تَوَلّـوا وَلَـو أَنّى هُلِـكْتُ بَكَـوْا عَلِـيَّا
فَيَا وَلَدِي بَقَاؤُكَ كَانَ ذُخْـراً وَفَـقْدَكَفَقَدْ كَوى الأَكْبَادَ كَــيّاً

1-عبد الملك مرتاض،الأدب الجزائريّ القديم دراسة في الجذور،دارهومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع،ط4،الجزائر،2016م،ص219.

2- هو:"أبو عبد الرّحمن بكر بن حماد بن سهيل بن أبي إسماعيل الرّناتي، نشأ نتيهرت،كان نابغة في الأدب،واشتهر بالشّعر،وله القصائد الطّويلة، الجيدة في الأغراض المختلفة من: غزل ووصف ومديح وهجاء ورثاء واعتذار وزهد ووعظ..."ينطر: محمّد الميليّ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،دار الكتاب العربيّ،الجزائر،2007م،ج02،ص ص399،400.

3-رابح بونار،المغرب العربيّ تاريخه وثقافته،دار الهدى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر2000م،ص149.

4- محمّد رمضان شاوش،الدّر الوقاد من شعر بكر بن حمّاد التّاهرتيّ، المطبعة العلويّة،ط1،مستغانم الجزائر،1966م،ص52.

كَفَى حُزْناً بِأَنِي مِنْكَ خِلْوٌ وَأَنّكَ مَيَّتٌ وَبَقِيتُ حَيّاً
وَلَمْ أَكُ يَائِساً فَيَئِسْتُ لَمَّا رَمَيْتُ التُّرَابَ فَوْقَكَ مِنْ يَدِيَّا
فَلَيْتَ الْخَلْقُ إِذَا خُلِقُوا أَطَاعُواْ وَلَيْتَكَ لَمْ تَكُنْ يَا بَكْرُ شَيْئاً[1]

في هذه القصيدة نجد بكر بن حمّاد"يبكي أحبته وفلذة كبده بكاء حاراً، وقد كان بقاء ابنه ذخراً لا يمثله ذخر له،وقد كوى فقده كبده كيّاً مؤلماً أشدّ الألم،ويقول إنّه يكفيه حزناً أنْ مات ابنه، وأنّه عاش بعده يتلظى موجدة وحزناً،ولم يكن يعرف اليأس إلّا حين فقده،ورُميِّتْ يداه عليه التّراب فأظلمت الدّنيا في عينيه"[2].

ويقول بكرم وضع أخر راثيّاً ابنه عبد الرّحمن ما يلي:

وَهَوْنُ وَجْدِي أَنَّنِي بِكَ لَاحِقٌ وَإِنَّ بَقَائِي فِي الْحَيَاةِ قَلِيْلٌ
وَأَنْ لَيْسَ يَبْقَى لِلْحَبِيْبِ حَبِيْبُهُ وَلَيْسَ بِبَاقٍ لِلْخَلِيْلِ خَلِيْلٌ
وَلَوْ أَنَّ طَوْلَ الْحُزْنِ مِمَّا يَرُدُّهُ لَلَازَمَنِي حُزْنٌ عَلَيْهِ طَوَيْلٌ[3]

يُذّكّر بكر نفسه،كي يخفف عنهامن شدّة هول المصيبة،بأنّه سيلحق بابنه، بعد وقت قليل،وأن لا أحد يدوم لأحد،فالكلّ سيرحل، وأن طول الحزن على فراق الحبيب لا يرده أبداً.وبالفعل لم يطل بقى بكر بن حماد إلّا سنة وحدة بعد وفاة ابنه، ثمّ وافته المنية.

لقد دفع رثاء عبد الرّحمن بالشّاعر بكر إلى رثاء نفسه ودعوتها للتّأمل في مصير كلّ الأحياء، الذين صاروا إلى القبور،وأنّه صائر إليها لا محال،فالموت نهاية كلّ حيّ،ولا بقاء على هذه الأرض، يقول في وقفة تأمليّة، راثيّاً نفسه قبل موته:

قِفْ بِالْقُبُورِ فَنَادِ الْهَامِدِيْنَ بِهَا مِنْ أَعْظَمِ بَلِيتْ فِيْهَا وَأَجْسَادِ
قَوْمٌ تَقَطّعَتْ الأَسْبَابُ بَيْنَهُمْ مِنْ الْوِصَالِ وَصَارُواْ تَحْتَ أَطْوَادِ
كَيْفَ الْبَقاءُ وَهَذَا الْمُوْتُ يَطْلُبُنَا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا بَكْرُ بَنَ حَمَّادِ
بَيْنَا تَرَى الْمَرْءَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ حَتَّى تَرَاهُ عَلَى نَعْشٍ وَأَعْوَادِ[1]

1-المرجع نفسه، ص ص 87، 88.

2-شوقي ضيف،عصر الدّول والإمارات" الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السّودان"،دار المعارف، ط1، القاهرة،1995م، ص192.

3- محمّد رمضان شاوش،الدّر الوقاد من شعر بكر بن حمّاد التّاهرتي،المصدر السّابق،ص89.

1- المصدر نفسه،ص ص80،81.

ويقول أيّضاً، في رثاء نفسه قبل موته، والحزن والأسى ألـمّ من كلّ جانب،وقد دخل عليه بعض محبيه والمقربين إليه،ولم يستطع القيام لهم :

أَحْبُو إِلَى الْـمَوْتِ كَمَا يَحْبُو الْـجَمَلُ قَدْ جَاءَنِـي مَا لَيْسَ لِـي فِيْهِ حِيَّلُ[1]

في هذا البيت يُعْرِب بكر بن حمّاد عن عجزه وضعفه وعدم قدرته عن التّصرف بسبب هرمه، وأن الموت قد جاءه، ولا يجد له حيلة،كي دفعه عن نفسه، فهو قدره المحتوم.

وحينما استولى العبيديّون على مدينة تاهرت،وخربوها عام 226هـ(909م)،وهي السّنة نفسها التي توفي فيها مات فيها بكر،تأثر لما آلت إليه من دمار وخراب،بعدما كانت عاصمة وحاضرة،يقول في شأنها متحسراً:

زُرْنَـا مَـنَازِلَ قَـوْمٍ لَـمْ يَـزُورُونَـا إنّا لفي غـفلةٍ عـمَّا يُـقَاسُونَـا
لَـوْيُنْطِقونَ لَقَالُـواْ: الـزَّادُ وَيْحَكُمْ حَلَّ الرّحِيْلُ فَمَا يَرجُو الـمُقِيُونَا
الْمُوْتُ أَجْحَفَ بِالـدُّنْيَا فَخَرَّبَـهَا وَفَـعَلْنَا فِـعْلَ قَـوْمٍ لَا يَـمُوتُونَـا
فَالآنَ فَابْكُواْ فَقَدْ حَقَّ الْبُكَاءُ لَكُمْ فَالْـحَامِلُونَ لِعَرْشِ اللهِ بَاكُـونَـا
مَـاذَا عَسَى تَنْفَعُ الدُّنْيَا مَـجْمَـعُهَا لُوْ كَـانَ جُمِعَ فِيْهَا كَنْزُ قَارُونَـا[2]

يصف بكر بن حمّاد ديار قومه التي صارت خراباً،إذا لا أحد من سكانها قادر على الرّد، فالموت أصاب الجميع،وحُقّ لمن بقي بعدهم أن يبكي لهول الكارثة،حيث كان النّاس فيها غافلون عن الرّحيل،وانشغلوا بجمع الأموال،التي لم ينفعهم شيئاً لردّ ما حلّ بهم من خراب، فخير شيء يرحلون به هو زاد التّقوى وهو خير زاد.

ورغم ندرة قصائد الرّثاء في عهد الدّولة الرّستميّة،لكنّ كانت لقصائد بكر بن حمّاد مكانتها في حفظ ماء وجه هذا الغرض من الشّعر في هذا العهد ،فقد"أجاد الرّثاء لأنّه أصيب بولده وأعزّ النّاس إليه فبكاه،وصوّر لنا لوعة فقده"[1]،حيث جمعت قصائده الرّثائيّة بين المعنى والمبنى،والعواطف الجيّاشة والقويّة،وصدق المشاعر الموحيّة بتأثر الشّاعر بكر بكلّ لحظات الوجد التي عاش تفاصيلها،فنقلها مصوّرة تصوّيراً رائقاً،يدلّ على تمكنه من ناصيّة الشّعر وعروضه.

2-شعر الرّثاء على عهد الحماديين(398هـ-547هـ/1007م-1152م).

1- المصدر نفسه،ص 92.

2- المصدر السّابق،ص ص90.

1-رابح بونار،المغرب العربيّ تاريخه وثقافته،مصدر سابق ،145.

درج الحماديون على نهج الرّستميين في عنايتهم العلم والاهتمام بشؤونه،حيث"رزق الله الجزائر في هذا العهد ملوكاً عنوا بالعلم وأهله،فنهضت الثّقافة على يديهم نهضة كبيرة،أسسوا المساجد والمدارس والمعاهد العلميّة،ازدحم عليها الكثير من العلماء والحكماء والأطباء والأدباء"[1] فوفد إليهم النّاس من طلب العلم والعلماء وغيرهم من المشتغلين بالمعارف بالثّقافة،ونشطت الحياة العلميّة "واستفاد الشّعب من علومهم وثقافتهم اللّامعة،فبلغ من إقبال النّاس على العلم،أنّه كان يجتمع مع الأستاذ الواحد،مايزيد على مائة طالب...فنبغ في عهد بني حماد علماء مبرزين،وظهر مؤلفون متعمقين في مختلف العلوم التي كانت تمثل الثّقافة في ذلك الوقت"[2].

كان للأدب حظّ من العناية في الفترة الحماديّة،والتي شهدت أدباء كثيرين،تقدّم بفضلهم الأدب"تقدّماً محسوساً من حيث الكمّ، وأمّا من جهة الكيف فظلّ يتسم بسمات المدرسة الشّرقيّة المحافظة في معالجة الشّعر من حيث الموضوعات التّقليديّة،فهو يتناول المدح، والهجاء،والرّثاء،والوصف والغزل،والزّهد والوعظ"[3].

أمّا الحديث عن موضوع شعر الرّثاء يدفعنا حتمّاً إلى البحث في المدونات الشّعريّة التي بلغتنا،رغم قلّتها بسبب الضّياع والإهمال،كما تروي لنا ذلك كتب التّاريخ،لكّننا نلفي في ذلك القليل -بعون الله-ما يذهب الظّمأ، وسننتخب منها،بعض ما جادت به قرائح أولائك الشّعراء النّوابغ من منهم:

2-1-عبد الكريم بن إبراهيم النّهشليّ(ت405هـ/1014م)[4]:

كان عبد الكريم النّهشليّ"شاعراً قويّاً وناقداً بصيراً بأسانيد النّقد ومناهجه،وهو الذي هيأ لابن رشيق وغيره السّبيل المضي فيه،ومن جملة تصانيفه كتاب((الممتع في علم الشّعر وعمله))...كان

1-محمّد الطّمار،تاريخ الأدب الجزائريّ،تقديم:عبد الجليل مرتاض،ديوان المطبوعات الجامعيّة،ط2،الجزائر،2010م،ص115.

2-المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

3- المصدر نفسه،ص118.

4-هو: عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي ولد ونشأ بالمحمديّة (المسيلة)،وبها تلقى مبادئ العلوم العربية ثم انتقل إلى القيروان لا تمام معلوماته،فنبغ في جميع العلوم وخصوصا في الأدب والنقد، فاتخذه تميم بن المعزّ بن باديس كاتبا له،وكان من قبلمن ندماء والده المعزّ.....وهو من شيوخ ابن رشيق المبرزين الذين كان يأخذ برأيهم في غالبالأوقات وذلك لما كان له من التّأثير الأدب والنّقديّ،ينظر،محمّد بن رمضان شاوش،والغوثي بن حمدان،إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، دار البصائر للنّشر والتّوزيع، الجزائر،(د.ت) ج1، ص65.

النّهشلي من رجال الأدب، ومن دوي الثّقافة الواسعة في اللّغة،والبيان والأوزان، وكان بارعاً في صناعة الكتابة والشّعر ومتفوقاً في النّقد"[1].

يروي له صاحب زهرة الآداب أبياتاً في رثاء((عيسى بن خلف))صاحب خراج المغرب،وقد تناول دواء كان سبب حتفه[2]، يقول فيها:

مَنَايَا سَدْدَتْ الطُّرُقَ عَنْهَا وَلَمْ تَدَعْ لَـهَا مِنْ ثَنَايَا شَـاهِقٍ مُـتُطَلَّعا
فَـلَمَّا رَأْتْ سُوْرَ الْـمَهَابَةَ دُوْنَـهَا عَلَيْكَ،وَلَمَّا لَمْ تَجِدْ فِيْكَ مَطْمَعا
تَرَقَّتْ بِأَسْبَابِ لِطَافٍ وَلَـمْ تَكَدْ تُـوَاجِه مُـوْفُورَ الْـجَلَالَةِ أَرْوَعـا
فَجَاءَتْكَ فِـيْ سِرِّ الـدَّوَاءِ خَـفِيَّةً عَلَى حِيْنِ لَـمْ تُحْذَرْ لِدَاءٍ تَوَقُّعا
فَـلَمْ أَرَ مَالاَ يُـتَّقى مِثْلَ سَهْمِهَا وَلَا مِثْلَهَا لَمْ تَخْشَ كَيْداً فَترجعا[3]

فالنّهشلي من خلال هذه الأبيات،يصف حالة عيسى بن خلف،الذي كان مات بسبب تناول الدّواء،والطّريق الوحيد الذي نفذت منه الموت،فالرّجل كان ذا مهابة وشهامة،لكنّ الموت لا يحجبه حاجب،ولا يمنعه مانع،فهو حقّ، وقدر محتوم،ووقوعه لامناص منه،تُصِيب الضّعيف والقويّ وصاحب الجاه والمدفوع عند الأبواب، فسهامه لا تخطئ أهدافها أبداً، ولن يسلم منها أحد.

2-2-ابن رشيقالقيرواني(396هـ-456هـ/999م-1064م)[4]:

عُرِفَ ابن رشيق واشتهر بنقده للشّعراء وشعرهم كما أنّه "قال الشّعر، وأبدع فيه،كان موهوباً منذ صغره،فقد قرض الشّعر قبل أن يغادر((المسيلة))،واتصاله ببلاط((المعز))العامر بالشّعراء والأدباء قد شحذ قريحته،فأتى بشعر يمتاز بالصّورة الفنيّة والخيال البارع"[1].لقد أجاد القول في جلّ الأغراض الشّعريّة،ومنها"الرّثاء فقد بكى خلانه وشيوخه وأولياء نعمته"[2]،في مقدمتهم((المعز بن باديس))،فقد رثاه حينما مات،بقوله:

1-المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

2-محمّد الطّمار، تاريخ الأدب الجزائريّ،المرجع السّابق،ص132.

3- أبو إسحاق بن علي الحصريّ القيروانيّ،زهر الأدب وثمر الألباب،تفصيل وشرح: مبارك زكي،تحقيق:محمّد محي الدّين عبد الحميد،دار الجيل للنّشر والتّوزيع والطّباعة،ط4،بيروت-لبنان ،(د،ت)،ج1،ص ص259، 260 .

4-ابن رشيق:هو أبو علي الحسن بن رشيق الشّاعر النّاقد،ولد سنة390هـ بالمسيلة....نزح إلى القيروان وعمره ست عشرة سنة، فاشتهر ووصل خبره إلى "المعزّ بن باديس"، فقرب الحسن بن رشيق وأدناه، فكان هو و"ابن شرف" متقدمين عنده على سائر من في حضرته من الأدباء،ينظر:محمّد الطّمار،تاريخ الأدب الجزائريّ،المصدر السّابق:ص 122.

1-المصدر نفسه،ص 123.

2-المصدر نفسه،ص 128.

أَوْدَى الْمُعِزُّ الَّذِي كَانَتْ بِمَوْضِعِهِ وَبِاسْمِهِ جَنَبَاتُ الْأَرْضِ تُمْتَسِكُ
فَالصَّوْتُ فِي صَحْنِ ذَاكَ الْقَصْرِ مُرْتَفِعٌ وَالسِّتْرُ عَنْ بَابِ ذَاكَ الْبَهْوِ مُنْتَهِكُ
وَلَّى الْمُعِزُّ عَلَى أَعْقَابِهِ فَرَمَى أَوْ كَادَ يَنْهَدُّ مِنْ أَرْكَانِهِ الْفَلَكُ
مَضَى فَقِيْراً وَأَبْقَى فِي خَزَائِنِهِ هَامَ الْمُلُوك وَمَا أَدْرَاكَ مَا مَلَكُواْ
مَاكَانَ إِلَّا حُسَاماً سَلَّهُ قَدَرٌ عَلَى الّذِيْنَ بَغُواْ فِي الْأَرْضِ وَانْهَمَكُوا
كَأَنَّهُ لَمْ يَخُضْ لِلْمَوْتِ بَحْرَ وَغَى خُضْرُ الْبِحَارِ إِذَا قِيْسَتْ بِهِ بِرَكُ
وَلَمْ يَجُدْ بِقَنَاطِيرِ مُقَنْطَرَةٍ قَدْ ارْعِبَتْ بْاسْمْهِ إِبْرِيزَهَا السِّكَكُ
رُوْحُ الْمُعِزِّ وَرُوحُ الشَّمْسِ قَدْ قُبِضَا فَانْظُرْ بِأَيِّ ضَيَاءٍ يَصْعَدُ الْفُلْكُ[1]

ولـمّا مات العالم الجليل أبو إسحاق إبراهيم بن حسن المعافري،شيّعه خلق كثير،فأثر المشهد في نفسيّة ابن رشيق، فأنشأ في شأنه رثاء،قال فيه:

يَا لِلرَّزِيَّةِ فِيْ أَبِي إِسْحَاقَ ذَهَبَ الزَّمَانُ بِأَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
ذَهَبَ الْحِمَامُ بِخَاشِعٍ مُتَبَتِّلٍ تَبْكِي الْعُيُوْنُ عَلِيْهِ بِاسْتِحْقَاقِ
ذَهَبَ الْحِمَامُ بِبَدْرِ تَمٍّ لَمْ يَدَعْ مِنْهُ التّقَى إِلَّا هِلَالُ مَحَاقِ
وَحَوَتْ جُنُوبُ اللّحْدِ بَحْراً زَاخِراً تَرَكَ الْبِحَارَ الْخُضْرَ وَهْيَ سَوَاقِ[2]

يَعُدُّ ابن رشيق فَقْدُ ابن إسحاق رزيّة وخسارة عظيمة،لأنّه رجل يجمع بين العلم والتّقوى، والخشوع والتّبتل لله تعالى،حيث غاب عن أحبابه،الذي بكوا كثيراً حزناً على فراقه، لتحويه جنوب القبر،تارك الدّنيا بما فيها، ويستمر في رثائه له،مبرزاً مكانة ابن إسحاق،وفقدانه خسارة،إذ لم تعد على القيروان وحدها، بل شاركتها فيه جميع الأمصار، لفضله وقدره عندهم، وهذا ما نقرأه في قوله:

فَالْيَوْمَ اَغْلَقَ كُلُّ فَهْمٍ بَابَهُ لَمَّا فَقَدْنَا فَاتِحَ الْأَغْلَاقِ
مَا الْقِيْرَوَانُ أَذَاقَتْ ثُكْلَكَ وَحْدَهَا قَدْ ذَاقَ ثُكْلَكَ سَائِرُ الْآفَاقِ[1]

عاشت القيروان في رخاء وحبور ورغد من العيش يأوي إليه كلّ طالب وحائر وعابر وخائف، لكّنّ دوام الحال من المحال،فقد حلّ بها ماحلّ بغيرها من الحواضر،وانقلبت الدّنيا عليها،وعمّها الخوف

1-ابن رشيق القيرواني،ديوان ابن رشيق،جمع وترتيب:عبد الرّحمن غاني،دار الثّقافة للنشر والتوزيع،بيروت-لبنان،1409هـ-1989م، ص ص138،139.

2- المصدر نفسه ،ص ص 123، 124.

1- المصدر نفسه،ص ص124، 125.

والاضطراب،فكان وقع النّكبة شديداً على نفسية الشّاعر ابن رشيق،مالك الحسّ المرهف فرثاها بقصيدة طويلة،قال في بعض أبياتها،واصفاً متألماً:

كَـمْ كَـانَ فِيْهَا مِـنْ كَـرَامٍ سَادَةٌ ... بَـيْضُ ٱلوُجُوهِ شَـوَامِخُ الْإِيْـمَانِ
مُتَـعَاوِنِينَ عَـلَى الـدِّيَانَةِ وَالتُّـقَى ... لِلَّهِ فِـي الْإِسْـرَارِ وَ الْإِعْـلَانِ
وَمُـهَذَّبٍ جَـمِّ الْفَـضَائِلِ بَـاذِلٍ ... لِـنَوَالِـــهِ وَلِعِرْضِـهِ صَـــوَّانِ
وَأَئِمَّةٌ جَـمَـعُوا الْـعُلُومَ وَهَـــذَّبُواْ ... سُـنَنَ الْحَدِيْثِ وَمُشْكِلَ الْقُرْآنِ
عُلَمَاءَ إِنْ سَاءَلْتَهُمْ كَشَفُوا الْعَمَـى ... بِفَـقَاهَةٍ وَفَصـــاحَةٍ وَبَـــيَانِ
وَإِذَا الْأُمُوْرُ اِسْتَبْهَمَتْ وَاَسْتَغْلَقَتْ ... أَبْوَابُـهَا وَ تَـنَازَعَ الْـــخَصْمَانِ
حَلُّـــواْ غَـوَامِضَ كُلَّ أَمْرِ مُشْكِـلٍ ... بِـــدَلِيْلِ حَـــقٍّ وَاضِحَ الْبُرْهَانِ
كَـــانَتْ تُـعَـدُّ الْقِيـرُوَانُ بِـهِمْ إِذَا ... عُدَّ الْـمَنَابِـــرِ زَهْـرَةَالْـــبُلْدَانِ
وَزَهَتْ عَـلَى مِصْرٍ وَحُقَّ لَهَا كَـمَا ... تَزْهُو بِهِمْ،وَغَدَتْ عَـلَى بَـغْدَانِ
حَسُنَتْ فَـلَمّا إِذْ تَكَامَـلَ حُسْنُهَا ... وَسَـمَا إِلَـيْهَا كُـلُّ طَـرَفٍ رَانِ
وَتَـجَمّعَتْ فِـــيْهَا الْفَـضَائِلُ كُلُّهَا ... وَغَـدَتْ مَـحَلَّ الْأَمْنِ وَالْإِيْـمَانِ
نَظَـــرَتْ لَـهَا الْأَيَّامُ نَظْرَةَ كَاشِـحٍ ... تَرْنُـوْ بِنَـــظْرَةِ كَـاشِحٍ مِـــعْيَانِ[1]

كانت نظرة حقد دفين من بنيهلال على مدينة القيروان،فأجمعوا أمـرهم واستولوا عليها وخربوها،وعثوا فيها فساداً،واستباحوا فيها ما شاؤوا،وانتهكوا كلّ ذي شأن،ولـم يُراعوا فيها حرمة، ولا عهداً،وهذا ما نقرأه لابن رشيق في قوله:

حَتّـى إِذَا الْأَقْـدَارُ حُـمَّ وَقُوعُـهَا ... وَدَنَـــا الْقَـضَاءُ لِـمُدَّةٍ وَأَوَانِ
أَهْـدَتْ لَـهَا فِـتَناً كَلِيلٍ مُظْـلِمٍ ... وَأَرَادَهـــا كَالنّـــاطح الْعَيْـدَانِ
بِـمَصَائِبٍ مِـنْ فَادِعٍ وَ أَشَائِـبٍ ... مِـمَّنْ تَـجَمَّعَ مِنْ بَنِـي دَهْـمَانِ
فَـــتَكُواْ بِـــأُمَّةِ أَحْـمَـدِ أَتُرَاهُمُ ... أَمِـــنُواْ عِقَابَ اللّهْ فِـي رَمَضَانِ
نَقَضُوا الْعُهُودَ الْـمُبْرَمَاتِ وَأَخْفَرُوا ... ذِمَـمَ الْإِلَـهِ وَلَـمْ يَـفُواَ بِضَـمَانِ
فَاسْتَحْسَنُوا غَـدْرَ الْـجِوَارِ وَآثَـرُواْ ... سَبْيَ الْـحَرِيْمِ وَكَـشْفَةَ النِّـسْوَانِ
سَـامُوهُمُ سُـوْءَ الْعَذَابِ وَأَظْـهَرُواْ ... مُتَعَسِّـفِيْنَ كَـوَامِنَ الْأَضْـغَانِ[1]

1- المصدر نفسه،ص ص204-207 .

1- المصدر نفسه،ص ص 207،208.

ويقول في أخر مرثيّته في القيروان:

وَغَدَتْ كَأْن لَمْ تَغْنَ قَطُّ وَلَمْ تَكُنْ حَرَماً عَـزِيْزَ النَّصْرِ غَيْرَ مُـهَانِ
آمْسَتْ وَقَدْ لَعِبَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهَا وَتَـقَطَّعَتْ بِـهِمْ عُرَا الْأَقْـرَانِ
فَتـفَرَّقُوا أيْدي سَبا وَتَـشَتَّتُـواْ بَـعْدَ اجْتِمَاعِهِمُ عَلَـى الْأَوْطَانِ[1]

هذه القصيدة هي من أجود قصائده، وقد تحدّث فيها عن علماء الدّين والعبّاد الذين ازدانت بهم القيروان أيّام عِزِّهَا،ثمّ وصف ما لحقها من فظائع بني هلال حينما هاجموا واستباحوا أهلها، وأفاض في ذلك كثيراً، ثمّ تمنى لها أخيراً أن يعود لها عزّها وسابق مجدها[2].بعدما طوحت بها الأيّام، وأجار عليها الزّمان، وسلب منها كلّ الخيرات والمتع،وصارت تندب حظها،وتبكي حالها.

2-3-محمّد بن علي بن حماد القلعيّ(548-628هـ /1153 - 1231م)[3]:

نشأ بالجزائر وتتلمذ بها على شيوخها منهم علي أبو عبد الله بن منداس،وانتقل إلى بجاية، واتصل بأساتذتها منهم:أبو الحسن الحرالي، وأبو الحسن بن أبي نصر،وأبو بكر بن محرز وأبو المطرف بن عميرة،وأبو زيد بن السّطاح[4].

كان فحلاً من فحول شعراء عصره مطبوعاً،دقيق المعاني متين البيت، جزيل اللّفظ،ينحو بشعره منحى((حبيب بن أوس))[1]،وكان شاعراً بارعاً، وله قصائد أو مراثي مختلفة يرثي بها دولة بني حماد،التي أزالها الموحدون عن موطنه سنة 547هـ/1152م[2]،وفي إحداها يقول:

أَيْـنَ الْعَـرُسَانِ لاَ رَسْـمٌ وَلَا طـَلَلٌ فَانْظَرْ تَرَى لَيْسَ إِلَّاالسّـهْلُ وَالْجَـبَلُ
وَقَـصْـرُ بَـلَّارَةٍ أَوْدَى الـزَّمَانُ بِـهِ فَـأَيْنَ مَـنْ شَـادَ مِنْهُ السَّادَةُ الأَولُ
قَصْرُ الْخِلَافَةِ أَيْنَ الْقَصْرُ مِنْ خَرَبٍ غَيْـرَ اللُّجَيْنِ وَفِـي أَرْحابـها زُحَـلُ
وَلَـيْـسَ يُـبْهِـجُنِـي شَيْءٌ أُسَرُّ بِهِ مِنْ بَعْدِ أَنْنَهَجَتْ بِالمنهَجِ السُّـبُلُ
وَمَا وَرَا الْكَوكبِ الِعُـلْويِّ مُـعْتَصِمٌ وَقَـدْ عَـرَّا الْكَوْكَبَ التَّـغْيِّيـرُ والبَدَلُ

1- الصدر نفسه،ص 212.

2-رابح بونار،المغرب العربيّ تاريخه وثقافته، مصدر سابق،ص397.

3-هو أبو عبد الله محمّد ابن الحسن بن علي بن ميمون التّميميّ القلعيّ،نسبة إلى قلعة بني حماد التي كان جدّه ميمون قاضيّاً بها، ينظر:محمّد الطّمار، تاريخ الأدب الجزائريّ، مصدر سابق،ص189.

4- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

1-المصدر نفسه ،الصّفحة نفسها.

2-شوقي ضيف،عصر الدّول والإمارات" الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السّودان"، مصدر سابق،ص196.

وَقَدْ عَـفَا قـصر حـمادٍ فَليسَ لَهُ رَسْـمٌ وَلَا أَثَـــرُ بَـاقٍ وَلَا طـَلَلُ
وَمَـجْلِسُ الْقَوْمِ قَدْ هَبَّ الزَّمَانُ بِـهِ بِـحَادِثٍ قُلْ فِيهِ الْـحَادِثُ الْجَـلَلُ
وَإِنَّ فِي الْقَصْرِ قَصرِ الملك معتبـــراً لـــمن تغْـــريه الأيَّـــامُ والـــدّولُ
وَمَا رُســـومُ الْـــمَنَار الآن مَـاثِلَةٌ لَكِنَّـهَا نُبَذٌ يَـــجْرِي بِـــهَا الـــمَثَلُ
حَتَّى المصلَّى محت آياتُهُا وَعَفَتْ إِلَّا جـُــدْاراً وَمَـا طَلَعَتْ بِهِ الطّـلَلُ
كَرَجْعِكَ الـــطَّرْفَ كَانَتْ كُلُّ آبِرَةٍ مَـمَّا تَـــرَاهُ كَذَلِكَ الْـعُمْرَ وَالأجَـلُ[1]

يتساءل محمّد بن علي بن حماد القلعيّ في هذه القصيدة عن "القصران والعروسان المبهجان، لم يعد حتّى رسم ولا طلل،ولـم يعد إلّا الفضاء،وقد امّحى قصر بلّارة المجيد، وما شاد فيه ملوكه الأول"[2].وامّحى قصر الكوكب العلوي،وقصر حماد وقصر المنار،بل حتّى المصلى محيّت الآيات المزخرفة والمكتوبة على الحيطان والجدران،ولم يبق من ذلك إلاّ الآثار والأطلال،وفي ذلك عبرة للنّاس جميعاً ملوكاً ورعايا، فإنّ دوام الحال من المحال،وكلّ شيء إلى زوال،فالملك والقوة وسائر النّعم ستزول، وتزول معها الأعمار والآجال،وغيره مما هو موجود في هذا الوجود وانقضاؤه كلمح البصر وطرفة العين،كما أنّ له مرثيّة أخرى في دولة بن حماد، يقول فيها:

أَلَا لَـيْتَ شِعـــرْي هَـــلْ أَبَيْتَـنَّ لَيْلَةً بِوَادِي الْجَوَى مَا بَيْنَ تِلْكَ الْجَدَاوِلِ
وَهَـــلْ اسْـــمَعَنَّ تِـلكَ الطُّيُورِ عَشَيَّةً تُجَاوِبُ فِي تِلْكَ الْغُصُونِ الْبَلَابِـــلِ
وَهَلْ أَرِدَنْ عَيْنَ السّلامِ عَلَى الصَّدَى فَـأُبْـرِدُ مِنْ حَـرِّ الضُّـلُوعِ النّواهِـــلِ
وَانْـــظُرُ طَـــيْقَانَ الْـــمَـنَارِ مُـطِـلَّةً عَلَى الْوَاجَنَاتِ الـزَّاهِرَاتِ الخَـمَائِلِ
كَـأَنَّ الْقِـــبَابَ الْـــمُشْرِفَاتِ بِـأَفْـقِهِ نُـجُومٌ تَـبَدَّتْ فِـــي سَعُودِ الْمَنَازِلِ
فَـإِنْ ثَنَتِالأَيّـــامُ عَـــنْهَا اعِـــنَّتِي وَانْـزَلَتْنِـــي فِـي غَـيْرِ تِلْكَ الْـــمَنَازِلِ
فَصَبْـــرٌ جَـمِيْلٌ غَيْـــرَأَنَّ صَبَابَتِـي سَتَبْقَى بَقَاءَ الـــطَّالِعَاتِ الْأَوْافَـلِ[1]

نلفي الشّاعر محمّد بن حمّاد القلعي في أبياته الأنفة الذّكر،يتمنى لو بات في بوادي الجوى ببجاية،ليستمتع في المساء إلى الطّيور بين المتجولة بين البلابل،وأن يرد عين السّلام ليرّد صداه، ويشفي ظمأه الطّويل وحرّ ضلوعه،وينظر طيقان المنار وهيّ مطلّة على الخمائل المزهرة فوق الأرض

1- محمّد الميليّ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،مصدر سابق ،ج02،ص559.
2- شوقي ضيف،عصر الدّول والإمارات" الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السّودان"، المصدر السّابق ،ص196.
1- محمّد الميليّ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،المصدر السّابق ،ج02،ص560.

المخضرة،وغير ذلك من النّعم الزّاخرات،وأنّ الأيّام أبعدته عنها،وأنزلته في غير تلك الأراضي الزّاهرة الخصبة ذات النّعيم، الذي لا نظير له،فإنّه في شوقه وحنينه إليها،باق بقاء الأيّام ونجومها الطّالعة والآفلة،ونجده في موطن آخر يندب" عين السّلام"، ويرثيها واصفاً في قوله:

عَـلَى عَيْنِ السَّلَامِ سَلَامٌ صَبٌّ غَــذَاه مَـاؤُهَا الْعَذْبُ النَّمِيرُ
تَــأَوَّدَ أَيْكُها وَجَــرَتْ صَـبَاها وَشَـمَّ لَــهَا كَمَا فُـتِقَ الْعَبِيرُ
وَأَبْـرِدُ مَـا يَـكُونَ الْـجَـوُّ فَيْـهَا وَأَنْـدَى حَيْنَ يَحْتَدِمُ الهجيرُ
وَمَــا أَدْرِي أَيَـجْرِي فُــوقَ دُرٍّ أَمْ ابْـتَسَمَـتْ بِـمَنْبَعِهَا الثُّغُورُ
وَقَدْ قَـامَ الْــمَنَارُ عَـلَى ذُرَاهَا كَـمَا قَامَ العَرُوسُ أَوْ الأَمِيْرُ
بِــنَاءٌ يُـزْدَرِى إيــوان كـسرى لَدَيْهِ والْـخَوَرْنَقُ[1] وَالسَّدِيـرُ[2]

يبعث تحيته وسلامه على"عين السّلام"التي ارتوى من مائها الصّافيّ العذب،وتنسم من شذى عطر أشجارها،وتندى بنسمات جوّ بـجايّة حينما تشد حرارة الصّيف في الصّحراء، وأن قصر المنار الذي يقف في أعاليها،كأنّه العروس أو الأمير يرفل بزينته وجماله،ويتباهى بما يمتلك من خيرات،وإنّه قصر يزدرى بجانبه إيوان كسرى، والخورنق والسّدير،وهي قصور ذات الأبّهة والصّولجان.

لاجرم أنّ شّعر الرّثاء في عهد الدّولة الحماديّة كان مزدهراً، وأنّ العناية به كانت مرضيّة،وكيف لا وأنّ ملوكها وأمراءها اهتموا بالعلم والمعرفة، وأكرموا العلماء والأدباء والشّعراء،وأدنوهم إلى بلاطهم، ورفعوا من شأنهم،وأعلوا من قيمة إنتاجياتهم الإبداعيّة،وفاضلوا بينهم،لـما عاينوه فيهم كفاءات وقدرات، لم يجد أولائك المبدعون من الشعراء بُدّاً إلاّ صقلها،وإظهارها،وتطويعها في خدمة من كان أهلاً لخدماتها،إذ وصفوا ومدحوا واعتذروا ورثوا وبكوا،وشدّهم الحنين،إلى الأيّام الخواليّ،والتي ظلّت ذكرياتها عالقة بأذهانهم،لا تبرح عقولهم،تأبى النّسيان،وما حَكَتْهُ مرثيّات ابن رشيق القيروانيّ،وعبد الكريم النّهشليّ،ومحمّدبن حمّاد القلعيّ أدلّة تُوثق الاهتمام بغرض الرّثاء،وكشف عن إحساسات مرهفة وعواطف جيّاشة.

3- شعر الرّثاء على عهد الزّيانيين (633هـ-962 هـ/1235م-1554م).

مما سبقت الالتفاتة إليه،أنّ عهد الرّستمين،وعهد الحمّادين،كانا عهدين عرفت فيهما الحركة العلميّة والثّقافيّة والأدبيّة نهضة كبيرة شملت معظم مناحي الحياة البشرية وقتئذ،ويسلك عصر الزّيانيين

1- الخورنق والسّدير:هما قصران كانا لملوك الحيرة في الجاهليّة.

2- المصدر السّابق،ص 560.

المسار ذاته ويزيد،و"لقد كان هذا العصر الطّويل الذي يزيد عن ثلاثة قرون،عصر تفتح ثقافيّ لمراكز الجزائر الثّقافيّة،كتلمسان ووهران ومليانة والجزائر وبجاية وقسنطينة وعنابة،إذ نبغ فيها عدد كبير من الفقهاء، والمحدثين والمفسرين،والمتصوفة، والكّتّاب والشّعراء والمؤرخين وحتّى الفلاسفة"[1]،هذا ماعرفه المشهد الثّقافيّ بوجه عام.

أمّا بخصوص مضمار القصيدة وأحواله وخصوصياته في عصر الدّولة الزّيانيّة،"فقد اتسعت موضوعات الشّعر في هذا العصر وترقّتْ أساليبها،وظهرت نزعات جديدة،أومتجددة،فهو قد اشتمل على الموضوعات العاديّة القديمة:وصف،ورثاء،وهجاء،وعزل،ومدح وغيرها،ولكّنّه زاد عليها موضوعات جديدة"[2]،وما يهمّنا البحث عنه من هذه الموضوعات،موضوع شعر لرّثاء،وتعامل الشّعراء معه في هذا العهد.

لابد أن يكون الشّعراء الزّيانين قد اتصلوا أسلافهم من شعراء العرب والمسلمين،وأعجب بصنائعها في الموضوعات الشّعريّة وتأثروا بما تركوه من أشعار،جلّها نابع من قلوب محبّة،ونفوس صادقة وأفئدة تغمرها المشاعر والأحاسيس المرهفة،خصوصاً إذا كانت في مجال الحنين إلى الماضي وذكرياته الجميلة،والتّحسر على العزيز المفقود،أوالبكاء على الحبيب الذي لا يستعاض ولا يستبدل،والاستئناس بذكر خصاله وتعداد مناقبه،وتبيان الفراغ الذي أحدثه فقدانه.والشّعراء كثيرون هم من بكوا، ورثوا من كان أهل للبكاء والعزاء والتّأبين،ونذكر في هذا المقام،ما يمكن أن يقدّم صوّرة واضحة للرّثاء في عصر الدّولة الزّيانيّة.

3-1-عفيف الدّين التّلمسانيّ(610هـ-690هـ):

هو:"سليمان بن علي بن عبد الله الكوميّ التّلمسانيّ عفيف الدّين،من الشّعراء الأدباء،من قبلة كومي أو كوميّة،وهي قبلية صغيرة منازلها بالسّاحل البحر من أعمال تلمسان.رحل إلى المشرق فدخل القاهرة ونزل بخانقاه سعيد السّعداء"[1].

قال الذّهبيّ في شعره:"وأمّا شعره ففي الذّروة العليا من حيث البلاغة لا من حيث الإتحاد"، وقال الجزري في تاريخه:"وله في كلّ علم تصنيفه".توفي بدمشق ودفن بمقابر الصّوفيّة،من آثاره"ديوان

1 - رابح بونار،المغرب العربيّ تاريخه وثقافته، مصدر سابق،ص481.

2 - المصدر نفسه، ص 496.

1 -عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر،مؤسسة نويهض الثّقافية للتّأليف والتّرجمة والنّشر، ط2،بيروت-لبنان،1400هـ-1980م،ص235.

شعري"و"شرح الفصوص"لإبن عربي،و((شرح المواقف))للنّفريّ،و((منازل السّائرين))،وكتاب في ((العروض))[1].

ويقول في وصف شعره القاضي شهاب الدّين بن فضل الله:"...رقّ شعره فكاد أن يُشْرَبَ، ودَقّ فلا غرو للقضب أن ترقص،والحمام أن يَطْرَبَ،ولزم طريقة دخل فيها بلا استئذان،وولج القلوب ولم يقرع الآذان"[2]،ويسترسل في الوصف قائلاً:"وأكثر شعره لا بل كلّه رشيق الألفاظ،سهل على الحفّاظ...فلهذا عَلَقَ بِكُلِّ خاطرٍ،وولع به كُلُّ ذاكرٍ،وعاجله أجلُه فاخترم،وأحرم أحباه لذّة الحياة وحرم"[3].

أمّ في الرّثاء فله مرثيّة في أخيه محمّد،ثمّ في ابنه محمّد شهاب الدّين((الشّاب الظّريف))،ولم يكن بين وفاتهما وقت طويل،"ففي سنة688هجريّة توفيّ((الشّاب الظّريف))،الذي ملأ حياة من حوله بهجة،ولم يكن قد بلغ من العمر غير سبعة وعشرين عاماً،قضاها في لهو الصّبا،وجهلة الفتوة، وقد رثا العفيف التّلمسانيّ ولده في أبيات"[4]،يقول فيها بعضها:

مَالِي بِفَقْدِ الْمُحَمَّدِيْنِ يَدُ مَضَى أَخِي ثُمَّ بَعْدَهُ الْوَلَدُ
يَا نَارُ قَلْبِي،وَأَيْنَ قَلْبِي؟ أَو يَا كَبِدِي لَوْ يَكُونَ لِي كَبِدُ
يا بائع الموت مشتريه أنا فالصّر ما لا يصاب والْجَلَدُ[5]

في هذه الأبيات الواردة في مطلع المرثيّة،يظهر التّأثر البليغ عندالعفيف التّلمسانيّ،بسبب فقده لأخي محمّد،وولده محمّد شهاب الدّين(الشّاب الظّريف)،فقد اشتعلت نار الحزن والتّفجّع في قلبه، واحترق كبده من فرط الأسى عليهما،إذ لم يجد يداً لمساعدتهما،لأنّ الموت لا يحجبه شيء.وليس له إلاّ الصّبر والْجَلَد حيّال مصابه هذا الجلل،بل نادى بائع الموت ليشتره منه،ثمّ يواصل ندبه ونحيبه متسائلاً في الأبيات التّاليّة من المرثيّة:

أيْنَ الْبنانُ التي إذَا كَتَبْتَ وَعَايَنُ النّاسِ مَنْ خَطَّهَا سَجَدُوا
أينَ الثَّنَايَا التي إذَا ابتسَمَتْ أَوَ نَطَقَتْ لَاحَ لُؤْلُؤٌ نَضِدُ

1 -المصدر نفسه،ص235.

2 -محمّد بن شاكر بن أحمد الكتبي،فوات الوفيات، تحقيق:محمّد محي الدّين عبد الحميد،مكتبة النّهضة للنّشر والتّوزيع،القاهرة، 1951م،ج2،ص422.

3 -المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

4-عفيف الدّين التّلمسانيّ،ديوان عفيف الدّين التّلمسانيّ،دراسة وتحقيق:يوسف زيدان،دار الشّروق،القاهرة،2008م،ج1،ص17.

5 - محمّد بن شاكر بن أحمد الكتبي،فوات الوفيات،المصدر السابق،ص429.

مَا فَـقَدْتُك الإخوانُ يا ولدي وإنّـما شَـمْسُ أنْـسِهِمْ فَـقَدُوا
مُـحَمَّدٌ يـَا مُـحَـمَّدٌ عـَدَداً ومَا لـما لـيس يَنْـتَهِي عَدَدُ[1]

بفقد الشّاعر لابنه((محمّد شمس الدّين))،فقد النّاس معه شمسهم أنسهم،فلا بهجة ولا فرح ولا مرح،ولاسرور ولاجمال،فقد مضى كلّ شيء بفقده،وبفقد الأخ((محمّد))كذلك،وتتكرر الأسماء وتتعددت وهما شخصان((الابن والأخ))،والاسم واحد،وهو((محمّد))، مما يجعل تذكّرهما وذكرهما كثيراً، ثـمّ يضيف متسائلاً:

مَـاذَا عَـلَى الْـغَاسِلِـيـنَ إِذَ قَـرُبَ الْأَمْـلَاكُ مِـنْهُ أَوْ أَنَّـهُمْ بَـعِـدُوا
قَـدْ حَمَلَتْ نَفْـسُـهُ الْعُلُـومَ إِلَـى الْفِـرْدَوْسَ وَالنَّـعْشَ فَـوْقَهُ الْجَـسَدُ
أَبْكَيَتْ خَالَاتِـكَ الضَّـوَاحِكَ مِنْ قَـبْلُ وَمَـا مِنْ صِـفَاتِكَ الـنَّكَدُ
بِـي كِبَـرٌ مُسِنـي وَأُمُّـكَ قَـدْ شَاخَـتْ فَـمِنْ أَيْنَ لِـي يُـرَى وَلَدُ
وَهْـبهُ قَـدْ كَـانَ لِـي فَـمِثْلُكَ لَا يُـرْجَـى وَأَيْـنَ الـزَّمَانُ الْأَمَـدُ
يَـالَيْـتَنِي لَـمْ أَكُـنْ أَباً لَـكَ أَوْ يَـا لَيْتَ مَا كُـنْتَ أَنْتَ لِـي وَلَـدُ[2]

إنّ تَغْسِيْلَ ابنه، وتكفينه،وحمله فوق النّعش كان تحصيل حاصل،بعد حادثة الوفاة، ومشاهد أبكت خالاته،كما أنّ فقدانه لايمكن للشّاعر تعويضه بعد ما كبر سنه،وأمّ الابن شاخت،وبَلَغَتْ سنّ اليأس من الإنجاب،ولم يعد للأب المسّنّ أملاً في طول الأمد،لأنّه موقن بملاقاة الموت كابنه وأخيه وظلّ يندبه حتّى بلغ منه الْيَأس مبلغاً،وتمنى أنّ لم يكن هو ذاته أباً لابنه،ولم يكن هذا الابن المتوفى ابناً له،بسبب هول المصيبة،وجلالة الرّزء،وشدّتها على القلب والنّفس،والعجز عن القدرة على التّعويض،وإيجاد المثيل والبديل والعوض والخلف.

3-2-ابن خميس(650هـ-708هـ/1252م- 1309م):

هو:"محمّد بن عمر بن محمّد بن عمر بن محمّد بن عمر بن محمّد الحَجْريّ(بفتح الحاء وسكون الجيم)، الرُّعَينيّ نسبة إلى حَجْر ذي رعين،وهو من أهل تلمسان،يُكَّنى أبوعبد الله،ويعرف بابن خميس"[1].

1-المصدر نفسه،ص ص 429، 430.

2-المصدر نفسه،ص 430.

1-شهاب الدّين أحمد بن محمّد المقريّ التّلمسانيّ، أزهار الرّياض في أخبار عياض، ضبط وتحقيق وتعليق:مصطفى السّقا،إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شبلي،مطبعة لجنة التّأليف للنّشر والترجمة،القاهرة،1358هـ-1939م،ج2،ص301.

قال فيه ابن الخطيب:"كان رحمه نسيجُ وَحْدِه،زهداً وانقباضاً،وأدباً وهمّةً،حسن الشّيبة،جميل الهيئة سليم الصّدر، قليل التّصنع،بعيداً عن الرّياء والهوى، عاملاً في السّياحة والعُزلة، عارفاً بالمعارف القديمة، متضلعاً بتفاريق النِّحل، قائماً على العربيّة والأصلين، طبقة الوقت في الشّعر،وفحل الأوان في المطوّل،أقدر النّاس على اجتلاب الغريب".[1]

ويقول محمّد الطّمار عنه:«ولابن خميس شعر كثير كلّه حسنات ولطائف،وبرعات وطرائف،قد جمعه ودونه القاضي((أبوعبد الله محمّد إبراهيم الحضرميّ))في جزء سماه((الدّر النّفيس من شعر ابن خميس))،وكان ناثراً على أنّه بشعره كان أشهر منه بنظمه».[2]ومما يقرأ له من شعره في غرض الرّثاء،"مراثيه في أقرب النّاس إليه،مثل والده وابنته، وجوهرة جاريته،وتتشارك هذه المجموعة كلها في طبيعة الحزن،وفي مقدار صالح في الصّدق العاطفيّ،وإن كانت تتفاوت فيما بينها في ذلك"[3]،من الممكن أن ينتخب منها، رثاه في والده.

فلمّا"مات والد الشّاعر وجاءه في ديار الغربة، وقد ترك له وصية يحضّه فيها على البر،وعمل الخير"[4]،تذكر ابن خميس أخلاق أبيه، فرثاه بقصيدة، يقول فيها:

سَـقَى اللهُ قَـبْرَ أبي رَحْـمَةً فَسُـقْيَاهُ رائـــحةً غَـادَيّــه
وَسـيـر عَنْ جِسْمِهِ رُوْحـهُ إلى الرّوحِ والعِيْشةِ الرّاضِيّه
فَكَمْ فِيْهِ مــن خُلقٍ طـَاهِرٍ وَمِـنْ هِمَّةٍ في الْعُلَى ساميّه
وَمِنْ كَـــرَمٍ فِـي الْعُلَى أوّلُ وَشَـمْسُ النّهارِ لَـهُ ثَـانِيْه
وَلَـوْ أَنَّ أخْلَاقَــهُ لِلـزّمَـانِ لَكَـانَتْ مَـوَارِدُهُ صَافيَّه[1]

في هذه الآبيات نجد ابن خميس يدعو الله كي يسقي قبر أبيه بالرّحمة في كلّ وقت،ويسيّره عن جسده وروحه،ويهنَأه بالعيشة المرضيّة،وبعدها طفق الشّاعر يذكّر خصال والده،وأخلاقه الطّاهرة،وهمّته العاليّة السّاميّة، وكرمه الفياض.واعتبر أخلاقه وحدها تكيفي أن تكون موارد صافيّة للحديث عن أبيه على مرّ الزّمن،وبعدها يصف الشّاعر ابن خميس حالته عند سماعه نعي والده، قائلاً:

أتَانِـي بِـدَارِ النّوى نَـعْـيُهُ فَـيَا رَوْعَةَ السّــمْعِ بِالدّاهَيهْ

1-المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

2-محمّد الطّمار، تاريخ الأدب الجزائريّ، مصدر سابق،ص223.

3-ابن خميس، ديوان ابن خميس، تصحيح وتقديم: إحسان عباس،دار صادر، بيروت،ص17.

4-المصدر نفسه،ص ص 9، 10.

1-ابن خميس، ديوان ابن خميس، المصدر السابق،ص ص 522،523.

فحمّرَ ما ابيضّ من عَبرتي وبيـض لِـمَّتي الـدّاجِـيَّهْ
بِدَارِ اغْـتِرابٍ كَـأَنَّ الْحَيَاةَ لِـذِكْرِالْـغَرِيْبِ بِـهَا نَاسِيَّـهْ
فَمَثَّلتُ فِي خُلْدِي شَخْصَهُ وَقَـرَّبْتَ تُرْبَـتَهُ الْقَاصِيَّهْ
ونُحْتُ كَثَكْلَى عَلَى مَاجْدٍ وَلَا مُسْعِدٍ لِيسَوْى الْقَافِيَّـهْ[1]

فقد أتاه نبأ الوفاة،وهو بعيد عن أبيه، مقيم في ديار الغربة،حيث اعتبر بالدّاهية لهول المصاب، فاضرب مزاجه،وتكدّر نفسه، وزداد تطأة الوحشة في الدّيار النّائيّة،التي تنسى الغريب،فتمثل شخص والده في عقله،وقرب بذلك التّخيّل موطنه البعيد، وبدأ يبكي كالثّكلى التي تسرف في البكاء عند فقدها لابنها،لكّنّ لم يجد مساعد له على النّحيب إلّا الشّعر وقافيته.ويضيف مستطرداً:

وما أنْسَ لا أنْسَ يـوْم الفراقَ وأسـرارُ أعيـنِنَا فَـاشِيَّهْ
ومـرّتْ لتـودِيعِـيـنَا ساعةً بِـلُؤْلُـؤٍ أدْمُـعِنَا حَـالِيَّهْ
وَلِي بِالوقُوفِ على جَـمْرِهَا وإنْـضاجِهِ قَـدَمٌ حَافِيَّهْ[2]

يقول ابن خميس بأنّه لم ينس ولن ينسى يوم فراقهما، وتوديعهما بالدّموع الحارة المنهمرة، بسبب لوعة الفراق،وحزنه الشّديد على ألم الفراق والوداع.ولقد تجددهذا البكاء مرة أخرى حزناً على فرقهما الأبدي، وجادت عيناه بالدّمع حسرة وآسى موته، يقول في هذا الشّأن:

وإنّـي لَذُو حُـزْنٍ بَعْـدَهُ شُؤُونُ الدّمْعِ لهُ دَامـيّهْ
بَكَيْتُ أبِـي حقبَةً والأسَى عَـلِيَّ شَوَاهِدُهُ بَادِيـــهْ
وَمَا خَمَدَتْ لَوْعَةٌ تَلْتَظَى ولاجَمَدَتْ عَبرةٌ جَارِيهْ
وَنَفْسِي وَإِنْ مُدَّ فِي عُمْرِهَا لما لقيَتْ نَفْسَهُ لاقِـيهْ[1]

لقد بكى حزناً على فراق والده حقبة من الزّمن،وظلّت شواهد الأسى بادية عليه، ولم تطفئ نار الوجد ولوعة الفراق،ولم تجمّد عبرات عيونه، وتمنّى لو كانت له نفس طويلة،ممدودة العمر،لوهب منها لنفس أبيه،حتّى لا يلقى ما لقيه من القضاء المحتوم.

لم يكن الأب المرثي الوحيد في شعر ابن خميس،بل رثى ابن أخته،واصفاً نفسيته بعد الفراق:

أنَا يَا ابن أخْتِي لَا أزالُ أخَا أَسَى حتّى أوسّدُ فِيَ الضّرِيحِ وسادِي

1-المصدر نفسه ،ص 523.
2-المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.
1-المصدر نفسه،ص524.

إنّـي امرؤ مِـمَّا طُـرِقْتُ مُـهَـيَّدٌ[1] بـِفِرَاقِ أهْـلِي وَانَـتزاحِ بـلادِي
أودى الْعَـرِيْبُ بِـعِلَّةٍ تَـعْـتَادُهُ بِالْكُرْبِ،وَهْـيَ غُـرْيبَةُ الْـعَوَادِ
أمِلٌ وعِدْتُ به، وأوعدني الرَّدَى فِيْـهِ يَـجِدُ الْـوَعْـدُ بِالإيْـعَادِ
حـيٌّ ومـيّتٌ بالـخطوبِ تباعَدا شَتّانَ بَيْـنَ بِـعادِه وبـعَـادِي
نعيٌّ دُهِـيْتُ به فمتُّ وإنْ أعِـشْ خلْفَ المنونِ فلْم أعِشْ بمرادِي[2]

ينادي ابن خميس في أبياته ابن أخته ليخبره،بأنّه لايزال في مآسيه حتّى يتوسد قبره،وأنّه امرؤ مروع مفزوع بفارق أهله،وهو بعيد عن بلاده،قاطن بدار الغربة اعتاد علّة سماع الكروب،معلق أملاً في العودة،لرؤية أهلّ،لكّنّ الموت عجّل بهم،واحداً إثر الآخر،يشعر بالموت يلاحقه كما لحقهم،وأنّه ميت وإن عاش بتلك العيشة ليست بمراده،لأنّها مليئة بالمآسي والأحزان والكروب وغيرها من أخبار النّعي،فضلاً شقوة البعد في ديار الغربة،وما يتلقاه الغريب من أهلها،مما يزيد في قساوة العيش والحياة.

وهاهو ابن خميس يواصل قريضه في ترجمة أحاسيسه،ومشاعره المأسوية وأحزانه القلبية،فيرثي عمتها ويعزّها في قصيدة كتبها لابنها أبي الحسن علي بن حسين الصّقلي،يقول في بعض أبياتها:

أبَا الْحَسَنِ الأيّـامُ تَصْرَعُ بِالْغِني[1] وتَعْقِبُ بِالْبَلْـوَى وَتَـخْـدَعُ بِالْـحُـبِّ
مُصَابُكَ فِيْهَا مِنْ مُصَابِي وَجدْتُه وَحُزْنُك من حُزنِـي وكَربُك مِنْ كَرْبِـي
فَصَـبْراً فَلَيْسَ الأجر إلَّا لِصَـابِـرٍ عَلَى الدّهرِ إنّ الدّهْرَ لمْ يخلُ مِنْ خطبٍ
ألَـمْ تَـرَ أتَا فِـي نَوَى مُـسْتَمِّرةٍ تَـرُوحُ ونـغْدُو كالمصِرِّ عـلى الذّنْـبِ
فَلَا وَصْلٌ إلاَّ بَيْـنَ أَسْـمَائِنَا الْتِي تُسافرُ مِـنَّا فِـي مَعُنـونَةِ الْكُـتْـبِ
فَـدَائِمَةُ السُّـقْيَا سَمَـاهُ مَدَامِعِـي لِخَدِّي، وَأرضُ الْخَـدِّ دَائِـمَةُ الـشُّربِ[2]

فهو يعزّي أبا الحسن ويواسه في مصابه،ويذكّره بأنّ من سمات الأيّام التّقلب والتّغيّر،فهي لا تثبت على حال،وإنّ الموت والبلوى قدر كلّ حيّ،وبهذه المناسبة فهو شريك له في المصيبة والحزن والكرب،ولا حيلة لهما إلّا الصّبر التماساً للأجر،ثمّ يخبره بأنّه دائمُ الغربة،كثيرُ الأسفار،ورغم ذلك فإنّه كثير البكاء، سيّال الدّموع على خدّه،بسب المصائب والأحزان،وأخبار النّعيّ التي تصله.

كان لجاريته"جوهرة" حظّ من البكاء والرّثاء، يقول فيها ابن خميس:

1-مهيد: مروع مفزوع.

2-المصدر السّابق،ص121.

1- لعلّها:بالمنى.(هكذا أُشير إليها في حاشية الدّيوان).

2-ابن خميس، ديوان ابن خميس،المصدر نفسه،ص121.

وَاوَحْشَتَا من فِــرَاقِ مُؤْنَــسَةٍ يُــمِيتُني ذكْـرُها ويُحْيِيْهَا
أَذْكُرُها والـدّمْــوعُ تَسْـبقُنِــي كأنَّنِــي لِلْأسَى أجْــرِيـهَا
يَا بحرُ أرخصتُ غَيْرَ مكتــرثٍ من كنتُ لا للبيّاعِ أغْـلِيـهَا
جَـوْهرة كان خـاطري صَدَفـاً لـها أقــيها به وأحــميها
ابـتّها فِـي حَــشَاكَ مُغْـرَقَـةً وَبِتُ فِي سَاحِلِيْكَ أبكِـيها[1]

يندب ابن خميس وحشته على فراق مؤنسته"جوهرة"،ويبكي على فراق بكاء مريراً،وكلّما تذكرها تتجدد الدّموع في عينها،معاتباً البحر الذي صار عنده رخيصاً،لأن تسبب في الجارية، وهي غالية عند لايبعها لأحد،لكن البحار أباتتها في أحشاها غريقة ميّتة،وبات هو((ابن خميس)) على سواحل البحر يبكي على موتها وفراقها.

3-3-السّلطان أبو حمو موسى الزّياني(...-805هـ):

هو السّلطان"محمّد(الثّالث)ابن أبي حمو موسى(الثّاني)بن يوسف بن عبد الرّحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، تفوق في العلم والأدب،ونظم الشّعر وحفظ القرآن الكريم،فأقام له أبوه بمناسبة اختتامه له حفلاً كبيراً"[1].

كان السّلطان أبوحمو"كاتباً وشاعراً مفلقاً يقرض الشّعر"[2]،ولم يُعْثر من شعره"إلّا بعض القصائد وردت في كتاب((واسطة السّلوك))،وفي كتب المؤرخين لدولة بن زيان،مثل:((بغيّة الرّوادّ))، و((زهرة البستان))،و((نظم الدّر والقعيان))،...ويبلغ ما وصلنا من شعر أبي حمّو 21 قصيدة،تحتوي على ما يقرب من ألف بيت، تدور حول أغراض مختلفة،كالفخر والحماسة والرّثاء ومدح الرّسول."[3]

للشّاعر السّلطان أبو حمّو موسى بعض القصائد في غرض الرّثاء قليلة العدد،لكنّها حملت بعض ما كان يعانيه أبوحمّو موسى، وأشهر ما عُرِفَ عنه، أنّه رثا أباه((السّلطان يوسف))في تلك القصائد

1-المرجع نفسه،ص517.

1 – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مرجع سابق،ص171.

2- الحاج محمّد بن رمضان شاوش،باقة السّوسان في التّعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بن زيان،ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر،2011م،ج2،ص136 .

3-عبد الحميد حاجيات، أبوحمّو موسى الزّيانيّ حياته وآثاره، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر،1394هـ-1974م، ص209.

والتي أغرقها بدموعه،وأحرقها بنيران قلبه وأحزانه،"وتأثر تأثراً بالغاً لوفاته،فلجأ إلى الشّعر للتّعبير على لوعته وتفجّعه،وللتّخفيف من ألمه"[1]،ومما يقوله، في رثائه، ما يلي:

قَدْ كَانَ لِي فِي الدُّنَى أَبٌ يُسَاعِدُنِي فَصَارَ تَحْتَ الثَّرَى فِي لَحْدِهِ اكْتَنَفَا
مَدَدْتُ فِي ظِلِّ نُعْمَاهُ يَدِي زَمَناً وَنِلْتُ مِنْ رِفْدِهِ فِي دَهْرِي التُّحُفَا
لَوْكُنْتَ تُفْدَى بِمَالٍ أَوْ بِنَفْسٍ فَدَتْكَ نَفْسِي وَمَالِي كَيْ أَبِي نَصَفَا
يَا فَقْدَ يُوسُفَ ما أَبْقَيْتَ لِي جَلَداً يَا فقدَ يُوسُفَ إنَّ الصَّبرَ عَنْكَ غَفَا
مَا مِثْل يُوسُفَ مَفْقُودٌ لِفَاقِدِهِ وَلَا كَمُوسَى أَخُو فَقْدٍ إِذَا وَصِفَا
يَا قَبْرَ يُوسِفَ لَا تَعْدُوكَ هَامِيةٌ مِنْ الْغَمَامِ وَلَا زَالَ الثَّرَى وَجِفَا[1]

يبكي أبو حمّو موسى على وفاة أبيه وحزن على فقده أيّاه،حيث كان له عوناً وناصراً ومساعداً في الدّنيا،في حالة الحرب والسّلم،كما يتذّكر إمداداته من العطايا والهبات والنّوال التي خصّه بها، وقد أصبح تحت التّراب يكتنفه اللّحد من جميع جوانبه،كما أنّ هذاالموت أفقده الصّبر والجلد،وظّل يردده من ذكر اسمه(يوسف)في رقّة وعاطفة كلّها حنين وحنان على الوالد، وودّ لو فداه بنفسه وماله، ويشيد بـه أباً مثاليّاً عديم النّظير بين الآباء،ويدعو لقبره أن تظلّالسُّحُبُ تمطر عليه وتهطل إكراماً لروحه، ورحمة به.

ثمّ يواصل أبوحمّو موسى رثاءه في والديه،ملتفتاً إلى الدّهر مناديّاً إيّاه،معاتباً له على فعله بأحبته، وتفجيعه له، قائلاً:

يَا دَهْرُ كَم لَكَ فِي الأَحْبَابِ تُفْجِعُنِي وَهَكَذَا الدَّهْرُ مَا أَوْفَى وَلَا نَصَفَا
فَرَّقْتَنَا بَعْدَمَا كُنْتَ تَجْمَعُنَا وَقَدنثَرْتَ نِظَاماً إِذَ وَهْيَ الصُّدَفَا
أَفْجَعْتَنِي يَا زَمَانُ الْيَوْمَ فِي خَلَدِي مَا أَسْرَعَ الموْتُ فِي الأَحْبَابِ حَيْنَ وَفَى
صَارَتْ مَسَاكِنُهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ وَقَدْ تُمَزِّقُ الدُّوْدُ مَا قَدْ كَانَ مُؤْتَلَفَا[2]

فهو يعاتب الدّهر بسبب الفواجع التي تأخذ منه أحبابه،وتفرق شمل اجتماعهم صدفة،من غير إبلاغ،إذ يرى الزّمان لم يكن منصفاً معه،بل لم يجد منه وفاء إلّا في موت أحبابه،وفي مقدمتهم والده ((يوسف))،وأخذهم للسّكن تحت التّراب، وتمزيق أجسادهم بفعل الدّيدان.

1-المصدر نفسه،ص217.

1- المصدر نفسه،ص ص336 ،337 .

2- المصدر نفسه،ص337.

وفي مرثيّة أخرى، لم يخف حزنه العميق على فراق والده،ودرجة الشّجن،وشدّة تحسره عند توديعه له، والتي ألـمّت بقلبه وغمرت كيانه واعتلت ضلوعه،حيث يقول:

دَنِـفٌ تَـذَكَّرَ حَـسْرَةَ التَّـوْدِيْعِ وَهَـنِـيٌّ وَصْل بِالـنَّوى مَقْطُوعِ
وَلِـما عَـرا مِنِ فَقْدِ خَيْـرِ أَحِبَّتِـي وَمَـرَارَةِ التَّـوْدِيـعِ وَالتَّـشْيِيْعِ
فَبَكِيْتُ مِنْ أَسَفٍ لِذَاكَ كَمَا بَكَتْ حُـزْناً عَلَيْهِ مَنَازِلِـي وَرُبُـوعِـي
وَجَـزِعْتُ مِـنْ أَلَـمِ الْفِرَاقِ وَلَـمْ أَكُنْ يَوْمَ الْكَرِيْهَةِ فِي الْوَغَـي بِـجَـزُوعِ
لَـمْ تُنْـصِفْ الأيَّـامُ حَرَّ فِـرَاقِـهِ لَكِنَّـهُ قَـدْ أَنْصَـفَتْهُ دُمُـوعِي
عَـجَباً لِأَجْفَانِـي سَـخَتْ بِدُمُوعِهَا وَالْقَلْبُ مَـحْرُوقٌ بِـنَارِ ضُلُوعِـي
هَـذِي تَـجُودُ وَذَا يَـشِيْحُ بِـنَارِهِ فَـعَـنَيْتُ بِالْـمَمْنُوحِ وَالْـمَمْنُوعِ[1]

يصف أبو حمو موسى في هذه الأبيات حالته النّفسيّة المضطربة،بسبب فراق والده،وتوجع قلبه عند تشييعه،ومرارة التّوديع،متعجباً من عيونه التي لا تكف عن البكاء،حزناً على حرّ ذلك الفراق الذي أصابه بالجزع،واكتوى قلبه بين ضلوعه بنار ألم الفراق.

مما تقدّم يتبيّن للقارئ أنّ شعر الرّثاء عند السّلطان أبي حمو موسى،حبلى بالمشاعر النّبيلة، والعواطف الجيّاشة والصّادقة،والأحاسيس المرهفة،ترجمتها قصائده الواشيّة بشدّة تعلقه بوالده، وصدقه في حبّه له، وأنّه حاضر في عقله،وفـي كلّ لحظة من لحظات عمره، رغم موته وفراقه،لأنّ له في الأيّام الخوالـي ذكريّات لا تمحى، ولا يطويها النّسيان، تعينه على استحضاره في خَلَدِه،ويتسرى بها عند اشتعال نار الجوى، واحترق القلب بلظى الشّوق ولوعة الفراق.

3-4-أحمد بن عبد الله بن الزّواوي (800هـ-984هـ/1398م-1472م):

هو أحمد بن عبد الله الجزائريّ الزّواوي شهاب الدّين،أبو العباس،متكلّم فقيه مالكيّ من كبار العلماء في وقته،له نظم،يقال إنّـه نظير عبد الرّحمن الثّعالبيّ علماً وعملاً،أصله من قبيلة زواوة،سكن مدينة الجزائر، وتوفي بـها،ومن آثاره((كفاية المريد))في علم الكلام،ومنظومة اللاميّة التي تنيف عن 400بيت وتسمى أيضا((الجزائريّة في العقائد الإيمانيّة))...شرحها الإمام محمّد بن يوسف السّنوسيّ، وأثنى عليه وله أيضا ((القصيد في علم التّوحيد))[2].

1 - يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وشرح:عبد الحميد حاجيات،عـالم الـمعرفة، طبعة خاصة2011م،الجزائر،2011م،ج2،ص ص 100،101.

2 - عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق،ص ص 96،97.

له مرثيّة في شيخه العالم الفقيه عبد الرّحمن الثّعالبيّ[1]،دفين الجزائر العاصمة، وهو عالم جزائريّ مشهور،"وتعتبر هذه المرثيّة من أقوى قصائد الرّثاء في وقتها"[1]،يقول في مطلعها:

لَقَدْ بَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَنَّا وَأَقْفَرَتْ مَنَازِلُهُمْ إِنَّا إِلَى اللهِ نَرْجَعُ
كَمَا بَانَ عَنَّا شَهْمُنَا الْعَالِمُ الذِي سَنَاهُ بِأنوارِ الْحقِيقَةِ يَسْتَطِعُ
أَبُو زِيْدٍ المَشْهورُ بِالعلْمِ والتّقَى لَهُ الفضْلُ فَيْنَا والْمَقَامُ المرَّفَعُ
هُو العالمُ الموصُوفُ بالنّفعِ لِلْوَرَى بِهِ عَنْهم خَطْبُ الْحَوادِثِ يُرفعُ[2]

يرى أحمد الزّواوي بأنّ بموت أهل العلم من الْبَيْنِ الذي يجعلهم بعيدين عن أحبابهم ومريديهم، وكذلك يجعل منازلهم خاليّة مقفرة بسبب موتهم وفقدهم،وهذا ما تمثل أحمد الزّاوي في وفاة الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبيّ العلّامة الشّهم مصباح الحقيقة في زمانه،المشهود له بالفضل والتّقوى والورع، صاحب المنافع الكثيرة الجليلة على النّاس،والمكانة الرّفيعة بينهم،ثمّ يواصل في رثائه مخبراً عن حالته، وجزع نفسه عند سماعه لخبر وفاة الشّيخ الثّعالبيّ رحمة الله عليه،حيث يقول:

لَقَدْ جَزَعَتْ نَفْسِي-لِفَقْدِ أَحِبَتِي وَحُقَّ لَهَا مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ تَجْزَعُ
أَلَمَّ بِنَا مَا لَا نَطِيْقُ دِفَاعَهُ وَلَيْسَ لِأَمْرِ قَدَرَ اللهِ مَرْجَعُ[3]

في هذين البيتين يصف أحمد بن عبد الله الزّواوي حالته النّفسيّة المقيّدة بالجزع وشدّة الحزن، عند فَقْدِ شيخيه وحبيبه،وحُقَّ لها أن تجزع عليه،فهو ألم شديد الوقع،لا تطيقه النّفوس،ولاتستطيع ردّه،لأنّه قدر مقدور وقضاء محتوم من الله، والذي إليه المصير والمرجع.

ثمّ انبرى الزّواوي بعد ذلك يذكر محاسن شيخه عبد الرّحمن الثّعالبيّ،ويعدد مناقبه وخصاله، وبعدها قدّم عزاءه لأهله وفي مقدمتهم ابنه الأكبر محمّد الكبير،يقول في ذلك في القصيدة ذاتها:

أعزّي أبَا عَبْدْ الْإِلَهِ مُحَمَّداً وَمَنْ بِجَمِيْلِ الصَّبْرِنَرْجُو سَيَجْمَعُ

---

1 -هو عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف الثعالبي الجزائري،أبوزيد(789هـ-875هـ/1384م-1470م):مفسر،من أعيان الجزائر، زار تونس والمشرق"الجواهر الحسان في تفسير القرآن"طبع في أربعة مجلدات....،ينظر:خير الدّين الزّركلي،الأعلام قاموس لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،ط15، دار العلم للملايين،بيروت-لبنان،أيار/مايو2002، ج3،ص331.

1 -أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثّقافيّ،دار الغرب الإسلاميّ،ط1،بيروت-لبنان،1998م،ج1(1500م-1830م)، ص83.

2 - محمّد بن ميمون الجزائريّ،التحفة المرضية في الدّولة البكداشيّة في بلاد الجزائر المحميّة،تحقيق:محمّد بن عبد الكريم،دار الوعي للنّشر والتّوزيع،ط1، رويبة-الجزائر، 1439هـ-2018م،ص337.

3- المصدر نفسه،ص338.

ونـحنُ وإنْ كُـنَّا جَـمِيْعاً نُحِبُّـهُ فَـقَلْبُكَ أَشْـجَى لِلْـفِرَاقِ وأَوْجَـعُ
أَصَـابَنَا بِـهِ فاللهُ يُـعْظِّمُ أَجْـرَنَا وَيُـلْـهِمْنَا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ وَيُوسِعُ[1]

يقدّم الزّواوي تعزيّته لأبي عبد الإله محمّد نجل الشّيخ الثّعالبيّ،متجمّلاً بالصّبر،راجيّاً من الله أن يجمعه به في الدّار الآخرة،ثـمّ يفصح عن حبّه للشّيخ،مؤكداً لابنه بأنّ قلب هذا الأخير أكثر حزناً وأشدّ توجعاً على فراق والده،سائلاً الله أنْ يعظّم بهذه المصيبة أجر الجميع، وأنْ يلهم الصّبر الجميل، ويشمل الفقيد بواسع رحمته،"رحم الله الثّعالبيّ، ويصبّ شآبيب الرّضوان على مثواه!"[1].

3-5-محمّد بن عبد الرّحمّن الحوضيّ (ت910هـ/1505م):

محمّد بن عبد الرّحمّن الحوصيّ،التّـلمسانيّ،أبوعبدالله:ناظم،وأصولي،من أكابر فقهاء المالكية، ولد ونشأ بتلمسان وأخذ عن شيوخها،من آثاره(نظم في العقائد)شرحه الأمام محمّد بن يوسف السّنوسي،ذكره الونشريسي في وفياته،وقال مات بتلمسان"[2].يعدّ محمّد الحوضي من"أدباء الصّف الثّانيّ من القرن التّاسع الهجري...نال من الأصول قسطاً وافراً،وتعاطى الأدب،فأصبح شاعراً لا يستهان به"[3].

يُنقل عنه في غرض الرّثاء ما رثى به شيخه محمّد بن يوسف السّنوسيّ الحسنيّ، والذي"كان فقيهاً،بل كان إماماً في الفقه،وفي علم التّوحيد،وله فيه الكتاب المشهور عقيدة أهل التّوحيد"[4]، يقول محمّد الحوضيّ في مطلع مرثيّته الطّويلة ما يلي:

مَا لِلْمَنَازِلِ أَظْـلَمَتْ أَرْجَاؤُهَـا وَالْأَرْضُ رُجَّتْ حَيْنَ خَابَ رَجَاؤُهَـا
وَأَتَى عَلَيْهَا النَّقْصُ مِنْ أَطْـرَافِهَا وَتَـــرَاكَمَتْ وَتَـعَاظَمَتْ أَرْزَاؤُهَـــا
رَزْءٌ عَـظِيْمٌ خَـطْبُهُ وَمُـصِـيْبَةٌ لَـمْ تَـدْرِ بِالْـقَوْمِ كَـيْفَ عَـزَاؤُهَا
فَـقْدُ الـسَّنُوسِي الْإِمَامِ مُـحَمَّدٍ وَهُـوْ ابنَ يُوسُفَ هَـدَّ مِنْهَا عُلَاؤُهَا[5]

1-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

1- المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

2-عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، مرجع سابق، ص129.

3-محمّد الطّمار، تاريخ الأدب الجزائريّ، مصدر سابق،ص331.

4- شوقي ضيف،عصر الدّول والإمارات" الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السّودان"، مرجع سابق ،ص194.

5 - محمّد الطّمار، تاريخ الأدب الجزائريّ، المصدر السّابق،ص331.

يقول الحوضي أن المنازل والدّيار قد أظلمت،وأنّ الأرض تزلزلت،واضطربت أركانها بسبب موت الشّيح محمّد بن يوسف السّنوسيّ،إذ عظم الرّزء وحلّ المصاب الجلل،حتّى جَهِلَ كيف يقدّم العزاء لأهله وقومه،لأنّ الرّجل عظيمهم وإمامهم.ثمّ يسترسل في رثائه مبيّناً مناقبه وخصاله، قائلاً:

قَـدْ كَـانَ بَحْرًا لِلْمَعَارِفِ زَاخِراً فَانْزَاحَ عَنْهَا حَيْنَ بَثَّ غِطَاؤُهَـا
وَدَعَا إِلَى التَّوْحِيْدِ دَعَوْةَ مُـخْلِصٍ وَإِلى الشَّرِيْعَةِ فَاسْتَنَارَ ضِيَـاؤُهَا
هَذَا الَّذِي وَرِثَ النَّبِيَّ فَأَصْبَحَتْ عِلَلُ الضَّلَالِ بِهِ اسْتُفِيْدَ دَوَاؤُهَا
يَـا أَوْحَدَ الْعُـلَمَاءْ يَا عِـلْماً بِـهِ كُـلُّ الْعُـلُومِ بَدَتْ لَـنَا أَنْحَاؤُهَـا
مَنْ لِلتَّـــآلِيْفِ الَّتِـي أَلَفْـــتَهَا يُبْدِى بِهَا مَا اسْتَشْكَلَتْ قُرُّاؤُهَا
مَنْ لِلْعلُومُ عَلَى اِخْتِلاَفِ فُنُونِها بيدى لَـهَا نُكَـــتاً يُروقُ سَنَاهاَ
يَارَبِ قَـدِّسْ رُوْحَـهُ وَضَرِيَـحَهُ وَمِنَ الْـجِـنَـانِ تَحُفُّهُ نَعْمَاؤُهَـا[1]

يقول محمّد الحوضي في شيخه السّنوسيّ، بأنّه كان بحراً من العلوم والمعارف، سخّرها في دعوة التّوحيد الخالصة،وشريعة الإسلام السّمحة الخاليّة من الأباطيل والأقاويل،شريعة موروثة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم،إذ حارب البدع والضّلالات،وأرشد النّاس إلى أدوائها للخلاص منها،موثقاً ذلك في مؤلفاته وكتبه،في العلوم والفنون المختلفة كي يستفيدوا منها،ثمّ ختم رثاءه بالدّعاء له من الله،بأنّ يقدّس روحه وضريحه،ويكرمه جنّة النّعيم.

بهذا الانتخاب الموجز لبعض شعراء الدّولة الزّيانيّة،من أجل الوقوف على غرض الرّثاء في منتوجاتهم الشّعريّة،ندرك أنّهم شعراء استنطقوا الألفاظ العربيّة،وطوّعوا الأوزان الشّعريّة وقوافي أبحرها وأثخنوها بمعاني الحزن والحب والحنين،ولوعة الفراق،والتّحسر وفرط الوجد،والبوح بمشاعرهم المحمومة بالجزع والفزع،ونفاذالصّبر،فرثوا بذلك أهليهم: كآبائهم وأبنائهم،وأقاربهم،وأحبابهم،وشيوخهم وغيرهم.

إذن فشعر الرّثاء كان قائماً في قصائد الزّيانيين وأشعارهم،فهو حاضر في كثير من المناسبات التّذكّريّة والاحتفائيّة لاستحضار خصال الموتى والمفقودين،وسيرتهم ومناقبهم،ووفاء لمحبتهم،وتجديد الدّعاء لهم، والتّرحم عليهم.

4- شعر الرّثاء على عهد الأتراك العثمانيين (930-1246هـ/1514-1830م).

تذكر كتب التّاريخ بأنّه لـمّا"قضى الأسبان قضوا على العروبة والإسلام في الأندلس،ولم يقفوا عند هذاالحدّ، بل تاقت نفسهم للشّمال الإفريقيّ،فأغاروا عليه،فنزلوا بالسّواحل الجزائريّة، واحتلوا

2 - المرجع نفسه،ص ص 331،333.

المراكز الإستراتجيّة: كبجاية وجيجل والجزائر وتدلس ومستغانم ووهران وهنين،وكشفت هذه الإغارات عن مدى الضّعف الذي كان يسري في جسم المملكة الزّيانيّة،إذ لم تَقْوَ على طرد العدّو الذي داس أرض الوطن وحرمة البلاد"[1]، وتـمّ لهذا المعتدي ما أراد في الأراضيّ الجزائريّة.

حاول الشّعب أن يدافع عن نفسه،معلناً المقاومة الشّعبيّة في وجه الأسبان لصدّه،لكّنّ مقاومته جُوبِهَتْ بقوة لاتقدر عليها إلّا قوة مكافئة لها،أو أقوى منها،"فاستنجد حينئذ الشّعب الجزائريّ بالأتراك،وبعثوا لهم إليهم برسائلهم وقصائدهم، فلبّوا طلبهم وحاربوا العدّو حرباً مريرة بجانب الشّعب الجزائريّ الباسل الأبيّ حتّى أرغموه أن يعرض الصّلح على الجزائر.....وتمّ الجلاء النّهائيّ"[2].

مما يلاحظ بعد توطن الأتراك في الجزائر،بأنّ جهودهم"كانت متجهةً نحو حركة الجهاد ضدّ القراصنة والمعتدين على البلاد،فلم يعطوا لأمر الثّقافة ما تستحقه من عناية واهتمام،ولهذا غلب على عهدهم طابع الجفاف الفكريّ"[3].علاوة على اختلاف لغتهم التّركيّة،واللّغة العربيّة وما جاورها من لهجات أمازيغيّة وقتئذ مما لايـجعل تواصلهم مع السّكان الأصليين فيه شيء العسر.

وفي والواقع الحال"لاننكر بأنّ مدناً مثل بجاية وتلمسان وقسنطينة ومازونة، لم تنزل محافظة على ما ورثته من التّراث الفكريّ، فنبغ فيها رجال خلفوا لنا علوما وأدباً"[4]،وفي المقابل نجد تأثير تلك القلاقل والغارات الإسبانيّة وغيرهم من الأجانب،آخرهم الاحتلال الفرنسيّ وتبعاته،فضلاً عن الفتن الدّاخليّة،كانت كلّها أسباباً لا يمكن إغفاله أدى إلى تقهقر الحركة الثّقافيّة بالجزائر في هذه الفترة بعينها،وما لـحق ذلك من تداعيات، وهذا يعني أنّ"الأدب هو الآخر أخذ الضّعف يدبُّ في مفاصله، وقلّ رجاله ولم يبق من الحركة الفكريّة التي طالما ازدهرت قبل هذه الفترة،إلّا ذلك البصيص النّافذ من بيوتات عُرِفَتْ بالعلم من قديم"[5].واستمر ذلك التّقهقر والضّعف ردحاً من الزّمن،طيلة القرن العاشر والذي مرّت الجزائر خلاله بظروف استثنائيّة،وعاشت فيه وضعاً اجتماعيّاً وفكريّاً وثقافيّاً وأدبيّاً لا تحسد عليه.

لـم يبدأ حال الأدب الجزائريّ في التّعافي إلاّ في القرن الحادي عشر مع يد بعض الأدباء المتميزين أمثال:المقريّ،ابن الفكون وغيرهما من الكتّاب والشّعراء،الذين"عالجوا الشّعر وجاؤوا بالقصائد

---

1 – محمّد الطّمار، تاريخ الأدب الجزائريّ، المرجع نفسه،ص315.

2 –المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

3–المصدر نفسه،ص317.

4–المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

5–المصدر نفسه ،ص324.

التي تُنبِأُنا بخروجه من نكسته التي أصابته في القرن السّابقفإنّ ماء الشّعر عاد يجري في عروقه على الرغم من المحسنات البديعيّة التينمّقوه بها،وعالجوا النّثر فأتوا به خالصاً كأنّه شعر منثور، عمدوا فيه إلى المحسنات البديعيّة في حين،ومرسلاً مطبوعاً في حين آخر"[1]،وحاولوا جهدهم حفظ ماء وجه الأدب الجزائريّ من الرّداءة والضّعف والانحطاط وزيادة القهقر.

4-1-المقريّ (992هـ -1041هـ /1584م-1631م):

ولد أحمد بن محمّد بن أحمد المقريّ المكنّى بأبي العباس،والملقب بشهاب الدّين سنة986هـ بمدينة تلمسان، وأصل أسرته من قرية مقرّة[2].

رحل إلى المشرق تاركاً المنصب والأهل والوطن والإلف....واستقر بالأزهر متجرداً للعلم، فاشتهر وعلَتْ منزلته،وتبارى الأدباء والشّعراء في مدحه بقصائد ورسائل بليغة،وجرت له معهم مساجلات شعريّة ومطارحات علمية[3]،زكاه المُحِبّي في كتابه خلاصة الأثر بقول:"حافظ المغرب، جاحظ البيان،ومن لم يـر نظيره في جودة القريحة وصفاء الذّهن وقوة البديهة،وكان آية باهرة في علم الكلام والتّفسير والحديث ومعجزاً باهراً في الأدب والمحاضرات"[4]

من مؤلفاته:((روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس))،((أزهار الرّياض في أخبار عياض))،((إضاءة الدّجنة بعقائد أهل السّنة))،((نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب)).[5]

تناول في نثره وشعره الأغراض التي كانت تدور في محيط النّاس، وعرض إلى ما عرض له أدباء عصره[6]،فكان لغرض الرّثاء حظّ من أشعار المقريّ،حيث نقرأ له ما رثى به النّبي ﷺ في قصيدة من المديح،حيث يقول:

لَيْتَ شِـعْرِي والآمَانِـي حَسْرَةً انْسَنَا الماضِي سَرِيْعاً هَلْ يَعُـوْدُ؟
ويُـزِيْحُ الْـقُرْبُ أعْبَـاءَ الـنَّـوَى وَيُـرِيْحُ الْقَلْبُ مِـنْ تِلْكَ الْقُيُـودِ

1-المصدر نفسه،ص324.

2-أحمد بن محمّد المقريّ التّلمسانيّ، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب،تحقيق :إحسان عباس،دار صادر،بيروت لبنان، 1388هـ-1968م، ج1،ص5.

3- المصدر السّابق،ص336.

4- المحبّي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحاديّ عشر،(د.ط)،(د.ت)، الجزء الأول ،ص302.

5-أحمد بن محمّد المقريّ التّلمسانيّ، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب،مصدر سابق،ص ص 11، 14.

6-محمّد الطّمار، تاريخ الأدب الجزائريّ،مصدر سابق،ص344.

وَبِرُوحِي مَـعْشَرٌ حَثُّـوا السَّرَى وَتـدَاعُوا يَـوْمَ بَانُـوا بِالصُّــدُودِ[1]

يتمنى المقريّ وهو يعرب عن أمانيّه وحسرته،بسبب تذكّره لأنس الماضي الخاص بليال مولد النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي مضى سريعاً،متسائلاً عن عودته،ليزيل بالقرب متاعب البعد ويريح قلبه من القيود،التي تحجبه عن الوصال به،طالباً من الذينيزورون قبر النّبيﷺأن يحثّوا في رحلته ليلاً، وهم يحملون معهم روحه كي يأنس بالقرب من حبيبه.

يصف المقريّ حالته وهو يتلظّى بنار الحبّ والشّوق،والتي لاتنطفئ رغبة في الخلاص من صبابته وكآبته وإرهاقه وتعبه، وتخفيفاً من وطأة الحزن والهمّ والغمّ،إذ يقول واصفاً مسترحماً مخبراً وطالباً:

فَبِذِكْرِي عَهْدَكُمْ نَارَ الْغَضَا أَجَجَتْ فِـــي الْقَلْبِ وازْدَادَ الْوَقُـوْدُ
وَارْحَـــمُوا صَـبّاً كَـئِيْباً مُـدْنِـــفاً نَازِحاً مُضْنِى شَجِيّاً ذَا هُجُوْدِ
مَالَهُ فِـي شَجْوِهِ مِنْ مُخَلِّصٍ غَيْرُ مَدْحِالمصْطَفَى زَيْنِ الوجُـوْدِ[2]

ينادي المقريّ الرّسولﷺ، طالباً إيّاه الشّفاعة يوم القيّامة،فيقول:

يَا رَسُولُ اللهِ يَا مَنْ جَاءنَا عَنْهُ فِـي الـتَّنزِيلِ أوفُـوا بِالعُــقودِ
اشْفَعْ اشْفَعْ لِلْفَقِيرِ المقريّ يَوْمَ جَمْيعِ النّاسِ مِن بُطُنِ اللّحُودِ[3]

فهو ينادي الرّسول معترفاً بالقرآن الذي أنزل عليه، سائلاً إيّاه الشّفاعة بعد تأكيده وإلحاحه على طلبه "اشفع اشفع"، مفصحاً عن فقره، يوم يخرج الناس القبور،ويجمعون عند رب العالمين.

لم يكن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم المرثي الوحيد في شعر أحمد المقريّ،بل يُنقل على لسانه، رثاءه لابن أبي الفضل الصّديقيّ الوارثيّ، جاء في بعض أبياته،ما يلي :

هَاجَ شَجْوِي وَلِلزّمَانِ حَوَادِثٌ فَقْدُ نَجْلٍ مِنْ آلِ عَبْدِ الـوارثِ
قَدْ رَمَاهُ الرَّدَى بِسَهْمٍ مُصَيْبٍ وَانْـبَـرَتْ نَحْوَهُ المنايَا الْخَبَائِثِ
أيُّ غُصْنٍ ذَوَى بِدَوْحَةِ مَـجْدٍ أيُّ نَـجْمٍ هَوَى لِدَمْعِي بَاحِثِ
فَـغَدَا مُسْرِعاً لِــجَنَّاتِ عَدْنٍ فِي حِوَارِ الْخَلِيلِ لَيْسَ بِخَانِثِ[1]

1- أبو العباس أحمد المقريّ، رحلة المقريّ إلى المغرب والمشرق،تحقيق:محمّد بن معمر،منشورات الرّشاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، سيدي بلعباس-الجزائر،1425هـ-2004م،ص56.

2-المصدر نفسه،ص147.

3-المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

1-المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

لقد هاج حزن المقريّ بسبب حوادث الزّمان،وكيف لا يهيج وقد فقدت عشيرة آل عبد الوارث نجلها،والذي رماه الهلاك بسهم فأصابه، وتسابقت نحوه المنايا،مشبهاً الفقيد بالغضن والنّجم،متسائلاً عن انزواء الأول وانـهواء الثّاني، مستبشراً له بدخول جنة عدن مسرعاً،وهو في حوار مع الخليل.

ثم يسترسل في رثائه مخاطباً الفقيد أبا الفضل الوارثي:

أَبَا الْفَضْلِ يَـا مَنْ أَبْرَمَ الْمَـجْدَ حِـــبَالاً وَثِيْـــقَـةً لاَ رَثَـــائِـــثِ
وَابْن ثَانِ الـرَّسُولِ فِي الْـغَارِ ذُو الْبَيْتِ المصْطَفى من القذرِ والخبائثِ
لَا فُجِعْتُمْ مِنْ بـَعْدِهِ بِمَصَائِبَ وَسَلِمْتُمْ من الْـــخُطُوْبِ الْكَـــوَارِثِ
وَبَقِيْتُمْ حَتَّـى تَـرَوا من بَنِـيْكُمْ وَبَنِيْـــهِمْ مـن فوقِ ثَـــانٍ و ثَـــالثٍ
مَا تَغَنَّتْ بِالعُودِ طَـيْرٌ صَدُوحٌ بِـــمَثْانَ فِـي عَـــوْدِهَـا وَمُـــثَالِثٍ[1]

ينادي المقريّ أبا الفضل الوارثيّ كاشفاً عراقة أصول مجده الممتدة الجذور في أعماق التّاريخ،حتّى تصل إلى أول الخلفاء الرّاشدين صاحب النّبي ﷺ ورفيق دعوته، ودربه في الغار أبي بكر الصّديق رضي الله عنه،ثـمّ يلتفت إلى عائلة الفقيد،ليصبرهم،نافياً عنهم ساحتهم الفواجع بعد"نجلهم الهالك"،داعيّاً لهم بالسّلامة من الخطوب والكوارث والمصائب، وأنّ يبقيهم الله أحياء ليروا أبناءهم أو أحفادهم،وأن يكثر نسلهم،ما دامت الطّير صدّاحة فوق الأغصان والأعواد.

4-2-عبد الكريم بن الفكون(ت1073هـ/1663م):

عبد الكريم بن محمّد الفكون القسنطينيّ،أوالقسمطينيّ:أديب،من أعيان المالكيّة،كان يلي رطب الجزائر في الحج،من كتبه"شرح نظم المكوديّ"،و"حوادث فقراء الوقت،"رسالة في تحريم الدّخان،توفي عام 1073هـ[2].

يشير أبو سالم العياشي في رحلته إلى ديوان عبد الكريم الفكون،والذي نقل منه بعض القصائد، منها قصائد تعلقت بمدح النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلّم،بيد أنّها حملت في بعضها أبياتها ما يدل على شعر الرّثاء، حيث يقول :

أَعَيْـنِي جـوادا بالـــدَّمْعِ تَأَسُـفـــا لِصَـــبٍّ تَـحِيْلِ الْـجِسْمِ زَايِـلُهُ عَـقْلُـهُ
لَدَى غصني لَفَحَ من الْحُبِّ فانمحَتْ مَـحَاسِنُ وَجْـهٍ ذَابَ إِذَا بَقَيَّ الشَّـكْلُ

1- المصدر نفسه،ص147.

2-أبوسالم عبدالله بن محمّد العياشي،الرّحلة العياشيّة(1661م-1663م)،تحقيق وتقديم:سعيد الفاضليوسليمان القرشي،دار السويدي للنشر والتوزيع،ط1 أبوظبي -الإمارات العربية المتحدة، 2006م،ج1،ص286.

أذاعت شُهُوْرُ الوَجْدِ[1] كامـنَ دَقْـقِهِ فأضحى المُـحُيا كَاسِفاً ضَاءَ مِنْ قـبلُ
هَـلَلَتْ النّيْـــرَانُ النَّوَائِسُ أضْلُـعِي فـيا ليت كـان الوصل وانتظم الشَّـمْلُ
يَبِيْتُ مِنَ الأشـــواقِ قَلْبِـي معـذبـاً كَـمَلْدُوغٍ رَقْـطٍ[2] أَوْ تَنَـاصَـلَهُ النَّـــبْلُ
بِـنَاظِرِ عَيْـنـي لَاحَ سَـاطِعُ نُـــورِهِ عَلَى رَوْضَةِ الخضْراءِ حَـيْثُ بَدا الْوَصلُ
حَـوَتْ قـبـةٌ لَـمْ يَخلْقِ اللهُ مِثْـلَـهّا وَلَا شَابـَهَـتْهُ الأنْـــبِيَاءُ وَلَا الرُّسْـــلُ
قباب بـها مِسْكٌ يـفوحُ لَنَا شَـــذاً وَغُـــرَتُهُ الأنْـــوَارُ كَـــلَامَهُ تَـــجْـلُ[3]

يطلب عبد الكريم الفكون من عينيه أن تجودا بالدّموع تأسفاً على صبابته وشوقه،حيث صار نحيل الجسم، كما زال عنه عقله من كثرة التّفكير في زيارة قبر الرّسول صلى الله عليه وسلم،وكان أثر المحبة بادية على وجهه،فالوجد كامن في قلبه منذ شهور، انتظار لموعد الزّيارة،حيث هللت نيران الأنس أضلعه،وتمنى وصل حبيبه واجتماع شملهما،فيبيت قلبه معذباً من الشّوق حاله حال الملدوغ بالأفعى، أوالمصاب بِنَبْلٍ مسمومة.

ولكونه أمير ركب الحجيج من بلاه يسافر إلى البقاع المقدّسة كلّ سانحة،فقد لاحت أنوار حبيبه ﷺبناظر عينه،وهو يقترب من المدينة المنوّرة،والتي بها القبة الخضراء،حيث قبر النّبيّ محمّدﷺ،وهي قبة لا تماثلها ولا تشابهها كلّ قباب الرّسل والأنبياء.لا في المبنى وفي المعنى.

ويكشف الفكون بوضوح عن قصده من الزّيارة،قائلاً:

يَا مَنْ سَمَا فَوْقَ السّماواتِ والعُلا وَجَاوَزَ كُلَّ الْحُجُبِ يَرْقَـي إِلَى الْبِغَيا
لَقَدْ جِئْتَ يَا دُخْرِي وَكَنْزِي وعُدَّتِي لِيَـوْمٍ تُـعَادُ الْـخَلْقُ فِـيْهِ كَمَا هِيَّـا
حَلَلْتَ مَحَلَّ الْجُوْدِ والْفَضْلِ أبتَغِي نَـوَالاً يُرِيحُ الذّنْبَ كِـي يَكْسَبَ المحَيَّا
أَغِثْنِي إِذَا مَا المَوْتُ أحْكَمَ سَكْرَتِي بِحَضرتِكَ الْحَسْناءِ تُصْلِحُ لِـي الوصْيَّا
شَـفَاعَـتُكَ الْعُلَيَا أرْاعَي بِـمَحْشَرِي لِـتَسْتُرَ زَلَاتِـي وَتُسْقِطَ لِـي البِـغَيا[1]

1-الوجد: تحتمل معنى الحبّ،ومعنى الحزن،ويجوز هنا،اعتبار المعنيين معاً فهذا الموطن،لأنه يجمع في قلبه ووجدانه بين حبّه الشّديد للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وحزنه وأسفه بعد حبيبه عن ناظريه التي طلب منها أن توجد بالدّمع حزناً على تذكر المحبوب.

2- رقط :نوع من الحيات.

3-العيّاشيّ، الرّحلة العياشيّة،الصدر السابق، ج2، ص518.

1- المصدر نفسه،ج2، ص520.

فبعدما نادى الفكون الرّسولﷺ رافعاً قدره وشأنه ومكانته والتي تجاوزت السّموات العلا، واخترقت كلّ الحجب،فإنّه يتخذ من مقامه ذخراً وكنزاً وعدّةً يوم الحشر، ليعرب عن مراده من الزّيارة، والمتمثل في النوال ومغفرة الذّنوب، والإغاثة عند سكرات الموت، والشّفاعة يوم المنشر والمحشر وستر الزّلات ومحو الخطايا.

يمكن أنقرأ لعبد الكريم الفكون رثاءه في الشّيخ علي البهلولي، حينما أدركته المنية،إذ قال فيه:

أَعَيْنِـيَّ جُـودَا بِالْبُكاء وَانْضُـبَا شُـؤوناً بِمَاءٍ طَالَ مَاجَادَ وَابلُه
لِـخِلٍّ أَكْـنَّتْهُ الصِّـفَاحُ وَأَقْـفَرَتْ مَعَالِـمُهُ مِنْ بَعْـدِهِ وَمَـنَازِلُـهُ
وَقِـدْماً تَـرَاءَى لِلْـعُيُونِ كَأَنَّـهُ يُنَادِيْهِ بَـحْرٌ إِذْ يُـبَارِيْهِ سَائِلُهُ
وَكَمْ من وَعِيْصٍ حَلَّ مَقْفَلَ غَيْبِـهِ وَرَائِـقَ بَـحْثٍ أَبْرَزَتْهُ مَـقَاوِلُهُ
أَبَا حَسَنٍ اسَـهَدْتَ نَاظِرِ مُقْلَتِـي وَنَعيُكَ حَقّاً أَجْرَضَتْنِي[1] بَلَابِلُهُ[2]

يطلب الفكون من عينيه أن تجودا بالبكاء حتَّى يجفا حزناً على موت شيخيه،الذي أصبحت معالمه ومنازله، من بعده، فارغة من رواده،سواء طلباً للعلم أوالزّيارة،حيث كان يستقبل من يأتيه لحلّ ما أُشكل عليه له،أوعويص عليه من المسائل والبحوث فيجلّه له بفضل علومه التي تمكّنه من ذلك.

ثمّ يلتفت الفكون مناديّاً شيخه أبا الحسن ليخبره بسهره بسبب الحزن على موته، وأنّ سمع نعيه جفف ريقه من شدّة التّفجع والتّحسر عليه، مظهراً تعجبه متسائلاً عن غيابه من عالم الوجود:

فَيَا عَجَباً لِلشَّمْسِ كَيْفَ شُرُوقُـهَا وَقَـدْ عَدِمَتْ وَجْهاً تَبَدّتْ شَمَائِلُـهُ
وَيَـا عَجَباً لِلْبَـدْرِ كَيْفَ ضَيَـاؤُهُ وَقَدْ غَابَ فِي بَطْنِ الثَّرَى مَنْ يُنَازِلُـهُ[1]

يتعجب ويتساءل كيف سيكون شروق الشمس بعدما فقدت وجه أبا الحسن صاحب الشّمائل،كما يتعجب ويتساءل عن حال ضياء البدر، بعدما غاب في القبر من كان ينازله،ثمّ يلتفت إلى قلب مناديّاً،آمِراً إيّاه بالصّبر،مع تذكيره بأنّ البقاء إلّا لله وحده،وأن غيره سيلقى المصير ذاته وهو الفناء، ثمّ يدّعو للشّيخ بالرّحمة والرّضوان،إذ يقول:

فَيَا قَلْبُ صَبْراً عَـنْ مُصَابِكَ إِنَّـمَا الْبَقَاءُ لِحَيٍّ لَا شَبِيْهَ يُـمَاثِـلُهُ

1- أجْرَضَتْنِي : بْتَلَعَه بالجَهْدِ على هَمٍّ، والغَصَصُ.

2- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية،تحقيق:أبوالقاسم سعد الله،دار الغرب الإسلامي، ط1،بيروت-لبنان،1408هـ -1987م،ص 226.

1- المصدر نفسه، ص226.

تعزّ فَلَا شّـيءٌ عَلَى الأرضِ بَاقِـيَا وَكُلُّ امْرِئ لَا بُدَ تَعْفُو مَعَاقِلُـهُ
سَقَى الله أرضاً ضَمْنَتْ جَسَداً لُـهُ شَآبِيْبُ رِضْوَانٍ تَدُوْمُ سَوَابِـلُهُ[1]

ففي كلام عبد الكريم الفكون تذكر بمعنى بيت كعب بن زهير،حيث يقول فيه:

كُلُّ ابْنَ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْماً عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُـولُ[2]

فالموت سنّة من سنن الله الكونيّة ليس للمرء عندحلولها إلّا الصّبر على المصاب عند نزول القدر والتّسليم للقضاء،والاستعانة بالله،من أجلّ تجاوز اللّحظات الأولى،لشدّة وقعها على النّفس، وصدمة القلب.

4-3-محمّد بن علي الجزائريّ كان حيّاً (1751م):

هو محمّد بن محمّد بن علي بن محمّد القلغليّ، أبوعبد الله، الشّهير بابن علي:شاعر،أديب،من أهل مدينة الجزائر،وبـها نشأ وتعلم، ثمّ ولي إفتاء الحنفيّة فيها، أثنى عليه عبد الرّحمن الجامعيّ الفاسيّ ووصفه بـ((أديب العلماء)) و((عالم الأدباء) من آثاره ((ديوان شعريّ))يشتمل على قصائد بليغة في المدائح النّبويّة[1].

ومما يُقرأ له في غرض الرّثاء، رثاءه لزوجته،التي قال فيها:

إِذَا اشْتَكَتِ العشاقُ مِنْ نَظْرَةِ الْعَيْنِ فَأُذْنِي الْتِي قَادَتْ فُـؤَادِي إِلى الْـحَيْنِ[2]
غَرَسَتْ بِسِمْعَي حَبَّةَ الْحُبَّ فِي الْحَشَا فَصِرْتُ بِـهَا أَجْنِـي ثِـمَاراً مِـنَ الْحُـزْنِ
فَـيَا سُلْوَتِـي أَوْدَعْتُـكِ اللهَ فَاذْهَبِـي وَيَاشِقْوَتِي أَقْصَى الْكَوَى عَنْ حُمَى الْجَفْنِ[3]

فابن عليّ لايكتم شوقه لزوجته فبمجرد سماعه لذكر العشّاق ما عشقوه،تذكر زوجته الميّتة وتحركت لديه كوامن الأشجان والأحزان،ونادى"سلوته وشقوته"،وهو يقصد زوجته بأن تذهب عنه، لأنّه أودعها عند الله، وتذكره لها لا يزيده إلّا الحزن والبكاء والشّقاء.

ويضيف ابن علي مخبراً عن عيشته مع زوجتها، خاصّة في عصر شبابه:

1- المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

2- كعب بن زهير بن أبي سلمى المازنيّ، ديوان كعب بن زهير،تحقيق وشرح وتقديم: علي فاعور،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان، 1417هـ -1997م، ص65.

1-عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر،مصدر سابق،ص319.

2- الحين: الهلاك.

3-أحمد بن عمار،مختارات مجهولة من الشّعر العربيّ،تقديم:أبو القاسم سعد الله،ط2،دار المعرفة، الجزائر،1991م،ص ص78، 79.

رَأَيْتُ بِهَا عَصْرِ الشَّبَابِ مُعَاصِرِي وَخُـيِّلْتُ أَنـِي كُنْتُ مِنِ سَاكِنِـي عَـدْنِ
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا النَّوى صَاحَ صَيْحَةً فَــزَعْزَعَ مِنْ عَرْشِي وَضَـعَضَعَ مِنْ رُكْنِـي
وَقَالَ لِـمْنْ كَانَتْ حَيَاتِي وَرَاحَتِي وَرِيْـحَـانَتِي قُوْمِـي إِلَـى مَنْزِلِ الدَّفْــنِ
فَحَالَتْ يَدُ الْأَقْدَارِ بَيْنِـي وَبَـيْنَهَا فَأَصْبَحْتُ مَسْلُوْبَ الْحِجَا ذَاهَلَ الذِّهْنِ[1]

لقد تخيّل ابن علي نفسه أثناء حياة زوجته وعيشها معه،إنّه من سكان جنة عدن،وفي ذلك إشارة إلّى سعادتهما ورغد عيشهما معاً،لكّنّ هذا الحال لم يَدُمْ له طويلاً،فقد راعه نواها عنه بسبب موتها،فتزعزع بيته بسبب غيابها،وضعف جسده حزناً على فراقها،بعدما نادها الموت إلى قبرها فحالت أقدار الله دونهما،وأصبح مسلوب العقل مذهول الذّهن لهول المصاب،فقد مَلَكَتْ عنه حياته كلّها.

يَبْدُو من خلال الأشعار المقدّمة كنماذج تمثيلاً لهذه العهود المتلاحقة،أن الشّعراء كانوا أصحاب مشاعر فيّاضة وأحاسيس مرهفة، لم يتركوا للّحظات العصيبة العبور دون تسجيل وتدوين، كشفوا من خلالهما عن محبّتهم للموتى المرثيين مستذكرين ما أمكنهم تذكّره عنهم أيّام تواجدهم في هذه الحياة،حيث جاءت مراثيهم ممتلئةً بالتّحسر والتّفجع والألـم والتّضّجر،لتترجم دراجات الوجد وصعوبة الصّبر على الفراق من جهة،وبيان المكانة العلميّة أوالاجتماعيّة لمن رحلوا عن دنيا النّاس من جهة ثانية، وذكر خصالهم ومناقيبهم تعريفاً وتذكيراً بسيّرهم من ناحية ثالثة.

1- المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

ثانياً– المبحث الثّاني:تجليّات الرّثاء في الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر من الاحتلال ومن بعده.

بدخول الغزاة الفرنسيين للجزائر واحتلالهم لأرضها،تدخل الأوضاع السّياسيّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة الأدبيّة والثّقافيّة والفكريّة للشّعب الجزائريّ عهداً جديداً، ومخالفاً للعهود السّابقة،حاول الواعون والمثقفون من المواطنين الغيورين على الثّوابت الوطنيّة التّشبّث بأهداب أصالتهم،ومقاومة الدّخيل الأجنبيّ بكلّ الوسائل المتاحة وقتئذ،هدفهم الأسمى المحافظة على الشّخصيّة الجزائريّة والهويّة الوطنيّة،وحراسة مقومات الأمّة تراباً وإرثاً وشعباً.

كانت الجزائر قبل الاحتلال الفرنسيّ تعجّ بالكتاتيب والمساجد والزّوايا وهي منتشرة في جميع أنحاء البلاد،يتلقى فيها النّشء ثقافته العربيّة الإسلاميّة،فلا يجهل الاستعمار أنّ العلم سيف قاطع،فإذا تسلح به الجزائريّ أمكنه أن يقاوم،فسعى حينئذ في تجهيل الأمّة الجزائريّة،حيث كان شغله الشّاغل هو إفناء العنصر الإسلاميّ بالتّفقير وتجهيل ما بقي منه.[1]

1–شعر الرّثاء في عهد الاحتلال الفرنسيّ للجزائر(1830م/1930م).

إنّ الباحث عن شعر الرّثاء في العقود الأولى من عهد الاحتلال الفرنسي،لايكاد يظفر بشيء يشفي غليله بسبب سياسة التّجهيل،وغيرها من الأساليب الهمجيّة المعاديّة لكلّ ما يمّت بصّلة للعلم والثّقافة والأدب،مما جعل ذلك ينعكس سلباً على الإنتاج الأدب نثراً وشعراً،والذي جاء قليلاً مقارنة بما سبقه من أزمنة غابرة.وللتمثيل لا بأس أن نختار النّماذج الشّعريّة التّاليّة:

1–1–محمّد المكيّ بن عزوز الجزائريّ(1270–1334هـ/1854–1915م):

هو محمّد المكيّ بن مصطفى بن محمّد عزوز من أصل جزائريّ،ولد أبوه بمدينة طولقة، وكان جدّه محمّد عالماً في الشّريعة، تعلّم صاحب التّرجمة عند أبيه في الزّاوية الرّحمانيّة،بنَفْطَةَ ثمّ أدخله أبوه في جامع الزّيتونة،حتّى أصبح من كبار علمائه،ثمّ عين مفتيّاً بنفطة ثمّ قاضيّاً بها،كان عالماً دينيّاً وأديبّاً شاعراً معا.[1]

1–محمّد الطّمار، تاريخ الأدب الجزائريّ،مصدر سابق، ص370.

1–محمّد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر،مصدر سابق،ص176.

مات بالآستانة مخلّفاً آثار كثيرة منها:ديوانه الشّعريّ،و"رسالة في أصول الحديث"،و"السّيف الرّبانيّ"،و"هيئة النّاسّك"،و"الأجوبة المكيّة عن الأسئلة الحجازيّة"،و"الجوهر المرتب"،و"تلخيص الأسانيد "،و"إقناع العاتب في آفات المكاتب"[1]،وغيرها من المؤلفات القيّمة.

يُنَقُّلُ عن محمّد المكيّ بن عزوز الجزائر من الشّعر،رثاؤه في الرّجل الصّالح الشّيخ المختار الجيلالي[2]:

فَـقَدَ الْـهُدَاةُ مِنَ الْوَرَى لَيْلاً دَجَـا مِـنْ صَدْمَةِ الْإِسْلامِ أَصْبَحَ مُـزْعجَا
لَا سَـيَّـمَا شَـيْخٌ جَلَيْلٌ بَـاذِخٌ بَذَرَ الرَّشَـادَ وَمَنْهُ شَـادَ الْأَبْرَجَـا
كَالسَّـيِّدِ الْـمُخْتَارِ مَنْشُورِ الْهُدَى كَـمْ مِنِ رِجَالٍ فِي الطَّـرِيْقَةِ دَرَّجَـا
سَـعِـدَتْ بِتُـرْبَتِهِ بَـنُو جَلَالٍ قَـدْ أَضْحَتْ مَنَاراً فِـي الْبِلَادِ مُـزَبْـرَجَا
فُـجِعَتْ بِذَاكَ أَوَاسِطُ الْغَرْبِ الَّتِي أَحْيَى بِـذِكْرِ اللهِ فِـيْهَا الْـمَـنْهَجَا[1]

يرى الشّاعر محمّد المكيّ بن عزوز بأنّ بموت العالم الشّيخ المختار الجيلالي يعدّ صدمة تلقى خبرها الإسلام، إذ بوفاته يفقد الهدّاة من النّاس مصدر نورهم،والذي أضاء لياليهم المظلمة، فقد كان الشّيخ الجليل مشهوراً،يزرع التّوجيه والإرشاد ليشيد أبراج المعرفة،حيث اقتدى به رجال كثيرون، درجوا على الطّريق السّوي ولـمّا مات سَعِدَتْ بتربته أولاد جلال،وأضحت به منارة مزيّنة بجسده الزّكيّ يؤمها الزّائرون بقبره،لكّنّ في المقابل فُوجِعَتْ بوفاته مناطق الغرب الإسلاميّ الوسطى،والتّي عرفت نشاطه الدّؤوب في نشر العلم،والتّذكير بالله ومنهج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وبعد عرض لحال منطقة أولاد جلال ووصف حالة المناطق المجاورة لها،والتي عرفت مكانة الشّيخ المختار الجيلالي وألفته طول حياته، صعب عليها فراقه،بل كان موته فاجعة كبيرة قاسيّة الوقع على النّفوس،وبعده يلتفت الشّاعر محمّد المكيّ بن عزوز إلى الشّيخ مخاطباً إيّاه قائلاً:

مُتِعْتَ يَا مُـخْـتَارُ فِي دَارِ الْبَـقَا بِـزَيَّادَةِ الْـحُسْنَى وَنِلْتَ الْمُرْتَجَى
يَوْمَ الرَّحِيْلِ أَنْتَ مَلَائِكَةُ الرِّضَى تَسْعَى وَوَجْهُ الْبِشْرُ ثُـمَّ تَـبَـلَـجَا

1-عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مصدر سابق، ص307.

2-أحد مشاهر زاوية أولاد جلال (نواحي بسكرة) توفي عام1276هـ/1860م،ينظر:المرجع السابق،ص177، هو الشّيخ المختار صاحب الفتح الطّالع والكشف السّاطع،والبصيرة الخارقة...كان كثير الإنشاد في مدح شيخ شيخه سيدي محمّد بن عزوز"،ينظر أبي القاسم محمّد الحفناويّ،تعريف الخلف برجال السّلف،مطبعة بيير فونتانة الشّرقيّة،الجزائر،1324هـ/1906م، ص ص 564، 565.

1-المصدر نفسه،ص565.

جَـــنَاتُ عَدْنٍ زُخْرِفَتْ وَبَبَابِـــهَا رِضْـــوَانُ مَأمُوراً بِـــهَا مُسْتَبْهِجَـا
وَالْـحُورُ رَافِلَةٌ صُـفُوْفاً كَـالظِّـبَا مَقْـصُورَةٌ بِـخَيَّامِـــهِنَّ عَلَى رَجَـا
وَلَوْ أَنَّهُنَّ سُئِلْنَ عَلَى تِلْكَ الْحُلَا لَأَجَبْنَ وَهِـي تـُؤَرِخُ الْـمُخْتَارَجَا[1]

يبشر محمّد المكي بن عزوز الشّيخ المختار الجيلالي بالتّمتع في دار البقاء،وبزيادة الحسنى، وتكمل برؤية وجه الله الكريم، وذلك أقصى غايات الأماني وأشرفها وأنبلها،بعدما جاءت ملائكة الرّضا يوم الرّحيل ووجهها مستبشرة،لتزف روح الشّيخ إلى الجنّة،التي يحرس بابها الملاك رضوان عليه السّلام والذي استقبلهم بالجهة والسّرور،وبعد الدّخول بروحه تتلقاهم الحور العين مقصورة بالخيام، وهنّ في انتظار قدوم الشّيخ المختار رحمّة الله عليه.

1-2- محمّد بن مصطفى بن الخوجة الجزائريّ (1282هـ-1333هـ/1865-1915م):

ولد محمّد بن مصطفى بن محمّد بن باكير بن الخوجة الملقب بالمضربة،والمشهور بالشّيخ الكامل في مدينة الجزائر سنة1282هـ-1865م،وسط عائلة معروفة بالورع والتّقوى،تعلّم القرآن،ومبادئ اللّغة العربيّة،والفقه في كتاتيب المدينة،ثـمّ حضر حلقات الدّرس التي كانت تلفى في المساجد.قال عنه محمّد راسم:"شاعر الجزائر في وقته وأفصح علمائها، وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر،كان شغوفاًبحبة للشّيخ محمّد عبده،وهو الذي أدخل مذهبه إلى الجزائر وعرّف النّاس به".[1]

من آثاره: "الاكتراث بحقوق الإناث"،وتنوير الأذهان في الحث على التّحرز وحفظ الأبدان و"نبذة وجيزة في معنى الدين والفقه"،...وافته المنية في السّابع من شوال سنة 1333هـ/1915م بمدينة الجزائر،ودفن بمقبرة الحامّة بالجزائر العاصمة.[2]

رثى الشّاعر محمّد بن مصطفى الخوجة الشّيخ محمّد عبده[3] بعد وفاته في قصيدة طويلة، أظهر من خلالها تفجّعه وتأسفه الشّديدين حزناً على فراقه وفقده،يقول في بعض أبياتها:

مُصَابٌ جَسِيْمٌ عَمّ كُلَّ الـعَشَائِــرِ وَأْسَـلَمْـنَا قَهْراً لِـحُكْمِ المَقَادِرِ
رَمَـانَا بِـخَطْبٍ لَا يُـقَاسُ بِغَـيْـرِهِ فُــجَعْنَا بِرَزْءٍ مَالَهُ مِـنْ مُنَاظِـرِ

1-المصدر نفسه،ص ص 565،566.

1-منشورات خمسينيّة جامعة الجزائر 1962-2012م،أعمال محمّد بن مصطفى بن الخوجة 1283-1333هـ/1865-1915م، منشورات ثالة، الأبيار-الجزائر،2012م،ص 9.

2-المرجع نفسه، ص ص10،11.

3-محمّد عبده:مفتي الدّيار المصرية رائد زعيم من زعماء الإصلاح في العالم العربيّ والإسلاميّ مطلع القرن العشرين، زار الجزائر عام 1902م، والتقى بعلمائها وزعمائها وقتئذ، وافته المنيّة سنة 1323هـ/1905م.رحمة الله عليه.

وَأَكْـــبَادُنَا ذَابَـتْ أَسَـــى وَكَـآبَـةً وَأَعْيُنَنَا مَثْلُ الْعُيُونِ الْـهَوَامِـــرِ
عَلَى مَوْتِ مُفْتِي المسْلِمِيْنَ وَفَخْرِهِمْ وَمَنْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ نُوْرُ الْبَصَائِرِ
بَكَتْ مِصْرُ وَالدُّنْيا جَمِيْعها لِفَقْدِهِ وَأَبَـنَاؤُها مِنْ كُلِّ بَادٍ وَحَاضِـرِ
وَأَبْدَى جَمِيْعُ النَّاسِ حُزْناً وَحَـسْـرَةً وَأجْرُوا دُمُوْعاً كَالْغَيْوثِ المؤاطِرِ
وَأَثْنُـــوا عَـــلَيْهِ بِالذِي هُـــوِ أَهْـلُهُ ثَـنَاءً جَـمِـيْلاً طَيِّباً كَالْـعَنَابِرِ[1]

فمن خلال هذه الأبيات يصوّر محمّد بن الخوجة شدّة تألم النّاس جميعهم في كلّ ربوع تراب الوطن العربيّ والإسلاميّ،بداية من بلده مصر وشقيقاتها وأصدقائها في أصقاع الدّنيا لموت الشّيخ محمّد عبده،وعدّه مُصَاباً جسيماً عمّ الجميع،لايملكون عنده إلّاالتّسليم لحكم القضاء والقدر، واعتبروا موته لا يقاس بغيره، ولانظير له عندهم،مما جعل أكبادهم تذوب من فرط الحزن والكآبة والآسي حسرة عليه،وفاضت عيونهم بالدّموع المنهمرة، للتّسريّة بها على نفوسهم،لايملكون إلّا ذكر آثاره ومناقبه، مظهرين تـــأثرهم،وعزاءهم بالفاجعة،خلّدت ذلك تعازيهم ومراثيهم[1] المؤلفة لذات الغرض.

1-3- محمّد الدّيسيّ (1270هـ -1340هـ/1854م -1922م):

هو محمّد بن محمّد بن عبد الرّحمان الدّيسيّ ولد هام 1270هـ (1854م)،نشأ يتيماً وفقد بصره في سن مبكرة،حفظ القرآن الكريم في قريته،وتلقى مبادئ العلوم العربيّة على علمائها،ثمّ انتقل إلى زاويّة ابن أبي داود...فثقافة الدّيسيّ دينيّة ولغويّة تقليديّة لاتختلف كثيراً عن ثقافة معاصريه،لكّنّها كانت واسعة،فكان لها انعكاس على إنتاجه،جمع له بعد وفاته(1339هـ -1924م)ديوان لقصائده الشّعريّة قد سماه "الحنان المنان" يضم عدة أغراض شعرية،وله كتب دينيّة قيّمة وعلميّة منها "جوهر الفوائد زواهر الفرائد"،و"المناظرة بين العلم والجهل"، ووسائل في مواضيع أدبية.[2]

1-محمّد رشيد رضا،تاريخ الأستاذ الإمام محمّد عبده(1266-1323هـ/1849-1905م)،دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتّصدير، ط2، القاهرة-مصر،1427هـ/2006م،ج03، ص349.

1-يعدّ الجزء الثّالث في مجمله مؤلفاً، يحتوى على أغلب الأقوال التي قيلت في وفاة الشّيخ محمّد عبده، وهي عبارة عن تعازي من مسؤولي دول العالم عرب وعجم، وتأبينات الوجهاء، ورؤساء التّحرير في الجرائد المحليّة والعالميّة وغيرهم، فضلاً عن مراثي الشّعراء في الدّول العربيّة والإسلاميّة،مما يدل على المكانة الكبيرة التي احتلها هذا الرّجل في قلوب النّاس نظير جهوده خدمة للإسلام وللإنسانيّة جمعاء.

2-محمّد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر،مصدر سابق، ص187.

يرثي محمّد الدّيسيّ في شعره محمّد الصّغير[1] بن أبي القاسم في مرثيّة، قال فيها:

خَـلِـيْلِي مَـا لِلـطَرفِ مِـنْكْ كَـلِـيْمٌ كَأَنَّـكَ بِالـرّزْءِ الـجَلِيْلِ عَـلِـيْمٌ
دُهَيْـنَا بِـخَـطْبٍ فـَادِحٍ كَارِثٍ طَـمَا لَـهُ كُـلُّ قَلْبٍ بِالْـفِرَاقِ أَلِـيْـمٌ
مُصَابٌ جَسِيْمٌ لَا يُطَـاقُ،وَكَيْـفَ لَا يَكُوْنُ عَظِيْماً؟ وَالْفَـقِيْدِ عَظِـيْمٌ
مُحَـمَّدٌ صَغِيْـرٌ بِدَرٍ سَـمَا الْـعُلَا لَـطِيْفُ السَّجَايَا وَالْمُحَيَّا وَسِيْمٌ
أَدِيْـبٌ،أَرِيْـبٌ،مَـاجِدٌ وَابْـنُ مَاجِـدٍ كَـرِيْـمٌ وَمَـنْسُولُ الْكِرَامِ كَـرِيْـمٌ
شَابٌ نَشَا فِي الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالتُّقَى وَتَـالٍ لِآيَـاتِ الْكِتَابِ يُـقِـيْمُ
فَـذَاكَ الذِي تَبْكِي لَهُ الأَرْضُ وَالسَّمَا إِذَا مَا تَوَفِـي، وَالـثَّنَاءُ عَمِيْمٌ[2]

فالشّاعر محمّد الدّيسي لايخفي تعجبه سائلاً صديقه،عن جلالة الرّزاء الذي أصابهم في فاجعة فراقه لهم،إذ ترك كلّ القلوب مكلومة لهول الفراق، وعدّه مصاب جسيم،تـمَثَّل في فقده ورحيله عنهم إلى دار البقاء.فهو الأديب الأريب،ذوالأخلاق الفاضلة والمعروف بالكرم والعلم والفضل،والتّقى والتّلاوة القرآن الكريم،مقيم لـما فيه من أحكام وحدود، مما جعل الأرض والسّماء تبكي حزناً على وفاته،وتثني عليه بالخير.

2- شعر الرّثاء في فترة الثّلاثينيات إلى عشية الاستقلال 1962م.

في هذه الفترة شهدت الجزائر أحداثاً كبرى:كالاحتفال الفرنسيّ المئويّ عام1930م، ومجازر الثّامن(08)ماي 1945م،واندلا ع الثّورة التّحريريّة المباركة 1954م، وعيد الاستقلال1962م، وغيرها من الذّكريات الأليمة أوالـجميلة،تميّـز بها التّاريخ الجزائريّ الحديث وطبعته بسمات تختلف اختلافاً جذرياً عمّا سبق هذه الحقبة التّاريخيّة من الحقب الغابرة،طُبِعَتْ أحداثها في الذّاكرة الوطنيّة الجماعيّة للشّعب الجزائريّ دوّن الشّعراء الجزائريّ ونقلوا الكثير منها في إنتاجهم الأدبيّ الإبداعيّ، ونشره على صفحات الجرائد رغم تضييق الخناق عليها ومطاردتها ومصادرتها،مما جعل بعضها يختفي كلّيّاً من السّاحةالإعلاميّة والحيّاة الثّقافيّة،وبعضها الآخر يتعثر في سيره بسبب سياسة القمع والحجب والمصادرةمن طرف السّلطات الفرنسيّة الاستعماريّة،ثـمّ ينهض من جديد مواصلاً نضاله ومساره خدمة للوطن،ومحاربة للدّخيل،كجريدة "الشّهاب".

1- خليل وصديق حميم للشّاعر محمّد الديسي.

2-محمّد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر،المصدر السّابق، ص187.

يحتفظ أرشيف تلك الجرائد على تنوعها وتعددها،ومكانتها العلميّة والفكريّة،بالكثير من القصائد الشّعريّة المتباينة في موضوعاتها وأغراضها،إذيلفي الباحث قصائد شتى من غرض الرّثاء قُدِّمَتْ في مناسبات كثرة:كالمآتم،ووقفات التّأبين،أوفي الذّكريّات المتجددة كلّ سنة،والمعدّة خصيصاً لتذكّر الأموات وذكر خصالهم ومناقبهم،وسائر أعمالهم العظيمة،طيلةسيرّهم العطرة بغية أخذ الدّروس العبر والاقتداء بهم،ولترسخ شخصيتهم في ذاكرة الأجيال النّاشئة،نختار بعض النّماذج تمثيلاً لهذه الفترة:

2-1- محمّد بن العابد الجلاليّ (1308هـ- 1387هـ/1890م -1967م):

محمّد بن العابد الجلالي:عرف باسمه المستعار"رشيد"،ولد بقرية أولاد جلال قرب بسكرة، ودرس على والده،ثمّ على الشّيخ عبد الحميد بن باديس،اشتغل بالتّدريس في مدارس جمعية العلماء المسلمين[1]، كان كاتباً أكثر منه شاعراً، فقد كان ثانِي اثنين بعد محمّد السّعيد الزّاهريّ،يحاول التّجريب في كتابة القصّة القصيرة بفضل المحاولات القصصيّة،التي نشرها في مجلّة "الشّهاب" الباديسيّة خلال الأعوام:1935،1936،1937م[1].لحق بجوار ربه يوم الخميس 2 فيفري 1967 رحمه الله[2].

من آثاره "تقويم الأخلاق"(1927)و"الأناشيد المدرسية"،وله شعر قليل،وإنتاجه الأدبيّ موزع بين مجلّة"الشهاب"و"الصّديق"[3]،وحينما فُجِعَ العالم العربيّ والإسلاميّ بنبأ وفاة جلالة ملك العراق غازي الأول[4]،فسالت دموع،وتقرحت قلوب،فجادت قريحة محمّد بن العابد الجلالي الوقّادة بمرثيّة مؤثرة نشرت بجريدة "الشّهاب" بعنوان"خطب العراق..."،جاء في بعض أبياتها:

يَـاشُؤْمَ مَـا نَقَلَ الْأَثِـيْـرُ يَا هَوْلَ مَا دَهَمَ الْمُغِـيْرْ
أَمَلُ الْـعُـرُوبَةِ قَـدْ خَـبَـا وَهَوَى لِـمَغْرَبِهِ الْمُـنِـيـرْ
وَطَـوَى بِكَـفِّـيْهِ الـرَّدَى تَـدِيّاً تَـحْـفّز أَنْ يَطِـيـرْ
أَوْدَتْ بِـهِ سِـيَّـارَتُـهُ فِـي خِفَّةِ الْبَرْقِ الْـمُشِـيرْ
يَطْوِي بِـهَا(الْغَازِي) الْـفَلَا فَطَوَتْهُ سِـرّاً فِي الضَّمِـيرْ

---

1 -عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر،مصدر سابق،ص 151.

1- عبد الملك مرتاض،معجم الشّعراء الجزائريين في القرن العشرين،دار هومة للطّباعة النّشر والتّوزيع-الجزائر،2006م،ص57.

2- محمّد الأخضر عبد القادر السّائحي، روحي لكم، مصدر سابق،ص10.

3- عادل نويهض،مصدر سّابق،ص 151.

4-الملك غازي الأول:هو غازي بن فيصل الأول بن حسين بن علي الهاشمي(21 مارس 1912م- 4 أبريل1939م) ثاني ملوك المملكة العراقيّة، تولى الحكم في 8 سبتمبر 1933م وحتى وفاته في 4 أبريل1939م.

مَـنْ لِلْعُــرُوبَةِ بَعْدَ غَـا ـزِيْهَا الْـمَؤْمُلِ مِنْ مُجِـيرْ[1]

يرى محمّد بن العابد بأنّ ما نقله الأثير شؤم، وأنّه هَوْلٌ عَظِيْمٌ داهم سمعه،تمثّل في وفاة الملك غازي الأول أمل العروبة بسبب حادث سيارته،الذي أخذ روح بخفة كالبرق،فيطويه الموت ويلحد في قبره،ثمّ يتساءل عمن يـجيـر العروبة بعد موت الملك غازي الأول الذي كان أمل مستقبلها؟

يسترسل الشّاعر محمّد بن العابد الجلالي في رثائه للملك غازي الأول قائلاً:

خَطْــبُ (الْعِــرَاقِ) عَــلَى (الْـجَزَائِرِ) لَيْسَ بِالْخَطْبِ الْيَسِيرْ
فَــهُنَا دَمٌ يَــجْرِي هُــنَالِـكَ حَــامِــلاً سِـرّ الــدُّهُــورْ
وَهُــنَالِكَ الْفُصْـحَى تَــوَّحِـدُ بِيْــنَنَــا نَبْــلَ الشُّــعُورْ
وَسِوَاهُــمَا خُــلُــقُ الْإِبَــاءِ بِــكُلِّ تَكْرِمَــةٍ جَــدَيـرْ
يَا قَادَةَ الشَّعْبِ الْعِرَاقِ الْمُرَشَحِ يَا لَــعِرَاقِ لُــكُلِّ خِــيــرْ
وَدُّوا بِـ(فِيْــصَلِهِ الصَّــغِيْرِ) وَدِيْعَــةَ الشَّعْبِ الْكَبِــيـرْ
وَخُــذُوا بِهِ أَمْــنَ الطَّـرِيْقِ مُــجْنِباً عَــنْ كُلِّ ضِــيـرْ
وَعَــزَاؤُنَا وَعَــزَاؤُكُــمْ فِــي الْــوَالَدِ الْولَـدُ الصَّغِيــرْ[1]

يقول الشّاعر محمّد بن العابد بأن خطب العراق عند الجزائر ليس بالخطب اليسير،لأنّ الدّم في الجزائر هو الدّم ذاته هناك في العراق،كما أنّ العربيّة الفصحى لغة توّحد الشّعور بين الشّعبين،وكلاهما جديرين بالتّكريم،ثـمّ يلتفت لقاده الشّعب العراقيّ بأنّ يردّوا "فيصل الصّغير"،وهو نجل الملك الرّاحل وديعة لشّعب العراق،خلفاً لوالده الفقيد،وأن يأخذوه في طريق آمنة توخيّاً لسلامته،وتجنباً للسّوء والضّرر أو الأذى الذي قد يلحقه في الطّريق،ثمّ يبيّن لهم بأنّ عزاء الشّعب الجزائريّ هو عزاء الشّعب العراقي في الوالد الملك غازي الأول والذي يُقدّم لابنه فيصل.

2-2-عمر بن البسكريّ العُقْبيّ(1898م -1986م):

الشّيخ عمر بن محمّد بن ناجي بن بسكري ينتهي نسبه إلى بسكري الذي أصبح اسمه لقبًا لعائلته،وأصله من"زْرِيبَة الوادي"،والتي هي الآن بلديةٌ من بلديات دائرة سيدي عقبة بولاية بسكرة،

1- مجلّة الشّهاب،ج3، المجلد 15، أوت 1938م،قسنطينة،الجزائر،ص ص146،145.

1- محمّد الأخضر عبد القادر السّائحي، روحي لكم، مصدر سابق، ص ص 15،14.

ولد بسيدي عقبة سنة 1898مكان عامرًا بالعلم والعلماء،وامتاز الشّيخ بين طلاب الجامع بالذّكاء النّادر والنّبوغ المبكّر.[1]

وقد كان الشّيخ عمر محبًّا للشّعر والأدب،ميَّالاً إليهما، فضرب بسهم وافر فيهما،فقرض الشّعر وكتب النّصوص،وتدرَّب على أساليب الدّعوة والإرشاد وفنون الخطابة والمحاضرة،حتّى صار يُنعَت بـ: النّابغة اللّغويّ، وبـ:شاعر الصّحراء.[2]

للشّيخ عمر بن البسكريّ مجموعة من المقالات نشرت في جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،كما له العديد القصائد الشّعريّة جُمِعَتْ في ثلاثة دواوين شعريّة،هي:الدّيوان الشّعريّ، ديوان "العلويّات"،وديوان"الوهرانيّات".توفي-رحمه الله-بسكتة قلبيّة في مستشفى"كونيو"بمدينة وهران، وذلك يوم 3 مارس سنة 1986م، وكانت جنازته مشهودة.[1]

أمّا بخصوص شعر الرّثاء عند الشّاعر عمر بن البسكريّ،تمّ العثور له على مرثيّته في الدّكتور "معيزة علي"وهو طبيب،وَسَمَهَا بعنوان"رثاء فقيد الإسلام والرّحمة والعلم والحكمة"،جاد بها يوم عزائه إذكان حفل دفنه رهيباً بمن حضره من الوفود،وماألقي فيه من الخطب،وأبّنه فضيلة الأستاذ ابن باديس بخطاب رائع،أبكى الحاضرين على اختلاف طبقاتهم،وألقى الشّيخ عمر البسكريّ هذه القصيدة المؤثرة نشرت في مجلّة الشّهاب عام 1938م،وهي قصيدة طويلة،ننتخب منها ما يلي:

(أَابَا طَاهِر) جَدِيرٌ بِأَنْ مِتْـــ ـتَ فَمَاتَتْ مَكَارِمُ الأَحْسَابِ
(أَابَا طَاهَر)حَقِيْقٌ بِأَن غِبْـــ ـتَ فَغَابتْ مَكَارِمُ الأحْـــسَابِ
قد فَقدنا بِكَ الْحَيَاةَ أيَا وا هِبِهَا فِـــي تَعَقُّلٍ وصَـــوابٍ
يَا طَبِيْبَ الأجسَادِ أَمْرَضْتَ البَابَا فَهَلْ ممكن دوا الابَـــابِ
فَإِذَا مَا الطَّبِيْبُ أَعْيَاهَ الدَّا ءُ فَدَعَ مِـــن تَمَائِمِ الْحِسَابِ
(ابَا عَلِي)ماذا دَهَاكَ وأَنْتَ النَّـ ـجْمُ فَهَلْ مِنْكَ لِلرَّدَى مِنْ شِهَابٍ
أَمَمَاتٌ أَمْ رَاحَةٌ أَمْ سِقَامٌ أَمْ مَـــنَامٌ أُفْـــقٍ وردّ جَـــوَابٍ[2]

1-مركز سلف للبحوث والدّراسات، ترجمة الشّيخ عمر ابن البسكري، أعلام السّلفية (18)، إشراف:محمّد بن إبراهيم السّعديّ، https://salafcenter.org/3282، أطلع عليه يوم :2023/07/11م، على الساعة 19:00.

2- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

1- المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

2- مجلّة الشّهاب، ج 6، المجلد 14، أوت 1938م، قسنطينة- الجزائر،ص363.

يخاطب الشّاعر عمر بن البسكري الطّبيب"علي" الفقيد،مناديّاً إيّاه بكنيته قائلاً:(أابا طاهر) تارة، وباسمه(يا علي) تارة أخرى، ليخبره بأنّ بموته ماتت وغابت معه مكارم الاحسان،وفقدت الحياة بفقده من كان يهبها التّعقل والصّواب،وأنّه كان طبيب يداوي الأجساد من أدوائها،وهي الآن تعاني من أسقامها بسبب غيابه،ولن تجد من كان يكرمها بالدّواء.

يواصل الشّاعر عمر بن البسكري في رثائه للطّبيب علي معيزة مناديّاً الحاملين لنعشه،قائلاً:

أَيُّهَا الـــحَامِلُونَ رِفْـقاً بِـمَيِّتٍ فَـــهَوْ حَـــيٌّ بِـذِكْرِهِ المـــسْتّطَابِ
وثناءٌ يَفْـنَى الـــزَّمانُ وَلَا يَفْـــ ـنَى وَهَلْ يَفْنَى الْفَتَى من ثَـــوَابٍ[1]

فهو يأمرهم بأن يرفقوا في سيرهم أثناء حملهم جنازة الطّبيب عليّ، الذي إن مات نفساً، فهو حيّ بذكره الطّيب عند النّاس،وثنائهم على خصاله وحسن أفعاله،ولن يفنى ثواب ذكره،حتّى وإنْ فَنِيّ الزّمان.

لقد احتار الشّاعر بن البسكري متعجباً لـمن يقدّم العزاء، حيث قال:

لَـيْـتَ شِـعْرِي مَنْ أُعَزِيْهِ أبـنا ء أيَـادِيْكَ أمْ بَـنُو الأصْـلَابِ
بَل أعُزِّي الْورَى جَمِيعاً وَإِنْ قَلَـ ـلَ عَـــزَاءِي عَنْ الْمُلِمِ المصَابِ
وَلِعَلـياكَ تُـهْدِي مَدْرَسةُ الفَتْـ ـحِ سَـــلَاماً كَـــبَاقَةٍ أوْ ثَـوَابِ
وَالْوَدَاعُ الْـوَدَاع يَا أيُّها الرَّاحِلُ فَالْـمُلْتَقَى بِيَـــوْمِ الْـــحِسَابِ
لَكَ عِنْدَ الْإِلَـهِ يَا أَيُّهَا السَّـــا عِي إِلَيْهِ زُلْفَـــى وَحُسْنَ مَـــآبٍ[1]

تمثلت حيرته في الأولى بعزاء الطّبيب علي وهم كثيرون،فهل هم المترددون على عيادته للفحص أوالنّصيحة،وأخذ الدّواء؟ وهم المقصودون بـ"أبناء أياديك"،أمْ هم أبناء صلبه ونسله؟لكنّه يهتدي بعد حيرته إلى من هم أحقّ بهذا العزاء،إلى النّاس جميعاً،لأنّ الطّبيب عليّ مِلْكٌ للجميع،حتّى وإنّ قلّ عزاءه،ولم يُوَفِه حقّ هذا المصاب الجلل،ناقلاً معه تحيّة مدرسة الفتح، ثمّ يودّعُه وداعاً أبديّاً، حتّى موعد الـملتقى في يوم الحساب،راجيّاً من الله،أن يرزقه الجنّة التي كان يسعى إليه بعمله الصّالح، وخدمته لمساعدة النّاس ويجزي حسن المآب.

2-3-الرّبيع بوشامة (1916م -1959م):

1-المصدر نفسه،ص364.

1- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

شاعر ولد بقنزات،بلدة صغيرة في ولاية سطيف،وفيها حفظ القرآن وأنهى دراسته الابتدائيّة بالعربيّة والفرنسيّة في1937م،التحق بتلاميذ ابن باديس،وبعدها بمدّة قصيرة رخص له بالتّعليم في مدارس جمعية العلماء درس فيها حتّى انتدب في1939م من قبل الجمعيّة للقيام بنفس المهمة بفرنسا[1].

عاد إلى الجزائر بعد اندلاع الحرب العالميّة الثّانيّة، وواصل وظيفته كمعلم في إحدى مدارس الحراش،خلال حرب التّحرير الوطنيّ ناضل في صفوف جبهة التّحرير الوطنيّ،أُلْقِي عليه القبض من قبل الشّرطة الفرنسيّة وأعدم يوم 13 ماي 1959م برفقة صديقه عبد الكريم العقون[1].

نقرأ للشّاعر الرّبيع بوشامة في غرض الرّثاء،ما قاله في ذكرى مجازر الثّامن ماي قصيدة عنونها بـ((عجباً لوجهك كيف عاد لحاله!..))، والتي نشرها في جريدة البصائر عام 1949م، يقول في بعض أبياتها:

قُـبِحْتَ مِنْ شَهْرٍ مَدَى الْأَعْـوَامِ يَا (مَاي) كَمْ فَجَعْتَ مِنْ أَقْـوَامِ
شَـابَتْ لِـهَوْلِكَ فِـي الْجَزَائِرِ صِبْيَةٌ وَانْـمَاعَ صَخْرٌ مِنْ أذاك الطّـامِي
وَتَفَـطَّـرَتْ أَكْبَادُ كُـلِّ رَحِيْمَةٍ فَـي الْكَوْنِ حَـتَّى مُهْجَةُ الأيـَّامِ
تَارِيْخُـكَ المشؤومُ سُطِّـرَ مِنْ دَمٍ وَمَـدَامِعٍ فِـي صَـفْـحَةِ الْآلَامِ
وَغَـدَا صَحَائِفُ خَـزِيَّةٍ أَبَـدِيَّةٍ مَضْبُوطَةٍ فِـي دَفْتَرِ الْإِجْـرَامِ[2]

فهو يكشف عن سبب قبح شهر ماي على مدى الأعوام،حيث شَابَتْ لِهَوْلِه صبية الجزائر، وتألم الصّخر من شدّة الأذى،وتقطعت أكباد الأمّهات الرّحيمات حزناً على فقدهن لأبنائهن وأهلهن،فتاريخ الثّامن(08)شهر ماي1945م،تاريخ مشؤوم مسطر بالدّماء والدّموع والآلام،حتّى صارت أيّام هذا الشّهر صفحات مخزيّة طول الأبد،وهي مسجّلة في دفاتر جرائم الاستعمار الفرنسيّ.

يواصل الرّبيع بوشامة رثاءه، مناديّاً شهر ماي:

لِي فِيْكَ يَا (مَايَ) النَّوائِبِ وَالرَّدَى ذِكْـرَى شَـقِيٍّ طِيْلَةَ الْأَعْـوَامِ
فُـقْدَانُ خَـيْرِ أَبٍ، وَأَكْـرَم صُحْبَةٍ وَجَحِيْمُ سِـجْنٍ حُفَّ بِالْإِعْـدَامِ
فِـيْ ذِمَّةِ الـتَّارِيْخِ تِسْعَةُ أَشْـهُرٍ قَـضَّيْـتُهَا فِـي عِزَّةٍ وَصِـدَامِ

1- عاشور فني، الكتاب الجزائريون (قاموس بيوغرافي)،دار القصبة للنشر، الجزائر،2007م،ص109.

1- المصدر نفسه،ص110.

2 -جريدة البصائر،العدد79، السّنة الثّانيّة،السّلسلة الثّانية ،قسنطينة- الجزائر،09ماي1949م، ص271.

شَـــرِبْتُ مِـنْهَا كَأْسَ كُلِّ شَـدِيْدَةٍ صُنِعَتْ-خِصِيْصاً-لِلْفَتَى المقْدَامِ[1]

من خلال هذه الأبيات يخبر الشّاعر الشّهيد الرّبيع بوشامة شهر ماي بما عانه فيه من نوائب الدّهر جراء تلك الأحداث الآليمة،والتي غدت بالنّسبة إليه ذكريّات من الشّقاء لا تنسى،ولا تمحي طيلة الأعوام،لأن فقد فيها والده وأصدقاءه وكلّ عزيز على قلبه،فضلاً عن جحيم السّجن وويلات التّعذيب، ليتجرع فيهن من كأس الظّلم والقمع والبطش والقهر والمعدّة خصوصاً للفتيان والأبطال الأشاوس،بعدما قضى تسعة أشهر في العزّة والصّدام.

ثمّ يقول الرّبيع بوشامة متعجباً من عودة وجه ماي لحاله :

عَجَباً لِوَجْهِكَ كَيْفَ عَادَ لِـــحَالِـهِ مِنْ بَعْدِ أَحْدَاثِ عَرَّتْكَ جِسَامِ!!
هَـــلَا غَرُبْتَ عَنْ الــزَّمَانِ وَأَهْــلِهِ فَتُـــرِيْحَ هَـذَا النَّاسُ مِنْ إِيـلَامِ!
أَصْبِحْتَ رَمْزَ الْفَاجِعَاتِ بِذَا الْحِمَى تَـبْدُو بَـهَيْماً مُـفْزِعَ الإظـلام
وتَـرُوحُ ذِكْرَى السُّوءِتَحْمِلُ قرحةً، مَـهْمَا تَعُدْ تُـشرقْ بِـجُـرْحٍ دَامِ
إِنْ كَانَ فِـي التَّارِيْخِ، عَامٌ مُـحْزِنٌ، (فَمَايُ)دَهْـرٌ مُشْـحَنٌ بِكُـلَامِ[1]

يتعجب الرّبيع بوشامة من عودة وجه شهر ماي لحاله،بعد كلّ تلك الأحداث الجسام والتي تعتبر وصمة عار في جبيه طالباً منه أنبغرب عن الزّمان،وأهله ليرتاحوا من آلامه، فقد أصح لديهم رمز للفواجع والمصائب والرّزايا،ووجده يعدّ مصدراً للفزع والخوف،فبذهابه ترحل معه ذكرى السّوء والألم، وكلّ حلول له تشرق الإحزان والمآسي والآلام من جديد،وإذا كان في التّاريخ عام يُعرَفُ بعام الحزن، فشهر ماي دهرٌ كلّهُ مشحون بالجراح.

وفي قصيدة((حتّى ذاك الصّريع في الميدان!))،يرثى الرّبيع بوشامة فيها شهيد"معركة القسطل" 1948م الشّهيد الفلسطينيّ عبد القادر الحسيني،حيث يقول:

بَطَلُ (الْقَسْطَلِ) الشَّهِيْدُ المفَدَّى حُـزْتَ مَـجْداً مُخَلَّداً فِـي الزَّمَانِ
أنْ تَعَالَجَكَ فِي الْـجِهَادِ المنايَا قَـدْ بَلَغْتَ الْمدَى عَلَى الأقْـرَانِ
رُحْ شَهِيداً مُقَدَّسَ الرُّوْحِ شَهْماً مُـشْرِقَ الْوجْهِ عَـاطِرَ الْأَكْـفَانِ
أَيُّهَا الْعُرْبُ أُمَّةُ الْـمَجْدِ وَالْعَلْـ ـيَاءِ مَـاذَا تَرْجُوْنَ غَيْرُ التَّفَانِي؟
أَنَّهُ الْـمُوْتُ فِـي الْكَرَامَةِ وَالْعِـ ـزِّ، أَوْ الْعَيْشُ فِي الشَّقَا وَالْـهَوَانِ

1-المصدر نفسه، ص271.

1-المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

كَيْفَ تَرْضُوْنَ عَيْشَ أَمْنٍ وَخَيْـرٍ وَفِلِسْطِيْـنُ فِي الْـجَحِيْمِ تُعَانِـي
فَانْهَضُوا لِلْـفِدَا وَلَـبُّواْ سِـــرَعاً دَاعِـيَ اللهِ مِنْ سَـمَا الْأَكْـوَانِ
لَا رَعَى اللهُ أَنْـــفُسـاً تَـــتَمَّلَى عَيْشَةَ الذُّلِ فِي صُفُوفِ الْغَوَانِي[1]

يخاطب بوشامة الشّهيد الحسينيّ ويصفه بطل القسطل،مهنيئاً إيّاه بحيازته للمجد والخلود مدى الزمن،بفضل نضاله وجهاده وتضحيته بالغ بذلك مقام الأقران،متوجاً بالشهادة في سبيل وطنه،ثم يلتفت الشّاعر للعرب وهم أمة المجد والعليا ويدعوهم للاقتداء بالشّهيد عبد القادر الحسيني،وأن يموتوا بكرامة وعزّ خيراً لهم من العيش في حياة الذّل والهوان،وأن ينجدوا فلسطين من الجحيم،وينهضوا بالفداء، ويلبُّوا داعي الجهاد سراعاً، ويرفضوا عيشة الذّل والاستكانة.

لم يقتصر الرّثاء عند الرّبيع بوشامة على رثاء مجازر الثّامن(08)ماي، والشّهيد الفلسطينيّ عبد القادر الحسينيّ، نلفيه له مراثي أخرى كرثاء أصدقائه،ورثاء العلماء،ورثاء المناطق والمدن، ونقتصر على التّمثيل هذا النوع الأخير،فها هو يرثي منطقة زواوة فـي قصيدته المعنونة بـ((ليت شعري ماذا جنته زواوه!؟))،يقول فيها في متعجباً متسائلاً:

لِيْتَ شِعْرِي مَاذَا جَـنَتْهُ "زَوَاوَا" فَاسْتَحَقَّتْ-حَيْناً-أَشَدَّ النَّكَالِ!؟
إِذْ رَمَـــتْهَا أَيْـــدٌ غَرْبَـيَّةٌ لُـوَنُ مُـجْرِمَاتِ وَحْشَـــيَّةُ الْأَعْـــمَـالِ
تُشْفِى بِالْقَتْلِ وَالنَّـهْبِ وَالتَّخْـــ ـــرِبِ-مِلءَ الْهَوَى وَجُهْدَ التَّغَالِي
لَـــمْ يَـــكُنْ ذَنْـــبُهَا المهُولُ إِلَّا خَـطَرَاتِ الْأَفْـكَـــارِ وَالْآمَـــالِ
وِاحْتِفَاظاً بِالدِّيْنِ وَالضَّادِ وَالَعـا د، قَـوَّامُ الْأَوْطَـــانِ وَالْأَجْـيَالِ[2]

يتعجب الرّبيع بوشامة من الوضع المأساويّ،الذي آلت إليه منطقة "زواوة"،وما لحقها من جرائم وأعمال وحشية على أيد غربية،أتسمت بالقتل والنّهب والتّخريب وما شابه ذلك من ألوان الظلم والاعتداء على الأرواح والممتلكات،متسائلاً عن جنايتها، حيث لم يكن لهامن ذنب سوى تفكيرها في الحريّة والانعتاق والتّخلص من المعتدي،وتمسكها بدينها الحنيف،ولغتها العربيّة،وعاداتها وتقاليدها، وكلّ ما يربطها بوطنها،ويرسّخ أصالة أجيالها عبر التّاريخ.

1–يحي بوعزيز،أعلام الفكروالثّقافة في الجزائر المحروسة،دار البصائر،للنّشر والتّوزيع،حسين داي–الجزائر،طبعة خاصة2009، 2009م،ج1،ص ص 228–229.

2 – جريدة البصائر،العدد97،السّنة الثّانيّة،السّلسلة الثّانيّة ، قسنطينة– الجزائر، 1949/12/5م،ص69.

وفي قصيدة أخرى عنونها:(("خرّاطة" بين زلزال وقع، وبركان بتوقع!))، يرثي فيها الرّبيع بوشامة مدينة "خرّاطة"،يقول عنها:

"خراطةُ"بَاتَـتْ مَسْارحَ رجَّـةٍ كـبرى،تُـوقِـعُ أروعَ الأهـــوالِ
وَتَـحُسُّ فِـي أَطْوَادِهَا وَسُهُولِهَا بِـهَـــزَّةٍ،وَتَـــمَايُـدِ فَـعَّـــالِ
فِـي كلِّ يَـوْمٍ مَرتَـيْن يَـزُورُها هَولٌ اِرْتِـجَاجٍ مـخطرُ الأعمالِ
وَيُذِيْـقُهَا فَـــزَعَ الْقَيَّامَةِ سَاعَةً مِنْ بَعْدِ أُخْرَى ضَـابِطُ الآجالِ[1]

يقدّم الرّبيع صورة عن مدينة "خرّاطة" التي تعرضت فيها لزلزال مدمر،حيث أنّها باتت مسرحاً لرجّة زلزاليّة كبرى مروعة،شعرت بها الجبال والسّهول،وكانت تزور "خرّاطة" مرتين في اليوم،تذيقها فزع يوم القيامة،ثـمّ يوثق مشاهد الدّمار،ومخلفات الخراب، وآثار ذلك الزّلزال على المدينة،قائلاً:

تِـلْكَ الْمَنَازِلُ أُوحِشَتْ جَنَبَاتُهَا وَبَدَا بِـهَا شَبَحُ الـرَّدَى المغْتَالِ
وَهَوَتْ على سُكَانِها فـي وِهْـدَةٍ وِتـعانَقُوا تَـحْتَ الثَّرى الـمُتهَالِ
مَـابَيْن مَـجْروحٍ يَـئِنُ،ومَيْـتٍ، ومَـفْـجُعٍ قَـدْ لَاذَ بِـالْاعْوَالِ
أَسَفاً عَلَيْكَ- بُلَيْدَةٍ- مَسْكِيْـنَةٍ رَصَدَتْكِ أَحْدَاثٌ بِكُلِّ مَـجَالِ[2]

يطلع الرّبيع القارئ على هول المأساة،وشدة طأتها على القرية،حيث أوحشتْ المنازل،وعمّ الموت سكانها،بعدما هوتْ عليهم،وعَلِقُوا تحت الرّكام والحطام،فكان منهم الجريح، والميت، والمفجع النّاجيّ من الإصابة أو الموت،لكّنّ تأثرت نفسه بالدّمار والخراب،والفواجع، وهذا ما جعل الشّاعر بوشامة يخاطب بلدة خراطة المسكينة،متأسفاً على حالها،لأنّـها محاطة بالرّزايا من كلّ جانب.

4- محمّد الأخضر السّائحيّ(1918م-2005م):

الشّاعر الشّيخ محمّد الأخضر السائحي-الكبير-(مولود بالعالية توقرت (ورقلة) 1918،ومتوفى بالجزائر2005) أحد الوجوه الثّقافيّة المتألقة في الجزائر، بدأ ينشر قصائده الأولى في البصائر منذ شهر سبتمبر 1948.....عاصر شعراء عهد الاستعمار،وشعراء ثورة التّحرير،ثمّ شعراء عهد الاستقلال فهو مثل مفدي زكرياء، ومحمّد العيد،وأحمد معاش، وأحمد سحنون.[1]

1 - جريدة البصائر،العدد75،السّنة الثّانيّة،السلسلة الثّانيّة، قسنطينة-الجزائر،1949/04/11م،ص239

2 - المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

1- عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، مرجع سابق،ص ص227،226.

من مؤلفاته نذكر:"همسات وصرخات" الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع الجزائر1966،" ألوان بلا تلوين، نكت"الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع 1976والطّبعة الخامسة سنة 1984 ...[1]

يرد له في غرض الرّثاء قصيدته المعنونة بـــ((على قبر شهيد)) ألفها عام 1962، يقول فيها:

أَيُّ دَمْــعٍ أَيُّ لَــحْنٍ يُــطْفُئ اللَّوْعَةَ فِــيَّا؟
كَيْفَ أَبْكِي أَوْ أُغَنِّي وَفُــؤْادِي فِـي يَدِيَّــا؟
كَيْــفَ أَنْسَاهُ شَهِيْداً مَـاتَ مِنْ أَجْلِ الْبِلاَدِ؟
وَقَضَى الْعُمْرَ بَعِيْــداً فِي مَيَـادِينِ الْـجِهَـادِ[2]

اتسهل السّائحيّ قصيدة الرّثَائِيَّة،وهو واقف على الشّهيد تساؤلات، تُبِين عن العجز،والقهر وضعف النّفس حيال عظمة الشّهيد وتضحياته،فالشّاعر يتساءل عن أيّ دمع؟ أو أيّ لحن؟ يمكنه أن يطفئ لوعته فراق الشّهيد له في نفسه،وكيف يمكنه أن يبكي أو يغني وهو يحمل فؤادي في يده؟ مستسلماً لضعفه قلب،من شدة الحزن والآسي الغائر في ذلك الفؤاد المكلوم بسبب موت الشهيد، والذي لا يقدر على نسيانه،لأنّه مات من أجل تحرير البلاد التي ينعم فيها الشّاعر ويستظل بظلال استقلالها.

يظهر من خلال النّماذج المقدمة حرص الشّعراء على مواكبة أحداث عصرهم الدّاعية للرثاء وحزنوا مع المحزونين في أحزانهم،ولم يفوتوا فرصة التّآسي مع من فَقَدَ عزيزاً،ولا لحظة حرجة لمدّ يد العون مع من ألمت بها النكبات، فبكوا على الشّهداء،وتألموا لخراب العمران بسبب الزّلازل وغيرها.

1-عاشور فني، الكتاب الجزائريون (قاموس بيوغرافي)،مرجع سابق، ص ص 180،181.

2- محمّد الأخضر السّائحيّ، همسات وصرخات، موفم للشر، الجزائر،2010م، ص ص139،140.

ثالثا–المبحث الثّالث:نماذج من الرّثاء في الشّعر الجزائريّ المعاصر من الاستقلال حتّى القرن21م

كثيرة هي الدّواوين والقصائد التي أُلِفَتْ في الرّثاء بعد الاستقلال،حيث استمر الشّعراء الجزائريون يحررون أشعارهم في كلّ ما حرّك أشجانهم،وفاضت من بسبب عبراتهم،واعتصرت قلوبهم بالأحزان،ومرارة الوجد،وتأثرت حزناً على حالة سيئة،أوموتة مفاجئة،أوفراق صّعب أوضياع مؤلم، ناقلين للقارئ تجاربهم المختلفة والمتنوعة في موضوعاتها،وعناوينها وأنواعها:كرثاء العلماء/رثاء المدن /رثاء الأدباء والشّعراء/رثاء الرؤساء والزّعماء/رثاء النّفس/رثاء الأوطان....الخ،وهم يعيشون تلك اللّحظات العصيبة على نفوسهم،حيث جاءت أعمالهم الإبداعيّة ودواوينهم الشّعريّة، متضمنة قصائد للرّثاء،بل أفردوا بعض الدّواوين للأحزان والأشجان،وصاغوا لها عناوين صريحة،وأخرى رمزيّة موحيّة، لما اعتلج نفوسهم، وقلوبهم من مآسي وآلام وأحزان، ومايسيطر على نفوسهم من حزن وضيق،وما وَجِمَ على أفئدتهم من غمّ وهمّ،ومن تلك العناوين الدّالة على الأحزان،والمحمّلة بِكُلُومِ النّفوسِ،وحَشْرَجَةِ الصّدور،ما نقرأه في الجدول البيبليوغرافي التّالي:

عنوان الدّيوان الشّعريّ	صاحب الدّيوان	تاريخ الطبع
الرّماد	عبد الله شريط	1969م
انفجارات	أحمد حمدي	1977م
زمن الرّحيلِ	عبد الواحد باشوات	1980م
بكاء بلا دموع	محمّد أ السّائحي	1980م
قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا	سليمان جوادي	1985م
التّراويح وأغاني الخيام	أحمد الطيب معاش	1986م
أحزان غابة الصبار	أحمد عاشوري	1986م
مواويل للعشق والأحزان	بوزيد حرز الله	1986م
مآسِي!! وأين الآسِي؟؟	علي بن صالح	1988م
الشّهيد المتأخر	سليمان شريفي	2002م
رسائل في الحب و الألم	محمّد مقروف أحمد	2002م
بكائيات الأوجاع وصهد الحيرة في زمن الحجارة	عقاب بلخير	2003م
دواوين الزمن الحزين	أحمد الطّيب معاش	2005م
تجليّات في زمن المنفى	محمّد شايطة	2007م
نفثات جراح	عامر شعباني	2007م

مراثي الماء	عبد الحميد شكيل	2007م
ادم ينحت حزنه	أحمد بن المهدي	2010م
آلام حامد الهواري	أحمد عاشوري	2013م
أهازيج الذّاكرة	لرابح إيصافي	2017م
أسوار ومارايا	م الطّاهر عيساني	2017م

(الجدول رقم01: بيبليوغرافيا لعناوين شعريّة جزائريّة)[1]

احتوت هذه المدونات الشّعريّة[2]وغيرها من الدّواوين ذات الموضوعات المتنوعة على الكثير من القصائد المصنفة ضمن غرض الرّثاء- أوما عضّده في الحسّ المأساويّ-وفي أنواعه المختلفة،كما أسلفنا الذّكر،إذ يقرأ المتلقي في تلك المنجزات الشّعريّة قصائد منفردة،أومتعددة بعناوينها المستقلة،أويلفيها في مجموعة من القصائد،يخصص لها الشّاعر جزء مستقلاً تحت عناوين فرعيّة،في ديوانه وأعماله،نحو: (بكائيات/مراثي/مرثيات/رثائيات/تفجعات/فواجع/الأحزان...)،وسيتم الاكتفاء ببعض الأنواع الرّثائيّة كنماذج تمثيلاً للفترة المعاصرة من الشّعر الجزائريّ المعاصر،بدء من فجر الاستقلال:

1-رثاء العلماء والأدباء:

ظلّ هذا النّوع من الرّثاء قائماً في عُرف الشّعراء الجزائريين المخضرمين والمعاصرين،حيث تناولوه في مؤلفاتهم الشّعريّة،سالكين نهج من سبقهم في الإفصاح عن تأثر بسمع أنباء العلماء،ونفاذ صبرهم على فقدهم وفراقهم،وذكر أخلاقهم وخصالهم،والتّذكير بمناقبهم ودورهم في حياتهم،والدعوة إلى الاحتفاء بهم،ونشر سيرهم بين الناس رغبة في الاقتداء بهم،ثمّ الدّعوة لهم بالرحمة،والمغفرة،وسؤال الله أن يكرمهم بخير الجزاء،كرماً لصنائعهم للمعروف، وإحسانهم للنّاس.ومن ذلك الرّثاء،نقرأ التّاليّ:

توفي الإمام عبد الحميد بن باديس يوم 16أبريل 1940م،وصار هذا اليوم يوماً وطنيّاً تُنَظَّمُ فيه احتفالات بهيجة احتفاء بالعلم،وإحياء لذكرى الشّيخ عبد الحميد عبر الأجيال،وتكريماً للأهل العلم من معلمين وأساتذة وطلبة، وتُبَرْمَجُ في تلك الاحتفالات الرّسميّة والمعروفة "بعيد العلم" فقرات تلقى فيها الأناشيد والقصائد المتنوعة في إغراضها الشّعريّة، بين الإشادة والمدح، والشّوق والحنين،والرّثاء،ومما نقرأه في الرثاء مرثيّة محمّد الأخضر السّائحيّ في الإمام عبد الحميد،اختار لها عنوان"زارع النّور"، ألقها في الذكرى الـــ25، الموافقة لـــ16 أبريل 1965م تكريماً واحتفاء به، يقول فيها:

1- من عمل الطّالب.

2-دواوين شعريّة تنوعت فنيّاً في طرائق نشرها،حيث نجد منها ما اعتمد فيها القالب الشّعر العموديّ الصّرف،ومنها ما عرض في قالب شعر التّفعلة دون سابقه، ومنها ما مازج بين القالبين، بحسب مقدرة كلّ شاعر وتجربته الشّعريّة وخبرتها الايداعيّة.

دَعْ الْأَمْسَ وَانْظُرْ مَـعِي فِي غَدٍ فَنَحْنُ هُـنَاكَ عَـلَى مَـوْعِـدٍ
أَلَـمْ نَعْشَقْ الـفَجْرَ قَبْلَ الطَّلُـوْعِ وَنَهْتِفُ لَهُ فِي لَظَى الْمَوْقِدِ؟
وَنَضْحَكُ لَهُ مِنْ خِلَالِ الدُّمُـوعِ وَنَـمْشِي إِلَـيْهِ يَداً فِـيْ يَدٍ؟
وَمِـنْ أَجْلِهِ قَـدْ أَرَقْـنَا الـدّمَـاءَ وَثُـرْنَا لِنَـعْصِفَ بِالْـمُعْتَدِي؟
وَقَـامَ ابنْ بَادِيسَ يُـزَكِّـي الشُّعُورَ وَيَبْـنِي الْـمَشَاعِرَ فِي الـمَسْجِدِ
لَـهُ اللهُ..مَـا لَامَـسَتْ رُوْحُـــهُ فُـؤَاداً شَقِيّاً وَلَـمْ يَـسْعَـدِ![1]

يخاطب محمّد الأخضر السّائحي في مطلع هذه المرثيّة المتلقي،ويدعوه للتّخلي عن التّفكير في الأمس المظلم القاتم بجرائم الاستدمار الوحشيّة والبشعة،وينظر في غدٍ كي يستقبل هو وباقي أبناء الوطن الموعد المرتقب،ثمّ يقدّم له أسئلة لتذكيره بأنّهم حلموا وعشقوا الفجر قبل طلوعه،وهنا يرمز الاستقلال والذي تحقق-بفضل الله-يوم 05جويلية 1962م،وقد يهتفون باسم أيّام الثورة المباركة والتي دامت سبع سنوات،وكانت ناراً تعصف بالظالمين المعتدين،وأريقت فيها دماء الأبرياء،وارتق منهم الشّهداء، وضحكوا في بدموعهم بشوق وحرارة من أجله.

نعم لقد كان كلّ ذلك، وما كان ليتحقق،لولا غيرة أبناء الوطن المخلصين، ومن أبرزهم الإمام عبد الحميد بن باديس الذي أفنى عمره من أجل تعليم النّاس،ويزكي شعورهم،ويقوي انتماءهم لدينهم وتحبيبهم في وطنهم، وبناء مشاعرهم، ونشر الوعي بينهم،متخذاً المساجد مكان التقائهم صباحاً ومساء، إذ تعجب الشّاعر من تأثير كلمات الشّيخ في أرواح النّاس، بل عدّ شقيّاً كلّ فؤاد لم يسعد بها،ثمّ محمّد الأخضر السّائحي مناديّاً ومخاطباً:

أَبَـا اللَّـهَبِ الْقُـدْسِي السَّنَا وَيَـا زَارِعَ النُّور فـي الأَضْـلُعِ
أَتُـطْبِقُ جَـفْنِيكَ قَـبلَ الشُّـرُوقِ وَقَـدْ كُنْتَ تَـرْنُو إِلَى المطْلَعِ؟
لَقَدْ أخصَبَ الـرَّوضُ بعد الجفَافِ وَأَمْـرَعَ مِنْ غَيْـثِكَ الْـمُمْتِعِ
وَأَيـنِعَ زَهْـرُكَ فِـي كُـلِّ حَـقْلٍ وَأَثْـمَرَ غَرْسُـكَ فِـي الْأَربَعِ
فَـهَذِي بِـلادُكَ مِـلْءُ الْوجُـوهِ وَشَـعْبُكَ فِـي المقَعَدَ الأَرْفَعِ
وَذَا اسْـمُكَ أُنْـشُودَةُ الـثَّائِرِيْـنَ وَأَغْـنِيَّةُ الْـقَلْبِ وَ الْـمَسْمعِ[1]

1-محمّد الأخضر السّائحيّ، همسات وصرخات، المصدر السّابق، ص ص 151،152.
1-المصدر نفسه،ص 152.

يرفع محمّد الأخضر السّائحيّ مكانة ومقامه مناديّاً بـ(أبا اللّهب المقدس السّنا)،ويعني:بـ "اللّهب المقدس"الثّورة التّحريريّة المظفرة المندلعة في الفاتح نوفمبر 1954م،كما ناداه بـ(زارع النّور)، سائلاً إيّاه في تعجب قائلاً:"أتطبق جفنيك قبل الشروق؟)،وهو يشير إلى موته التي سبقت الاستقلال الذي كان يتطلع إليه في حياته،وكيف لا وهو القائل في قصيدة المشهورة "شعب الجزائر مسلم":

يَـا تَـشْءٌ أَنْـتَ رَجَـاؤُنَـا وَبِـكَ الصَّـبَاحُ قَدْ اقْتَرَبْ
خُـذْ لِلْـحَيَاةِ سِـلَاحَـهَـا وَخُضْ الْخُطُوبَ ولاَ تَهَـبْ
هَـذَا نِـظَامُ حَـيَاتِـنَا بِالـنُّورِ خُطَّ وَ بِاللَّـهَبْ
حَـتَّى يَـعُودَ لِقَـوْمِـنَا مِـنْ مَجْدِهِمْ مَا قَدْ ذَهَبْ
هَـذَا لَـكُمْ عَـهْـدِي بِـهِ حَتَّـى أُوَسَدَ فِي التَّرَابْ[1]

ثمّ يواصل الشّاعر محمّد الأخضر السّائحيّ لطمئن الإمام عبد الحميد على تحقيق أمانيه، مؤكداً على اكتمال زرعه في الحقول، وإيناع زهورها،وإثمار غرسه في كلّ ربوع الوطن،وصارت البلد مدين له،فالكل سعيد بشروق الفجر،ومتنعم بالاستقلال،وبرم بابتهاج النفوس،واستبشار الوجوه،وتبوأ الشّعب المقام الرّفيع بين شعوب العالم، نظير تضحياته الجسام،وصار اسم الإمام عبد الحميد أنشودة للثّوار وأغنية للمحبين وفي آذان السّامعين:

لَقَدْ أَخْصَبَ الـرَّوْضُ بَعدَ الجفَافِ وَأَمْـرَعَ مِنْ غَيْـثِكَ الْـمُمْتِعِ
وَأَيْـنَعَ زَهْـرُكَ فِـي كُـلِّ حَقْلٍ وأَثْـمَرَ غَرْسُكَ فَـي الْأَرْبَـعِ
فِـهذي بِـلادُك مِـلءُ الوجُـوهِ وَشَـعْبُكَ فِـي المقعَدِ الْأَرْفَـعِ
وَذَا اسـمُكَ أَنْـشُوْدَةُ الـثَّائريْـنَ وَأُغْـنِيَّةُ الْـقَلْبِ وَالْـمَسْـمَعِ[1]

وقد سبق الأديب موسى الأحمدي نويوات الشّاعر محمّد الأخضر السّائحيّ،والذي ألّف قصيدة وسمها بـ"ومن ذا يرد سهام القدر"،ألقها في ذكرى سابقة مماثلة أقيمت بمدينة قسنطينة تمثلت في الاحتفال السّنويّ بذكرى المرحوم الإمام عبد الحميد،حضره جمع غفير من النّاس المحبين والمتأثرين بشخصية الإمام ابن باديس،حيث أشرف على هذا الاحتفال البهيج خلفه الشّيخ محمّد البشير الإبراهيميّ.

نرشح من تلك المرثيّة الأبيات التّاليّة:

1-محمّد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، ارشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، المرجع سابق،ص ص 279،280.

1-محمّد الأخضر السّائحي، همسات وصرخات،المصدر السّابق، ص 153.

أبُـو النَّشءِ والشَّعْبِ عَبْدُ الْـحَمِيدِ فَـقِيْدُ الْـجَزَائِرِ ذَاكَ الْأَبَـــر
بِـ(سِيـرْتَـا) رَسُـــولُ الْـــفَنَا زَارَهُ وَأَنْـشَبَ فِـي الْعِلْمِ أَظْـفَارَهُ
أَصَـــــابَ الْـــقَضَا فِـيْهِ أَقْـمَارَهُ وَمَـنْ ذَا يَـرُدُّ سِهَامَ الْقَـدَرِ؟[1]

ينعت الأديب موسى الأحمدي نويوات الشيخ عبد الحميد بن باديس بقوله:(أبو النشء والشّعب) وبـ(فقيد الجزائر) لأنه الأبــر.فقد جاء ملك الموت زائراً وحمل معه روح العالم،مصيباً بذلك قمرا من أقمار العلم البارزين،وقد استجاب الإمام للقضاء الذي لا يقدر أحد على رد سهامه.

راح يعدد الأديب نويوات خصال ومناقب الشيخ عبد الحميد،خصلة خصلة،ومنقباً منقباً، مبيّناً بأن أبلغ غايات حياته كانت توظيف عبقريته خدمة لدينه ووطنه ومبادئه،فسعى في نشر علمه ليعمّ الوعي، وينعم النّاس بالسّعادة والحياة الكريمة بعد تقديمه للتّضحيات المكافأة لتلك الغايات النّبيلة، ولذا التفت نويوات مناديّاً النشء قائلاً:

لِأَجْلِكَ يـَا –نَشْءُ– كَان الفَقِيَدُ يُـكِـدُّ لِتَحْيَا وَتَبْـقَى سَعِيْدُ
وَتَـــرْجِـــعُ ذَاكَ التُّـرَاثَ التَّـلِيْـدَ تُـرَاثُ جُـــدُودٍ كِـــرَامٍ قَـبْرٍ
فَـيَا نَشْءُ سَعْـياً وَكُـنْ ذَا ثَـبَـاتٍ وَهَبْ سِرَاعاً إِلَـى الصَّالِحَاتِ
فَـــهَاهُـــوَ رَكْبُ بُغَـاةِ الْـــحَيَـاةِ يُـغَذِ الْـمَسِيَر فَكُنْ فِي الْآثـرِ[2]

يخبر الشّاعر النّشء بأنّ الشّيخ عبد الحميد أفنى عمره من أجله،ليحيا سعيداً ويبقى من بعده ويُرْجِعَ التّراث التّليد الذي خلّفه الأجداد الكرام،والمقبور نتيجة لأفعال المغرضين،ويكتشف الحقائق المستورة، ثـمّ يطلب من النّشء أن يسعى إلى الخيرات في عزم وثبات،ويسارع لفعل الصّالحات فذلك هو طريق من أرادوا الحياة وتجشموا أعباءها،لِيَقْوَوا على المسير فيها،ثـمّ يوصيه بأن يلزم طريقهم وآثارهم مقتدياً بسيرهم وأفعالهم.

انتقل إلى رحمة الله الشّيخ العلامة محمّد البشير[1] إلي ربه يوم 20ماي 1965م،فانهمرت دموع المحبين حزنا عليه، وسالت أقلام الشعراء ودونت مراثي في شأنه فراقه والفراغ الرّهيب الذي تسبب فيه رحيله،وهوها الشّاعر محمّد الأخضر السّائحي،يرتجل قصيدة يوم وفاة الشّيخ عنونها"ليس هذا السكون موتاً"،يقول فيها:

1- نجيب بن خيرة، الأديب موسى الأحمدي نويوات حياته وآثاره،دار البصائر للنّشر والتّوزيع،الجزائر،2009،ص140.

2-المرجع نفسه، ص 141.

1- وأحد من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين1931م، والخليفة الأول لرئيسها الأول الشّيخ الايمام عبد الحميد بن باديس وسيتم التّفصيل في ترجمته لاحقاً،بعون الله.

أَيُّـهَا الرَّاحِلُ الْـمُقِيْمُ سَلَاماً طِبْتَ فِـي الأرضِ والسَّمَاءِ مُقَاماً
أَنْتَ مَـازِلْتَ هَـاهُنَا وَسَتَبْقَى تَتَـحَدَّى الـزَّمَانَ عَـاماً فَـعَاماً
لِيْسَ هَذَا السُّكُونُ مُوْتاً وَلَكِنْ رَاحَـةٌ تَـسْتَعِيدُ فِـيْهَا السَّلَاما[1]

يخاطب السّائحيّ الشّيخ الإبراهيميّ ملقيّاً عليه التّحيّة،ومبشراً إيّاه بالمقام العالي بين أهل الأرض وعند أهل السّماء،ويعلمه بأنه مازال باق حي في قلوبهم،يتحدى الزّمان بعدم النّسيان،نافياً له أن يكون غيابه وسكونه موتاً،بل هو راحة لاستجماع القوى والأنفاس لموصلة النّشاط.

ومن العلماء الذين أفرد له الشّعراء الجزائريون على غرار غيرهم من الشّعراء العرب،الشّيخ العلّامة محمّد الغزالي[2] يوم 9 مارس 1996م في الرّياض في السّعوديّة،حيث رثاه الإمام محمّد شبيي[3] في ديوانه الشّعريّ ((واسطة العقد))،مؤلفاً في شأنه مرثيّة أسماها"مقطوعة تعزيّة ورثاء"،يقول في أبياتها:

حَـمْداً صـلاةً وَسَـلَاماً مَـنَّا يَـا رَبَّنَا رُحْـمَاكَ لَا تَتَـرُكْـنَا
وَبَـعْدَ ذِي تَعْـزِيَـةٍ فَـرْدِيَّـةٍ أُلْـقِي بِـهَا بِـضَاعَةً مُزْجِـيَّةً
تَـرَحُّماً عَـلَى الذِي فَـقَدْنَـا شِيْـخاً وَعَالِـماً بِهِ افْتَـخَرْنَا
لَـقَدْ مَـضَى لِدَارِ رَبِّـي الْبَاقِيَّةِ مُـحَمَّدٌ الْغَزَالِي ذَاكَ الدَّاعِـيّة[4]

استهل الإمام الشّاعر محمّد شبيي-رحمة الله- مقطوعته الرّثائيّة بالحمد والثّناء على الله والصّلاة على رسول الله محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وبعد ذلك يقدّم تعزيته الشّخصيّة الفرديّة،مع اعترافه أنّها بضاعة قليلة،حَمَّلَها دعاء التّرحم على الفقيد الشّيخ محمّد الغزالي،والذي يفتخربه، لكونه عالماً دعيّةً،ويعزّيه بسبب رحيله إلى دار البقاء.

أمّا عن حظّ الأدباء الرّاحلين إلى العالم الأبد من الرّثاء في الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر، فإنّه لا يكاد يخلو عقد من عقود هذا العصر،إلّا ووشّحه الشّعراء الجزائريون بإبداعاتهم الشّعريّة التي ظلّت شاهدة على تأثرهم العميق برحيل أولائك الأعلام،ومن أمثلة ذلك نجد قصيدة"وداعاً شيخنا موسى الأحمدي نويوات" للشّاعر أحمد معاش الطّيب،يرثي فيها الأديب موسى الأحمدي نويوات

1-محمّد الأخضر السّائحي، همسات وصرخات،المصدر السّابق،ص157.

2-الشّيخ محمّد الغزالي هو أحد أشهر الدّعاة إلى الإسلام في القرن العشرين، ولد عام 1917م وتوفي 1996م، له العديد من المؤلفات منها:الطريق من هنا، قذائف الحق، الحق المرّ، جدد حياتك، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة وغيرها.

3-محمّد شبيي شاعر أصله من منطقة أدرار...كان إمام بلدته،توفي أثناء انفجار فنبلة مدينة الاربعاءالتي خلفت 38 ضحيّة في 5جويلية2002م،ترك ديواناً شعرياً "واسطة العقد"،وقصة قصيرة "اللؤلؤة المنيرة"،ينظر:عاشور فني،الكتاب الجزائريون،ص208.

4- محمّد شبيي،واسطة العقد،منشورات التبيين/ الجاحظية سلسلة الإبداع الأدبي، الجزائر،2001م،ص50.

المتوفى في 17 فيفري 1999م، وهي مرثيّة نشرت بجريدة النّصر يوم 20 فيفري 1999م، يقول فيها:

أَعَلَى الْأَحْمَدِي تَبْكِي الْقَوَافِي أَمْ عَلَى صَاحِبِ ((المتَوسِطِ الْكَافِي))[1]؟
أَمْ عَـلَى رَاحِـلٍ بِـدُوْنِ وَدَاعٍ لِـكَـرِيْـمٍ مُـحَدِّثٍ مِـضْـيَافٍ؟
وَهَبَ الْعُمْرَ لِلْمَدَارِسِ وَالْـعِلْمِ وَرَبَّـى الْبَـنِـيْـنَ بِـالْآلَافِ
إِسَأْلْ (الْبُرْجَ) عَنْ حَبِيْسٍ يَرَكُنُ أَخْـرَجَ الْـجَيْلَ مِـنْ ظَلَامٍ غَدَّافِـي
(جَاحِظُ) الْعَصْرِ قَدْ نَعَاهُ يَرَاعٌ كَانَ يَطْوِي(الْبُحُورَ) كَالْمِجْـدَافِ[2]

يتساءل أحمد الطّيب معاش عندما بلغه خبر وفاة الأديب نويوات،هل تبكي قوافي المرثيّات على موسى الأحمدي الإنسان صاحب الشّخصيّة المتميزة ؟ أم تبكي على صاحب"المتوسط الكافي"،وهو أحد مؤلفات الشّيخ المشهورة عنه،لقد وهب عمره في التّدريس والتّعليم،كان حريصا على نشر الوعي بين أبناء الجيل،ولقد نعته بلقب"جاحظ العصر"،إشارة إلى شدة تعلقه بالكتب ومطالعتها، وتأليفها، ولذا نعاه قلمه عرفاناً له بالتّبحر في العلوم.

ونجد الشّاعر سليمان جوادي[3] يرثي الشّاعر اللّبنانيّ خليل حاويّ(1919-1982)،في قصيدة حملت عنوان" قراءة جديدة لـ(رسالة الغفران)إلى روح الشّاعر(خليل حاويّ)،والذي مات منتحراً يوم 06 جوان 1982م،يقول سليمان جوادي في شأن رثائه:

البُعْدُ:
عِنْدَمَا فَارَقَ الشِّعرُ ذَاتَ شَقَاءٍ
حِمَى شَاعِرٍ عَاشِقٍ
أَمْسَكَ هَذَا الشَّقيُّ مُسَدَّسَهُ هَكَذَا
طَاخْ ..
مَاتَ «حَاوِي».[1]

1 - العنوان الكامل للكتاب هو: المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي.

2- نجيب بن خيرة،الأديب موسى الأحمدي نويوات حياته وآثاره،مرجع سابق، ص305.

3-سليمان جوادي:شاعر جزائري من مواليد 1953م بولاية الوادي في الجنوب الشّرقيّ الجزائريّ،له العديد من الدّواوين الشّعريّة.

1-سليمان جوادي،الدّيوان السّادس رصاصة يطلقها حمه لخضر (مخطوط) ،ص51.

من خلال هذه المقطوعة والمبدوءةبكلمة(البعد))،والتي تكتنز في محتواها رموزاً ودلالات لاحصر لها،يُظهر سليمان جوادي تعجب من مصير الشّاعر خليل حاوي،والذي لم يتحمل الأوضاع المحيطة به،وشدة المعاناة التي كان يقاسها، والتي لم يهتد لحلها إلى بالبعد،وأيُّ بُعَدٍ ياترى؟ الذي كانت نهايته الانتحار برصاصة من مسدسه.إنّه حال بحق يدعو للرّثاء.

لقد كان تأثر الشّعراء بفقد الأدباء في هذه الفترة بليغاً،حيث سجلوا تلك السّاعات العصيبة على النّفس،إذ نجد البعض منهم يُوَثِّقُ حتّى لحظات الاحتضار،كما قيدها الشّاعر محمّد شايطة في ديوانه الموسوم بـ((تجليّات في زمن المنفى))، وهو ينشر من خلاله مرثيته الموسومة بعنوان"وقفة على دروب الاحتضار"،أهداها إلى روح صديقه الأديب الرّاحل شريف شناتليّة[1]،يقول فيها مصوراً مشهد الاحتضار:

مِثْلُ أَوْرَاقٍ ذَلِكَ الْخَرِيْفِ هَوَى صَاحِبِي
وَهَوَتْ خَلْفَهُ
وَشْوَشَاتُ الْعَصَافِيْـرُ وَالسَّاقِيَّهْ
مُثْلُ تِلْكَ الْغُـيُومِ
بَكَى صَاحِبِـي
مَطَـراً، دَمْعَةً حَانِيَّهْ
كَأْنِيْـنِ الدُّجَى
عَاشَ مُنْـزَوِيّاً
يَعْشَقُ الظِّلَ يَهْفُو
مَعَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمَةِ النَّائِيَّهْ
لَـــمْ تَمُتْ فِيْهِ أُنْشُودَةُ الْفَجْـرِ لَكِّنْ
رَمَى الْبَحْرُ فِي رَوْحِهِ
مَوْجَةَ الْيَأسِ وَالْلَوْعَةَ الدَّامِيَّهْ[1].

1- شريف شناتليّة من مواليد 1955 بعيد البيضاء ولاية أم البواقي، كاتب وشاعر وقاص وروائي، نشرت بعض أعماله (قصص قصيرة، قصائد شعريّة...)، توفي عام 1997م. ينظر:مدونة عين البيضاء التّاريخ والحضارة،نشر بتاريخ:29أوت 2016م، http://ainbeida04.blogspot.com/2016 ،أطلع عليه يوم: 20جويلية2024 ،على السّاعة: 20:30.

1- محمّد شايطة،تجليّات في زمن المنفى،المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعية،وحدة الرّغايّة-الجزائر،2007م، ص07.

إنّها لحظات جدّ حاقنة، أن يرى فيها الشّاعر محمّد شايطة صاحب الأديب شريف شناتليّة يهوى على الأرض كأوراق الخريف المتهاوية،دون أن يُعْلِمَ أحداً من حوله، وبسقوطه المفاجئ تهوي خلفه كلّ الأصوات الجميلة الصّادرة من حنجرته،وصرير قلمه الشّادي كزقزقة العصافير، وخرير المياه الرّقراق في السّواقي،بل كان في حياته يبكي كبكاء الغيوم الحزينة،بكاء مثخناً بالإشجان ومثقلاً بالأحزان والآلام،زاد في وطأته عزلته،حيث عاش يعشق الظلّ والظّلام حتّى رحل.

يواصل محمّد شايطة تصوير ذلك المشهد المشحون بالحزن والأسى والارتباك،لا صوت يعلو من خلاله إلّا صوت الآهات الحزينة،وأنين الأسى المؤلم،وأنات التّفجع،وهو يعيش لحظة فراق لصديقه، حيث يقول متسائلاً عن حاله:

كَمْ تَتَفْجَرُ أَوْدَيَّةُ الْقَلْبِ
كَمْ يَتَوَسَدُنِي الْحُزْنُ
تَنْتَابُنِي الرَّعْشَةُ الْقَائِمَهْ
وَأُجِيْبُكَ
هَذِي الْمَسَافَاتُ تَعْبُرُنِي
وَالتَّفَجُّعُ يَعْبُرُنِي
وَالْأَسَى مِلْءُ أَوْرِدَتِي الْمُظْلِمَهْ
آهٍ يَا جُرْحُنَا الْمُسْتَبَاحُ
وَيَا نَبْضَتِي الْمُؤْلِمَهْ[1]

لقد تفجرّت أوديّة قلبه وتوسده الحزن،وانتابته الرّعشة من أخمص قدمِيْه،وعبَرَهُ التّفجع،وامتلأت أوردته بالآسى،حتّى تأوه بجرحه المستباح، وزداد نبضات قلبه من وطأة الألم،كلّ ذلك دليل على درجة الحبّ التي يكنّها والمكانة الرّفيعة التى بلغ الأديب شريف شناتليّة في قلب الشّاعر محمّد شايطة، وقد أفصح عنها في قوله:

مُتْعِبٌ يَا أَنَـا
وَطُيُورُ الصَّبَاحِ الْتِي
بَدَّدَتْ غُرْبَتِـي

1-محمّد شايطة،تجليّات في زمن المنفى، المصدر السّابق،ص ص07،08.

هَاجَرْتَ وَاحَتِـي
وَالشُّجُونُ غَدَتْ
مَطَراً جَارِحاً
فِـي فُـؤْادِي
وِفِـي مُهْجَتِـي الْهَائِمَهْ[1]

إنّ وفاء محمّد شايطة للرّاحل الفقيد شريف شناتليّة،دفعه أن يراه كنفسه،حينما خاطبه مناديّاً "يا أنا"، إنّها عبارة لا تدعى مجالاً للتّساؤل ولا للبحث عن درجة حبّه له،فهي تفصح وبوضح عن شدّة حبّه الأصيل،والمتأصل والصّادق والخالص في فؤاده وعقله المتألمين الحزينين.

وأمّا الشّاعر أحمد عاشوري فقد راثى الأديب نفسه الرّاحل شريف شناتليّة في مرثيّة عنوانها"مات الشّريف"، يخاطبه مناديّاً:

أَيُّهَا الشَّرِيْفُ! جَزَائِرِيٌّ بِأَنْفِ أَوْرَاسِي
كَمْ كُنْتُ أَحْلُمُ أَنْ أَلْقَاكَ!
كُمْ كُنْتُ أَحْلُمُ أَنْ أَشُمَ رَائِحَةَ الزَّعْتَـرِ فِيْكَ!
كَمْ كُنْتُ أَشْتَهِيْتُ أَنْ أَهْدِيْكَ قَلْبِـي كَتُفَاحَةٍ حَمْـرَاءَ!
لَكَنَّكَ كُنْتَ تَـرْكُضُ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ كَكُلِّ الْفُرْسَانِ الشُّجْعَانِ![2]

ينادي الشّاعر أحمد عاشوري الأديب شناتليّة،باسمه الشّخصيّ، وجنسيته الوطنيّة، ونسبته لمسقط رأسه، ناقلاً إليه أمنيته في لقائه وحلمه بأن يشم رائحته، وما يشتهيه تجاهه، لكّنّ "الشّـريف"كان يركض بسرعة فائقة لا يطيقها إلّا الفرسان مثله،لـم يتمكّن أحمد عشوري من الوصول إليه،ثمّ يسترسل الشّاعر في نداءاته، قائلاً:

أَيُّهَا الْأَخْضَرُ الْأَبْيَضُ الْـمُزَرْكَشُ بِالْأَغَانِي!
أَيُّهَا الرَّجُلُ الرَّاحلُ بِوَقَارِ الْكِبَارِ! كَمْ وَدِدْتُ أَنْ أَرَاكَ!
كَمْ وَدِدْتُ أَنْ أُقَـبِّـلَكَ! كَمْ وَدِدْتُ...لَا أَسْتَطِيْعُ... إِنَّنِـي أَبْكِيْكَ
.. صَعْبٌ أَنْ نَـمُوْتَ،وَنَحْنُ فِـي هَيَجَانِ الْأَغَانِي![1]

1-المصدر نفسه،ص ص 08،09.

2- أحمد عاشوري،آلام حامد الهواري نصوص شعرية وغيرها،موفم للنشر،الجزائر،2013،ص47.

1- المصدر نفسه،ص48.

في هذه المقطوعة الشّعريّة ينادي أحمد عاشوري صاحبه "الشّريف شناتليّة"،واصفاً إيّاه بنعوت هي:"الأخضر/الأبيض/المزركش بالأغاني/الرّجل/ الرّاحل بوقار الكبار"،ليؤكد له عن أمانيه في رؤيته، وشغفه في اللّقاء به،لكّنّه لايستطيع فعل ذلك بسبب موت الأديب،واكتفي الشّاعر عشوري بالبكاء والنّحيب واستصعب الموت الذي حال دون التقائهما وهما في قمة الاستمتاع والفرح.

2- رثاء الـرّؤساء والزّعماء والقادة:

لم يغفل شعراء الجزائر في فترة ما بعد الاستقلال إلى يوم النّاس هذا، رثاء الرّؤساء والزّعماء الذين فقدتهم شعوبهم،وتركوا فراغاً رهيباً في نفوس الأتباع والمحبين،بل صار بعضهم إيقونة للبسالة والشّجاعة والتّضحيّة والإقدام،واتخذ معلماً، يشار إليه بالبنان،في كلّ زمان ومكان،بل يُذكر عند حالة الإحباط،والضّعف والخور،والشّعور باليأس لتقويّة النّفوس وشحذ الهمم.

ومن الرّؤساء الذين نُظِمَتْ في شأن موتهم وفقدانهم مرثيّات،الرّئيس الجزائريّ ((الهواري بومدبن))[1]،إذ نجد مرثيّة"نفديك ...يا بطل الحمى" للأخضر عبد القادر السّائحيّ، ومرثيّة"تلزمني لغة...تحترق الاحزام"للشّاعر جروة علاوة وهبي، ومرثيّة "صرخة أسى" للشّاعر شرفي عمار،وغيرهم كثير،خصوصاً إذا تَـمّ الالتفات لإسهامات شعراء الوطن العربيّ المتأثرين بالفاجعة،وتحريرهم لقصائد رثائيَة تضامناً مع الشّعب الجزائريً في محنته ومصابه الجلل،كمرثيّة"أبا الشّهداء...لاتحزن"الشّاعر الفلسطيني فهيم يوسف،ومرثيّة"الصّباح الأسود" للشّاعرة السّوريّة لفاطمة مها غريب،وغيرهما.

ومما جاء في رثاء الهواري بومدين في الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر،وراثه به محمّد الأخضر عبد القادر السّائحي في قصيدته المعنونة بـ"الذي عاش من أجل الجزائر"،إذ يقول متسائلاً:

بِـأَيْ لِسَـانٍ أُنْطِقُ الْيَوْمَ بَاكِـيّاً وَقَـدْ عَـقَدَ الْخَطْبُ الْمُرَبِّعُ لِسَانِيَّا
وَهَبَ لِي لِسَانٌ كَيْفَ أَمْلِكُ أَمْـرَهُ وَكَـيْفَ أُلَاقِـي فِي الْمُصَابِ بَيَانِيَّا؟
وَأَيْنَ الْذِي تَـرْجُوهُ مِنِي مِنْ الْذِي أَرَاهُ أَمَـامِي أَوْ آرَاهُ وَرَائِـيَّـا
أُقَـلِبُ عَـيْنِـي لَا أَرَى غَيْـرَ ذَاهِـلِ يُـقَلِبُ كَـفِـيْهِ وَيَنْـظُرُ سَاهِـيَّا
وَآخَـرُ مَشْـدُوْهاً مِنْ الْـحُزْنِ هَائِماً تَـمَايَلَ مُنْهُوكـاً وَأَجْهَشَ بَاكِـيَّا

1-هواري بومدين(1932-1978م):"رئيس الجمهورية الجزائرية،وأحد زعماء الجزائر ممن تركت لهم الحوادث ذكراً في تاريخ العرب المعاصر، ولد بقرية ((قالمة)) من قرى الشّرق الجزائريّ،التحق بالجامعة الزّيتونية،وبالجامع الأزهر،....انتخب باستفتاء عام (1976)رئيساً للجمهورية، فكان رجل الجزائر،ولسانها،وموضع ثقتها...له آثار عمرانيّة وصناعيّة وثقافيّة توفي بمدينة الجزائر"، ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر،مرجع سابق ،ص ص61،62.

وَاسْـمَعُ مِثْلَ الـرَّعْدِ مَـلْيُونَ صَرْخَةً أَلَا عُـدْ إِلـيْنَا يَـا أَبَا الشَّعْبِ ثَانِيًّا
وَلِيْسَ كَمِثْلِ الدَّمْعِ فِي الْعَيْنِ صَادِقٌ وَلَا سَيَّمَا إِنْ كَـانَ مُبْكِـيْكَ نَـائِيًّا
هُوَ الشَّعْبُ يُعْطِي مَنْ يُحِبُّ وَلَاءَهُ إِذَا كَانَ فِي صِدْقِ النِّضَالِ(هَوَارِيًّا)[1]

لقد عجز الأخضر السّائحي عن النّطق،ولم يجد سوى البكاء لِيَتَسَرَّى به عن نفسه عن خَطْبِه الدّاهيّ،شأنه شأن باقي الشّعب الجزائريّ الذي اضطربت أحواله النفسيّة بين الباكي والذّاهل والمتأسف والصّارخ،والحزين،والهائم وما شابه ذلك من الصّور الدّالة على الضّجر والتّفجع والهلع والزّعر الشّديد،لأن الحدث لا تطيق النّفوس،فالفقيد الرّئيس أحبّ شعبه،وناضل من أجله بصدق، فما كان من شعبه إلّا مبادلته المحبة والودّ والولاء.

يعترف الشّاعر نوار بوحلاسة بنضال الرّئيس هواري بومدين في قصيدته الموسومة بـ"رجل يا أعظم الرّجال"، حيث قال:

سَـقِيْتَنَا الْـعِـزَّ كُـؤُوْسَنَا مُـلَـوَّنَـةً وَصُنْتَ مَجْدَ أُسْرَةٍ فِي عُمْقِهِ الضَّرَرُ
أَعْـطِيْـتَنَا هِـبَةَ مَا كُنْتَ تَمْلِكُهُ أَنْتَ الْأَمْتِيْنُ وَأَنْتَ الْفِيْضُ يَنْتَشِرُ
يَا قَـائِدَ الشَّعْبِ لَا مَـوْتٌ يُفَرِّقُنَا فَالْكُلُّ مِنْ فِكْرِكَ قَدْ صَارَ يَقْتَدِرُ
يَا مَنْ مَنَحْتَ شُعُوباً حَبْلَ نُصْرَتِهَا يَا مَنْ لِوَحْدِتِنَا قَدْ كَانَ يَشْـتَهِرُ[2]

في هذه الآبيات يخبر نوار بوحلاسة القارئ بأنّ الرّئيس الهواري بومدين سقاهم عزّاً،وصان مجدهم،وأكسبهم هبة ومكانة بين شعوب العالم، ثمّ يخاطبه مناديّاً "يا قائد الشّعب" ليقرّ له بأن الشّعب كلّه تَشَرَّبَ من فكره، واقتنع بتوجهه،فهو فكر يدعو للتّحرر والعزة والكرامة ويعين الشّعوب التّواقة للانتصار، ويدعو للوحدة والاتحاد والتّعاون من أجل خدمة البلاد داخل الوطن.

وأمّا الشّاعر محمّد بن رقطان في مرثيته"أبكي الشّموخ الخالدة"يدعو الرّئيس بومدين للنّوم الهادئ قائلاً:

نَمْ هَادِئاً أَيُّهَا الْعِمْلَاقُ نَحْنُ كَمَا عَـهِدْتَنَا دَائِماً مِنْ قَبْلُ فُـرْسَاناً
وَسَوْفَ تَبْقَى هُنَا ذِكْرَاكَ خَالِدَةً تُسَابِقُ الْعَصْرَ إِفْصَاحاً وَإِعْلَاناً[1]

1-سعد بن البشير العمامرة، هواري بومدين الرئيس القائد(1932-1978)،قصر الكتاب،ط1،البليدة-الجزائر،1997م، ص180.

2- المصدر نفسه،ص195.

1- المصدر نفسه،ص186.

يناديه بصفة العملاق مؤكداً له بأن الشّعب الجزائريّ سيظل على عهده بالرئيس،وأن ذكراه سوف تبقى خالدة في قلوبهم،تسابق الزّمن قبل حلولها،والإعلان عنها للاحتفاء بها في يومها.

ومن الرّؤساء الذين رثاهم الشّعراء الجزائريون في مدوناتهم الشّعريّة،وشاركوا بها الشّعب في محنته، وعبّروا من خلالها عن تأثرهم وحزنهم العميق،وتفجّعهم عند سماعهم خبر النّعي،وراحوا يذكرون أيّامه، الرّئيس الجزائريّ ((محمّدبوضياف))[1]،وممن رثاه، الشّاعر سليمان شرفي بتسع قصائد، وهي:"دماء وعرق"،"الله درك ياشهيد"،"ياشهيد الحمى"،"لم يفهموك"،"لم تأخرت؟"،"ما أقساك يا عيد؟"،"أين الوصية يا شهيد؟"،"ألا فاسد لي الأستار"،"هم...من أجل أن تحيا الجزائر"،في كتابه أسماه ((الشّهيد المتأخر)) الصّادر عن دار الغرب عام 2002م.نختار منه بعض الأبيات الاستشهاد بها عن تأثر الشّاعر بوفاة الرّئيس محمّد بوضياف المغدور به،حيث يقول في مرثيته "دماء وعروق":

إِنَّ الذِي قَدْ سَـقَى الْأَرْجَـاءَ مِنْ دَمِـهِ بِالْـمُوْتِ ثَانِـيَّةً يَرَضَـى لِيَحْمِيْهَا
لَا يَرْتَضِى أَنْ يَرَى أَرْضَ الدِّمَاءِ جُـثَثَ حَتَّـى وَلَوْ عَزَّ بِيْنَ الْـهَوْنِ جَانِبُهَا
فِـيْ بُنْـدِهَا كَتَبَ الْعُنْوَانَ حِبْرٌ دَمِـــي إِذَا ضُرِّجَتْ بِالـدَّمَا شَتَّى مَجَارِيْهَا
وَمَـــاؤُهَا مُسْـتَسَـاغٌ دُوْنَ شَـــائِبَـــةٍ مَا مِنْ شَوَائِبٍ إِلَّا وَهُوَ يُقصِيْهَا[1]

يؤكد الشّاعر سليمان شرفي بأنّ محمّد بوضياف سقى أرجاء الوطن بدمه أيّام الثّورة،جاء بعد ليرضي بالموت مرة أخرى،من أجل حمايتها من الفتنة المتربصة بها،وقد أكدّ بموته عهده الذي قطع لنفسه بأن يسقي بلده بدمه إذا دعاه إلى ذلك داع ،فهو لا يقبل لها إلا الهناء والصّفاء، ولا يرضى لها لا الأكدار ولا الشّوائب،والتي جاء ليبعدها عنها.

يقول سليمان شرفي في مرثيته لمحمّد بوضياف،متسائلاً:

مَتَى غَـدَتْ تُغْدَرُ الْأَبْطَالُ فِي بِلَدٍ قَدْ أَنْجَبَ الثَّوْرَةَ الْعُظْمَى وَمَا فِيهَا؟
أَمْـثَلُ بُوضْيَاف يَجَازَي بِالمكَايْدِ يَـا لِلعَارِ فِـــي رَبْوَةٍ عَزَّتْ أَمَـانِيْهَـا؟
نَـــادَاهُ وَاجِـــبُ إِنْـقَاذِ الْـبِلَادِ لَهَا الْمَنْفَى فَمَاتَ شَهَيْداً بَيْنَ أَيَدِيْـهَا[2]

1- ولد محمّد بوضياف بالمسيلة، بتاريخ 23 يونيو 1919،واغتيل في 29 يونيو 1992 في عنابة، هو رجل دولة جزائريّ، حكم الجزائر من 16 يونيو 1992 إلى 29 يونيو 1992،ينظر.موقع "جامعة وهران للعلوم والتّكنولوجيا محمّد بوضياف"، - https://www.univ-usto.dz/ar/biographie-mohammed-boudiafar،أطلع عليه بتاريخ:21 جويلية2023م، على الساعة:9:30ص.

1- سليمان شريفي،الشّهيد المتأخر،دار الغرب للنّشر والتّوزيع،وهران-الجزائر،2002،ص25.

2- المصدر نفسه،ص34.

في هذه الأبيات يتساءل سليمان شريفي في حيرة عن الغدر الذي لحق بأبطال البلاد صانعي تاريخها،ومفجري ثورتها التي كانت سبباً في نيلها لاستقلالها.ومنهم البطل((محمّد بوضياف)) والذي يجازى بالكيد والاغتيال،ويمت شهيداً،بين يد أبناء بلده،بعد ماكان في المنفى،وجاء تلبية لنداء الواجب الوطنيّ،وإنقاذه من الفتنة بداية التّسعينيّات.

أمّا الشّاعر أحمد الطّيب معاش فقد كتب فيه مرثيّة طويلة وسمها بعنوان"بوضياف شهيد الاستقلال في عيده الثّلاثين.."، يقول فيها مخاطباً إيّاه:

قَدْ كُنْتَ تَخْطُبُ فِي الْجُمُوعِ مُوَدِعاً وَتُشِيْرُ لِلْمَوْتِ المرَاقِبِ، بِالْيَـدِ
قَدْ قُلْتَ إِنِّي قَدْ مَدَدْتُ لَكُمْ يَدِي فَمَدَدْتَهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ السَّرْمَدِي
الْـقَتْلْ-وَيْحَ الْقَتْلُ- أَقْصَى عَائِداً وَأَطَاحَ بِالشَّيْخِ الْوقُورِ المقْتَـدِي
قَـدْ جَاءَ يُـصْلِحُ مُفْسِداً فَـأَطَاحَهُ كُلُّ الـمعَاوِلِ هُيِئَتْ لِلْمُفْسِدِ[1]

يصوّر أحمد الطّيب معاش جانباً من مشهد اغتيال الرّئيس محمّد بوضياف، فبعدما جلس على المنصة،وبدأ يخطب في جموع الحاضرين،وأثناء الخطاب أشار بيده اليمنى وقال:"هذه يدي أمدها للجميع دون استثناء"،فامتدت أثناها يد الغذر الفاسدة لتغتاله، وتطيح به قتيلاً،بعدما جاء ليصلح ما فعله المفسدون بالوطن.

وكما رثى الشّعراء الجزائريون المعاصرون الرّؤساء والزعماء نجدهم يرثون القادة الذين كان لهم الفضل في إدارة شؤون البلد، مخلدين آثارهم، معترفين لهم بفضلهم، وممن القادة الذين حفلت بهم القصائد الشّعريّة ((القايد أحمد صالح(1940-2019)))[1]، الذي بذل حياته في الخدمة الوطنيّة خدمة لوطنه، دوّن في الشّاعر محمّد جربوعة مرثيّة حملت عنوان "تعزيّة أوراس في(حكيم الجزائر)" نشرها في اليوم الموالي لوفاة ((القائد أحمد صالح))،قال فيها مناديا جبل الأوراس:

أَوْرَاسُ، أَعْرِفُ أَنَّ المشْتَكَى جَلَلٌ لَكَّنْ أُعَزِّيْكَ، فَـاصْبِرْ أيُّهَا الْجَبَلُ

1- أحمد الطّيب معاش، دواوين الزّمن الحزين، دار الهدى عين مليلة-الجزائر2005م،ص50.

1-أحمد القايد صالح:ولد في الثالث من شهر جانفي من عام1940 بولاية باتنة،ويخرج لحياة أجبرته على الالتحاق بصفوف الثوار مبكرا، ويرافق من خرجوا إلى حراك شعبي وهو كبير إلى أن التحق بالرفيق الأعلى...إثر أزمة قلبية وهو في سن الثّمانين، مكرسا حياته خدمة للوطن سواء إبان ثورة التّحرير أوما بعدها،ينظر: يوميّة النهار،العدد:3730، بتاريخ:24 ديسمبر2019م، ص03.

أوراسُ ، دعه قليلاً .. إنّه تعِبٌ ولم ينم سنةً .. حتى أتى الأجـلُ[1]

ينادي الشّاعر محمّد جربوعة جبل الأوراس وفذكر ((جبل الأوراس))، رموز ودلالات وإيحاءات كثيرة،في مقدمتها إشارة إلى مسقط رأس"القايد أحمد صالح"،وكذلك إشارة للثورة المباركة،وإشارة لمكافحة((الجيش الوطنيّ الشّعبيّ))للإرهاب وفلوله وبقياه،إذ يقف الشّاعرمعزّيّاً جبل الأوراس، ويوصيه بالصّبر على مصابه الجلل، ملتمساً منه أن يترك "القائد العظيم الرّاحل يستريح من تعبها، إذ لم يذق طعم النوم سنة،قضاها في الزّيارات المراطونيّة للنّواحي العسكريّة،ساهراً على تدريبها، وتوجيهها،وتفقد جاهزيتها،من أجل حماية الوطن،وسلامة أراضيه،وظلّ مناضلاً حتّى وافته المنيّة.

ويضيف الشّاعر محمّد جربوعة،معللاً سبب تعبه ،فبقول مخبراً عن نضاله في الميدان:

مَشَى طَوِيْلاً..وَأَعْيَ الدّرْبُ نَبْضَتَهُ وَآنَ أَنْ يَسْـتَرِيْحَ الْقَائِـدُ الْبَـطَلُ
أَبُو الْـجَزَائِرِ هَذَا، عَاشَ يَـحْمِلُهَا حَـمْلَ الْـفَتَى أُمَّهُ، مَا مَسَّهُ كَـلَلُ
يَـمْسَحُ الدَّمْعَ عَنِ عَيْنِيْهِ إِنْ هُمِلَتْ سِرّا، وَيَـكْتُمُ مَا يَلْقَى وَيَـحْتَمِلُ
وَيَـنْزِعُ الشَّوْكَ مِنْ رِجْلِيْهِ مُصْطَـبِرًا عَلَى الطَّرِيْقِ، وَلَا يَـدْرِي مَتَى يَصِـلُ
قَضَى ثَـمَانِيْنَ عَاماً، ثُـمَّ غَابَ كَمَا تَغِيْبُ شُمُسٌ .. وَكَالْأَقْمَارِ إِنْ أَفَـلُوا[1]

إنّ المشي الطّويل تأدية للواجب الوطني،أتعب نبضات قلبه، وتسبب في توقفه،ليستريح استراحة أبدية، فقد عاش البطل القائد أبو الجزائر حامياً للبلد، يعاني في صمت ويصبر ويصطبر،ويتحمّل كلّ شيء يؤذي في طريقه الطّويل،وهو لايدري متى يصل إلى نهايته، همّه الوحيد خدمة الوطن وحمايته والمحافظة على وحدة شعبه وترابه،طيلة عمره الذي بلغ ثمانين عاماً،كله نضال وتضحية،ثمّ غاب كما تغيب الشّمس، وأفل كالأقمار الآفلة.وقد أكّد الشّاعر محمّد موته القائد بقوله:

مَـاتَ الْـحَكِيْمُ الذِي أَلْقَى عَبَاءَتَهُ عَلَى الْـجَزَائِرِ، وَالْبُلْدَانُ تَـشْتَعِلُ[2]

مات ورحل القائد الحكيم،بعدما بذل كلّ ما في وسعه وطاقته، دون أن يدخر جهداً من أجل الجزائر،في وقت حسّاس جدّا،يتمثل في الاضطرابات والقلاقل في الكثير من بلدان العالم عموماً، والدّول المجاورة على وجه الخصوص.

1- محمّد جربوعة، جمهور شاعر العرب محمّد جربوعة، فيسبوك:
https://www.facebook.com/profile.php?id=100071112924584،أطلع عليه بتاريخ:2023/07/22م،على السّاعة:18:10.

1- محمّد جربوعة، جمهور شاعر العرب محمّد جربوعة،فيسبوك،الصّفحة نفسها.

2- المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

3- رثاء الأبطال والشّهداء:

كما تبيّن لنا في النّوع السّابق من أنواع الرّثاء،نجد اهتمام الشّعراء الجزائريين بنوع مشابه له، إنّه رثاء الأبطال والشّهداء، لم يفوتوا الفرص على أنفسهم،فقد شاركوا المعزّين تعازيهم،وذكريّاتهم في التّأبين إعجاباً بإنجازات الإبطال،وافتخاراً ببطولات الشّهداء الذين قدّموا الغالي والنّفيس،من أجل كرامة نفوسهم،وعزة شعوبهم،وتحرير أوطانهم،ومحافظة على مكاسبهم،ووفاء لعهودهم من سبق على الدّرب وتجسيّداً لمبادئهم.

ومن الأبطال الشّهداء الذين رثاهم شعراء الجزائر،نجد((الشّهيد حمّه لخضر))[1]،فقد رثاه الشاعر جوادي سليمان في ديوانه الشّعريّ،عنونه باسم((الدّيوان السّادس رصاصة لم يطلقها حمّه لخضر))، حيث يقول في إحدى قصائده، والحاملة لعنوان الدّيوان ذاته، عن((الشّهيد حمّه)) راثيّاً:

هُنَا سَاحَةُ الشُّهدَاءِ
تَذَكَّرْتُ (حَمَّهْ)
تُرَى مَنْ يَكُوْنُ؟!
شِهَابٌ أَضَاءَ الْبَرَارِي
وَلَكِنَّهُ حِيْنَ مَاتَ
أَضَاءَ الْجَزَائِرَ، كُلَّ الْجَزَائرِ
مَاتَ شَهِيْدًا؟
وَظَلَّ شهيدًا[2]

يكشف لن الشّاعر سليمان جوادي سبب تذكر((للشّهيد حمّه لخضر))،حيث كان يتجول في ساحة الشهداء بالعاصمة، فتذكره ،لأنه كان شهاب في صحراء وادي سوف ،لكنه مات شهيداً كما يموت الأبطال من أجل الجزائر،وسيظل شهيداً حيّاً في قلوب الجزائريين،وحيّاً عند ربه،يتنعم في جنان الخلد.

1- ولد محمّد الأخضر(حمّة لخضر) عمارة، بقرية الجديدة من بلدية الدّبيلة،وذلك في أحد أيام سنة1930،في أسرة ريفية محافظة على تقاليدها العربيّةالإسلاميّة....كلف محمّد الأخضر بالقيام بعمليات عسكريّة بوادي سوف،وقد استشهد خلال معركة"هود شيكة"،التي وقعت في شهر أوت 1955،ينظر:سعد العمامرة،الجيلاني العوامر،شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف،مطبعة النخلة،بوزريعة-الجزائر،1991م،ص ص30،27.

2- سليمان جوادي، الديوان السّادس رصاصة يطلقها حمّه لخضر، (مخطوط)، ص06

لقد كان ذكر الشّهداء في قصائد الشّعريّة حاضراً بشكل جليّ،ومن الشّهداء الذين عجّت بذكرهم القصائد،ورثاهم الشعراء إكراماً لتضحياتهم ونضالاتهم،((الشّهيد الفلسطيني محمّد جمال الدّرة))[1]،الذي كان إيقونة الانتفاضة المباركة والمقاومة الفلسطينيّة المسلحة ضدّ الاحتلال الإسرائيليّ، فقد رثاه لفيف من الشّعراء الجزائريين ،أمثال:

- الشّاعر محمّد تاج الدّين الطّيبيّ في مرثيّته" عيناك...بعدهما الطّوفان".
- الشّاعر محمّد تمار في مرثيّته" البيان الختاميّ".
- الشّاعر محمّد جربوعة في مرثيّته" أبجديّة جديدة لعصر حجري جديد".
- الشّاعر محمّد حسونات في مرثيّته "بركان الموت الرّبيعي".
- الشّاعر مصطفى محمّد الغماري في مرثيّته "شاهد ومشهود..".
- الشّاعر منصور بن قادة زيطة في مرثيّته "بشراك يا محمّد".
- الشّاعر نور العروبة ميلاط في مرثيته "إلياذة محمّد الدّرة".
- الشّاعرة نفيسة حرك ركيبي في مرثيتها"محمّد الدّرة يخاطبكم".
- الشّاعر بلخير عقاب في مرثيته "الشّهيد و الدّرس".[1]

هذا غيض من فيض،وهو يدل على شدّة تأثير واقعة الاستشهاد التي كان ضحيتها الطّفل الصّغير،والذي أعدم بدم بارد في حضن والده،وعلى مرآى ومسمع العالم أجمع،حيث وثقت عدسة الكاميرا استشهاده يوم: 2000/09/30،فكان المشهد مصدر إلهام،تفتقت بفضله قرائح الشعراء، ومما جاء في ذلك، مرثيّة "عيناك..بعدهم الطّوفان" للشّاعر محمّد تاج الدّين الطّيبي،حملّها مشاعره وعواطفه،وتأثره بالحدث المؤلم، ومما قاله ما يلي:

لَـكَ الـرَّحِيْلُ وَلِـلْأَوَطْانِ زَلْـزَلَـةٌ وَلَلدُّنَـى- بَعْدَكَ- الْـمَأسَاةُ وَالْأَرَقُ
عَـيْنَاكَ بَعْدَهُمْ الـطَّوْفَانُ بَيْـنَهُمَا يَـسْتَوْطِنُ الْغَضَبُ الـدَّامِي وَيَـتَّسِقُ
عَيْنَاكَ..مَنْ منْهَما تَبْقَى لِتَحْرِسَنَا نَـحْنُ الْذِينَ مِنْ الذِّكْرِى قَدْ انـعَتَقُوا

1-الشّهيد محمّد جمال الدّرة(1988م-2000): ولد محمّد جمال الدّرة يوم 22 نوفمبر/تشرين الثاني 1988 بمخيم البريج في قطاع غزة،... بينما كان الطفل محمّد يسير مع والده في قطاع غزة، فوجئا بوقوعهما تحت نيران إسرائيلية، فحاولا الاختباء خلف برميل إسمنتي.لحظة استشهاد محمّد الدّرة يوم 30 سبتمبر/أيلول 2000 بين ذراعي والده.ينظر:محمّد الدّرة..الطّفل الذي اهتز العالم لاستشهادهhttps://www.aljazeera.net/encyclopedia،أطلع عليه بتاريخ:2023/07/22م،على الساعة:11:15

1- ينظر: في فهرس عدنان بلبل الجابر،ماجد الحكواتي،ديوان محمّد الشّهيد محمّد الدّرة،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعري، الكويت، 2001م، ج03،ص607.

يَا دُرَّةَ الشَّــرْقِ الْأَقْـصَى أَلَا زَمَنٌ غَـيْر الــذِي تَـحْوَهُ الْآمَالُ تَنْــزَلِـقُ
يَــا سَيِّدِي كُتُبُ التَّارِيْخِ ذَاهِـلَةٌ وَأَنْــتَ مِنْ صَفَحَاتِ الْغِيْبِ تَـنْبَثِقُ
يَا سَيِّدِي قَبْرُكَ الْقُدْسِيَ مَشْهَدُنَا لَــدِيْهِ كُــلُّ مَسَاءٍ تَـلْتَقِي الطّــرُقُ[1]

يخاطب الشّاعر محمّد تاج الدّين الطّيبي في هذه الأبيات"الشّهيد محمّد جمال الدّرة"،ويهنئه بالرحيل،ويتشاءم للأوطان بالزّلزال والدّنيا بالمأساة والأرق ولكلّ من بقي بعد عينيه الطّوفان،فعيناه كانتا تحرسا الوطن،ثمّ يناده بـ"يا درة الشّرق الأقصى"،ليُعلمه بأنّ الزمن قد تغيرت فيه الآمال،وأن كتب التّاريخ ذاهلة ببسالة"الشّهيد محمّد الدّرة"،وهو أعزل صامد أمام نيران الأعداء،إذ أصبح مشهد استشهاده إيقونة الانتفاضة،حفظتها صفحات الكتب،كما أن قبره القدسي أصبح رمزاً ومعلماً لكل المنتفضين والمقاومين وأصحاب الأفكار والمبادئ الراغبة في التحرر.

أما الشّاعر عقاب بلخير فيصوّر المشهد الوحشيّ المأساويّ في مرثيّته "الشّهيد والدّرس"،والتي أهداها إلى الطّفل الشّهيد محمّد الدّرة:

نَ.زَ.فَ
بَحْرٌ مِنَ الدَّمِ سَالَ يَاقُوتاً عَلَى حَجَرِ الرَّصِيْفِ
وَالطِّفْلِ مَنْهُوكٌ وَوَالِدَهُ يُغَيِّبُهُ النَّزِيْفُ
الدَّرْسُ لَـمْ يَبْدَأْ، وَذُوْيِ الْأَخْبَارِ تُعْلِنُ
أَنَّ طِفْلاً كَانَ يَحْتَضِنُهُ أَبُوْهُ
وَالطِّفْلُ مُرْتَعِداً يَصِيْحُ كَطَائِرٍ قَدْ أَوْقَعُوْهُ
وَرَصَاصُ أَشْبَاحٍ بِعُمْقٍ حَشَاهُ تَرْسُمُ لِلطَّرِيْقِ
أَرْضاً تَثُوْرُ مِنْ الْحَرِيْقِ[1]

إنّه مشهد مأساويّ دمويّ يجعلك تتخيل الصّورة،حيث ترى الطّفل الشّهيد ينزف دماً على الرّصيف وهو منهوك القوى،ووالده يحاول أن يوقف النّزيف،والإعلام يصوّر اللّحظات المميتة مباشرة إثر وقوعها،يظهر في الصّور الطّفل محمّد يحتمي بوالده، أملاً في النّجاة من الموت،وهو يرتعد كالطير الخائف المزعور، لكَنَ رصاص جنود الاحتلال اخترقت أحشاه،وأردته قتيلاً.

1- عدنان بلبل الجابر،ماجد الحكواتي،ديوان محمّد الشّهيد محمّد الدّرة،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعري، الكويت،2001م، ج 03،ص134.

1-عقاب بلخير،بكائيات وصهد الحيرة في زمن الحجارة،رابطة ابداع الثقافية،الجزائر،2003م،ص16.

هذا المشهد الأليم يحرك كلّ قلب رحيم يستشعر معنى الطّفولة،ويتأثر لأوضاعها،ويتألم بآلامها وهذا ما جعل الشّاعر بلخير لعقاب يتأثر ويعجز عن البوح،حيث قال مظهراً عجزه عن الاسترسال في التّعبير:

رَ..حَ..لَ

فَ..تَ ..حَ

كَ..رَّ..رَ

" الدَّرْسُ لَمْ يَبْدَأْ.."

"غَابَ التَّلَامِيْذُ..."[1]

إنّ حادثة قتل ((الشّهيد محمّد جمال الدّرة))،ألقت بظلال مأساويتها،وآثارها في نفسية الشّاعر بلخير عقاب،إلى درجة التّهَجِيِّ في الكلام،رغم الجذر الثّلاثيّ للألفاظ الثّالثة الواردة فهذه المقطوعة الشّعريّة،وهي:(رَحَلَ/فَتَحَ/كَبَّرَ)،إذْ كان قَتْلُهُ إعلاناً عن رحيله،وهو يفتح فاه،صادّحاً بالتّكبير، وبرحيله لــم يبدأ الدّرس،وغاب التّلاميذ عنه.

4- رثاء الأوطان والمدن:

إنّ عناية الشّعراء الجزائريين المعاصرين بالكتابة في لون رثاء الأوطان والمدن،ليست بدعاً، بل في ساحة الشّعر العربيّ عموماً،وإنّه لا يقلّ شأناً عن الألوان الرّثائيّة الأخرى،والتي تـمّ التّمثيل لبعضها عاليه،ومن هذا المنطلق يوجد العديد من المراثي التي حُصِرَ عنوانها،وموضوعها،ومحتواها في رثاء وطن من الأوطان،أوبلد من البلدان،أومدينة من المدن،تعبيراً عن مواساة هذا الوطن في محنته،أو ذلك الوطن وبكاءً مع هذه البلدة في مصابها أوتلك، أو تضامناً مع هذه المدينة لتتجاوز أزمتها،وفيما يلي، يـمكن الوقوف على ما يشير لرثاء:الوطن،أو البلد،أو المدينة:

عاش وطننا الجزائر أيّام التّسعينيّات أزمة أمنيّة خانقة وحادة،أرهقته وأعيت الحكماء فيه وخارجه وطال أمدها،بحيث قُدِّرَ بعشر سنوات،عُرِفَتْ بمسميّات كثيرة:كالعشريّة السّوداء/العشريّة الحمراء/أيّام الجمر/أيّام الدّم/سنوات الجمر...الخ،انعكست تدّاعياتها على مدونات الشّعراء ومنجزاتهم، فقد نعى الشّاعر أحمد الطّيب معاش الوطن في مرثيته التي عنونها بـ"خماسيّات السّنوات العجاف عرض حال إلى شهداء الأمس"،يقول فيها:

1-المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

وَطَنِي الْكَبِيْرُ يَهُزُّهُ الْإِعْصَارُ وَتُقِيْمُ فَيْهِ مَطَامِعٌ وَحِصَارٌ[1]

فالشّاعر في هذا البيت يصف حال وطنه الحزين بسبب ما أصابه من فتنة هوجاء، أتت على الأخضر واليابس،والبشر والشّجر والحجر كالإعصار،والذي يهزّ كلّ شيء يعترض طريقه،وغدا الوطن عرضة للأطماع،وتربّص الأعداء التي تحاصره من كلّ جهة وناحية.

يصف أحمد الطيب معاش هذه الفترة العصيبة والتي مرّ بها والوطن الحبيب:

وَطَنِي دَهَتْكَ الْعَشْرِيَّاتُ الظَّالِمَـةً وَرَمَاكَ حَظٌّ كَاللَّيَالِي الْقَاتِمَةِ
وَبَـرَاكَ كَـيْدٌ قَـرِيْبِنَا وَبَـعِـيْدِنَـا لَوْ نَذْكُرُ أَسَمَاءَ طَالَتْ قَائِمَةٌ
وَعَرَفْتُ حَـتَّى مَنْ دَعَا لِـتَوَاصُـلِ بِـعُدَاتِنَا رُغْمَ الْحُرُوْبِ الْقَائِمَةِ
وَعَرَفْتُ رَهْـطاً يَنْتَمُونَ لِأَرْضِـنَا قَدْ أَيْقَظُوا فِتَناً وَكَـانَتْ نَائِمَـةً
هَلْ تَنْتَهِي يَا شَعْبُ (عَشْرِيَّاتُنَا) أَوْ تَكْتَسِي(لَوْناً) يُزِيْلُ الْلَائِمَةَ[1]

ويستمر الشّاعر في الوصف مخاطباً وطنه، عارضاً الحال الذي صارت إليها الجزائر في العشريّة المظلمة، وتكالب الحاقدين عليها،وارتفاع أصوات تدّعي الوطنيّة تطالب بتدويل القضيّة،والتّدخل الأجنبي، بعدما اشتعلت الفتنة،ثمّ الشّعب الجزائر عن وقت انتهاء هذه الأزمة الأمنيّة،ويعمّ الوئام.

وفي السّياق ذاته يطلق الشّاعر رابح لخذاري العنان لقلمه،ليحرر توجعه الذي اعتصر قلبه، وحتّى فاض بالأسى، فأنتج مرثيّة حملت عنوان "وطن"،قال فيها:

وَطَنٌ يَتَمَّطَى بِجَفْنِكِ... هَلْ تُبْصِرِيْنَ؟
وَطَنٌ يَتَلُونُ بِالْأَحْمَرِ الْـمُـرِّ
بِالْأَخْضَرِ الزَّهِرِ.
بِالْأَبْيَضِ الْمُتَمَاوِجِ فِـي الشَّفَتِيْنِ
وَأَنَا قَادِمٌ مِنْ دَمِ الشُّهَدَاءِ
أُعَانِقُ شَهْوتَكِ الْعَاتِـيَّةَ
أُخَضِّبُ بَالرَّمْلِ أُغْنِيَّتِـي
وَأَهُزُّ الْـمَوَاجِدِ بَالْقَافِيَّةِ
جَزَائِرُ! مَا اِرْتَعَشَ الضِّلْعُ فِي الْجَسَدِ الْمُتَهَالِكِ

1-أحمد الطيب معاش، دواوين الزّمن الحزين،مصدر سابق،ص28.
1- المصدر السابق،ص28.

وَمَا اِلْتَهَبَ الدَّمُ فِي وَجْنَتِيْكِ[1]

يصف رابح لخذاري الوطن بأنه يتمطى بالأجفان،ويتلون باللون الأحمر المرّ،والأخضر الزهر، والأبيض المتماوج،والشاعر قادم من دم الشّهداء، ليغني في وطنه، والذي يسأله منادياً متعجباً بقوله:

"جزائر! ما ارتعش الضّلع في الجسد المتهالك"، فهو يسأل عن سبب الارتعاش الحاصل للضلع في الجسد المتهالك ،وفي ذلك كناية عن الفتنة والاضطرابات الأمنية الواقعة في ربوع الوطن،كما يسأل الجزائر،عن سبب الدّم النّازف والملتهب فوق ترابها،كناية عن كثرة جرائم التّقتيل والإرهاب.

أمّا بخصوص رثاء البلدان،فنجد تَعَلُّقَ الشّعراء الجزائريين بفلسطين ظاهراً،نظراً لمكانتها الدّينيّة، يتتبعون أخبارها،ويواسون أهلها، ويتعاطفون معها في كلّ تمرّ به ويزداد ذلك،عندما تزداد قسوة العدوّ المحتل عليها،ويلحق بها أضراراً لا تحتمل ولا تطاق، فينظمون ما أحزنهم وآلمهم من أوضاعها في مراثي كثيرة.

شهدت فلسطين في: 05جوان1967م ما يُعْرَفُ بيوم النّكسة،حيث زاد في أحداث القضية الفلسطينيّة،وعمّقت نتائجها الجراح في قلوب العرب والمسلمين،فكتب عنها الشّاعر أبو الحسن علي بن صالح مرثيّة،عنوانها "نكسة يونيو"،قال فيها:

رَمَــى عُــرُوبَـتَنَا غَـدَراً زَعَانِـفَةٌ بِسِهْمِهِمْ،وَتَوَلَى الرَّمَي«صُهْيُونُو»
«هِتْلَرُ»بِالْأَمْسِ فِي الْأَفْرَانِ يَحْرِقُهُمْ وَالْيَوْمَ أَصْبَحَ فِي تَأْيِيدِهِمْ«يُونْيُو»[1]

يصف الشّاعر علي بن صالح بحزن شديد حال العروبة المصابة بسهام الغدر في "يونيو" على يد بن صهيون،الذين نكل بهم في الماضي((القائد الألماني هتلر)) أشد تنكيل، في ما يعرف"بالمحرقة"، لكنهم في هذا اليوم مساندون ومؤيدون، في كلّ ما يفعلونها في أرض العروبة.

يواصل علي بن الصالح أشجانه في القصيدة الموالية والموسومةبـ"الاعتداء والغدر"،إذ يقول مناديّا "يوم يونيو":

يـَا يَوْمُ غَطَّتْ سَـمَاءُ الْعُـرْبِ أَجْنِحَـةً التَّدْمِيْرِ أَطْلَقَهَا«مُوْشِي»وَ«غَرَبُونُو»
«نَارُ الـنَّبَالْـمِ»فِـي أَجْسَـادِ أَخَوَتِـنَـا تُـذِيْبُهَا، أَيْـنَ اِسْعَافٌ وَتَأْمِـيْنٌ؟
"سِيْنَاءُ"قَدْ دَاسَهَا"أَشْكُوْلُ" فِي صَلَفٍ وَاخْتَالَ فِيْـهَا قَرِيْرُ الْعِيْنِ«قَـارُونُ»
وَالْـقُدْسُ يَـنْدُبُ وَالْأَرْضُ الْـمُقَدَّسَـةُ اِسْتَبَاحَهَا عُنْوَةً"مُوْشِي" وَ"شَمْعُونُ"

1- رابح لخذاري،صهيل الوجع، منشورات أرتيستبلت،ط1، القبة-الجزائر،2007 م،ص 11.

1- أبو الحسن علي بن صالح، مآسي!! وأين الآسي؟، المؤسسة الوطنيّة للكتاب،الجزائر،1988م،ص ص42، 43 .

وَالْأَصْـــدِقَاءُ تَـــخَـــلُّواْ عَـنْ مُنَاصـرَةٍ الْـــمَظْلُومُ، وَالْعَرَبِـيُّ الْـغِرُّ مَغْبُونُ[1]

يصوّر الشّاعر في أبياته ذلك اليوم المأسوي،إذ تمّ قصف المنطقة العربيّة من سناء المصريّة حتى أرضي فلسطين بقنابل النّبالم المدّمرة،والتي هَوَتْ على الأهالي العزّل،الذين لم يتلقّوا إسعافات ولا تأمينات من القصف الهمجيّ،وأصبحت أرض القدّس المقدّسة مستباحة، يمرح ويسرح فيها قادة الصّهاينة،وجنودهم،أمّا الأصدقاء العرب فقد تخلوا عن مناصرة إخواننا المظلومين المغبونين في ديارهم.

وفي الصّدد ذاته دوّن الشّاعر"محمّد بوزيدي قصيدته "الفلسطينيّ"،أذيعت قي الإذاعة الجزائريّة، يوم 30 جوان 1967م، جاء فيها مخاطباً المواطن الفلسطينيّ:

لَا تُـــوَدَّعُنِي وَقَـــدْ حَـانَ الْـوَدَاعُ وَاجِـبُ الْعُرْبِ يُنَـادِي لِلدَّفَاعِ
اِلْـهَبْ الْـــمِيْدَانَ نَـارٌ تَتَـــلَظَّى حَـرَّرْ الْقُدْسَ وَأَقْدَاسُ الْـبِقَاعِ
لَا تَقُلْ سَالَتْ دُمُوْعِي خَـوْفَ ثُكْلَ إِنَّمَا دُمُوْعِي يُنادِي الْقُدْسَ ضَاعَ
يَا حَبِيْبِا كُنْ جَـحِيْماً كُـنْ رَصَاصاً وَخَـــرَاباً كُـــنْ دَمَـاراً لِلْقِلَاعِ[1]

يطلب محمّد بوزيدي من المواطن الفلسطيني بألا يودّعه،بسبب محنته،وغدر الغادرين لقضيته ومن واجب العرب مناصرتها والدّفاع عن القدس،بإشعال نيران الثّورة لتحرير الأرضي المقدّسة،ولا يبكي بكاء العاجزين الخائفين،ويحوّل الهزيمة إلى انتصار،وأن يكون كالجحيم والرّصاص في وجه المحتلين المغتصبين،و أن يكون دماراً يلحق حصونهم وقلاعهم.

أمّا البحث عن رثاء المدن في أشعار الجزائريين،فإنّنا نلفي ما يعجزنا عن الإحاطة به كليّة، فقد رثوا مدناً وطنيّة كمدينة الأصنام(الشّلف حاليا)،ووهران،وعنابة،والجزائر العاصمة،وبومرداس وغيرها من المدن التي شهدت محنة أونكبة،كما ورثوا مدناً عربيّة كبور سعيد وبيروت وبغداد والفلوجة وطرابلس، وغزة ....الخ.

والملفت للأنظار أنّ مدينة غزة في فلسطين،عرفت تضامناَ وتأييداً واسعين كبيرين،بسبب ما تعرضت له ولا تزال من قصف واعتداء من الآلة الحربيّة الصّهيونيّة،فقد صَبّ عليها المحتلون جمّ غضبهم بسبب مقاومتها الباسلة ضدّهم،حيث لم يترك حيلة لتركعيها وإخضاعها وإذلال سكانه،رغبة منها في تحقيق أغراضه الخسيسة ومطامعه الدّنيئة،مستتخدماً الغزو والقصف والحصار والاغتيال والاختطاف والأبعاد،وغيرذلك،مما يراه مناسباً في لحظة مناسبة،لكّنّها تلقّته بالرّفض والصّمود والمقاومة

1-المصدر نفسه،ص ص 43،44.

1-محمّد بوزيدي،صوت الجزائر،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،ط2،الجزائر،2012م،ص125.

ووَثَّقَتْ أقلام الشّعراء ذلك فرحاً بالانجاز والانتصار من ناحيّة،وحزناً على المآسي والجرائم النّكراء من ناحية أخرى،ويمكن التمثيل عنه بمثل ما صدر عن الشّاعر أعبيد عبد القادر في قصيدته "يا غزّة":

وَلِأُعْـيُــنِ أُمٍّ أَكْرَمَـهَا مُـوْتُ الْـفَـلْذَةِ يَخْتَطِفُ
زَفَّتْهُ وَلَـمْ يَلْبَسْ كَفَـنَا بِالـطُّهْرِ الْخَالِصِ يَلْتَحِفُ
لِكَرَامَةِ شَعْبٍ مُمْتَحَنٍ بُـطُلَاتُ الْعِـزِّ لَهُ شَـغَفُ
لِشَوَارِعٍ قَالَتْ قِصَّتَهَا تُسْقِيْنَا الصَّبْر فَـنَرْتَشِـفُ
يَا غَزَّةُ إِنِّـــي مُعْتَرِفٌ أَنِّـي مِنْ فِيْضِيْكِ أَغْتَرِفُ
يَا أَعْظَمَ جُرْحٍ أَحْمِـلُهُ سَـيَعُوْدُ الْفَـجْرُ وَنَأْتَلِفُ[1]

يرسل الشّاعر عبد القادر آعبيد في هذه الأبيات من قصيدة"ياغزّة" تحيته وسلامه لأم الشّهيد، التي زفّتْ فلذة كبدها للموت،ولـم يلبس كفناً باعتباره شهيداً،مات في سبيل كرامة شعبه الممتحن، يطلب العزّ في شدة حبّ، ويعطف بتلك التّحيّة والسّلام على شوارع غزة الصّابرة،الشّاهدة بقصصها على تضحيات الشّهداء البواسل،ثمّ يخاطبها مناديّاً إيّاها باسمها"ياغـزّة"،ثمّ بوصف العظمة"يا أعظم جرح" ليعترف لها بالفضل،واغترافه من فيوضها،وأنّه يحمل في قلبه آلام جرحها مصطبراً،حتّى تنال حريتها ويأتلفان معاً.

أمّا الشّاعر محمّد شايطة فيرسل بتباشر النّصررغم الجراح المآسي والآلام في قصيدة"غزة الأحرار"، عندما قصف القطاع بقنابل الطّيران الإسرائيليّ،حيث يقول:

مِنْ غَـــزَّةَ أَرْضِ الْأَحْـرَارِ مِـنْ قُدْسِ الـثَّوْرَةِ وَالـنَّارِ
رَايَاتُ الْحَقِ بِهَا سَطَعَتْ وَشَدَتْ لِلرَّايَةِ أَشْــعَـارِي
وَتَــجَلى الصُّبْحُ لِـهِمَّتِنَا فَتَـغَنَّـى الْكَوْنُ بِأَفْكَارِي[2]

نلفي الشّاعر محمّد شايطة يشحذ همم الثّوارِ والمقاتلين الأحرار من أجل مواصلة المقاومة والثّورة في غزة،لأن ورايات الحق بها قد سطعت،وتجليات الانتصار لاحت في الأفق.

ثمّ يواصل تلك الصوّرة الحزينة،والتي عاشت مدينة غزة،وهي تحت القصف، إذ يقول:

مِـنْ طِفْلٍ غَـابَتْ بَـسْمَتُهُ بِـقَذَائِفَ حِـقْدِ الْأَشْــرَارِ
مِنْ دَمْـــعَةِ أُمٍّ قَـدْ سُـلِبَتْ سَيَجِيءُ النَّصْرُ كَـإِعْصَـارِ

1-عبد القادر آعبيد، روح تتمرآى...قلب يتشرق،دار فيسيرا،الجزائر،2014م،ص 51.
2-محمّد شايطة، بشائر الخلود، دار المعرفة ،الجزائر،2008م،ص 40.

مِنْ عُمْقِ الْجُرْحِ وَمِنْ غَضَبِي مِنْ صَمْتِ الـذَّلَةِ وَ الْعَارِ
سَـنُعِيْدُ الْـمَجْدَ لِأُمَّـتِنَا وَسَنَجْـنِي فَـجْرَ الْأَنَوَارِ[1]

إنّ الغزو الإسرائيليّ على قطاع غزة والمشحون بالحقد،سلب الأطفال من بسمتهم،وجعل النّسوة يبكين على مافقدنه من رجال وأبناء وأقارب وأحباب،ومن أعماق تلك الجراح الدّاميّ والغضب المشتعل في قلوب الثّائرين،ومن وسط صمت الذّل والعار،تتفجر نيران الانتفاضة لِـتُعِيْدَ المجد الضّائع والحقوق المسلوبة لأهلها، وتطرد الظّلمة المغتصبين عن أرضها، ويبزغ فجر التّحرر ويتحقق النّصر،و يستريح الشّعب الفلسطيني من الشّرور والويلات والمعاناة.

أمّا الشّاعر فاتح علاق يحرر قصيدته الموسومة بـ"وقالت غزة"،لتعبر عن مأساتها بنفسها، قائلة:

نَ، صْ ،رٌ
يَقْصِفُ الْجَوُّ قَلْبِي
هَذِهِ طَـائِرَاتُـهُمْ وَتَعْـبُـرُ الرُّوْحَ وَالْقَلْبَ يَا أَبَتِـي
مَنْ يَـرُدُّ حَرَائِقَهُمْ؟
هَذِهِ قَنَابِلُهُمْ تَـحْفُرُ الْقَبْـرَ لِـيْ
مَنْ سَيُسْنِدُ ظِلِّي
وَصَدْرِي عَارٍ وَظَهْرِي
إِخْوَتِي أَسْلَمُونِـي إِلَى الذِّئْبِ
وَانْتَشَرُوا فِـي الْبَرَارِي
وَجَاؤُواْ أَبِي بِدَمٍ صَادِقٍ
ثُـمَّ غَابُـواْ[2]

إنّ رغبة مدينة غزّة في النّصر على العدؤ مُلِحّةٌ،بسبب ما لحقها من اعتداء وجور سافر، ودمار وخراب هائل،كانت قنابل القصف تخترق روحها،وتفتت قلبها،وتقطّع فؤادها، إذ يشبه الشّاعر فاتح علاق حالها كحال النّبيّ يوسف عليه السّلام،الذي عان الكثير وهو لازال صبيّاً،فكان ذلك القصف الإسرائيليّ على غزّة سبباً في إشعال الحرائق،وقنابله تُحْدِثُ حُفَراً كبيرة،تتردى فيها جثامين الشّهداء،

1-المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

2 – فاتح علاق، الكتابة على الشّجر، دار التّنوير،ط1،الجزائر،2009م، ص ص 48،49.

وأشلائهم المتطايرة، وتفرد بها العدو الذّئب الضّاري، وانتشر الإخوة في البرارة، ثـمّ غابوا عنها،وكأنّ حالها لايعنيهم الْبَتّة.

بالفعل إنّ ذلك السّرد المأسويّ يجعل كلّ قلبي غيور يرثيه،ويتألـم لأجله،بـما يستطيع من حِيَلٍ ويمتلكه من أدوات،علّه يصادف قلباً حيّاً ينتفض في وجه المحتلين الغُزَاة لأجل مساندة غزّة ونصرتها، واسترداد حقوقها من شِدْق الأعادي.

وما يستخلص من كلّ ما سبق،يتبيّـن للقارئ بأنّ الشّعراء الجزائريين المحدثين والمعاصرين،خاضوا عباب غرض الرّثاء،ولم يتركوا لوناً من ألوانه إلّا جرّبوه،ووضعوا بصماتهم فيه،فجاءت أعمالهم محمّلة بقصائد تترجم أحوالهم النّفسيّة وأفئدتهم المضطربة عند تناولهم لغرض الرّثاء،إذ بكوا واستبكوا من حولهم من السّامعين والمعزّين،معرّفين إيّاهم بـمن فقدوه،واقفين على جوانب من حياته،ذاكرين خصاله ومناقبه وفضائله داعين إلى الاقتداءبه في سيرته ومسيرته،متسلحين بالصّبر والإيمان،مستسلمين للقضاء والقدر سائلين الله العوض والخلف فيما ضاع منهم،أوفقدوه،فـرثوا العلماء والأدباءوالشّعراء،والأصدقاء والرؤساء والزّعماء والإبطال والشّهداء،والأوطان المدن،وغير ذلك من المرثـيّات.

كما يلاحظ القارئ أنّهم وظفوا أشكال الشّعر المعروفة بحسب زمانهم،فكان القالب العموديّ في الرّثاء الجزائريّ القديم،وتواصل هذا النوع حتّى الوقت المعاصر،كما أن المعاصرين من الشّعراء الجزائريين،وظفوا القالب العمودي الخليلي المعهود تارة، أواستبدلوه بالقالب الشّعريّ الجديد والمعروف بشعر التّفعيلة تارة أخرى،وهناك منهم من زاوجوا بين القالبيْـن،فجاءت مدونات تحمل القالبين، يلجأ الشّاعر إلى ما يراه مناسباً لحالته النّفسيّة ومقدرته الشّعريّ.

الفـصل الـثّانـيّ

الجانب التّطبيقيّ (الجزء الأول)

شعر الرّثاء بين التّقليد والتّجديد في قصائد:
" محمّد العيد آل خليفة – أحمد سحنون – محمّد باي بلعالم".

يقدّم هذا الفصل قراءة تحليليّة للمدونات المختارة،والقصائد الشّعريّة الصّادرة في شكل مؤلفات أو مخطوطات، للأعلام الثّلاثة: محمّد العيد آل خليفة، أحمد سحنون، ومحمّد باي بلعالم،حيث وزعت مخرجات هذا الفصل،على ثلاثة مباحث،جاءت كما يلي:

أولاً–المبحث الأول: قراءة في مراثي محمّد العيد آل خليفة.
ثانياً–المبحث الثّانيّ: شعر الرّثاء في ديوان أحمد سحنون (جزءان).
ثالثاً–المبحث الثّالث: قراءة في مرثيّات محمّد باي بلعالم .

شعر الرّثاء بين التّقليد والتّجديد في قصائد:
"محمّد العيد آل خليفة– أحمد ياسين– محمّد باي بلعالم"

يسعى هذا الفصل تقديم قراءة تحليليّة في المرثيّات الواردة في ديواني الشّاعر محمّد العيد آل خليفة،والشّاعر أحمد سحنون،ومراثيّ الشّيخ محمّد باي بلعالم،وهي مدونات تُحْتَسَبُ من فنّ الشّعر الجزائريّ الحديث المعاصر،حيث ستحظى بالدّراسة للوقوف على مواطن التّقليد، وصوّر التّجديد في هذه المصنّفات، وأخذ ملمح عام على مميزات شعر الرّثاء في هذه الفترة المعنيّة بالدّراسة.

أولاً–المبحث الأول: قراءة وصفيّة تحليليّة لمراثي محمّد العيد آل خليفة:

1–نبذة مختصرة عن حياة محمّد العيد آل خليفة (1904م–1979م):

1–1–التّعريف بالشّاعر:

محمّد العيد حم علي الخليفة:"ولد الابن محمّد العيد في27جمادي الأولى 1322هـ/28أوت 1904م"[1]،بعين البيضاء،ونشأ فيها،حفظ القرآن،وتلقى الدّروس الابتدائيّة بالعربيّة،ثمّ انتقلت أسرته إلى بسكرة،فتابع التّعليم على بعض علمائها الأجل، ثمّ غادر بسكرة، وهو لا يزال فتى إلى جامع الزّيتونة، وزاول دراسته بها، بجد ونشاط، مدّة سنتين"[2]،"قرأ خلالها قسطاً وافراً من الكُتُبِ،التي كانت تدرس بالزّيتونة،وبغيرها من المعاهد العلميّة في العالم العربيّ الإسلاميّ يومئذ".[3]

لقد كان نشر محمّد العيد آل خليفة بعض قصائده في صحف مختلفة،وفي عام1346هـ (1927م) أصبح يَعْمَلُ لمدرسة الشّبيبة بالعاصمة،وأثناء الثَورة أُلْقي عليه القبض،وجُعِلَ تحت المراقبة داخل بسكرة،حتّى يوم الاستقلال [4].

لقد تعاطى محمّد العيد الشّعراء منذ صباه، وصار فيه مجيداً،حتّى أصبح من الشّعراء النّابغين[5]، لقب بألقاب كثيرة،مثل:"شاعر الشّباب"،"شاعر جزائر الفتاة"،"شاعر الشّمال الإفريقي"،"شاعر العروبة والإسلام"،"شاعر الحكم والمثل"، فهو شاعر الشّباب والجزائر الفتاه في العشرينيّات والشّاعر

---

1 – محمّد بن سمينة،محمّد العيد آل خليفة دراسة تحليليّة لحياته، ديوان المطبوعات الجامعيّة،بن عكنون–الجزائر،ص8.

2– محمّد بن رمضان شاوش، الغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر،مصدر سابق،ج3+4،ص492.

3–محمّد بن سمينة، محمّد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنيّة للكتاب،الجزائر،1989م،ص9.

4–محمّد بن رمضان شاوش، الغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر،المصدر السابق،ص492.

5–المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

الشّمال الإفريقيّ والعروبة في الثّلاثينيّات والشّاعر الحكيم في ذروة النّضج الشّعريّ،والمعاناة والمقاساة الوطنيّة في الأربعينيّات وما تلاها[1].

فالشّاعر محمّد العيد آل خليفة"جامع لتلك الأوصاف في كلّ تلك المراحل، وهي ميزة(للعيد) في وفائه لمبادئه، والتزامه بأخلاقياته،عاش لها وعاشت له، رافقها ورافقته طيلة 75سنة، ولم تفارقه حتّى فارق الحياة سنه 1979"[1].

1-2- بعض مؤلفاته:

رحل الشّاعر محمّد العيد آل خليفة، وخلّف وراءه، أعمالاً أدبيّة عظيمة منها:

- شبح القصر:مسرحة مقتبسة من الاسبانيّة،صاغها نثراً،ونظمها باللّغة العربيّة الفصحى، مُثِّلَتْ سنة 1936م.
- رواية بلال مسرحيّة شعريّة(ط) المطبعة العربيّة/ الجزائر/ سنة 1938م.
- ديوان شعريّ(ط1)،(ش.و. ن .ت)/ الجزائر/ سنة1967م.
- أنشودة الوليد في يوم المولود السّعيد،مع موجز للسّيرة النّبويّة.
- نشر الكثير من القصائد في جريدة البصائر،والسّنة والشّريعة،والصّراط، والمرصاد، والثّبات...الخ.[2]

2-تقديم موجز للدّيوان الشّعريّ لمحمّد العيد دراسة وصفيّة:

الاسم: ديوان محمّد العيد علي خليفة.

دار الطّبع:موفم للنّشر(المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة)- وحدة الرّغاية-الجزائر،2010م.

عدد الصّفحات:594 صفحة.

نشر هذا الدّيوان في طبعته الأولى 1967م،في 602 صفحة،ثمّ في الطّبعة الثّانيّة 1979م،في 593صفحة،وبعده نشر في عدة مرات منها طبعة2012م،في 602 صفحة،كما ظهرت تكملة للدّيوان،وقدّم لها الدّكتور محمّدبن سمينة1997م،وطبعت بدار الغرب الإسلاميّ/بيروت،في 160 ص[3]،وصدرت عن المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة 2003م/الجزائر،باسم((العيديّات المجهولة تكملة ديوان محمّد العيد أل خليفة)).في 258 صفحة.

---

1 -صالح خرفي، محمّد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م،ص17.

1 -المصدر نفسه، الصّفحة نفسها

2 -محمّد بسكر، أعلام الفكر الجزائريّ، مرجع سابق،ج2،ص347.

3 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها،(بتصرف).

لقد قسّم المشرفون على جمع الدّيوان محمّد العيد آل خليفة شعره إلى اثني عشر محوراً،تقسيماً غير سليم على كل حال، هي[1]:

1. أدبيّات وفلسفيّات،
2. إسلاميّات وقوميّات،
3. أخلاقيّات وحكميّات،
4. اجتماعيّات وسياسيّات،
5. اللّزوميّات،
6. الإخوانيّات،
7. الثّوريّات،
8. المراثي[1]،
9. الذّكريّات،
10. المتفرقات،
11. الألغاز،
12. الأناشيد.

هذا التّصنيف يخصّ الدّيوان الأمّ،أمّا تصنيف التّكملة(العيديّات)،فقد جاء في ستة محاور، تشابهت مع الدّيوان في أربعة عناوين، وتباينت معه في عنوانين،يمكن تبيّين ذلك فيما يلي:

1. إسلاميّات ووطنيّات،
2. إخوانيّات،
3. متفرّقات،
4. من زهديّات الشّاعر اللزّوميّة،
5. خصوصيّات،
6. الأناشيد.[2]

1- عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين،مصدر سابق،ص140.

1- ضمّ هذا المحور المحصور بين(الصّفحة415إلى الصّفحة490) عما يزيد عن 16 مرثيّة، ولا يعني أنّها القصائد الوحيدة المعنية بالرّثاء في الدّيوان،بل تتفرق مرثيات أخرى على بقية محاور الدّيوان، مما يجعل عددها يفوق العدد المشار إليه في محور المراثي.

2- محمّد بن سمينة،تكملة ديوان محمّد العيد أل خليفة،دار الغرب الإسلاميّ،ط1،بيروت-لبنان،1997م،ص ص159،158.

الحق أنّ كلّ محور من هذه المحاور ألاثني عشر، يشكل بنفسه موضوع ديوان كامل،مما يمكن معه القول إنّ ديوان محمّد العيد بالتّقسيم المعاصر لنصوص الشّعر، يمثل تقريباً من عشرة دواوين، وهو مقدار ضخم، من العسير أن يعرض له الدّارس في فصل واحد،أو حتّى في كتاب واحد[1].

3-عناوين قصائد الرّثاء وتصنيف أنواعها في محتوى الدّيوان وتكملته قراءة وصفيّة تحليليّة:

سيلفي الدّارس لديوان الشّاعر محمّد العيد آل خليفة عدداً لا بأس به من قصائد الرّثاء، جاء بعضها تحت محور المراثيّ، أمّا البعض الآخر جاء مبثوثاً بين ثنايا المحاور الأخرى وهو الغالب، ويمكن التّعرف على ذلك كلّه،من خلال عنوان المرثيّة من ناحية، أومن خلال موضوعها أو محتواها العام من ناحية أخرى،ويمكن الوقوف على كلّ عناوين المرثيّات الواردة في الدّيوان وتكملته،بفضل الجدولين الإحصائيين التّاليين:

3-1-عناوين المراثي الواردة في الدّيوان:

الرقم	عنوان المرثيّة	المرثي	نوع الرّثاء	الصّفحات
01	يا دار	الوطن	الأوطان	09-07
02	شاعرية الرّصافي	شعر معروف الرّصافي	الشّعراء	33
03	أين ليلاي	ليلى (الحرية)	النّفس	42-41
04	يا هزازي	الــهــزاز	الطّيور	50-49
05	يا فؤادي	فؤاد الشّاعر	النّفس	55-54
06	زلزلة الأصنام	مدينة الشّلف	المدن	72-68
07	باخرة الموت	الشّهداء البؤساء	الشّهداء	287-285
08	يا نفس	النّفس	النّفس	290-288
09	يا شرق	الوطن العربي	الأوطان	298-296
10	تقسيم فلسطين	دولة فلسطين	الدّول	314
11	بعد هذا	الجزائر	الدّول	519-517
12	لا أنسى	يوم 08 ماي45	الأوطان	327-325
13	فلسطين العزيزة	دولة فلسطين	الدّول	335-334
14	خطر العلم على البشريّة	مدينة هوريشيما	المدن	338-336
15	يا مصر	دولة مصر	الدّول	346-344
16	بلادنا أسيرة	دولة الجزائر/ الوطن	الدّول	346-344
17	أطلال"وقفة على تمقاد"	مدينة تمقاد الاثريّة	المدن	347

1-عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين،المرجع السّابق،ص141.

18	وداع رمضان	شهر رمضان	المواسم	373
19	يا فؤادا	الفؤاد	النّفس	384-383
20	وقفة على قبور الشهداء	شهداء الوطن	الشهداء	437-435
21	رثاء رشيد	بطل قصة	الأبطال	450-449
22	إلى صديقي الجلالي	محمّد بن شنب	العلماء	455-451
23	رثاء شاعر النيل حافظ إبراهيم	حافظ إبراهيم	الشّعراء	456-454
24	إلى روح شوقي	أحمد شوقي	الشّعراء	459-457
25	قصّة شهيدين	شابان جزائريان	الشّهداء	462-460
26	الوداع الوداع	الأمير خالد	الزّعماء	465-463
27	في ذمّة الله يا خالد	الأمير خالد	الزّعماء	466
28	رثاء غازي الأول ملك العراق	غازي الأول	الملوك	469-467
29	عزاء تركيا	الغازي مصطفى كمال	الرّؤساء	670
30	رثاء رشيد بطحوش	رشيد بطحوش	الأصدقاء	473-471
31	يا قبر	بن باديس	العلماء	474
32	دمعة منهمرة على فتاة منتحرة	فتاة جزائريّة	الأسر/المجتمع	478-475
33	تأبين الشّاذلي خزندار	الشاذلي خزندار	الشعراء	451-479
34	فقدنا ملكا عادلا	عبد العزيز آل سعود	الملوك	484-482
35	عزاء في فجيعتنا	ميناء عنابة	المدن	487-485
36	أبيت النفس أن تراك عديما	محمّد البشير الإبراهيميّ	العلماء	490-488
37	ذكري شاعرين	أحمد شوقي وحافظ ابراهيم	الشعراء	496-493
38	عاش وقفا على الجزائر	عبد الحميد بن باديس	المصلحون	500-497
39	يا رائد الشعب	محمّد البشير الإبرهيمي	المصلحون	505-501
40	أهلا وسهلا يالامير	الأمير عبد القادر	الأمراء	509-506
41	فابشر يا ابن محي الدين	الأمير عبد القادر	الأمراء	512-510
42	05 جويلية 1830	الوطن	الأوطان	515
43	الضيف الثقيل	الوطن	الأوطان	515
44	هزات أرضة	الجزائر العاصمة	المدن	516
45	ويح الشباب	السعادة	الأخلاق/القيم	518
46	سأمضي... وأترك شعري	المؤلف	النفس	535
المجموع : (46) ست وأربعــون مرثيّة				

(الجدول رقم 01:إحصاء عناوين مرثيات الدّيوان)[1]

1 - من عَمَلِ الطّالب.

يكشف هذا الجدول العدد الكلّيّ لمجموع قصائد الرّثاء الواردة في الدّيوان،والمقدر بـ(46)ست وأربعين مرثيّة،نَظَمَهَا الشّاعر محمّد العيد آل خليفة في مناسبات وظروف مختلفة،وهي متباينة في عناوينها ومحتوياتها،ومتشاكلة في نوع رثائها، يُظْهِرُ فيها محمّد العيد تأثره بالمرثي،وحزنه على فراقه وفَقْدِهِ، وأبان عن حالاته النّفسيّة من خلال أبياتها، مع مراعاة مكانة هذا المرثي،أوذاك في قلبه، كما يلاحظ أنّ عددها زاد عن العدد(16)ست عشرة مرثيّة، الوارد في محور "المراثي"،مما يدفع للقول إلى إلزاميّة إعادة ضبط التّقسيم، في نسبة القصائد إلى تلك المحاور،وإدراجها في شكل أدق.

3-2-عناوين المرثيّات الواردة في تكملة الدّيوان/ العيديّات المجهولة[1]:

وكما سبقت الإبانة عن عناوين المراثي وأنواعها،وعن عددها الكليّ الوارد في الدّيوان،سيتم الكشف عن المرثيّات الواردة في كتاب(تكملة الدّيوان/العيديّات المجهولة)،من خلال عرض الجدول الإحصائي التّاليّ:

الرقم	عنوان المرثيّة	المرثي	نوع الرّثاء	الصّفحات
01	عمر المختار الشّهيد"1"	عمر المختار	الزّعماء	56-52
02	في رثاء الأمير شكيب آرسلان"1"	الأمير شكيب آرسلان	الأدباء	60-57
03	أحبابنا قد رحاوا "1"	الأحبة	الأحباب	73
04	الأمير خالد و ابن باديس	أ/خالد وعبد الحميد بن باديس	القادة	86
05	الفاتح عقبة بن نافع الفهري "1"	عقبة بن نافع	القادة	87
06	الإهداء إلى أرواح شهدائنا الابرار"1"	شهداء الجزائر	الشّهداء	141-140
07	وفاء العهد	إبراهيم خير الدين القنطري	الأصدقاء	170-169
08	فزت بالمنى	الحاج علي بن الحاج عيسى التماسي	العلماء	184-182
09	ولي الإمامة	الشيخ الهاشمي بن المباركة	العلماء	184
10	عظم الله أجركم	الشيخ أحمد المغزى	العلماء	190-189
11	دمعة على سابط مسروق	حذاء المؤلف	الأمتعة	200-198
12	الموت الواجب	الضياع	النّفس	209
13	زفرات "مضى الزمن الآنف""1"	الزمن الآنف	النّفس	224-222
14	عبرة	الشّيخ العيد	العلماء	228-227
المجموع الكلّيّ: 14 أربع عشرة مرثية				

(الجدول رقم 02:إحصاء عناوين مرثيات التكملة/العيديات)[2]

1-تكلمة الدّيوان/العيديّات المجهولة: هو عنوان الكتاب ذاته، الاسم الأول صادر عن مطبعة دار الغرب الإسلامي ببيروت، عام1986م، أمّا الثّاني فهو صادر عن مطبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر عام 2003م، للمؤلف واحد هو:محمّد بن سمينة، وللإشارة هنا فإن أرقام الصفحات الواردة في الجدول هي مأخوذة من كتاب العيديات المجهولة فقط.

2- من عمل الطالب.

يقدّم هذا الجدول الثّاني هو الآخر العدد الكلّيّ لمجموع المرثيّات الواردة في تكملة الدّيوان، والمقدر بـ(14)أربع عشرة مرثيّة، بحيث تَحَتْ مَنْحَى سابقتها في الدّيوان،فتنوعت المناسبات في نظمها،واختلفت ظروف عرضها،فضلاًعن التّباين في العناوين والمحتويات،والتّشاكل في نوع الرّثاء المعروضة به،كما أفصحت عن الحالة النّفسيّة والشّعوريّة للشّاعر محمّد العيد آل خليفة، وهو يعيش لحظات الفراق والوداع لأولئك المرثيين،علماً بأنّ التّكملة لم يذكر في تقسيمها محور المراثي.

وبالجمع بن مرثيات (الدّيوان)والمقدرة بـ(46)ست وأربعين مرثية،ومرثيات(التّكملة/ العيديّات) والمقدرة بـ(14) أربع عشرة مرثيّة، يكون النّاتج الإجماليّ من جموعهما (60) ستين مرثيّة،نكتشف أن العدد الإجمالي المراثيّ الشّاعر محمّد العيد آل خليفة،يفوق العدد المقروء في محور المراثي الوارد في كتاب الدّيوان"الأم"، مما يحتّم إلزاميّة إعادة النّظر في تقسيم القصائد على محاور المعتمدة التّقسيم السّابق،أو تعديل بتقسيم أنسب لأغراض الشّعريّة، التي ألفت فيها القصائد بوجه عام.

3-3-أنواع الرّثاء المعروضة في الدّيوان وتكملته:

عند القراءة الفاحصة للجدولين السّالفين، يمكن للقارئ الوقوف مليّاً[1] لمعرفة المعني في الرّثاء، ويقصد به الشّخص المرثي،الذي ألفت بسببه المرثيّة،كما يُمَكِّنَانِه من معرفة أنواع الرّثاء التي نُظِمَتْ في صنفها تلك المرثيّات المدّونة، أمّا الجدول الموالي، يُجلي بوضوح أنواع الرّثاء، وأعداد القصائد الواردة في كلّ نوع:

نوع الرثاء	الدّيوان	التّكملة/العيديات	المجموع
النّفس	05	02	07
الأحبة /الأصدقاء/ أبناء الأصدقاء	01	02	03
المصلحون والدّعاة	02	00	02
المشايخ والعلماء	03	04	07
الأدباء والشعراء	05	01	06
الأبطال والشّهداء	04	01	05
القادة والزعماء	02	03	05
الملوك والأمراء والرؤساء	05	00	05
الأوطان والمدن والدول	15	00	15
الأسر والمجتمع	01	00	01
الطّيروالطبيعة	01	00	01

1- يكون ذلك إذا لم يصّرح باسم المرثي في العنوان، وتـمّت الإشارة إليه، بالرّمز أو اللقب الفنيّ، تلميحاً لا تصريحاً، بل يعرف بعد قراءة المرثية،ودراستها وتحليلها، وإدراك مضامينها، حيث يوجد ذلك في أغلب عناوين المرثيات.

الأمتعة والأغراض	00	01	01
الأخلاق والقيم والتّقاليد	01	00	01
المواسم والأعياد	01	00	01
المجموع	46	14	60

(الجدول رقم 03:إحصاء إجمالي لعدد المراثي وأنواعهافي الدّيوان وتكملته)[1]

عند القراءة الفاحصة لبيانات هذا الجدول، يمكن من خلالها، التّعرف على عدد لا بأس به من أنواع الرّثاء الموجودة في ديوان محمّد العيد آل خليفة،وبعد التّأليف بين الأنواع المتقاربة في المحتوى، أمكن تحديد وتـمييز(14) أربعة عشر نوعاً من الأنواع البارزة في غرض الرّثاء،تفاوت في عدد قصائد المؤلفة فيها في هذا الدّيوان وتكملته نذكر منها على سبيل التّمثيل لا الحصر:

- رثاء الأوطان والمدن والدّول: خمس عشرة (15) مرثية.
- رثاء المشايخ والعلماء/ رثاء النّفس: سبع(07) مرثيات.
- ورثاء الأدباء والشّعراء:ست (06) مرثيات، في كلّ منهما.
- رثاء الأبطال والشهداء/ رثاء القادة والزعماء: خمس(05) مرثيات، في كل منهما.
- رثاء الملوك والأمراء والرؤساء:خمس (05) مرثيات.
- رثاء الأحبة/ الأصدقاء/ أبناء الأصدقاء: ثلاث(03) مرثيات.
- رثاء المصلحين والدّعاة: (02) مرثيتان.
- أما المتبقي من الأنواع فكان نصيبه من محتوى الدّيوان وتكملته، مرثيّة واحدة في كلّ نوع،كرثاء الأسر والمجتمع، ورثاء الطّير والطّبيعة وغيرهما.

إنّ العدد الإجماليّ للمراثي الصّادرة في الدّيوان وتكملته،والمقدر بـ(60)ستين مرثيّة، والمتنوعة الأنواع كما تبيّن آنفاً،يقدّم صورة عن صفاء روح الشّاعر محمّد العيد الإنسانيّة،وحبّه لكلّ خير وجميل،فقد أجلّ العلم وأهله،من المشايخ والعلماء،وأحبّ الإصلاح ونشر الوعي والقائمين عليهما، من الدّعاة والمصلحين،فعمل على إصلاح المجتمع والأسر، وثمّن العادات والتّقاليد ونشر القيّم، وأحبّ الأوطان والمدن والدّول الشّقيقة والصّديقة،إنزال أمراءها وملوكها منازلهم،وأكَنَّ المحبة للأصدقاء والأحباب وأبنائهم،وأغبط بالقادة والزّعماء،وحَفِظَ مكانة الأبطال والشّهداء،وفرح بالأعياد والمواسم، أحسّ بالطبيعة وما فيها من طيور، ففرح معها، وبكى لفقدها وفراقها.

1- من عمل الطّالب.

4-وقفة تحليليّة لبعض النّماذج من أنواع الرّثاء في شعر محمّد العيد:

سنكتفي في هذه الوقفة التّحليليّة، بذكر بعض النّماذج من أنواع الرّثاء، للتّعرف على نفسيّة الشّاعر محمّد العيد آل خليفة، عندما تحلّعليه الفواجع،أوعند سماعه بأخبار النّعي المفاجئة،أو معايشته للحظات الاحتضار والفرق والوداع لعزيز على قلبه، وغير ذلك مما يحزن فؤاده،ويجري دموعه، ويجعله حائراً لا حيلة لديه،ينفع بها من فقد، فاهتدى لقول الشّعر تنفيساً على خواطره، ومشاركة لأهل الفقيد ومحبّيه في عزائهم ومصابهم،وتخفيفاً لكربتهم ومحنتهم.

4-1-رثاء المشايخ والعلماء:

لقد حَفَلَ ديوان محمّد العيد آل خليفة برثاء المشايخ والعلماء،نظراً لمكانتهم العظيمة في قلبه، وإدراكه لدورهم الكبير وفضلهم الجليل على البشرية جمعاء،إذ نظم ما يربو عن سبع(07) مرثيات، جاءت دلالات ألفاظها،ومعاني أبياتها في ذكر سير أولئك العلماء،ومناقبهم وآثارهم، وكلّ ما اتسعت له أشطر القصائد وأبياتها،وسَنِحَتْ به أحوال الشّاعر لذكره، ومن العلماء الذين رثاهم محمّد العيد، فنجد:محمّد بن شنب،الشّيخ الهاشمي بن المباركة،الحاج علي بن الحاج عيسى التّماسي،الشّيخ أحمد المغزى،الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي،والشّيخ عبد الحميد بن باديس، وسيكون الاقتصار على رثاء الأول والأخير:

4-1-1-رثاء العالم محمّد بن شنب(1866م-1929م):

هو محمّد بن العربيّ بن محمّد أبي شنب،باحث، عالم بالأدب،ولد بفحص قرب المديّة، وتعلم بالمدية،وبمدينة الجزائر،التحق بالتّعليم من سنة 1888م،وعُيِّنَ أستاذاً للّغة العربيّة في كليّة الجزائر، منحته الجامعة الجزائريّة لقب دكتور في الآداب(1920م)،كان يحسن اللّغة الفرنسيّة كأهلها،وله إلمام جيّد بالفارسيّة والعبريّة والايطاليّة والتّركيّة والإسبانيّة وغيرها[1].

وبعد وفاته1929 رثاه الشّاعر محمّد العيد آل خليفة،في قصيدة عنوانها"إلى صديقي الجيلالي"[2]، يقول فيها:

كَانَ سَمْحاً مُلَاطِفاً كَانَ ثَبْتاً كَانَ شَهْماً مُحَافِظاً كَانَ حُرّاً
فَأَجَدَ فِيَ ذِكْرَاهُ مَا شِئْتَ وَصْفاً إنَّ ذِكْرَى (مُحَمَّدٍ) خَيْرُ ذِكْرَى

1- عادل نويهض ،معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق،ص250.

2- المقصود بالجيلالي هنا الشيخ:عبد الرّحمان الجيلالي(1908-2010م) وهو علم ومؤرخ جزائري، راسله محمّد العيد آل خليفة بهذه المرثية، ونشرها في مناسبة ذكرى وفاة العلامة محمّد بن أبي شنب عام 1933م.

إِنَّ ذِكْــرَى(مُـحَمَّدٍ) نـارُ مُوسَى سَوْفَ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهَا الْخَيْرُ يَـثْرى[1]

يصف الشّاعر محمّد العيد آل خليفة العالم محمّد بن أبي شنب،فأنّه كان سمحاً ولطيفاً في تعامله مع النّاس،كان يتثبت في نقل العلوم والمعارف،كان شهماً في إقدامه، ومحافظًا على تراثه آبائه وأجداده،وكان حـرّاً في تفكيره، ثمّ يطلب من المتلقي أن يجد ما يشاء من الأوصاف المناسبة لشخصيّة محمّد بن أبي شنب عند ذكراه،وفهي مصدر ومرجع للإخبار عنه،وهي ذكرى للاقتباس كنار موسى عليه السّلام، تأتي من بعد ذكراه أخبار الخير الكثيرة.

ثم يخاطب محمّد العيد في هذه المرثيّة رجال الغدّ وهم الشّباب وطلبة العلم، مناديّاً:

يَا رِجَالَ الْـغَدِ اجْعَـلُوهُ إِمَـاماً فَهْوَ فِي الْعِلْمِ بِالْإِمَامَةِ أَحْـرَى
ابْـعَثُوا الْـعِلْمَ مُـسْتَمِرِّيْنَ فِيْهِ إِنَّــهُ كَـانَ بَـاحِــثاً مُــسْتَـمِرا
كَانَ فِيْكُمْ مُؤْلِفاً كَانَ فيكم مُـغْرَماً بِاللُّغى وَبِالْكُـتْبِ مُغْـرِى
هَـذِهِ صَفْحَةٌ مِنْ الْمَجْدِ جَدَّتْ فَـأَجِدُوا لَهَا صَحَائِفَ أُخَرُى[1]

يوصي الشّاعر محمّد العيد آل خليفة الشّباب أن يتّخذوا العلّامة الرّاحل محمّد بن أبي شنب إماماً لهم،في مسارهم العلميّ، فهو جدير بأن يكون قدوة وإسوة في طلب العلم،وأن يستمروا في طلبهم، فقد كان الإمام بحاثة باستمرار،كما كان مؤلفاّ، متقناّ للغات،ومغرى بمطالعة الكتب، ثمّ يؤكد لهم بأنّه صفحة من المجد وجدت في تاريخ البلاد، لجدوا لها صحائف أخرى مماثلة.

4-1-2-رثاء الإمام عبد الحميد بن باديس(1889م-1940م):

هو عبد الحميد بن محمّد المصطفى بن مكي بن باديس:من كبار رجال الإصلاح والتّجديد في الإسلام، والزّعيم الرّوحيّ لحرب التّحرير الجزائريّة[2].

ولد سنة 1889م في قسنطينة وتلقى معارفه الأولى على يد الشّيخ محمّد المدّاسي،كما درس علوم العربية والإسلاميّة على يد الشّيخ حمدان الونيسيّ، يـمَّمَ وجهه إلى تونس سنة1912م فتحصل على شهادة التّطوع من جامع الزّيتونة، ثمّ رجع إلى قسنطينة، فبدأ دروساً تعليميّة وإصلاحيّة بجامع سيدي الأخضر الذي ختم فيه تفسير القرآن في 25 عاماً متواليّة[3].

1- ديوان العيد محمّد العيد علي خليفة،موفم للنّشر،الجزائر،2010م،ص ص 451، 452.

1- الدّيوان، ص 452.

2- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق ،ص36.

3- محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، مرجع سابق،ج01،ص320.

أسس جريدة المنتقد سنة 1925م،ثُـمَّ حوّلها إلى الشّهاب الأسبوعيّ في السّنة نفسها،ثمّ الشّهاب الشّهريّ ابتداء من سنة 1929م إلى غاية سنه 1939م،وفي سنة 1931م تأسست جمعية العلماء المسلمين، فكان أول رئيس لها[1].

وضع تحت الإقامة الجبريّة، بمنزله في قسنطينة،حتّى نُعيّ الشّعب الجزائريّ بوفاته يوم الثّلاثاء 16 ابريل 1940، والذي اتخذ كيوم للعلم في الجزائر بعد الاستقلال...وقد هبّ الشّعب الجزائريّ كلّه لتوديع الشّيخ الإمام في جنازة مهيبة، لم تعرف الجزائر لها مثيلاً[2].

يقول فيه عبد الملك مرتاض:"هو العَلَمُ الشّامِخُ،والعلامّةُ الكبيرُ،والمربيَّ الشَّهِيرُ،والأستاذ النّحريرُ الذي ربى أجيالاً فهذبّها بالتّهذيب الإسلاميّ الصّحيح، وعلَّم خلْقاً كثيراً، فتخرجوا في مدرسته الفكريّة، التي جعلت من قسنطينة منارةً وهّاجَةً،للعلم والمعرفة، والإشعاع الفكريّ النّير الرّصين،إنَّه عبد الحميدبن باديس الذي سبقت لنا ترجمته أكثر من ثلاثين عاماً"[3].

رثاه الشّاعر محمّد العيد آل خليفة بقصيدة،عنوانها "يـا قـبـر"،يقول فيها،مناديّاً قبر الإمام، حينما وقف عليه للتّذكر وللتّرحم:

يَا قَبْـرُ أَنْتَ وَطَابَ فِيْكَ عَبِـيْرُ هَلْ أَنْتَ بِالضَّيْفِ الْعَزِيْزِ خَبِـيْرُ؟
هَذَا(ابْنُ بَادِيْسُ)الْإِمَامُ المُرْتَضَى (عَبْدُ الحَمِيْدِ)إِلى حِمَاكَ بَـصِـيْـرُ
الْـعَالِـمُ الْـفَـذُّ الْذِي لِـعُلُومِـهِ صَيْـتٌ بِأَطْـرَافِ الْبِـلَادِ كَبِيْرُ
بَعَثَ الْـجَزَائِرَ بَعْدَ طُوْلِ سُبَاتِهَا فَالشَّعْبُ فِـيْهَا بِالْـحَيَاةِ بَصِـيْرُ
وَقَضَى بِـهَا خَمْسِيْنَ عَاماً كُلَّهَا خَيْـرٌ لِكُلِّ الْمُسْلِمِيْنَ وَخِيْـرُ[4]

يخاطب الشّاعر محمّد العيد القبر ويبشره، بطيب المقام،كونه ضمّ جسد الشّيخ الإمام عبد الحميد بن باديس،العالم الفذّ،ناشر العلوم، والتي ذاع بفضلها صيْته في ربوع الوطن، لقد بعث الجزائر من سباتها الطّويل، والمسلط عليها من طرف الاستعمار الغاشم، محارب العلم وناشر الجهل والأميّة بين في أوساط الشّعب الجزائريّ، والذي استنار بعلوم الإمام ابن باديس،حيث قضى خمسين عاماً كلّها،في إزاحة الشّر عن النّاس، واستبداله بالخير الذي ينفعهم ويتنعموا به.

1- المرجع نفسه، ص321.

2 -أسيا تميم، الشّخصيات الجزائريّة 100شخصة، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص68.

3- عبد الملك مرتاض، معجم الشّعراء الجزائريين في القرم العشرين،مرجع سابق،ص 67.

4- الدّيوان، ص 474.

لقد جاءت أغلب هذه المعاني في مرثيّة الشّيخ عبد الكريم العقون[1]،والتي رثى فيها الإمام عبد الحميد بن باديس،حيث وسمها بالعنوان "جدد الحزن ذكر عبد الحميد"، يقول فيها:

جَدِّدِ الْحُزْنَ ذِكْرُ(عَبْدِ الْحَمِيْدِ) فَجِّرِي فِـي فَـمِي لُـحُونُ نَشِيْدِ
لَيْسَ نَنْسَى عَلَى تَـوَالِي اللَّيَالِـي ذَا تُرَاثُ مُـخَلَّدٌ فِـي الْوُجُـودِ
مَـــاثِلاً فِـــي نُفُوسِنَا مَا حَـيَيْنَا وَهْوَ تَـحْتَ الثَّرَى رَهِيْنُ لُحُوْدِ
كَيْفَ نَنْسَى مُجَاهِداً كَـافَحَ الظُّلْـ ـــمَ وَأَوْدَى بِـمَـكْرِ كُـلِّ عَـتِيْدِ
أَيْقَظَ الشَّعْبَ مِنْ سُبَاتٍ عَمِيْـقٍ وَهَـــدَاهُ لَدَى الظَّلَامِ الشَّدِيْدِ
وَحَمَاهُ مِنْ غَاصِبِيْـنَ طُـغَـاةٍ!! وَتَصَـــدَّى لِـــكُلِّ بَاغٍ مُرِيْـدِ[2]

يطلب الشّاعر عبد الكريم العقون من ذكرى أن تجدد الحزن على الإمام عبد الحميد باديس،وأن تفجر تلك الذكرى على فمه لحون الأناشيد ترنماً به،فهو عَلَمٌ لن يُنْسَى بتوالي الليالي وتعاقب الأزمان لأنه تراث مخلد في الوجود، حاضراً في القلوب مدى الحياة، وهو تحت التّراب في قبره.

ثم يتساءل كيف يمكن أن ينسى عبد الحميد بن باديس،وهو قد عاش مجاهداً مكافحاً الظلم، وقضى على مكر كلّ معتدٍ،وهو الذي أيقظ الشّعب الجزائريّ من سبات الجهل والأميّة،بفضل العلم ونشر الوعي،مرشداً إيّاه من ظلمات الجهل،وحاميّاً عنه من الغاصبين الطّغاة،ومتصديّاً لكلّ من أراد أن يعتدي عليه.

وبالعودة إلى مرثية الشّاعر محمّد العيد آل خليفة نجده يلتفت للإمام عبد الحميد مخاطباً:

نَمْ هَـادِئاً فَـالشَّعْبُ بَـعْـدَكَ رَاشِـدٌ يَخْتَطُّ نَهْجَكَ فِي الْهُدَى وَيَسِيْرُ
لَا تَخْشَ ضَيْعَةَ مَا تَرَكتَ لَنَا سُـدَى فَـالْـوَارِثُونَ لِـمَا تَـرَكْـتَ كَـثِيْـرُ[3]

يدعو الشّاعر محمّد العيد الإمام بن باديس للنّوم هادئاً مطمئناً،لأنّه تَرَكَ خلفه شعباً مستبصراً راشداً،يسير على نهج الإمام وخطاه،مقتدياً به في مسيره،ثمّ يدعوه ألا يخشى ضياع ما تركه من علوم ومعارف بين النّاس،بل هي محفوظة ومصونة، لأن الوارثين الحاملين لتلك العلوم و المعارف كثيرون.

ويرثيه في قصيدة أخرى ألقاها في إحدى ذكرى الإمام السّنويّة،والتي أقيمت بمدينة باتنة،في21 أفريل 1965م،حملت عنوان "عَاشَ وَقْفاً على الجزائر"، يقول فيها محيّاً ومترحماً:

1- عبد الكريم العقون (1918-1959)أحد أبناء الجزائر الذي وهب حياته لخدمة وطنه،من ورواد الشعر والفكر الحديث.

2- البصائر،العدد33،السنة الثانية،السّلسلة الثّانيّة،الجزائر،الاثنين 22أبريل 1948م،ص263.

3- الدّيوان، ص 474.

حيٍّ ذكرى عَبْدِ الْـحَمِيْدِ الْإِمَـامِ وَتَـذَكَّرْهُ بِالرِّضَـى وَالسَّـلَامِ
وتَـرَحَّمْ عَـلَيْهِ فِـي كُلِّ حِيْـنٍ فَـهُوَ فَـي الْعِلْمِ قُدْوةُ الْأَعْـلَامِ
وَهُوَ فِي الزَّحْفِ قَائِدُ الْجِيْلِ حَقّاً وَهُوَ فِيَ الدِّيْنِ حُجَّهُ الْإِسْـلَامِ[1]

يطلب الشّاعر محمّد العيد من المتلقي،بأن يحيّ الإمام عبد الحميد بن باديس في ذكراه، ويتذكره بالرّضى والسّلام، ويترحّم عليه في كلّ الأوقات، لأنّه قدوة العلماء في العلم، وهو قائد الجيل الذي تحقق به الوعي والانتصارات على أعداء،وهو حجة الدّين والإسلام في الجزائر، ثمّ يشهد له بالنّضال في خدمة الوطن والدّين الإسلاميّ والعروبة، فيقول:

عَاشَ وَقْفاً عَلَى الْـجَزَائِرِ وَالْإِسْـ ـــلَام يَـرْاعَاهُـمَا وَفِي الذِّمَامِ
وغَـــيُوراً عَـلَى الشَّرِيْعةِ يَأْبِـــى غَـيْـرَ تَشْرِيْعِهَا لِفِضِّ الْخِـصَامِ
وغَـــيُوراً عَـلَى الْـعُرُوبَةِ يَفْشِي ضِادَهَا لَاهِجاً بِـهِ فِي الْكِلَامِ
وغَـيُوراً عَـــلَى الْـــجَزَائِرِ قِوْمِـ ـيّاً صَمِيْماً مِنْ سَادَةِ الْأَقْـوَامِ[2]

يعترف الشّاعر محمّد العيد للإمام أنه عاش وأفنى عمره وقفاً على الجزائر والإسلام،يراعي شؤونهما وحقوقهما من عهد وأمان وكفالة وحرمة،حيث عاش غيوراً على الشّريّعة الإسلاميّة،يرفض الاحتكام لغير تشريعها لفضّ النّزاعات والخصومات،كما كان غيوراً على اللّغة العربيّة يتكلم إلّا بها أينما حلّ وارتحل، كما كان غيورا على وطنه الجزائر، معتزاً بقوميته، وهويته وانتمائه لها، يرى شعبها من سادة الشعوب والقوميات.

4-2-رثاء الأدباء والشّعراء:

اعتنى الشّاعر محمّد العيد آل خليفة رثاء الأدباء والشّعراء، لتميزهم عن غيرهم، فهم أصحاب فكر وإبداع، يترجمون أحاسيسهم ومشاعرهم وعواطفهم في تآليفهم، كي تتنور بها البشريّة، وتجد ما تستأنس به، وهي تخوض غمار الحياة، وتواجه بها صروف الدّهر ونوباته.

لقد ضمّ الدّيوان عدداً لا يستهان به من المرثيّات،نظمها الشّاعر محمّد العيد، في مناسبات عديدة، تنوعت بين محافل الدّفن والتّأبين،ووقفات التّرحم،وذكريات الاستذكار،حيث نجد من الأدباء والشعراء الذين رثاهم الشّاعر في ديوانه، الشّاعر العراقيّ معروف الرّصافيّ، والشّاعريْن المصريْن حافظ إبراهيم،وأحمد شوقي،والشّاعر التّونسيّ الشّاذلي خزندار، والأديب اللّبنانيّ شكيب أرسلان.

1- المصدر نفسه، ص497.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إنَّ إفادة مرثيّات كلّ هؤلاء الشّعراء والأدباء في هذا البحث،يطيل بنا المقام، يتمّ الاقتصار- كما سبق- على شاعر وأديب، من باب النّمذجة لهذا النّوع الرّثاء عند محمّد العيد آل خليفة، نورد من ذلك مثالين،هما:

4-2-1-رثاء الشّاعر المصريّ أحمد شوقي(1868م-1932م):

أحمد شوقي بن علي بن احمد شوقي:أشهر شعراء العصر الحديث،أمير الشعراء، ولد في القاهرة وتلقى فيها علومه حتّى الثّانويّة،ثمّ درس الحقوق والآداب الفرنسية،في مدينة مونبلييه بفرنسا،وبعد عودته عام1891 عين رئيساً للقلم الفرنجيّ في ديوان الخديويّ عباس حلمي،ندبته الحكومة لتمثيلها في مؤتمر المستشرقين في جنيف سنه 1896، فزار بلجيكا والأستانة،نشبت الحرب الكبرى الأولى عام 1914 فأطاحت بالخديوي وببطانته،وتوفي شوقي إلى برشلونة في اسبانيا عام 1915 وبقي فيها حتى عام1919[1].

عاد إلى مصر وعُيّن في مجلس الشّيوخ،عاش حياةً مترفةً منعّمةً،فكان يسمّي لياليه(نواسيّات)، ومنزله(كرمة بن هانئ)، وبستانه(عشّ البلبل)....تفرد شوقي بشاعريته بأنّه أول من جوّد القصّ الشّعري التّمثيليّ، عقد له مهرجان جمع وفود الأدب والشّعر العرب، في ربيع عام 1927 فبويع أميراً للشّعراء، حاول إن يكتب النثر، فكتب شيئاً على نمط المقامات، إلّاأنّه أخفق، فعاد إلى الشّعر، توفي بالقاهرة[2]، يوم 14 أكتوبر 1932م.

ولما بلغ خبر نعيه الجزائر، رثاءه الشّاعر محمّد العيد آل خليفة، في مرثية طويلة عنوانها"إلى روح شوقي"، نشرت في مجلة ((الشّهاب)) جانفي 1933م.يقول فيها في مطلعها متعجباً مستفهماً:

عَـجَباً لِلـدَّارِ، كَـيْفَ تَـدُورُ؟ نُكِبَ الشِّـعْرُ بِـهَا والشُّـعُورُ
ذَهَـبَ الشِّـعْـرُ بِـهَا حَسَـراتٍ وعَـرَتْـــه وَحْـــشَةٌ وَنُـــفُورٌ
فَـقَدَ الشّـعْرُ مِنْ الشَّـرْقِ شَمْساً لَـمْ يَزَلْ مِنْهَا على الشّرقِ نـورٌ
فَـقَـدَ الشِّعْرُ مِنْ الشَّرْقِ سَرْحاً طَالَـمَا غَـنَّـتْ عَـلِيْهِ الطُّيُورُ
فَـقَدَ الشِّعْـرُ أبَا الشَّعْرِ(شَوْقِي) فَـطَغَـــا الْوَيْـلُ بِـهِ والثُّبُورُ[1]

1-إميل يعقوب، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة،دار صادر،ط01،بيروت-لبنان،1425هـ/2004م،مج01(أ- س)، ص95.

2-المصدر نفسه، ص ص 95،96.

1- الديوان، ص457.

لم يخف محمّد العيد آل خليفة تعجبه معبراً باستفهام عن حال داره وهي تدور، وفي ذلك وصف لحالته النّفسيّة المضطربة عندما سمع بموت الشّاعر أحمد شوقي،والذي اعتبر رحيله نكبة تحلّ بالشّعر والشّعور الجماعي،وبموته يذهب الشعر متحسراً،واعترته وحشة ونفور،لأن أميره ومجيده ذهب، ويفقد الشعر من المشرق العربي بفقدانه شوقي شمساً لم يزل نورها ينير، وتفقد الطيور المسرح، الذي كانت تغني عليه.لقد فقد الشّعر بموت "أحمد شوقي" أباه، وعمّ الدّنيا البكاء والعويل والثبور،وخيمّ الأسى والحزن، وساد الجزع و الفزع ،بسبب رحيله عنها.

ثــم يخاطب محمّد العيد الباكي على فراق شوقي، حيث يقول مناديّاً:

أيُّــهَا الْبَاكِي بِـمَأْتَـمِ شَوْقِــي أَرَأَيْتَ النَّــجْمَ كَيْــفَ يَغُــورُ
أَرَأَيْــتَ الصُّـبْحَ كَيْــفَ يُوَلَّــى أَرَأَيْــتَ الْأَرْضَ كَـيْفَ تَـمُورُ
قُــمْ فَـعَزِّي الشِّــعْرَ بِالشِّعْـرِ فِيْهِ فَـــأيـَادِي الشّــعرِ مِنْــهُ وَفُورُ
قِــفْ نُـودِّع رَاحلاً لَـمْ يودِّعْ عُــذْرُهُ أنَّ الْـمقامَ غُـــرُورُ[1]

في هذه الأبيات ينادي محمّد العيد الباكي في مأتم أحمد شوقي،ويطرح عليه تساؤلات توحي بالاستغراب عن حال غياب النّجم بسرعة، وعن صورة الصّبح الذي يتلوه، وعن حال الأرض،وهي تدور دوراً عجيباً،وكذلك إشارة لوصف الحالة النّفسيّة المضطربة عند سماعها لخبر الشّاعر أحمد شوقي.

ثمّ أمره بالقيام لتعزيّة أبي الشّعر شوقي بالشّعر،ورثائه بما يليق بمكانته الشّعريّة ولتوديعه،وهو يرحل عنهم دون توديع لهم، وعذره في ذلك،إدراكه أن المقام والخلود في هذه الدّنيا الفانيّة ضرب من الغرور والأماني غير المدركة.

4-2-2-رثاء الأديب اللّبنانيّ شكيب أرسلان(1869م- 1946م):

الأمير شكيب بن حمود بن حسين بن يونس أرسلان، من سلالة التنوخيين، ملوك الحيرة، عالم بالأدب،والسّياسة،مؤرخ،من أكابر الكتّاب، ينعت بأمير البيان،من أعضاء المجمع العلميّ العربيّ، ولد في الشّوفيّات لبنان،وتعلّم في مدرسة"دار الحكمه"ببيروت،وعُيّن مديراً للشّوفيّات سنتين، فقائم مقام في"الشّوف" ثلاث سنوات[1]،وأقام مدّة بمصر،وانتخب نائباً في حوران في مجلس"المبعوثان"

1- الدّيوان،ص457.

1- كامل سلمان الجبوري معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة2002 م،منشورات دار الكتب العلمية،ط01،بيروت – لبنان، 2002م/1424هـ، ج03،ص147.

العثماني،وسكن دمشق في خلال الحرب العامةالأولى، ثم"برلين" بعدها، انتقل إلى جنيف بسويسرا فأقام بها نحو 25 عاماً وعاد إلى بيروت فتوفي بها، ودفن بالشّوفات[1].

عالج السّياسة الإسلاميّة قبل انهيار الدّولة العثمانيّة، وكان من أشدّ المتحمسين من أنصارها واضطلع بعد ذلك بالقضايا العربيّة فما ترك ناحية منها إلا تناولها تفصيلاً وإجمالاً[2].

نظم الشّاعر محمّد العيد أل خليفة فيه مرثيّة، عنوانها "رثاء الأمير شكيب أرسلان"،يقول فيها:

تَـوَارَى الْكَوكَبُ القُـطْبُ فَـعَمَّ الْـعَالَـمَ الْـخَـطْبُ
تَـوَارَى الْكَوكَبُ الْهَادِي فَـمَن يَسْتَرْشِدُ الـرَّكْـبُ
فَـقَدْنَا مَـدَرهَا نُـدْبـاً عَلَـيْهِ يَـجْدُرُ النَّدْبُ
فَـقَدْنَا شَاعِراً مُـجِـيْداً بَلِـيْغاً شِـعْرُهُ عَـذْبُ
فَـقَـدْنَا كَـاتِباً حُـرّاً دَرَاهُ الـشَّرْقُ وَالْـغَرْبُ[3]

يخبر الشّاعر محمّد العيد آل خليفة القارئ، بأن تواري "الكوكب القطب" وهو يرمز بهذا الوصف للأمير شكيب أرسلان الذي رحل عن العالم، يعَـمّ هذا الأخير الخطب الجلال، وبغياب "الكوكب الهادي"، وهو صف ثان له، يتساءل محمّد العيد عمن سيرشد النّاس؟ وبموته هذا، فهو جدير بالنّدب،لأنّ الأمّة تفقد بفقده شاعراً مجيداً بليغاً،شعره عذبه، وتفقد كاتباً حرّاً،ذاعصيته في الشّرق والغرب.

يقول محمّد العيد واصفاً شدة تأثره بوفاة الأديب الأمير شكيب أرسلان:

مّـا طَـابَ لَـنَا أَكْـلُ وَلاَ سَـاغَ لَـنَا شُـرْبُ
وَلَـمْ يَـهْنَأْ لَـنَا نـُومٌ وَلَـمْ يَـهْدَأْ لَـنَا جَنْبُ
شَكِـيْبُ فَـارَقَ الـدّنْيَا وَضَمَّتْ جِسْمَهُ الـتُّرْبُ[1]

يصف محمّد العيد حالتهم النّفسية المضطربة،وقلوبهم المكلومة،وأمزجتهم المتأثرة بالموت وفقدان الأمير أرسلان،حيث لم يطب لهم مذاق أكل، ولم يستسغ لهم شراب عذب،ولم يهنأوا بالنّوم، ولم تهدأ لهم جنوبهم، لأنَّ شَكِيبَ أرْسَلَانَ العَلَمَ فارقَ الدّنيا،وهو الآن في قبره،وفي هذه الأوصاف بيان لشدّة التأثر،والحزن والأسى على فراق هذا الأديب الفذّ.

1-خير الدّين الزركلي، الأعلام، مرجع سابق،ج03،ص ص 173، 174.

2- محمّد بن سمينة،تكملة ديوان محمّد العيد آل خليفة، دار الغرب الإسلامي،ط01، بيروت – لبنان،1997م،ص40.

3- المصدر نفسه ،الصّفحة نفسها.

1- المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

ثم يخاطب نفسه قائلاً:

فَـجُدْ مَا شِئْتَ يَا طَرْفُ وَذُبْ مَا شِئْتَ يَـا قَلْبُ[1]

في هذا البيت ينادي الشّاعر محمّد العيد طرفه بأن يجود بالدّموع ما شاء، ونادى قلبه بأن يذوب من الحزن ما شاء، تسرية على نفسه، وسلوى لفؤاده الحزين على فقدان الأمير شكيب .

كما يخاطب العرب بقوله:

نَعَى النَّاعِي شِهَابَ الشَّرْ قِ فَـارْتَاعَتْ لَهُ الشُّهُبُ

نَعَى الـنَّاعِي أَبَـا الْعَرَبِ فَـصَـبْرًاأَيُّهَـا الْـعَـرَبُ[2]

يلقّب محمّد العيد آل خليفة الأمير شكيب أرسلان بـ"شهاب الشّرق"،وبـ"أبي العرب" فلمّا نعاه النّاعي،ارتاعت لذلك النّعي الشّهب لمّا سمعته،فهو أشدّ منها في الإضاءة،واسطع منها في النّور، وأسرع منها في البيان،حيث رأت أن في غيّابه فرصة لتمكنها من الظّهور،وهذا ما دفع بالشّاعر محمّد العيد لمناداة العرب ليأمرهم بالصّبر على ما أصابهم.

4-3-رثاء الأبطال والشّهداء:

يتجلى رثاء الأبطال والشّهداء في ديوان محمّد العيد آل خليفة، من خلال المرثيّات المخصصة، لعدد من أولئك الإبطال والشّهداء،الذين قدموا أرواحهم لينعم من خلفهم بالحياة الكريمة،حيث اهتبل الشّاعر محمّد العيد الفرصة، فجاءت مرثيّات مشحونة بالحزن على كلّ من استشهد في سبيل حريته وكرامة.

لقدر رثى شهداء الجزائر وغيرهم كما رثى أبطال القصص الجادة والهادفة،ذات الطّابع الإنسانيّ النّاشرة للقيم،وفيما يلي، تمثيل لهذا النّوع من الرّثاء:

4-3-1-رثاء الشّهداء البؤساء:

مختصر قصة هؤلاء الشّهداء أنّه"في ذات مرة ضاقت الحياة بجماعة من أولئك العمالة،ففروا متسللين في باخرة اسمها(سيدي فرج)...وأخفاهم صاحب الباخرة في عنابر سفلية مشبعة بالغازات، خالية من الهواء،وأغلق عليهم الأبواب، فما كادوا يصلون مرسى(مارسليا)،وفتح عليهم الأبواب حتى

1- المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه،ص41.

مات منهم أحد عشر رجلاً بالاختناق، وكان الآخرون بمقربة من الموت،وكانت ضجة عظيمة بعد أن افتضحت هذه الحقيقة البشعة"[1].

تأثر الشّاعر محمّد العيد آل خليفة لهذه المأساة النّكراء،الفاضحة لجراء فرنسا،وألَّفَ مرثيته فأولئك الشّهداء البؤساء، أسماها بـ"باخرة الموت"، يقول في بعض أبياتها:

مَـشَائِيمٌ أَتَـاخَ الْـبُؤسُ فِيهِـمْ فَـمَـزّقَ ثَوْبَ أمْنِهِمْ الْقَشِيْبَـا
وَصَبَّ عَلَيْهُمْ الْإِرْهَـاقَ صَبّاً مِنْ الْبَلْوَى فَكَانَ لَهُمْ مُـذِيْبَـا
فَـرِيْحُ الْقَـرِّ تَعْصِفُ زَمْهَرِيراً وَفِيْـحُ الْحَرِّ يَلْفَحُهُمْ لَـهِيْبَاَ
مُصَابٌ نَمْلَأُ الدُّنْيَا احْتِجَاجاً عَلَيْهِ عَسَى الْمُنَاوِئُ أَنْ يَنِيْبَا[2]

يصوّر محمّد العيد مشاهد البؤس التي حلت بأولئك البؤساء الباحثين عن لقمة العيش،وهم يمتطون تلك الباخرة المشؤومة،حيث ذاقوا من البؤس ما لا يطاق ولا يحتمل، مزقت أثوابهم، وأضناهم الإرهاق الشّديد،الذي صبّ عليهم من البلايا الكبيرة، فهذه ريح القرّ الباردة تعصف بالزّمهرير،وهذا صهد لهيب الحرّ يلفح وجههم،حتى أهلكوا فكان موتهم مصاب جلل ملأ الدّنيا بالاحتجاجات غاضبة ثائرة في وجه الخصم المناوئ الباغي المعتدي من أجل إنصاف أهاليهم.

4-3-2-رثاء شهداء الجزائر:

من صوّر الاعتراف بتضحيات شهداء الجزائر ذكرهم بالخير والترحم عليهم، وإطلاع الأجيال على سيرهم وبطولاتهم وإنجازاتهم،من أجل أن تُعلمَ مكانتهم وفضلهم،وتقدّر المكتسبات التي حققت بعد رحيلهم،فها هو محمّد العيد،يحثوا كلّ الغيورين من أبناء الجزائر على الاحتفاء بالشّهداء في مرثيّته الرّائعة والمسومة"وقفة على قبور الشّهداء"، يقول فيها:

رَحِـمَ اللهُ مَـعْشَرَ الشُّـهَـدَاءِ وَجَـزَاهُم اللهُ عَنَّـا كَرِيْـمَ الْـجَزَاءِ
وَسَقَى بِالـنَّـعِيْمِ مِنْـهُمْ تُـرَاباً مُـسْتَـطَاباً مُـعَطَّرَ الْأَرْجَـاءِ
هَـذِهِ فِـيْ الثُّـرَى قُـبُوْرٌ حَوَتْهُمْ أَمْ قُـصُورٌ تَسْمُو عَلَى الْـجَوْزَاءِ؟
لَا تَخَلْ مَعْشَراً قَضُوا فِي سَبِيْلِ اللَّـ ـهِ مُوْتَى، بَلْ هُمْ مِنَ الْأَحْيَـاءِ
إِنَّـهُمْ عِـنْدَ رَبِّـهِمْ حَـوْلَ رِزْقٍ مِنْـهُ فِـيْ نِعْـمَةٍ وَفِي سَـرَّاءِ[1]

1-الدّيوان، ص287.
2- المصدر نفسه، ص286.
1- المصدر نفسه، ص435.

يقف الشّاعر محمّد العيد آل خليفة في مطلع مرثيته، للتّرحم على أرواح شهداء الله،سائلاً الله، أنْ يجزيهم خير الجزاء،وأن يسقي التّرابَ بأجسادهم الطّاهرةِ نعيماً مستطاباً، تتعطر به الأرجاء،ثـمّ يتساءل عن المقابر التي دفون فيها ،هل قبور في التراب كما يراها الناس،أم قصور في الجنان تعلو على الجوزاء في السّماء، فهم فيها أحياء عند ربهم يرزقون،فرحين بما آتـهم من أرزاق ونعيم مقيم.

بعد التّرحم والدّعاء يلتفت الشّاعر للزّائرين من الشّعب الجزائري وغيرهم مخبراً ومؤكداً وآمراً:

لَـمْ أَجِدْ فَي الرِّجَالِ أَعْلَى وِسَامًا مِـنْ شَـهِيْدٍ مُخَضَّبٍ بِالـدِّمَاءِ

إِنَّ ذِكْـرِى الشَّـهِيْدِ أَرْفَعُ مِـنْ أَنْ تَـرْفَـعُوْهَا بِالصَّـخْرَةِ الصَّـمَاءِ

فَـأَقِيْـمُوا لَـهُمْ تَـمَـاثِـيْلَ عِـزٍّ فِـي قُـلُوبٍ ثَوْرِيَّـةَ الْأَهْـوَاءِ[1]

في هذه الأبيات يخبر الشّاعر المتلقين،بأنّه بحث عن المنازل العاليّة للرّجال،فلم يجد أعلى وساماً من الشّهادة في سبيل الله حين يضرج جسد صاحبها بالدّماء،ويؤكد على أنّها الذّكرى الحقّة للشهيد وهي أرفع وأعظم من أن تختصر في التّماثيل الرّمزية،والمصنوعة من الصّخور،ثمّ يأمرهم بأنّ يقيموا لهم تماثيل الفخر والاعتزاز،في نفوسهم وفي قلوب الأجيال،وذلك بالإخبار عنهم،وراية سيّرهم وقصص بطولاتهم،كي تنشأ الشّخصيّات النّاشئة على حبّهم، والافتخار بهم، والاعتزاز بالانتماء إلى وطنهم، والسّير على خطاهم،والاقتداء بهم في نهجهم ونضالهم.

4-4-رثاء القادة والزّعماء:

أنّ قيمة القادة والزّعماء لا تقل شأناً، عن قيمة الأبطال والشّهداء، فكما أن الإبطال والشّهداء قدّموا أرواحهم، من أجل نصرة أوطانهم، وحريتها وكرامتها،كذلك القادة والزعماء قدّموا أوقاتهم،وأفنوا حياتهم وأعمارهم،من أجل نصرة مبادئهم،وترسيخ أفكارهم،وتجسيد خططهم المثلى،كي يهنأ الجميع بالحياة الكريمة، داخل الوطن وخارجه.

ومن القادة والزّعماء المحظوظين بالذّكر فـي ديوان محمّد العيد، يجد الدّارس،مرثيّات في كلٍّ من: القائد الصّحابي الجليل عقبة بن نافع الفهريّ،الأمير عبد القادر الجزائريّ،وحفيده الأمير خالد الجزائريّ والزّعيم اللّيبيّ عمر المختار،فقد رثاهم الشّاعر محمّد العيد بما يراه مناسباً ويفي بالغرض، ومن باب التّمثيل وتقديم النّموذج، نختار من تلك المرثيّات،ما يلي:

4-4-1-رثاء القائد عقبة بن نافع الفهري (629م-683م):

1- المصدر نفسه، ص435.

عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهريّ القرشيّ...ولد قبل الهجرة،نشأ في بيئة إسلاميّة خالصة .....خاض معارك رهيبة ضدّ الرّوم،واستطاع بمقدرته الحربيّة،وقيادته الحكيمة أنْ يجلّيهم عن شمال الإفريقيّ كلّه الخاضع للنفوذ الرّوماني...وصل في فتوحه إلى السّاحل الأطلنطي،وعند رجوعه سقط شهيداً قرب بسكرة، ودفن هناك سنة63هـ/683م[1].

يقول محمّد العيد في رثائه للقائد عقبة بن نافع بمرثية عنوانها" الفاتح عقبة بن نافع الفهري":

قَـالُو لِـعُقْبَةَ رَائِـدِ الشُّـهَدَاءِ: مَا ذَا نِلْتَ مِنْ خُوْضِ الْـمَعَارِكِ مِقْدَماً

قَالَ:افْتَتَحْتُ الْأَرْضَ مُغْتَنِماً بِـهَا فَضْلُ الشَّهَادَةِ فَافْتَتَحَتْ بِهِ السَّـمَا[2]

يُظهر محمّد العيد حواراً للقائد عقبة بن نافع مع جنوده، وهم يسألونه عمّ اكتسبه من خوضه المعارك الطّاحنة؟ فأجابهم بأنه يفتتح بها الأراضي،ويضمها للدّولة الإسلام،فيزداد عدد المسلمين، وتقوى شوكتهم، ويغتنم بذلك الفتح أثناء المعارك،أن يرزقه الله فضل الشّهادة فيها، فيموت شهيداً، فيستفتح بها، أبواب السماء وترتقي روحه إلى أعلى الجنان.

4-4-2-رثاء الزّعيم اللّيبي عمر المختار(1858م- 1931م):

عمر بن مختار ابن عمر المِنفِي:أشهر مجاهدي طرابلس الغرب في حربهم مع المستعمرين الايطاليين،نسبته إلى قبيلة الـمِنفِة"من قبائل بادية(برقة).ولد في البطنان(ببرقة)،وتعلم بالزّاويّة السّنوسيّة بالجغبوب،وأقامه محمّد المهدي الإدريسي شيخاً على"زاوية القصور"الجبل الأخضر قربة المرج وسافر معه من السّودان سنة1312هـ، فأقام بها شيخاً للزّاوية...وعاد إلى برقة شيخاً"لزاويّة القصور"،فأقام إلى إن احتلت الطّليان مدينة بنغازي(سنة 1329هـ)، فكان في طليعة النّاهضين للجهاد،وطالت الحرب وتتابعت المعارك، ومنطقه المختار ثابتة منيعة[1].

وتـهادن الايطاليون والطرابلسيون سنة1340هـ،ودبّ الخلاف في زعماء طرابلس وبرقة، وتجددت المعركة مع الايطاليين،ونفض الأدارسة يدهم منها،فتولى عمر قيادة((الجبل الأخضر))، وتلاحقت به القبائل،واتفق الرؤساء على أن يكون القائد العام والرئيس الأعلى للمجاهدين....فوجئ بقوة ايطاليّة أحاطت به،وقاتلها واستشهد أكثر من معه،وأصيب بجراح، وقُتل جواده،فانقض عليه

1- محمّد صالح صديق،شخصيات ومواقف،دار البدر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، المحمديّة –الجزائر،2010م، ص 109،110.

2- محمّد بن سمينة، تكملة ديوان محمّد العيد آل خليفة، المرجع السّابق،ص56.

1-خير الدّين الزّركليّ، الأعلام، مصدر سابق،ج05،ص ص 65،66.

بعض الجنود فاسروا، وهم لا يعرفون من هو،ثُمَّ عُرِفَ وأرسل إلى (سوسة)،...سجين أربعة بها أيام، وسُئل عن أعماله فأجاب بالإيجاب،غير هيّابٍ، فقُتِل شنقاً في مركز((سلوف)) ببنغازي[1].

ولـمّا أعدم نظم الشّاعر محمّد العيد فيه مرثية،عنونها بـ"عمر المختار الشهيد (1)"، قال فيها:

خُلِدْتَ بِالذِّكْرِ خُـلُودَ الْـجِبَالِ فَأَنْتَ فِـي الـدُّنْيا حَدِيْثَ الرِّجَالِ

مَـا أَنْتَ بِالْـمِيْتِفَعِشْ خَالِـداً مَـا كَانَ بِالْـمِيْتِ شَـهِيْدُ الْقِـتَالِ

أَرَاكَ عِـــنْدَ الله مُسْـتَبْـشِراً مِنْ فَـضْلِهِ تُرْزَقُ فِـي خِيْرِ حَالِ[2]

يخاطب محمّد العيد الزّعيم الشّهيد عمر المختار،ليخبره بأنّه مخلد بالذكر بعد استشهاده،كخلود الجبال الرّاسيّات،وأن الرّجال تذكره في دنياها وهو مدار حديثها في مجالسها، وأنّه حيّ لم يمت،لأن الشّهيد لا يموت،بل هو عند الله في الجنة حيّاً مستبشراً، يُرزق من نعيمها وفضائلها.

يسلط محمّد العيد آل خليفة الضّوء، على مشهد إعدام الشّيخ عمر المختار المأسويّ، قائلاً:

قَـضَى بِقَـتْلِ الشَّيْخِ قَاضِيْهِم فَـأَعْدَمُـوهُ- مُـوْثَقاً- بِالْـحِبَالِ

وَفِـي(سُـلُوفَا) فَهْـيَ رَبَـابُـهُ كَـــأَنَّـهَا رَيّـاً بِـــمَـاءٍ زُلَالِ

إِنَّ دَمَ الْـمُخْـتَارِ غَـالٍ وَلَا بُـشْرَى بِغَـالٍ مِثْلِهِ غَيْرُ غَالٍ[1]

لـمّا امتحن الايطاليون الزّعيم الشّيخ عمر المختار،وأجابهم بكل ثقة،ودون تردد عما سألوه، وأيقنوا أنّ الرّجل ثابت على مبادئه، مصرّ على كفاحه ضدّهم، وضعوا حدّاً لحياته، فقضى قاضيهم بإعدامه،وساقوه إلى المشنقة موثقا بالحبال،ولم يرحموا كبر سنه،وكان ذلك في مدينة(سلوف)، التي ارتوت بدم الشّهيد عمر المختار، وهو دم غالٍ، ولاخير في دمّ إذا لم يكن مثله،يسيل لنيل الشّهادة في سبيل الله، وتحرير الوطن.

4-5-رثاء الملوك والأمراء والرؤساء:

كان للملوك والأمراء والرّؤساء الرّاحلين حظّ من الذّكر في قصائد محمّد العيد آل خليفة الرّثائيّة نظراً لشخصيتهم المتميزة، وآثارهم التي ظلّت شاهدة على بلائهم الحسن، أثناء ملكهم وحكمهم،أو نضالهم في خدمة أوطانهم وأمتهم، وقوميّتهم.سيلفي الباحث والدّارس للدّيوان،كلاً من:الملك العراقيّ غازي الأول،والملك السّعوديّ عبد العزيز آل سعود،الأمير عبد القادر الجزائريّ،وحفيده الأمير خالد

1- المصدر نفسه،ص66.

2-محمّد بن سمينة، تكملة ديوان محمّد العيد آل خليفة، المصدر السّابق،ص 37.

1- المصدر نفسه،ص39.

الجزائريّ،والرّئيس التّركيّ الغازيّ مصطفى كمال أتاتورك،وفي هذا المقام نكتفي بذكر،ما رثى به الشّاعر محمّد العيد الأمير عبد القادر الجزائريّ، وكذلك ما قاله في رثائه للملك العراقيّ غازي الأول ، قصراً لا حصراً، من باب التّمثيل:

4-5-1-رثاء الأمير عبد القادر(1807م-1883م):

هو عبد القادر بن محي الدّين بن مصطفى الحسني الجزائري: أمير،ومجاهد،من العلماء الشعراء البسلاء[1]،ولد في شهر ماي سنة1807،في قرية القيطنة على ضفة وادي الحمام في منطقه أغريس التي تقع في إقليم وهران في الجزائر...لقد تطور الولد بدنيّاً بسرعة فائقة،بينما كانت ملامحه تظهر، في مقارنة غريبة، مع تطوره الجسميّ،حياء طبيعياً كبيراً فعبارة(يخاف من ظلّه)قد تؤخذ على حرفيّتها بالنسبة لعبد القادر"[2].

بايعه الجزائريون وولّوه القيام بأمر الجهاد، فنهض بهم،وقاتل الفرنسيين15عاماً...وكان في معاركه يتقدّم جيشه ببسالة عجيبة وأخباره مع الفرنسيين في احتلال الجزائر،كثيرة،..ولما داهنهم سلطان المغرب الأقصى عبدالرحمن هشام، ضعف أمر عبدالقادر،اشترط شروطاً للاستسلام،رضي بها الفرنسيون ،واستسلم سنة 1263هـ(1847م)،فنفوه إلى طولون...يستقر في دمشق1271هـ، توفي بها.[1]

إنّ القيمة المعنويّة لشخصيّة الأمير عبد القادر الجزائريّ،لايجهلها إلّا جاحد أوناكر،صديقاً كان أوعدوّاً،لأن الأمير عبد القادر فقت شهرته العالميّة،بفضل أثاره الماديّة والمعنويّة الوطنيّة والإنسانيّة الخالدة،فقد ضرب بسهم في كلّ رميّة،لذا كان الشّعراء الأحرار يذكرونه ويستذكرون مناقبه،ويشيعونه بين النّاس،كلّما سنحت بذلك سانحة،وها هو الشّاعر محمّد العيد آل خليفة،يقتنص فرصة "نقل رفات رمز الكفاح الجزائري الأمير عبد القادر من سوريا إلى أرض الوطن في جويلية 1966م"[2]ويرتجل بهذه المناسبة، قصيدة عنوانها "أهلاً وسهلاً بالأمير"،يقول في مطلعها:

تَبَـــارَكَ نَـــصْرُ بِالْـبُطُوْلَاتِ شَاهِدٌ وَعَيْـــدٌ بِـــهِ عَادَ الْأَمِيْـرُ الْـمُـجَاهِدُ
تَبَـــارَكَ عَـيْدُ الـنَّصْرِ عَـادَ بِـآيَـــةِ كَآيَـــة(عِيْسَى) مَا لَهَا الْيُوْم جَاحِدُ
رُفَـــاتُ كَرِيْـــمٍ لِلْـمَمَاتِ مُفَارِقٌ وَمَـــيِّتٌ عَـــظِيْمٌ لِلْحَيَاةِ مُـــعَاوِدُ

1-خير الدّين الزركلي، الأعلام، مصدر سابق،ج04،ص45.

2-شارل هنري تشرشل،حياة الأمير عبد القادر،ترجمة:أبو القاسم سعد الله،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2015م،ص61.

1- خير الدّين الزركلي، الأعلام ،المصدر السّابق،ص46.

2- الدّيوان، ص506.

رُفَاتٌ عَلَى نَعْشٍ وَإِنْ قُلْتَ وَاصفاً مَلِيْكٌ عَـلَى عَرْشٍ فَمَا أَنْتَ حَائِدُ[1]

يفتتح محمّد آل خليفة يستفتح مرثيته في الأمير،بالدَعاء وطلب البركة، ليوم انتصار الجزائر وعيد استقلالها،بسبب عودة الأمير المجاهد عبد القادر،وإنّه عيد النصر المبارك بعودة الأمير، وفي ذلك آية جليّة تتحقق بها أمانيه، كآية(عيسى عليه السّلام) لاينكرها إلّا الجاحد.

لقد عاد رفات الأمير للحياة مجدداً،وبعودته يعود صاحبه الميت العظيم،ليحمل على النّعش، كالملك فوق العرش،وهذا وصف ليس في مبالغة ولا مجانبة للصّواب،لأن الأمير عبد القادر ملك القلوب في حياته،بعلمه وأخلاقه وجهاده،وملكها بعد وفاته بما خلّفه من آثار خالدة،لا تزال نبراساً، للآجال المتلاحقة من بعده.

يسترسل محمّد العيد في وصفه لمشاهد استقبل الشّعب الجزائريّ لرفات الأمير، وهي مشاهد مفعمة بنشوة الفرحوالسّرور،وطعم الانتصار،إجلالاً لشخصيّة هذا الرّجل العظيم،ثـمّ يقدّم له التّرحيب المملوء بالسّعادة والحبور،قائلاً له:

فَـأَهْلاً وَسَهلاً بِالْأَمِيْـرِ مُـشْرِّفـاً حَـــمَاهُ عزيزاً والــزَّمانُ مُسَاعِـــدُ
وَأَهْـــلاً وسَهلاً أنْتَ أَكْـرَمُ وَافِـدٍ عَلِيْنَا وَمِنْ فِي الْعَصْرِ مِثْلُكَ وَافِـدُ؟
وَأَهْـلاً وَسَهْلاً أَرْضُكَ الْيَوْمَ حُـــرَّةً وَجِيْـــشُكَ مَنْصُورٌ وَشَعْبُكَ رَاشِـدُ
مَضَتْ لَكَ فِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ ثَـــوْرَةٌ تَبَاهِـي بِـهَا تَارِيْـــخُنَا ويُـمَاجِدُ[1]

في هذه الأبيات يتقدم محمّد العيد بالتّرحيب للأمير عبد القدر مشرّفاً في وطنه الأصليّ معزّزاً مكرّماً، فوق أرضه التي أصبحت حرّة منتصرة جيشاً وشعباً،بعد ثورة صارت مفخرة للأجيال،يباهي بـــها الشّعب الجزائريّ في تاريخيه المجيد.

يواصل محمّد العيد ذاكراً للأمير فضل جهاده على الجزائر،ونتائجه على الشّعب الجزائريّ،لِيُهَنِئَهُ بجزائه في دار الخلد، حيث يقول له مخاطباً:

ضَرِيْحُكَ فِيْهَا مَرْقَدُ الْفَوْزِ وَالــرِّضَى وَأَنْـتَ بِـهَا فِي جَنَّة الْـخُلْدِ رَاقِـدُ[2]

يخبره بأن قبره بأرض الجزائر الحرّة المستقلة، هو في مرقد الفوز بالنّصر والرّضا بالانجازات العظيمة المحققة بعده،وهو بذلك في جنّة الخلد راقداً هانئاً منعمّاً.

1-المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

1- المصدر نفسه،ص507.

2- المصدر نفسه،ص508.

لم تكن هذه القصيدة المرثيّة الوحيدة التي رثى الشّاعر محمّد العيد آل خليفة فيها الأمير في الدّيوان،بل شفّعها بأخرى وَوَسِمَهَا بالعنوان"فابشر يا بن محيّ الدّين"،قالها في ذكر الأمير عبد القادر رحمه الله، يقول فيها وهو يخاطب أيّاه:

أَمِيـرُ السَّيْفِ وَالـقَلَمِ الْـمُفَدَى ذَكَرْتُكَ اعْتَرَانِي الْحُزْنُ جَـدّاً
ذَكَـرْتُكَ يَوْمَ قُمْتَ تَشُنُّ حَرْبـاً لِـرَدِّ الْـمُعْتَدِي وَتَـشُدُّ شَـدّاً
ذَكَرْتُكَ يَـوْمَ قُدْتَ الْجَيْشِ تَغْزُو وَيَوْمَ جَعَلْتَ الْاسْتِسْلَامَ حَـدّاً[1]

ينادي الشّاعر محمّد العيد بألقاب تدلّ على مكانته وعظمته،حث لقبه بـ"أمير السّيف" الدّلالة على شجاعته الحربيّة،و"بالقلم المفدى" للدّلالة على رسوخ كعبه،وتضلّعه في العلم،ليخبره بأنّه اعُتُرِيَ بالحزن الشّديد جداً حينما تذكّره وتذكّر جهاده ضدّ المعتدي،وإقدامه في الحرب،وتقدّمه في مقدمة الجيش عند الغزو،كما أنّه تذكّره يوم توقيع وثيقة الاستسلام ليضع حداً، لمعاناة القتال وصعوباته،ثـمّ يستدرك قائلاً:

وَمَا اسْتَسْلَمْتَ عَنْ وَهَنٍ وَلَـكِّنْ حُرِمْتَ مَعُوْنَةً فَحُـرِمْتَ جَـدّاً
وَمِنْكَ بِطَانُةُ السُّوْءِ اسْـتفادتْ مصالـحَها ولـم تَصْدُقكَ وِدًّا[2]

يرى محمّد العيد بأن ذلك الاستسلام لم يكن ضعفاً من الأمير عبد القادر، ولكن كان بسبب انعدام المعونة،ونفذ الدّعم وبطانة السّوء التي خذلته،والتي كانت حرصة على مصالحها وانعدام صدقها في الودّ للأمير عبد القادر والولاء له.

وبالرّغم من كلّ ذلك، وعلاوة على طول الزّمن،لكّنّ الشّعب الجزائريّ واصل النّضال،وتحققت أماني الأمير،وهاهو يبشره في ثنايا المرثيّة،قائلاً:

وَلَـكِّنْ قَـامَ فِيْهِ شَبَابٌ صِدْقٍ يَـذُودُ عِنْ الْـجَزَائِرِ مَنْ تَعَـدَّى
كَأَنَّـى بِالْـجَزَائِرِ يـُوْمَ هَـبَّتْ أَرَى رُوْحَ الْـجِهَادِ بِـهَا اسْتَجَدا
فَأَبْشِرْ يَـابَنَ مُحْيِّ الدِّينِ أَبْشِـرْ فَشَعْبُكَ فِي الْوَرَى بَلَـغَ الْأَشُـدَا[3]

إنّ دوام الحال من المحال،فحال الجزائر الذي أراد المستعمر الفرنسيّ لها،بعد نفيّه للقائد الميدانيّ، والزّعيم الرّوحي للثّورات الشّعبيّة في الجزائر،واستفراده بها،لـم يدم له طويلاً،كما رغب،وتخيّل وتشهّى

1-المصدر نفسه، ص510.
2-المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.
3-المرجع نفسه،ص511.

بل ظلّت جذوة الرّفض والثّورة متّقدة في قلوب الأحرار،تتحين الوقت المناسب لِتَلْتّهِبَ في وجه الدّخيل الغاصب لكلّ حقوق الشّعب الجزائريّ، والـمُصَادِرِ لكلّ حرياته وكرامته.

وبالفعل قام شباب صادق، حمل على نفسه مواصلة الكفاح،وضرورة الدّفاع،والذّود عن الجزائر، وَصَدّ عدوان المعتدين،فاستجدت بالجزائر روح الجهاد في نفوس الشّعب الجزائريّ،وهبّ كلّ أبنائه لمساندة ثورة نوفمبر المجيدة،والتي دامت سبع سنين ونيف،تمّ بفضله الجلاء،وبهذا قدّم الشّاعر محمّد العيد البشرى للأمير عبد القادر،وفي صيغة التّكرار الدّال على التّوكيد،بحسب قوله:(فأبشر يا بن محيّ الدّين- أبشر فشعبك...)، وما يؤكد هذه البشرى عودة رفاته معززاً مكرماً لأرض وطنه المحرر في عيد الاستقلال والشباب.

4-5-2-رثاء الملك العراقيّ غازي الأول (1912م-1939م):

غازي الفيصل بن الحسين بن علي الهاشمي:ملك العراق،وابن مالكها،وأبو ملكها الأخير،ولد بمكة،انتقل إلى بغداد حين سُمِّيَ ولياً لعهد المملكة العربيّة(سنة 1924م)أرسله والده(الملك فيصل الأول) إلى كلّيّة هارو(في انجلترا) سنة1927م ،ودرس فيها سنتين، وعاد إلى بغداد، تخرج بالمدرسة العسكريّة، وناب عن والده في تصريف شؤون الملك سنه 1933م[1].

نودي به ملكاً على العراق بعد وفاة أبيه(سنة 1352هـ-1933م)،استمر إلىأن توفي بغداد قتيلاً،باصطدام سيارته، وهو يقودها،بعمود للتلغراف[2].

لـم يتوان الشاّعر محمّد العيد عند بلوغه نعي ملك العراق غاز الأول، لترجم مشاعره،معبراً عن شهادته فيه،حيث يقول:

نَـعَتِ الْإِذَاعَـةُ((غَـازِيًـا)) فَـخْرَ الشَّـبَابِ الْأَنْـجَبَـا
سَـيْفَ الْعِـرَاقِ الْـمُنْتَـضَى وعُقَـابَـهُ الـمُـتَـوَثِّـبَـا
وَحَـمَـى الْـعِرَاقَ الْـمُرَتَـجَى وَلِـوَاءَهُ الْـمُـتَغَـلِّبَـا
وَمَـلِيْـكَهُ الشَّـهْمَ الـذِي أَعْـيَا الـمُنَافِسَ مَطْـلَبَا[3]

من خلال الأبيات وبعد سماع نعي الملك غازي الأول من الإذاعة،أخذ ينعته بنعوت،ويلقبه بألقاب، تُعْدّمُ فيمن هو أقل منه شأناً،حيث وصفه بأنّه" فخر الشّباب الأنجب" للدّلالة على ذكائه

1-خير الدّين الزركلي، الأعلام، مصدر سابق،ج05،ص112.

2-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- الدّيوان، ص467.

وعبقريته،وهو"وسيف العراق المنتضى" للدّلالة على قوته وشجاعته، وهو"عقابه المتوثب"إيّ: عقاب العراق المتوثّب للدّلالة على استعداده وإقدامه، وهو"حمى العراق المرتجى" للدّلالة على يقظته وفطنته وحبّه لوطنه، وهو"لواءه المتغلب" للدّلالة على قيادته ومقدرته على تحقيق الانتصارات،وهو"ملكه الشّهم" للدّلالة على حنكته وسياسته الرّشيدة.

بهذه الأوصاف النّبيلة يتعب الملك غازي الأول كلّ مَنْ ينافسه في الملك، ويتطلّعُ للحكم، أو يسعى في طلب القيادة، وإدارة شؤون العباد البلاد المدنيّة والعسكريّة.

ويضيف محمّد العيد معبراً عما يجول في خواطره، وهو يتأمّل حال العراق،والأمة العربيّة بعد وفاة الملك غازي، إذ يقول:

الْـيُـوْمَ حُـقَّ عَـلَى الْفُـرَا تِ وَدَجْـلَـةِ أنْ يَـنْـضُبَـا
الْـيُـوْمَ حُـقَّ عَـلَى الْـعُـرُو بَةِ أَنْ تَـنُـوحَ وَتَـنْـدُبَـا[1]

يرى محمّد العيد آل خليفة أنّه من الواجب على النّـهرين العظيمين الفرات ودجلة في العراق، أن يجفا من الماء إظهاراً للتّأثر وللحزن على موت الملك غازي وفراقه،وواجب على العرب جميعهم، أن ينوحوا ويندبوا فقيدهم ملك العراق،نظراً لـمكانته الرّفيعة ومقامه العالي، وشخصيته الفذّة.

ثـــمّ يلتف محمّد العيد للملك، مخاطباً إيّاه:

يَـا ذَاهَـباً كَـــادَ الصَّـوَا بُ وَرَاءَه أَنْ يَـــذْهَـبَـا
ذَابتْ جَـوَانِـحُـنَا عَـلَيْـ ـكَ تَـلَـهُّـفاً وَتَـلَهُّـبَـا
أَبْكِي مُـصَابُـكَ مَشْـرِقَ الـ ـدُّنْـيَا وَأَبْـكَى الْـمَغْرِبَـا
لَبِـسَ(السَّـوَادُ) مِـنَ السَّوا دِ حِـدَادَهُ وَتَـجَلْـبَبَـا
وَبَـكَى الْـمَلِـيْكَ الـهَاشِـمَـ ـيَّ الْأَرْيَـحَيَّ الطَّـيِّـبَا[2]

ينادي الشّاعر محمّد العيد الملكَ الذّاهبَ،ليصف له حالة النّاس النّفسية المثخنة بالحزن، ويخبره بِأَنَّ برحيلِه وذهابِه،كادت عقولهم تذهب برحيله،كما أنَّ قلوبهم ونفوسهم تتلهّف وتتلهّب حسرة على فقده،وهو مصاب جلل أبكى النّاس جميعاً،في المشرق والمغرب العربيّيْن،ولَبِسَ السّواد الأعظم فيهما اللّون الأسود، وجلابيب الحزن، إعلاناً على الحداد والأسى لـهول الفاجعة،وبكاء على الملك الهاشميّ طيّب القلب والمحبوب لدى الجميع.

1- الدّيوان، ص ص 467،468.

2- الديوان، ص468.

ثمّ يلتف محمّد العيد آل خليفة عاصمة العراق"بغداد"، مناديّاً ومؤكداً:

(بَغْدَادُ) يَا أُخْتَ (الْجَزَا ئِرِ) يَا رَبِيْبَةَ(يَعْرُبَا)
وَوَرِيْثَةَ(الْمَجْدِ) الْمُؤَ ثَّلِ فِيْ (دِمَشْقَ) وَيَثْرِبَا
إِنَّا وَإِنْ سُقْنَا الرِّثَا ءَ إِلَيْكِ مِنَّا مُسْهَبَا
لَمْ تَقْضِ مِنْ شَتَّى الْمَآ رِبِ فِيْهِ إِلَّا مَأْرَبَا[1]

نادى الشّاعر محمّد العيد العاصمّة العراقيّة بقوله:"يا أخت الجزائر) وكذلك بـ"يا ربيبة يعرب"، للدّلالة على صلة العراق الوثيقة بالجزائر، رغم بعدهما الجغرافي(المشرق العربيّ والمغرب العربيّ)،وهذا ما يجعلهما ربيبة في العروبة وفي هذا نزعة صريحة للقوميّة العربيّة، فضلاً عن الإخوة الإسلاميّة،ثم يناديها بـ(وريثة المجد المؤثل) أي:المجد العريق التّليد،الأصيل،الضّار في أعماق التّاريخ،والممتدّ بجذوره إلى دمشق بالشّام،وإلى يثرب حاضرة العرب قبل مجيء الإسلام وبعده.

وبعد التّقديم طفق محمّد العيد ليؤكد لبغداد بلفظ الجماعة ((إنّا وإن سقنا))،نيابة عن الشّعب الجزائر،بأنّه بالرغم من إسهابه في الرّثاء،فإنه لم يقض كلّ مآرب،إلّا مأرباً واحداً،ألا وهو مشاركة الشّعب العراقيّ في الحداد،وتقديم التّعازي حزناً على الملك الفقيد.

4-6-رثاء الأوطان والمدن والدّول:

بالعودة إلى الجداول، وقراءة بياناتها، يظهر للدّارس بأنّ حظّ رثاء الأوطان والمدن والدّول كبير من مجموع عدد قصائد الرّثاء،في الدّيوان وتكملته،بالمقارنة مع بقية الأنواع الواردة،فقد تفرد بست (16)عشرة مرثيّة وفي الجدول الموالي يمكن الوقوف على ذكر أسماء الأوطان والمدن والدّول وأعدادها، بغرض التّفصيل، وزيادة المعرفة:

نوع الرثاء	العدد	عنوان المرثيّة	المرثي	الصفحة
الأوطان	05	يا دار	الوطن الجزائري	09-07
		يا شرق	الوطن العربي	298-296
		لا أنسى	الوطن الجزائري	327-325
		05 جويلية 1830	الوطن الجزائري	515
		الضّيف الثقيل[1]	الوطن الجزائري	515

1- المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

1- ورددت في الأصل بحرف الظاء، وقد أشرت المطبعة بأن الصحيح بحرف الضاد،وقد كُتبت بالظاء (الظيف الثقيل) هفوة من المصحح، ينظر في هامش الدّيوان :ص515.

المدن	05	زلزلة الأصنام	مدينة الشلف(حاليا)	72-68
		خطر العلم على البشرية	مدينة هيرويشيما اليابانية	338-336
		أطلال "وقفة على تمقاد"	مدينة تمقاد الأثرية	347
		عزاء في فجيعتنا	مدينة عنابة	487-485
		هزات أرضية	الجزائر العاصمة	516
الدول	05	تقسيم فلسطين	دولة فلسطين	314
		بعد هذا	دولة الجزائر	519-517
		فلسطين العزيزة	دولة فلسطين	335-334
		يا مصر	دولة مصر	346-344
		بلادنا أسيرة	دولة الجزائر	346-344
المجموع الكليّ: (15) خمس عشرة مرثيّة				

(الجدول رقم 04: الإحصاء المفصّل لقصائد رثاء "الأوطان /المدن/ الدّول)[1]

يطلع هذا الجدول رقم(04) الدّارس على عناوين قصائد الرّثاء،التي ألّفها الشّاعر محمّد العيد بالشكل التّفصيل الذي يوضح أسماء الأوطان والمدن والدّول، التي عَنَاهَا بالرّثاء في شعره.حيث رثى وطننا الأصليّ الخاصّ(الجزائر)،ووطننا العام والمشترك(الوطن العربيّ)،كما رثى مجموعة من المدن المحليّة:كمدينة عنابة، ومدينة تمقاد الأثرية،ومدينة الشّلف،ومدينة الجزائر العاصمة، ومدناً أخرى عالميّة كمدينة "هرويشيما اليابانيّة، ولـم يغفل رثاء الدّول،فقد رثاء دولة فسطين،ودولة مصر، ودولة الجزائر، وسـنسوق في هذا المقام نماذج للتّمثيل:

4-6-1-رثاء الأوطان:

إنّ للوطن مكانة مرموقة في وجدان كلّ فرد أصيل، يفرح لفرحه، ويـحزن لحزنه، ويقدّم الغالي والنّفيس من أجل حريته،وكرامته وعزّته،ولا يقبل بأيّ حال من الأحوال،أن يدنس عرضه،أويـمّس شرف بسوء، أو تـهان قداسته، يعلن الغضب والثّورة في وجه كلّ معتد وباغ،ويرثيّه إذ انعدمت السّبل لنصرته،وتعذرت الحيل لنجدته.

يقول محمّد العيد بشأن رثاء الوطن الجزائريّ في قصيدته "05 جويلية 1830":

فِـيْ مِثْلِ هـَذَا الْيَوْمِ رِيْـعَتْ أُمَّـتِي بِـالْاحْتِلَالِ نَالَـهَا مَـا نَالَــهَا
وَلَـعَلَّ مَنْ جَـعَلَ الصَّلِيْبَ يُظِـلُّهَا سَـيُنِيْـرُ مِنْ خَلْفِ الْغُيُومِ هِـلَالِهَا[2]

1- من عمل الطالب.

2- الدّيوان،ص515.

رثى محمّد العيد وطنه الجزائريّ،حينما رأى الاحتفالات الفرنسيّة المئويّة الكبيرة، والممجدة للاحتلال للجزائر،والذي كان دخوله في05جويلية1830م.

زادت لتلك الاحتفالات الكراهية ضدّ فرنسا،في قلب كلّ مواطن جزائريّ صادق غيور، وسجلّ موقفه الرّافض لها.وهذا ما يكتشفه المتلقي بعد قراءة هذين البيتين،حيث يعرب من خلالهما محمّد العيد عن تأثره لوضع وطنه من تلك الاحتفالات الفرنسيّة المئوية المقامة بالجزائر،يوم05جويلية 1930م،حيث رِيْعَتْ في مثل هذا اليوم،قبل مائة عام بالاحتلال،ونالها من بطشه وعدوانه، وجرائمه،ما نالها،وقد وصف الأستاذ أحمد توفيق احتفال الفرنسيين،في قوله:"يحتفل احتفالاً صارخاً، وأكلوا شربوا وسكروا وعربدوا، واختلط حاملهم بنابله، ثمّ أحيوا ليلة حتّى الصباح وسط أنوار كأنّها في قلب القمر،كانت عندهم ليله العمر،وكانت عندنا،ولم يشارك منا في الاحتفال أي أحد،ليلة نحس مستمر"[1]،لكن ثقة الشّاعر كبيرة، بأن دوام الحال من المحال،ولن يدوم حال لظالم.

فكما احتفل أهل الصّليب بغزوهم،سيُكسر صليبهم،ويبزغ هلال الإسلام،وتشرق شمس الحريّة ويفرح أهل الهلال فوق أرض الجزائر.

وفي المناسبة ذات يفصح محمّد العيد عن تضّجره، واستيائه من طول مكوث الضّيف الثّقل في وطنه، من خلال بيتين شعريين آخرين، عَنْوَنَ لهما بـ"الضّيف الثّقيل"، إذ يقول فيهما:

أَطَـلْتَ بِـجَانِبِي يَا ضِيْفُ فَارْحَلْ لـحاكَ اللهُ مِنْ ضَيْفٍ ثَقِـيْلِ
مَـضَى لَكَ مُنْذُ نَزَلْتَ عَلَيَّ قُرْنٌ مَتَى يَاضِيْفُ تُؤْذِنُ بِـالرَّحِيْلِ[2]

يعيب الشّاعر محمّد العيد آل خليفة على"ضيفه الثّقيل"،وهو يقصد المحتل الفرنسي الغاشم، الذي طالت ضيافة في أرض الوطن، حيث بلغت مدّة قرن كامل من الزّمن،وقد احتفل بالمئوية الأولى على غزوه للتّراب الوطنيّ،ويسأله محمّد العيد، متى يأذن بالرّحيل؟كي يتخلّص وطنه من شؤمه وشرّه.

4-6-2-رثاء المدن:

لقد رثى محمّد العيد آل خليفة مدن محليّة وطنيّة:كمدينة عنابة،ومدينة الأصنام (الشّلف حالياً) ومدينة تمقاد،وغيرها،ومدن أخرى عالميّة كمدينة هيرويشيما اليابانية،وفي ما يلي،نقصر الحديث على هذه المدينة الاخيرة،كي تكون مثالاً لرثاء المدن:

4-6-2-1-تعرف موجز بمدينة هيروشيما اليابانيّة:

1-أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)،دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر،2009م،ج02،ص252.
2- الدّيوان،ص515.

"أنشئت مدينة هوريشيما على دلتا نهر أوتا، الذي يجري من منطقة تشوغوك الجبلية،وقد بنى حاكم إقطاع(دايميو) يدعي تيرموتو مورى هناك قلعة عام 1591 في عصر الشوغن تويوتومى...ولم يكن بها إلّا بعض القرى الصغيرة، على طول الشّاطئ، وهاجر إليها مع حاشيته وجيوشه، وبعد ذلك أصبحت تابعة للدايميو ماسانورى فوكشيما،ثم منذ عام 1619أصبحت المركز الإقطاعي للدايميو أسرة أسانو، وكانت أكبر المدن في غرب هونشو"[1].

ازدهرت هيروشيما لوجود قاعدة حربيّة بها:مصانع حربيّة،مصانع للغزل، والنّسيج تابعة للجيش، مؤسسات عسكريّة للنّقل والشّحن،في شتى أنحاء المدينة،وفي أثناء الحرب كانت تخصص خمس الأرض لاستخدامات الجيش، أي مركز،وأية عاصمة لها مثل هذا الوجه الرّهيب، إن هيرويشما كانت أكبر المراكز الحربية في غرب اليابان[2].

ألقت الطائرات الأمريكية قنبلتها الذّريّة الأولى على هيرويشيما،في السّاعة الثّامنة والرّبع صباحاً السّادس من أغسطس عام1945،والثّانية على نغاساكي[3]،في السّاعة الحادية عشر ودقيقتين قبل الظّهر،بعد ثلاثة أيّام من القنبلة هيروشيما،وحُوِّلَتْ المدينتان إلى دمار كامل،لامثيل له في التاريخ البشري.

قدّم المختصون في شؤون الإحصاء ما استطاعوا من أرقام وإحصائيات تتعلق بتأثيرات القنبلة، ذكروا أنّ 78150 قد قتلوا،وأنّ 13983كانوا في عداد المفقودين،وأنّ الجرحى بلغوا 37425 مصاباً[4]،وكانت هذه النتائج رسمية وقتئذ،ويعتقد العلماء بأنّ الحصيلة أكبر بكثير،نظراً لهول الكارثة.

إنّ هذه الكاثة الدّموية والمشهد المأساويّ المؤلم غير الأخلاقيّ،أثر في نفسيّة كلّ فرد يحمل ذرة شعور إنسانيّ في قلبه،في العالم بأسره،فشارك محمّد العيد الشّعب الياباني مأساته مبيّناً خطر العلم الحديث على البشريّة، فرثى مدينة هوريشيما، بمرثيّة طويلة، حملت العنوان"خطر العلم على البشريّة"، قال فيها:

1- تاكيشى إيتو، هيروشيما ونغاساكي، ترجمة: أكيراكوبانو،مراجعة:محمود عبده، دار الشرق، ط1،بيروت-لبنان،1414هـ - 1994م، ص40.

2- المصدر نفسه،ص42 .

3-نغاساكي مدينة يابانية تعرضت للمصير ذات من قبل القوات الجوية الأمريكية.وذلك يوم:09 أوت 1945م، حيث ألقيت عليها القنبلة الذّريّة الثّانيذة، بعد ثلاثة أيام فقط من إلقاء القنبلة الذّريّة الأولى على مدينة هيروشيما.

4جون هيرسي،هيروشيما،ترجمة:عبد الله بن صالح العجيري،ط2،مركز تكوين للدّراسات والأبحاث،1414هـ-2019م،ص169

كُــرَةٌ وَاحِدَةٌ فِــي هُــورِشِيْمَا تَــرَكَــتْ كُلَّ مَــبَانِيْهَا هَــشِيْـمَا
هَــذِهِ مُعْــجِـزَةُ الْعِلْمِ الْتِــي فَضَحَتْ بَالْجَهْلِ مَنْ كَانَ عَلِيْمَا
أَمْــرِيْكَا زَرَعَــتْهَا بَــذْرَةً تَـدْعُ الْكَوْنَ مِنْ السِّلْمِ عَدِيْـمَا[1]

افتتح الشّاعر محمّد العيد قصيدته بعبارة((كرة واحدة))، فهي إشارة إلى الحجم الصّغير لهذه القنبلة الملقاة على مدينة هيروشيما،لكن نتائجها وخسائرها كانت كبير جدّاً جدّاً،بل عدّ الشّاعر تلك النتائج معجزة للعلم الحديث،فضحت جهل من كان سبباً في صنعها،حتّى لو كان أعلم العلماء ولقد ألقتها أمريكا لتجعل الكون في خوف وقلق وهلع، مسلوباً من السّلم والأمن.

يصف الشّاعر محمّد العيد صورة العلم كيف كانت،وكيف أصبحت، في قوله:

نَــشَأَ الْعِلْمُ مَــلَاكاً طَاهِــراً وَاسْتَـحَالَ الْـيَوْمَ شِيْـطَاناً رَجِيْـمَا
أَصْبَحَ الْـيَوْمَ جَحِيْماً بَـعْدَ مَا كَـانَ بِالْأَمْسِ عَلَى الْأَرْضِ نَعِيْمَا
عَـادَ فِيْ الْأَرْضِ فَسَاداً وَأَذَى لَمْ يَـدَعْ شِبْراً مِنْ الْأَرْضِ سَلِيْمَا[2]

يبين محمّد العيد بأن العلم نشأ ملاكاً طاهراً لا يصدر منه،ولا عنه إلّا النّفع والخير،لكن أصبح اليوم جحيماً لايصدر منه إلا الخراب والدّمار، فهو منتج الفساد والأذى،تتضررت منه الأرض،ولم يسلم منه شبر عليها.

يعرض محمّد العيد بعض أخطار هذا العلم، فيقول:

وَابْــتَلَى أَسْلِحَةَ الْأَرْضِ فَلَـمْ تَــكْفِهِ فَــاخْتَارَ لِلْـفَتْكِ السَّدِيْمَا
وَانْتَــقَى شَتَّى سُـمُوم يَبْتَغِي بَــثَّهَا فِـي الْجَوِّ لِلْخَصْمِ شَمِيْمَا
وَمَــضَى يَـهْدِمُ مَا كَانَ بَنَـى مِــنْ حَضَارَاتِ فَــتَنْقَضُّ حَـطِيْمَا
يَـطْرُدُ السِّلْمَ مِنْ الْأَرْضِ كَـمَا يَـطْرُدُ الصَّيَّادُ فِـي الْقَنْصِ ظَلِيْمَا[3]

يقول الشّاعر محمّد العيد بأنّ العلم قد اختبر كلّ أسلحة الأرض،ولم تكفيه،فاختر غيرها للقتل الفتك الهمجي العنيف،فانتقى أنواعاّ من السّموم، ليبثها في الجو،ويستخدمها المقاتل ضدّ خصومه فيشمّها،ويُردى صريعاً قتيلاً،ثم مضى هذا العلم يهدم الحضارات ويحطمها،وهي التي شيّدها حينما

1- الديوان، ص515.
2- المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.
3- المصدر نفسه،ص ص 336،337.

كان صالحاً نافعاً،وبذلك صار يطارد السّلم والأمن،أينما حلّ وارتحل فوق الأرض،كما يطارد الصّياد فريسته في القنص المباغت لها.

لقد أظهر محمّد العيد آل خليفة،من خلال مرثيته لهيروشيما، نزعتهاالإنسانية،وحبّه لكلّ نفع وخيروصلاح،وكراهيته لكلّ ضرر وشرّ وأذى وفساد،من أيّ مصدر خرج،ولو كان من المنتسبين للعلم، وأرباب المعارف.

4-7-رثاء الدّول:

كان رثاء الدّول حاض،جليّ للدارس،حيثر رثى الشّاعر محمّد العيد دولة الجزائر،ودولة مصر، ودولة فلسطين، ونظراً للخصوصيّة الاعتباريّة لدولة فلسطين،نقتصر عليها كنموذج لرثاء الدّول الوارد في أشعار وقصائد محمّد العيد آل خليفة.

4-7-1-رثاء فلسطين:

فلسطين دولة عربيّة في الشّرق الأدنى عاصمتها القدس،يحدّها شمالاً لبنان، وشرقاً سوريا والأرض وغرباً البحر المتوسط وجنوباً مصر27,000كلم^{2}من الأرض...من أهم مدنها:حيفا،يافا،عكا، نابلس،النّاصرة،بيت لحم،اغتصبها اليهود جزء منها في1948،ثمّ الضّفة الغربيّة وغزّة 1967،وهي اليوم فلسطين المحتلة،نشطت حركات المقاومة ضد الاحتلال واجتمعت تؤلّف منظمة تحرير الفلسطينيّة انتفاضة شعبيّة1987،إعلان قيام دولة مستقلة في فلسطين عام1988،تعيين رئيس عرفات رئيساً للدّولة الفلسطينيّة 1989[1].

خصّها الشّاعر محمّد العيد آل خليفة بقصيدتين رثائيّتين، عنوان المرثيّة الأولى"تقسيم فلسطين"، أمّ عنوان المرثيّة الثّانيّة فهو"فلسطين العزيزة"،مناسبة القصيدة الأولى هي:التّقسيم البريطانيّ الجائر والمغتصب للأراضيّ الشّعب الفلسطينيّ وحقوقه، وتمكين اليهود، وتمليكهم ما ليس لهم،على تراب الدّولة فلسطينيّة.فاستنكر محمّد العيد، ونشر قصيدته في جرية البصائر عام 1937م، مبيّناً فيها عن موقفه، من تلك القسمة غير العادلة،حيث يقول:

يـَا قِسْمَةَ الْقُدْسِ أَنْتِ ضِيْزَى لَـمْ يَعْدَلِ الْقَاسِـيُونَ فِيْكِ
مَضُوا عَلَى الْـحَيْفِ لَـمْ يُبَالُـوا بِـمَا جَرَى مِنْ دَمٍّ سَـفِيْكِ
الْـــقُدْسُ لِلْـــعُرْبِ مِنْ زَمَـــانٍ لَـــنْ يَـقْبَلُوا فِيْهِ مِنْ شَرِيْكِ

1- المنجد في اللّغة والأعلام،ط29،دار المشرق العربي ش . م.م ، بيروت-لبنان،2008م، ص422.

قَدْ سَـامَهُ الْأَجْنَبِـــيُّ خَسْفـاً وَ هَـدَّ مِن رُكْنِهِ السَّمِيْكِ[1]

ينادي محمّد العيد مشروع تقسيم القدس ووصفها بـ(ضيزى)،أيْ:مجحفة وجائرة،فيفي يوم 07 جويلية 1937"أصدرت لجنة بيل تقريرها الذي تضمن توصية بتقسيم فلسطين،إلى دولتين عربيّة ويهوديّة،مع وضع خاص للأماكن المقدسة،وأعلنت الحكومة البريطانيّة موافقتها عليه"[2].

لم يعدل فيها القاسمون البريطانيون،ومضوا على الجور،ولم يبالوا بالدّماء،التي سُفِكَتْ ضدّ التّواجد اليهوديّ.أمّا القدّس فهي عربيّة منذ قدم الزّمان،وستظل عربيّة،ولن يقبل العرب أن يشاركهم فيها أحد،ولقد اعتدى الأجانب على القدس الشّريف،وألـحقوا به من الضّرر ما لحقه،وأثار الحفر المخطط والممنهج تحت أسس المسجد، وجدرانه السّميكة.

أمّا المرثيّة الثانيّة المعنونة بـ"فلسطين العزيزة"، نظمها الشّاعر محمّد العيد آل خليفة 1948م، في نكبة فلسطين حينما، استولى اليهود عليها،وأعلنوا عن قيام دولتهم،حيث يقول مناديّاً فلسطين:

فـلِسْطِيْنُ الْعَـزِيْـزَةُ لَا تُرَاعِـي فَـعَيْـنُ اللهِ رَاصِـدَةٌ تُرَاعِـى
وَحَوْلَكِ مِنْ بَنِـي عَدْنَانَ جُنْدٌ كَـثِيْرُ الْـعَدِّيَزْأَرُ كَالسِّـــبَاعِ
إِذَا اسْتَـصْرَخْتِهِ لِلْحَرْبِ لَبَّـى وَخَـفَّ إِلَيْكِ مِنْ كُلِّ الْبِـقَاعِ
يَـجُودُ بِكُلِّ مُرْتَـخَصٍ وَغَـالِي لِيَدْفَعَ عَنْكِ غَارَاتِ الضِّـــبَاعِ
بُلِيْتِ بِـهِمْ صَهَايِنَةً جِـــيِّاعاً فَـسُحْقاً لَلصَّهَايِنَةِ الْـجَيَّاعِ[3]

ينادي محمّد العيد فلسطين العزيزة،ليهدأ من روعها لما أصابهم من عدوان، مذكّراً إيّاها بأنّ عين الله ترى كُلَّ شيءٍ،وأنَّ حولها إخوانها العرب وجيوشهم كثيرة العدد تزأر كالأسود، فإذا طلبت النصرة في الحرب، لبو النداء،وهرعوا إليها من كل حدب وصوب،يجودون بالغالي والنفيس ليردوا عنها كيد المعتدين،وقد بليت بالصّهاينة الجياع، فسحقاً،أي: بعداً وخسراناً لهم.

يواصل محمّد العيد مواساة فلسطين،مقدمّاً لها الدّعم المعنويّ،قائلاً:

فـلِسْطِيْنُ الْعَـزِيْزَةُ لَا تُرَاعِـي فَـــإِنَّ الْعُرْبَ هَبُّوا لِلـدِّفَاعِ
بِـــجَيْشٍ مُظْلِمٍ كَالْلَيْلِ غَطَّى حَـيَالِكَ كُلَّ سَهْلٍ أَوْ يَفَـاعِ[1]

1- الدّيوان،ص 314.

2- وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفا،:https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id،تمّ الاطلاع عليه بتاريخ:2023/8/5م،على الساعة:20:00.

3- الدّيوان،ص 334.

1- المصدر نفسه،ص335.

يخاطب محمّد العيد آل خليفة فلسطين العزيزة،ويطلب منها بأن(لا تراعي)،مؤكداً لها بأنّ العرب قد هبّوا لنصرتها والدّفاع عنها،بفضل جيشهم الكبير،وأفراده شباب يافع قادر على الحرب،ومستعد للتّضحية والنزال.ويضيف مفتخراً،بقوله:

نَـحْنُ بَنُي الْعُرُوبَةِ قَدْ خُلِقْنَـا ... نُلَـبِّـي لِلْمَعَارِكِ كُـلَّ دَاعِي
لَـنَا فِـي الْحَرْبِ غَارَاتٌ كِـبَارٌ ... أَيَّـامٌ مُـخَلَّدَةُ الـمَسَاعِـي
وَهِـمَّاتٌ تُـهَـوِّنُ كُـلَّ صَعْبٍ ... إِلَى نَيْلِ الشَّهَادَةِ فِي اطِّلَاعِ
وَكَيْـفَ نُذِلُّ أَوْنَرْضَى انخِفَاضاً ... وَنَـجْمُ جُدُودِنَا تَجْمُ ارتِـفَاعِ[1]

يفتخر بقوميته العربيّة،ويرى بأنها قد خُلقت لتلبّي كلّ من يدعوها للمعارك، أويطلب منها المساندة والدّعم فتستجيب له، وإن تاريخ العرب الحربـيّ حافل بالبطولات الكبيرة المخلّدة في سجلّ التّاريخ،لأنهم أصحاب الهمم التي لا تضعف أمام الشّدئد،ولا تُـهَوَّن أمامها الصّعاب والخطوب،من أجل نيل الشّهادة في سبيل الله،متسائلاً:كيف يتمّ إذلالهم؟ أويرضون بالمذلة لغيرهم؟وأجدادهم أصحاب عزّة وكرامة ومجدّ ومكانة ورفعة.

5-رثاء النّفس:

لم ينس الشّاعر محمّد العيد آل خليفة التي بين جنبيه في الرّثاء،بل خصّها بقصائد رثائيّة،وعـبّـر فـيها عن أحواله الشّخصيّة،وموقفه من الحياة والممات،ومن الدّنيا الفانيّة،والآخـرة الآتية،كي تخفف من عيوبها وأعبائها،وتثّقل موازين حسناتها،وتتزود لمصيرها،وألا تركن للغرور،الذي يفسد عنها الدّارين، فمثلاً نجده يُعْنِيْهَا بالاسم،ويرثيها في قصيدته المعنونةبـ"يا نفس"، مناديّاً إياها:

عَرَفْتُكِ يَا نَفْسُ ازْهَدِي أَوْتَرَّهَبِي ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مَذْهَبِي فِيْكِ مَذْهَبِي
عَـرَفْتُكِ نَفْساً بِالْـغُرُوْرِ مَرِيْـضَـةً ... قَدِيْـماً فَمَا تُجْدِي ضُرُوبُ التَّطبُّبِ
مُـبَاءَةٌ نُـكْرَانٍ وَوُرُدُ ضَـلَالَـةٍ ... وَمَـنْبَتُ خُسْرَانٍ وَمَـهْدُ تَقَـلُّبِ[2]

يخاطب الشّاعر محمّد العيد نفسه ويطلب منها أن تتلتزم بالزّهد وحياة التّصوف،مؤكداً لها بأن مذهبه وطريقته واحدة في الحياة لن تتغير،لأنها يعرف نفسه ،بأنّها مصابة بـمرض الغروض، وهو حال كلّ النّفوس البشرية،وطبع جبليّ قديم،لا تنفع فيه أنواع الأدويّة والتّطبيب،فهي نفس تنكر المعروف وتَرِدُ مواطن الضّلالة،ويصدر منها ما فيه الخسران،وتتميز بالتّقلّب في الأمزجة،لا تستقر على رأي.

1- المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

2- المصدر نفسه، 288.

وفي موطن يُعَاتِبُ الشّاعر نفسه في تساؤلات، فيقول:

أَ فِـي كُلِّ يَوْمٍ مَنْكِ بِاللَّوْمِ غَـارَةٌ عَـلِيِّ لَقَدْ أَتْعَبْتِـيْنِي شَرَّ مَتْعَبِ
تُرِيْـدِيْنَ يَا نَفْسُ الْـحَيَاةَ طَلِيْقَـةً وَتَـهْوِيْنِ أَنْ تَلْهِي عَلِيْهَا وَتَلْعَبِي
تُـرِيْدِيْنَ يَا نَفسُ الْـحَيَاةَ طَوِيْلَةً لِتَقْضِي عَلِيْهَا مَأْرَباً إِثْرَ مَأْرَبِ
مَـآرِبٌ لَا تَنْفَكُ تَتْـرَى كَأَنَّـهَا كَوَاكِبٌ تَبْدُو كَوْكَباً إِثْرَ كَوْكَبِ[1]

من خلال الأبيات يظهر عتاب الشّاعر لنفسه،وتضجّره منها،لأنّها تكثر علي اللّوم على أفعاله حتّى أتعبته،لأنّها تريد الحياة حرّة طليقة،تلعب وتلهو فيها كما تشاء وتهوى،وتريدها طويلة لتفضي مآربها غير المنتهية،والمتتابعة كالكواكب السّيارة المتتالية في سيرها.

يتلطّف مع نفسه كي تطيعه وتَتَّبعَ نصحه،فيقول:

فَـلَا تَحْقِرِي صَوْتِي الرَّقِيْقَ فَإِنَّهُ مِنْ الشِّعَبِ كَالسَّلْكِ الرَّقِيْقِ الْمُكَهْرَبِ
وَلَا تَحْقِرِي ضُعْفِي وَلَيْنِي فَفِيْهِمَا رَضَـــى اللهِ لَا فِي قَوَّتِـــي وَصُـلْـبِـي[2]

يطلب منها ألا تحقر صوته الرّقيق،لكّن رغم رقّته لكّنّها مشحون كالسلك المكهرب، وألّا تحقرن ضعفه ولينه،ففيهما خشية الله رضاه،وليس العبرة بالقوة وقوام الجسد، فالتّواضع وخفض الجناح، من سمات المؤمن الرّاغب في مرضاة الله.

لقد أوردنا أغلب أنواع الرثاء الموجودة في قصائد وأشعر محمّد العيد آل خليفة،ولا زال يحفل بأنواع أخرى من الرّثاء،مثل:رثاء الأمتعة والإغراض،ورثاءالأخلاق والقيم والتّقاليد،ورثاء الأسر والمجتمع ورثاء المصلحين والدّعاة،ورثاء الأحبة والأصدقاء وأبناء الأصدقاء،ورثاء المواسم والأعياد، ورثاء الطير والطبيعة،وكلّ نوع يحتاج من الدّارس إلى قراءة جادة فاحصة تحليلية، تدرك دلالات الألفاظ، ومعاني العبارات، ومقاصد الشّاعر منها.

يكشف هذا الزّخم من أنواع الرّثاء في الدّيوان، على مقدرة الشّاعر محمّد العيد آل خليفة في قرض الشّعر في هذا الغرض،وعلى طاقته الاستيعابيّة لإلمام بالعديد الموضوعات،والمختلفة من حيث نَزَاعَاتها: كالوطنيّة،القوميّة،الشّعوبية،والذّاتيّة وغيرها،تفاعل فيها مع ظروفها،وملابساته،ومعطياتها،وكلّ ما له صلة بها،غايته من ذلك التّعبير عن أشجانه وأحزانه،ومعاناته النّفسيّة تجاه حدث ما،من ناحية،

1- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.
2- المرجع نفسه، ص 299.

والمشاركة الفعليّة التّفاعليّة الفعّالة المتفاعلة مع صُنَّاع الحدث من ناحية أخرى،كلّ هذا وغيره، يجعل الشّاعر محمّد العيد متميزاً في زمانه،في نظم الشّعر،وتنوع موضوعاته وقضاياه وأغراضه.

ثانياً–المبحث الثّانيّ: قراءة وصفيّة تحليليّة لشعر الرّثاء في ديوان أحمد سحنون.

1-نبذة مختصرة عن حياة أحمد سحنون(1907م-2003م):

1-1- التّعريف بالشّاعر:

هو أحمد سحنون،ولد سنة(1906أو1907م)[1] 1326هـ،بقرية "ليشانة" قرب بسكرة، وفيها تلقى تعلّمه الأول،ثمّ انتقل إلى زاوية "طولقة"،ثـمّ انخرط في الحركة الإصلاحيّة فعُيّنَ مديراً لمدرسة التّهذيب بحي"بولوغين"بالعاصمة،بدأ في نشر مقالاته في جريدة البصائر[2]،كان ينشر في هذه الجريدة الأدبيّة، التي لم تعرف الجزائر لها مثيلا في مستواه الثّقافي الأدبيّ،لا أثناء عهد الاستعمار،ولا حتّى في عهد الاستقلال[3].

أجتهد أحمد سحنون بكلّ ما يملكه من أدوات الكلمة،أن يشارك المناضلين السّاعين لتخليص البلاد من الغلاة المعتدين،كانت موضوعاته المنشورة تهتم"بـتوجيه النّاشئة الجزائريّة، بأدبيات الثّقافة الإسلاميّة النّقيّة،والفكر الإصلاحيّ،الذي كانت ترفع رايته جمعية العلماء،بالإضافة إلى النّضْحِ عن الجزائر وطناً،والعربيّة لغة،والإسلام دينا[4]. لم يتوان لحظة من عمره بعد وضوح الرؤية لديه،من السّعي في تجسيد هذه الإيقونات الثلاثة، إذ أوقف حياته عليها،وفي سبيلها.

وأثناء ثورة التّحرير سجن مدّة ثلاث سنوات من 24ماي 1956إلى 1959[5]،وفي هذه الفترة نظم جزءاً هامّاً من شعره سمّاه"حصاد السّجن"،حيث كان شاهداً على أوضاع السّجون،وألوان التّعذيب وأصنافه فيها،ومعاناة المساجين بها،وحالاتهم النّفسيّة والجسمانيّة،والصّحيّة،وغيرها،من الصّور الـمجحفة والـمؤلمة.

فضلاً عن منع زياراتهم،ومصادرة كلّ حقوقهم، ولم يترك شيئاً من المعاناة إلّا دوّنه ووثقه،وحريص أن يكون شعره مرجعاً مباشراً،يـمكن العودة إليه، لمعرفة الخبايا المستورة، والحقائق المكتومة عن الرّأي العامّ،الذي كتفي بالسّماع من مصدر واحد،يتمثل في الرّوايّة الاستعماريّة،دون غيرها من الرّوايات، والممنوعة من النّشر،وهو أسلوب عمل عليه الاحتلال الفرنسي طيلة تواجده، رغبة منه في طمس الأدلة والشواهد، للتّدليس والتّضليل والتّعتيم.

---

1 - محمّد الأخضر عبد القادر السّائحيّ، روجي لكم تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص81.

2- محمّد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر،مصدر سابق، ص570.

3- عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، مرجع سابق، ص448.

4- المصدر نفسه،ص ص 448،449.

5 - محمّد الأخضر عبد القادر السّائحيّ، روجي لكم تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث،مرجع سابق، ص81.

وبعد الاستقلال عين عضواً في المجلس الأعلى الإسلاميّ،وإماماً خطيباً بالجامع الكبير بالعاصمة[1]،وهي مراتب تغري من كان قلبه معلقاً بالدّنيا، إذ هي مقدمات لشهرة كاذبة، تقضي نزوات عابرة[2]،لكّنّ كان حرصه على نشر الوعيّ والإصلاح والإرشاد،في أوساط المجتمع الجزائريّ، هو مدار حياته،لايبغي عن ذلك حول.

عاش فترات امتحان صعبة،نظراً لمواقفه الصّلبة، في المطالبة بالتّطبيق السّليم للمبادئالإسلاميّة[3]، قال الأستاذ الهادي الحسني واصفاً الشّيخ أحمد سحنون، وهو يـمرّ تلك الفترة:"كان رجلاً ليس كأحد من الرّجال، وعالماً ليس كأحد من العلماء،فلقد أخلصت السّنون جوهره، وأظهرت البلايا معدنه،وأحكمت الفتن رأيه، وأعلت التّضحية منزلته،وأعلت المروءة قيمته،ورفع الزّهد مكانه..."[4].

أصيب بنوبة قلبية...نقل على إثرها إلى المستشفى العسكريّ عين النّعجة،حيث دلّت الفحوصات أنّه أصيب بجلطة دماغيّة،عجلت بوفاته عن عمر يناهز96 سنة[5].

1-2-منجزاته وآثاره:

رحل الشّيخ أحمد سحنون،وترك أنتاجاً أدبيّاً وفكريّاً قيّماً، تـمثل في ما يلي:

- مقالات سياسيّة ودنيّة كثيرة،معظمها كان تحت عنوان(منبرالوعظ والإرشاد) في جريدة البصائر الثّانيّة.
- دراسات وتوجيهات إسلاميّة: (ط) (ش و ك) سنة1981م،في 361 ص.
- كتاب كنوزنا:يحتوي300ص، تناول تراجم بعض الصّحابة[1].
- الدّيوان الشّعريّ: وهو ديوان شعريّ مؤلف من جزأين.

2-التّعريف بالدّيوان الشّعريّ لأحمد سحنون:

1- محمّد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ،المرجع السّابق ،ص570.

2- عبد الحفيظ بوردیم، التّجربة الشّعريّة في ديوان أحمد سحنون،دار البلاغ للطّباعة والنّشر، الجزائر ،2009م،ص ص 14،15.

3-محمّد الأخضر عبد القادر السّائحيّ، روجي لكم تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث،مرجع سابق، ص81.

4-محمّد بسكر،أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة،مرجع سابق، ج1،ص180 .

5- عبد الحفيظ بوردیم، التّجربة الشّعرية في ديوان أحمد سحنون،مرجع سابق،ص 17.

1- محمّد بسكر،أعلام الفكر الجزائريّ من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة،المرجع السّابق،ص180.

يحمل ديوانه الشّعري عنوان "ديوان الشّيخ أحمد سحنون"،وهو ديوان لم يحتو جميع ماقا له، (ط) (ش و ن ت)سنة1977م، في 328 ص،ثمّ طبع بعد وفاته طبعة ثانيةسنة 2007م،فيها زيادات كثيرة،وهذه الطّبعة تتكون من ديوانين[1].

2-1-الدّيوان الأول:

جاء هذا الدّيوان في 336صفحة، "اشتمل على أزيد من 192قصيدة ومقطوعة،ضمّ فيه جلّ شعره الذي نشره في جريدة البصائر الثّانية،وحمل عناوين كثيرة منها:البصائر تتكلّم،إلى المعلم،إلى الشّاعر،بوركت يا دار،أغنية البحر...الخ"[2]. لم يقسم هذا الجزء إلى محاور،كما تـمّ ووجدنا في ديوان محمّد العيد آل خليفة،بل جاء عبارة عن قصائد شعريّة متتابعة،دون التّمييز بينها في نوع المحتوى،أو الأغراض الشّعريّة،بل ترك الأمر للمتلقيّ،يكتشف ذلك من خلال القراءة، وتفاعله مع المضامين الواردة في كلّ قصيدة،أو مقطوعة شعريّة.

2-2-الدّيوان الثّانيّ:

ضمّ هذا الدّيوان 416 صفحة،"احتوى ما يقارب412 قصيدةومقطوعة،ضمّ فيها قصائد سجلها في السّجن،وأخرى مهديّة إلى أبنائه وذريته،وقسّمه إلى أقسام حملت عناوين متنوعة[3]، يمكن التّعرف عليها من خلال العناوين التّاليّة:

1) قصائد من السّجن،
2) بين السّياسة والوطنية،
3) أفنان،
4) رفيق القلب،
5) باقة شعر الأحبة،
6) فراق الأحبة،
7) من وحي الطبيعة،
8) من وحي رمضان،
9) مناسبات وأعياد،

1- محمّد بسكر،أعلام الفكر الجزائريّ من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة،المرجع نفسه،ص ص 180.

2-المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

3-المرجع نفسه،ص181.

10) الشعر المنثور،

11) أشعار من الخلان[1].

للإشارة هنا، فإن هذه المحاور تختلف في أحجامها، بسبب تباينها في عدد القصائد المندرجة تحت عنوان كلّ محور،فمثلاً:محور"قصائد من السّجن" فهو يحتوي على(98)ثمان وتسعين قصيدة، بينما محور"فراق الأحبة"،جاءت فيه(27) سبع وعشرون قصيدة، أمّا محور"الشّعر المنثور"،فقد ضمّ (13) ثلاث عشرة قصيدة، وأمّا محور "أشعار من الخلان"،لم ترد فيه إلّا (04) أربع قصائد فقط، ناهيك عن طول قصيدة، وقصر أخرى.

3-عناوين قصائد الرّثاء وتصنيف أنواعها في محتوى الدّيوان قراءة وصفيّة تحليليّة:

في هذه الوقفة الخاصة، سيتمّ تقديم مسح شامل، لكلّ عناوين المرثيّات الواردة في ديوان الشّيخ أحمد سحنون بجزأيه، للتّعرف على موضوعاتها، والمعني بالرّثاء، أي المرثي، وكذلك معرفة أنواع الرّثاء الواردة بالدّيوان بشكل عام، وذلك من خلال الجدولين الإحصائيين التّاليين:

3-1-عناوين المراثي الواردة في الجزء الأول:

يمكن معرفة عناوين مراثي الجزء الأول من الديوان،وأنواع الرثاء المنتميّة إليها،فيما يلي:

الرقم	عنوان المرثيّة	المرثي	نوع الرّثاء	الصّفحات
01	وداع الربيع	فصل الربيع	الطبيعة	47-46
02	ربيع 1962 على إثر إعلان الاستقلال	الجزائر	الأوطان	74-72
03	البطل! من حصاد السجن	شهيد الوطن	الشّهداء	87-86
04	إن الجزائر تشكو	الجزائر	الأوطان	99-98
05	إلى الأمة الجزائرية	الأمّة الجزائرية	الأمّة	112-111
06	عظمة محمد صلى الله عليه وسلم	الأمّة العربية	المواسم	238-237
07	مات بن باديس !	ابن باديس	العلماء	241-239
08	اكسفي يا شموس	ابن باديس	العلماء	243-242
09	عبد الحميد ابن باديس في ذكراه الأولى	ابن باديس	العلماء	245-244
10	روح باديس (الذكرى الثانية)	بنباديس	العلماء	248-246
11	الذ/ الثالثة للشيخ عبد الحميد بن باديس	ا بن باديس	العلماء	250-249
12	أعظم بها سيرة.	مبارك الميلي	العلماء	252-251
13	الذ/1لوفاة الإمام محمد البشير الإبراهيمي	البشير الإبراهيمي	العلماء	354-253
14	الذّ/2 لوفاة الإمام محمّد البشير الإبراهيميّ	البشير الإبراهيميّ	العلماء	256-255

1- أحمد سحنون،ديوان الشّيخ أحمد سحنون،منشورات الحبر،ط01،الجزائر،2007م، ج02،ص ص415،408.

15	فرحات أي فراغ قد تركت لنا ؟	فرحات ابن الدّراجيّ	الأصدقاء	258-257
16	عبرات على فقد والده الشّيخ الدّراجيّ	والد فرحات الدّاجي	الأصدقاء	259
17	يا أميرا على القلوب	الأمير عبد القادر	الأمراء	262-260
18	ماذا جنى "قطب " ؟	سيد قطب	الدعاة	264-263
19	أ تونس خطبك خطب الشّمال	المنصف باي	الزعماء	266-265
20	مات محيي الدين !	محيي الدّين القليبيّ	الزعماء	267
21	لا تمت إن مات طه !	طه سلطاني	الأصدقاء	268
22	عظم الرزء !!	الحاج محمد معقل	الأصدقاء	269
23	لا ينجى من الموت "معقل"	الحاج محمد معقل	الأصدقاء	270
24	دع الأسى	محمد بن العمري	الأصدقاء	271
25	إلى أخي العمري	بعض أقارب العمري	الأصدقاء	272
26	كلنا للفناء	البشير بن داود	الأصدقاء	273
27	الله أكبر !	رشيد بطحوش	الأصدقاء	274
28	المعري !	المعري	الشعراء	276-275
29	دمعة على "مصباح"	مصباح	الأصدقاء	278-277
30	مصرع زهرة	عابدة خير الدين	الأصدقاء	280-279
31	عمر الزهر	حسن البنا/ بن شقار	الأصدقاء	303
32	هنا قبر "سعدان"!	الحكيم سعدان	الأطباء	305
33	حارس الشرق قد غاب	شكيب أرسلان	الأدباء	316-315
المجموع : (33) ثلاث وثلاثون مرثيّة				

(الجدول رقم 05:إحصاء عناوين مرثيات الجزء الأول)[1]

بعد الفحص التّأمليّ للجدول رقم:05.نجده يكشف عن عدد لا بأس به من المرثيات، حيث بلغ تعدادها في هذا الجزء(33) ثلاث وثلاثين قصيدة، مع العلم بأن هذا الجزء،لـم يخصص فيه قسم (محور)يضمّ صنف الرّثاءبالاسم بشكل مستقل،بل جاءت هاته المرثيات ضمن المحتوى العام،في شكل الشّموليّ،تعددموضوعاتها،وتنوعت أنواع الرّثاء بذلك التّعدد، فهناك:رثاء الطّبيعة،ورثاء الأصدقاء،ورثاء الشّهداء،ورثاء الزّعماء،ورثاء الأطباء،ورثاء العلماء،ورثاء الأدباء والشّعراء،ورثاء الأمّة،ورثاء الأوطان، ورثاء الدّعاة.

3-2-عناوين المراثي الواردة في الجزء الثّانيّ:

يمكن معرفة عناوين مراثيّات الواردة في الجزء الثّاني،وأنواع الرّثاء المنضويّة تحتها، فيما يلي:

1 - من عمل الطّالب.

الرقم	عنوان المرثيّة	المرثي	نوع الرّثاء	الصّفحات
01	بكيت على عمري	المؤلف	النّفس	33
02	السّأم !	المؤلف	النّفس	36
03	نصف العمر	المؤلف	النّفس	36
04	يا لعمر قد قضيته	المؤلف	النّفس	37
05	يا ضيعة العمر	المؤلف	النّفس	56
06	الموت والحياة	المؤلف	النّفس	60
07	استقلال بدون استقرار	الوطن	الأوطان	90
08	اغتيال " ضياء الحق "	ضياء الحق	الرّؤساء	101
09	منحة لبنان	دولة لبنان	الدّول	103-102
10	نكبة "الكويت"	دولة الكويت	الدّول	105
11	الغارة الحاقدة	دولة ليبيا	الدّول	106
12	جرح فلسطين	دولة فلسطين	الدّول	108
13	تبّاً لها دنيا !	"سعيدة"	الأبناء	185-184
14	ساعة الدفن !	ابتنه سعيدة	الأبناء	185
15	غياب سعيدة	ابنته سعيدة	الأبناء	186
16	عيد "سعيدة "	ابنته سعيدة	الأبناء	186
17	فراق الأحبة !	الأحباب	الأبناء	231
18	مات توفيق !	توفيق المدني	الأصدقاء	233-232
19	في ذكرى الشيخ م ع آل خليفة	محمد ع آل خليفة	العلماء	235-234
20	في ذكرى الشيخ العربي التبسي	العربي التبسي	العلماء	237-236
21	تأبين شيخي العظيم الإمام م خ الدين	محمد خير الدين	الشّيوخ	239-238
22	هكذا تنقضي الحياة	عبد اللطيف سلطاني	الأصدقاء	241-240
23	في جنازة الأخ الشيخ ع اللطيف سلطاني	عبد اللطيف سلطاني	الشّيوخ	242
24	في أعقاب الفاجعة	عبد اللطيف سلطاني	الشّيوخ	243
25	أين عبد اللطيف؟	عبد اللطيف سلطاني	الشّيوخ	245-244
26	فقد صديق	عبد الطيف سلطاني	الأصدقاء	246
27	سئمت الحياة	عبد اللطيف سلطاني	الأصدقاء	247
28	وفاة صديق السجن.....	عبد اللطيف سلطاني	الأصدقاء	248
29	تخلفت عن الركب	المؤلف	النّفس	249
30	رزء عباس	عباس التركي	الأصدقاء	251-250
31	من آثار موت الأحبة	عباس التركي	الأصدقاء	253-252
32	يا راحلا!!!	عباس التركي	الأصدقاء	255-254

33	ذكرى مصباح	مصباح الحويذق	الشّيوخ	256
34	كيف فارقتنا؟	حمزة بوكوشة	الأصدقاء	257
35	تتابع صحبي	المؤلف	النّفس	258
36	أدنياي	الأصدقاء	الأصدقاء	259
37	مات دون البلوغ	فيصل زرار	الأصدقاء	260
38	خطبك يا رزار!	محمد السعيد رزاز	العلماء	262-261
39	لا تموتى أم رزاز !	عائلة رزاز	الأصدقاء	263
40	في ذكرى الشيخ أحمد باشن	أحمد باشن	العلماء	264
41	موت أخي مصطفى !	مصطفى سحنون	الأخوة	265
42	لسنا سواء	والدة الإخوة سعادة	الأصدقاء	267-266
43	من السجن إلى القبر	شراطي يخلف	الدّعاة	268
44	وداع رمضان	رمضان	الشّعائر	301
45	يا عيد 1412 للهجرة	العيد	الأعياد	319
46	أين العيد ؟	يوم العيد	الأعياد	321-320
47	عيدان	عيد: النصر/ الفطر	الأعياد	322
48	عيد الأضحى عند المسلمين	البلاد	الأمة	327
49	رأس السنة الهجرية 1406هـ	أول محرم	المواسم	327
50	عاشوراء! عاشور!	موسم عاشوراء	المواسم	328
51	شهر الفجائع 8 ماي	الجزائر	الأوطان	344
52	غربة الإسلام	الدين الإسلام	العقائد	359
53	غربة المسلمين	أمة الإسلام	الأمّة	360
54	سأبكي	المؤلف	النفس	363
55	بكيت	المؤلف	النفس	363
المجموع : (55) خمس وخمسون مرثيّة				

(الجدول رقم 06:إحصاء عناوين مرثيّات الجزء الثّاني)[1]

يقدّم الجدول رقم 06، المجموع الكليّ لعدد للمراثي المرصودة في الجزء الثّانيّ من ديوان أحمد سحنون،حيث بلغ عددها(55) خمس وخمسين مرثية،وهو عدد يفوق العدد الكليّ الموجود في الجزء الأول والمقدر بـ(33) ثلاث وثلاثين مرثية،ومما تجدر الإشارة إليه هنا، ورود(27)سبع وعشرون مرثية في محور"فراق الأحبة"،أمّا الباقي من المراثي فقد جاء مفرقاً على باقي المحاور المصنفة في الجزء الثاني،وصفحات الدّيوان برمته.

1- من عمل الطّالب.

إن ارتفاع عدد المرثيات بهذا الجزء جعل أنواع الرّثاء الواردة هي الأخر تتنوع فيه، فعلاوة على ما تمّ ذكره في الجزء الأول من الأنواع، يُضاف إليه أنواع أخرى،مثل:رثاء النفس، ورثاء الدّول، ورثاء الأبناء،ورثاء الأخوة، ورثاء المواسم والأعياد،ونحو ذلك مما ورد من الأنواع.

وبعد الجمع بين عدد المرثيات المصنفة في الجزء الأول والمقدرة بـ(33) ثلاث وثلاثين مرثيّة، والجزء الثاني الحاوي لـ(55) خمس وخمسين مرثية،نستنتج بأنّ الدّيوان يضمّ بين دفتيه (88) ثمان وثمانين مرثية، تنوعت في عناوينها،وموضوعاتها،ونوع الرّثاء المندرجة تحته.

4-أنواع الرّثاء المعروضة في الدّيوان بجزأيه:

من خلال تصفح الجدولين السابقين رقم05،ورقم 06،وقراءتهما بعناية، يمكن تفصيل أنواع الرّثاء الواردة في الدّيوان، في بيانات الجدول التالي:

نوع الرثاء	الجزء الأول	الجزء الثاني	المجموع
النّفس	00	10	10
الأخوة/الأصدقاء/ أبناء الأصدقاء	12	19	31
المصلحون والدّعاة	01	01	02
المشايخ والعلماء	08	09	17
الحكماء والأطباء	01	00	01
الأدباء والشعراء	02	00	02
الأبطال والشّهداء	01	00	01
القادة والزعماء	02	00	02
الملوك والأمراء والرؤساء	01	01	02
الأوطان والدول والمدن	02	06	08
العقائد والشعائر	00	02	02
المواسم والأعياد	01	05	06
الأمة	01	02	03
الطبيعة	01	00	01
المجموع	33	55	88

(الجدول رقم 07:إحصاء إجمالي لعدد المراثي وأنواعهافي الدّيوان بجزأيه)[1]

1- من عمل الطّالب.

يقدّم الجدول رقم07 إحصائيّة إجماليّة لمجموع المرثيات المدونة في ديوان أحمد سحنون،حيث بلغ عددها (88) ثماني وثمانين مرثية، مصنفة بحسب الأنواع المنتميّة إليها، والمقدرة ب(14) بأربعة عشر نوعاً، تباينت في أعداد قصائدها، إذ يمكن ذكر تعداد بعض الأنواع، حصراً لا قصر فيما يلي:

- رثاء الإخوة /الأصدقاء/ أبناء الأصدقاء:(31) إحدى وثلاثين مرثية.
- رثاء المشايخ والعلماء:(17) سبع عشرة مرثيّة.
- رثاء النّفس:(10) عشر مرثيّات.
- رثاء الأوطان والدّول والمدن:(08) ثمان مرثيّات.
- رثاء المواسم والأعياد:(06) ست مرثيّات.

أمّا الباقي من الأنواع فهو محصور بين مرثيّة واحدة وثلاث مرثيّات،يحتوي كلّ نوع من هذا الأنواع المصنفة،على مضامين تختزل معاناة الشّاعر أحمد سحنون، وتترجم أحواله النّفسيّة وهو يعيش الحزن، أو يستذكر إذا دعاه إلى ذلك سبيلاً،حيث تفاعل بكلّ كيانه ومشاعره مع تلك الأحداث المحزنة، والمآسي المؤلمة اللّحظات العصيبة،لا حيلة له فيه إلّا الاسترجاع والصّبر والتّسليم.

إنّ هذا الكمال الهائل من المراثيّ،والمقدّر بثمان وثمانين مرثيّة،والمتنوعة الأنواع،كرثاء النّفس، ورثاء الأحبة والأصدقاء وأبناء الأصدقاء،ورثاء المشايخ والعلماء،ورثاء الحكماء والعلماء،ورثاء الأوطان والمدن،ورثاء المواسم والأعياد،ورثاء الإبطال والشّهداء وغير ذلك من الأنواع الواردة في الدّيوان والمبينة في شكلها المفصل بالجدول رقم(07)،يدلّ على المقدرة المعرفية للشّاعر أحمد سحنون وتفرّسه في ميدان قرض الشّعر، والذي أبان فيه عن ثقافته الشّخصية،ونزعته الوطنيّة والقوميّة، والوطنيّة،وانتماءاته الدّينيّة والفكريّة،وآماله الإنسانيّة.

5-وقفة تحليليّة لبعض النّماذج من أنواع الرّثاء في شعر أحمد سحنون:

يصعب في هذه الوقفة تفضيل نوع على نوع آخر،فكلّ نوع يستحق أن يكون نموذجاً،باعتباره حمّال للعديد من السّمات والخصائص، التي لا تتوفر في غيره من الأنواع،لكن سيتم الاكتفاء بالأنواع الثّالثة الأكثر تعداداً من مجموع تلك الأنواع المصنفة في الجدول أعلاه،وهي كما يلي:

5-1-رثاء الإخوة /الأصدقاء/ أبناء الأصدقاء:

يحتوي هذا النّوع من الرّثاء في ديوان الشّيخ أحمد سحنون على(31) إحدى وثلاثين مرثية، ضمت رثاء الإخوة ورثاء الأبناء،ورثاء الأحباب،ورثاء الأصدقاء،وأبناء الأصدقاء،عبرّ فيها الشّاعر عن شعوره الحزين تجاه المفقودين،وصلته بهم،وعن مناقبهم،وعن مساحة الفراغ التي خلفوه في قلبه، وقلوب

محبيهم،في بعد رحيلهم للعالم الأخروي،فكان من المرثيين:أخوه مصطفى سحنون،وابنة الشّاعر سعيدة وصديقه المقرب عبد اللّطيف سلطاني،وعائلة عباس التّركي صديق الشّاعر،وغيرهم،ممن سبق ذكرهم تمت الإشارة إليهم في الجدولين رقم(05)،ورقم (06).

يقول في مرثيته المعنونة "موت أخي مصطفى"[1]:

أَخِي مَاتَ وَالأَخُ لَا يُخْلَفُ فَتَبّاً لِـدُنْـيَا بِهَا تُـكْـلَفُ
نَـعَيْشُ بِـهَا عُـرْضَةً لِلـرَّدَى وَفِـيْهَا نُفَارِقُ مَنْ تَـأْلَفُ
لَقَدْ فَضَحَ الْـمُوتُ دُنْيَا بِـهَا نَـمُوتُ وَأَعْيَانُـنَا تُـتْـلَفُ[2]

افتتح أحمد سحنون مرثيته بنعي أخيه مصطفى، قائلاً:"أخي مات"،نافيّاً أن يخلف، ثمّ يعاتب الدّنيا التي يكلف في البشر،وهم يعيشون بها معرضين للموت،وبها يفارقون من يألفون،إذ يفضح الموتُ هذه الدّنيا التي يموت بها الجميع،فالموت لايستثني أحداً.

ثـمّ يعتذر لأخي فيقول:

أَخِي لَـمْ أَوَدِعُكَ قَبْلَ الرَّحِيْلِ فَحُزْنِـي لِفَقْدِكَ لَا يُوْصَـفُ
فِـرَاقُكَ يَا "مُصْطَفَى" رَجَّنِي وَأَذْهَـلَنِي وَقْـعُهُ الْـمُتْلِـفُ
وَبَغَّـضَ لِـي طِيَّبَاتِ الْـحَيَاةِ وَأَنْكَرْتُ مِنْهَا الذِي أَعْـرِفُ
وكيف تطيب الـحياة وقـد ترّحل عـني الأخ المسعفُ؟[1]

يخاطب أحمد سحنون أخاه،ملتمساً من العذر لأنه لم يودعه قبل الرّحيل،لأنه حزنه على فقدانه لا يوصف،وفراقه إيّاه رجّه،وأذهله وقعه المتلف،بغّض له ملذات الحياة،حتّى أنكر منها الذي يعرفه، ثّم يتساءل:كيف تطيب له الحياة، وقد رحل عنه أخوه المسعف والسّند؟

يختتم الشّاعر مرثيته في أخيه بالدّعاء له :

فَـيَا رَبِّ كَمْ قَدْ عَفَوْتَ وَكَـمْ غَـفَرْتَ لِـخَلْقِكَ مَا أَسْلَفُوا
إِذَا مَـا أَسَاءَ أَخِـي أَوْ هَفَا فَـلِيْسَ سِـوَاكَ بِهِ يَـرْأَفُ[2]

1- تمّ تحرير هذه القصيدة في 25 شوال 1406هـ،2 جويلية 1986م، ينظر:ديوان الشّيخ أحمد سحنون، المصدر السّابق، ج02،ص265.

2- أحمد سحنون،ديوان الشّيخ أحمد سحنون،منشورات الحبر،المصدر نفسه،ج02،ص265.

1- المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

2- المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

يدعو الشّاعر أحمد سحنون في هذين البيتيْن الشّعريّيْن الله عزّ وجل بصفته العفو عن خَلْقِه، والغفّار لهم ما أسلفوا من آثام، واجترحوه من سيئات،راجيّاً منه أن يغفر لأخيه المتوفى"مصطفى"،إذا أساء في حياته،وأن يعفو عنه إذا أخطأ، فليس هناك أحد سوى الله يرأف به.

أمّا بخصوص رثائه لأصدقائه،وهم كثيرون جداً،أمثال:فرحات الدّراجيّ،الحاج محمّد معقل، رشيد بطحوش،عباس التركي، مصباح الحويدق،حمزة بكوشة،وغيرهم،

ونجد أوفرهم حظّاً، والأكثر ذكراً في الدّيوان صديقه العزيز عبد اللّطيف سلطاني[1]،والذي رثاه في سبع مرثيات،يقول فيه في مرثيته "هكذا تنقضي الحياة"،مبديّاً تأثره العميق بموته،و تعجبه:

مَـا أَشدَّ الْـمَصُابَ مَا أَفْـدَحَ الْخَطْبَ وَأَقْسَاهُ أَنْ يَمُوْتَ الـرِّجَالُ
جَـــاءَنِـي هَـاتِفٌ بِـمُنْتَصَفِ اللَّـيْلِ بِنَعْـي تَـنْـدَّكُّ مِنْهُ الـجبالُ
قَـالَ: عَبْدُ اللّـطِيْفِ مَاتَ،فَـهَدَّ الْـخَطْبُ عَـزْمِـي وَرَجَّنِي الـزِّلْزَالُ
إِنَّ عَبْدَ اللّطِيْفُ نِصْفِي الذِي مَاتَ فَكَيْفَ الْمصِيْرُ كَيْفَ الْمَآلُ؟[2]

يعجب الشّاعر أحمد سحنون من شدّة المصاب وفداحة الخطب وقساوته على النّفس حينما يموت الرجال،ليصف حالته النّفسيّة المضطربة عندما جاءه نعي صديقه الحميم"عبد اللّطيف سلطاني" إذ فُلّ منه العزم ورجّه كالزّلزال،لأنّ مكانة"عبد اللّطيف"عنده،بمثابة النّصف منه،لذا تسأل عن مصيره، ومآله هو،بعد موت صديقه.

ويقول عنه في مرثيته المعنونة"في جنازة الأخ الشّيخ عبد اللّطيف سلطاني رحم الله"،واصفاً كيف عاش،وكيف مات:

مَاتَ مِنْ بَعْدِ مَا سَخَا بِالْحَـيَـاةِ لِبِلَادٍ عَاشَتْ "ظُرُوْفَ" مَـمَاتٍ
عَاشَ يُحْيِي شُعُـوْرَهَا مِثْلَمَا يُـحْيِي نُـــزُولُ الْـحَيا أُصُولَ الـنَّبَاتِ
وَتَحَدَّى مِنْ أَجْلِهَا السِّجْنَ وَالْمَوْتَ وَلَـــمْ يَكْـتَرِثْ بِبَطْشِ الـطُّغَاةِ[1]

يخبرنا أحمد سحنون بأن صديقه عبد اللّطيف، مات بعدما سخا بالحياة مقدّماً حياته في سبيل بلاده التي عاشت ظروف قسوة وحرمان،حيث عاش يحيي شعورها بنشر الوعي،وتعزيز روح الانتماء

1- عبد اللّطيف بن علي السلطاني(ت1404هـ/1984م):عالم وداعية مجاهد،ولد بقرية القنطرة من ولاية باتنة بالشّرق الجزائريّ سنة1902م،أخذا علومه بجامع الزيتونة،انضم إلى جمعية العلماء المسلمين،من مؤلفاته: المزدكية أصل الاشتراكيّة،سهام الإسلام، في سبيل الإسلام،شرح متن الأخضريّة، مذكراته اليومية،ينظر:أعلام الفكر الجزائريّ،مرجع سابق،ج01،ص409.

2- الدّيوان،ص 240.

1- الدّيوان،ص 242.

إليها، كما يحيي المطر جذور النبات،متحديّاً من أجل وطنه السّجن والموت،غير مكترث بما يصيبه من بطش الطّغاة المستعمرين من أجل نصرتها وعزّتها وحريّتها وكرامتها.

ويصف أحمد سحنون في مرثيته"فقد صديق"،حال عيشه بعد رحيل صديقه عبد اللّطيف:

ضَلَلْتُ طَرِيْقِي مُنْذُ فَقَدْتُ صَدِيْقِي فَأَصْبَحْتُ فِي دَرْبِي بِغَيْرِ رَفِيْقِ

وَكَيْفَ يَطِيْبُ الْعَيْشُ بَعْدَ أَحِبَّتِي؟ وَلَاخَيْرَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ صِدِيْقِ

وَمَوْت أَحِبَائِي تَذِيْرُ نِهَايَتِي وَأَنِّي إِلَى مَوْتِي عَرَفْتُ طَرِيْقِي[1]

من شدّة التّأثر يقول أحمد سحنون،بأنه ضلّ طريقه في الحياة،منذ فقدانه لصديقه عبد اللّطيف وأصبح بغير رفيق،ناكر في استفهام إنكاري أن يطيب العيش بعد فقدان الأحبة،كما أنه لا خير في الدّنيا إذا انعدم الصّديق الرّفيق،وبعد هذا ينعي نفسه،بعد علمه بأنّه صائر-لامحالة-إلى صار إليه أحبابه،وأن موتهم نذير وإعلان إليه بقرب نهايته،وهو بهذا قد عرف طريقه،ومصيره الحتميّ.

وأمّا عن أبناء الأصدقاء الذين عناهم بالرّثاء، نجده يرثي عائلة "رزاز" في مريته "لا تموتي أم رزاز!"،يقول فيها:

يَا لَأُمٍّ فَقَدَتْ أَبْنَاءَهَا فَغَدَتْ تَبْحَثُ عَنْ آثَارِهِمْ

جَمَعَتْ صَوّراً لَهُمْ ثُمَّ مَضَتْ تَطْلُبُ الْمَخْبُوءَ مَنْ أَخْبَارِهِمْ

وَهَيَّ لَا تَنْفَكُّ تَبْكِي مُذْ رَأَتْ قِصَرُ الْآجَالِ فِي أَعْمَارِهِمْ[1]

يصوّر أحمد سحنون حال"أم رزاز" التي فقدت أبناءها،وغدت تفتش عن آثارهم،إذ جمعت صوّرهم،وراحت تبحث عن المخبوء من أخبارهم،كي تتعرف عن أسباب وفاتهم،وهي لاتنقطع عن البكاء،حزناً على فقدهم وفراقهم،منذ رأت قصر آجالهم وقلّة أعمارهم.

ثم يلتفت إليها قائلاً:

لَا تَمُوتِي – أُمُّ رَزَازٍ- وَلَا تَهْلَكِي بِالْحُزْنِ فِي آثَارِهُمْ

إِنَّهُمْ فِيْ جِنَّةٍ لِيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي الدُّنْيَا سِوَى أَطْهَارَهُمْ

إِنَّ فِي الْمُوْتِ خَلَاصاً عَاجِلاً مِنْ بَنِي الدُّنْيَا وَمِنْ أَوْضَارِهِمْ[2]

1- الديوان،ص 246.

1- الديوان،ص 263.

2- الديوان،الصفحة نفسها.

يلتمس الشاعر أحمد سحنون من "أم رزاز" ألا تموت وألا تهلك نفس من فرط الحزن وطلب أخبار أبناءها، ثم يصبرها ويبشرها بأنهم في الجنة،التي ليس فيها من بني البشر سوى الأطهار،وأن الموت ما هو إلّا خلاص عاجل لأولئك الأبرار،تطهيراً لهم من أدران الدّنيا الفاتنة الفانيّة.

5-2-رثاء المشايخ والعلماء:

بخصوص رثاء المشايخ والعلماء،فقد ضّم ديوان أحمد سحنون(17)سبع عشرة مرثية،رثى فيه أهل العلم وأربابه من المشايخ والعلماء الربانيين،الذين أوقفوا حياتهم في سبيل تحصيل العلم وتعلّمه، ونشره، وتعليمه،ومحاربة للجهل والأميّة، وما شابهما من منافذ الانحراف والضّلال والفساد.

هناك كوكبة من الشيوخ الأفاضل والعلماء الإجلاء تـمّ تبجيلهم وتخليد أسمائهم على صفحات الدّيوان،من خلال رثائهم وذكر خصالهم وأعمالهم:كالشيخ العلّامة عبد الحميد بن باديس،والشّيخ محمّد البشير الابراهيميّ، والشّيخ مبارك الميليّ،والشّيخ توفيق المدنيّ،والشّيخ العربيّ التّبسيّ، والشّيخ محمّد العيد آل خليفة،والعالم محمّد خير الدين وغيرهم،وسنورد بعض ما رثى به الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي،كنموذج عن هذا النّوع من الرّثاء.

اغتنم الشّيخ أحمد سحنون الذكرى الأولى لوفاة الشّيخ العلّامة محمّد البشير الإبراهيميّ، ونظم في المناسبة مرثيّة طويلة،عنوانها"الذّكرى الأولى لوفاة الإمام محمّد البشير الإبراهيميّ" والتي وافقت يوم 19ماي سنة1966م، قال في مطلعها:

لَا تـقُل يَا نَاعِـي الْأَحْـرَارِ مَاتـا لَمْ يَمُتْ مَنْ عَلّمَ النَّاسَ الْحَيَاتـا
كَيْفَ يَطْوِي الموتُ مَنْ خَلَّفَ مَا يَقْهَرُ الْمَوْتَ فَأَحَيَا وَأَمَـاتَـا؟
إنَّـهُ أَحْيَا بِـــلَاداً لَـــقَـيَّتْ! حَـتْفَهَا جَهَلاً وَضَعْافاً وَشَـتَاتاً!
وَأَمَاتَ الْـجَهْلَ وَالـدَّجَـالَ بِـمَا عَـلّمَ الشَّـعْبَ غُلَاماً وَفِـتَاتاً![1]

يعاتب أحمد سحنون ناعي الأحرار على قوله: بموت الإمام محمّد البشير الإبراهيمي،لأنـه مـن علم النّاس ليس بميت،فهو حيّ في قلوبهم،بعلمه المحفوظ في صدورهم،ويسأله:

كيف يطوي الموت من خلّف وراءه ما يستمر بالتّواتر حتّى وإن مات الأول؟ فقد أحيا بلاداً كاملة، لقيت من الجهل والضعف والتّشتت ما لقيت، وأمات الجهل والدّجال،وحارب الأميّة بتعليم الشّعب الجزائر ذكوراً وإناثاً.

يخاطب الشّاعر أحمد سحنون الإمام في الأبيات الأخيرة من المرثيّة:

1- الديوان،ج01، ص 253.

نَـمْ قَـرِيْراً كُـلُّ مَا شَيَّدْتَهُ سَوْفَ نَغْـدُو ذُادَةً عَنْهُ حُـمَاتاً
سَـــوْفَ لَا يـَنْسَاكَ مِنَّا أَحَدٌ بَـلْ سَنَبْقَى لِـمَبَادِئِكَ رُعَاتـاً
كَـيْفَ نَـسْسَى بَانِيّاً آثَـــارُهُ سُوْفَ تُحْيِي ذِكْرُهُ إِنْ هُوَ مَاتَ[1]

يطلب أحمد سحنون من الإمام البشير الابراهيمي أن ينام قرير العين،مطمئن النفس،هادئ البال عما شيّده، ويَعِدُهُ بالذّود عنه وبحمايته، وأن الأجيال لن تنساه ،ولن ينساه أحدمن الشعب الجزائري،بل سيظل الجميع راعين لمبادئه، ثمّ يتساءل: كيف ينسون بانياً آثاره باقية من بعده؟ وإنها سوف تحيي ذكره حتّى وإن مات.

ويؤكد أحمد سحنون في مرثيّة الأخرى،المحررة بمناسبة الذّكرى الثّانية لوفاة الإمام الإبراهيميّ، فضل ذكراه، وآثارها في نفوس الأجيال،قائلاً :

ذِكْـرَاكَ مِا زَالَـتْ مَنَارُ حَـيَاتِنَـا تُـهْدِي السُّرَى وَتُوَّجِهُ الأَجْـيِالَ
ذِكْرَاكَ مَا زَالَتْ مَـنَارُ شُجُونِـنَا هَـدَّتْ عَـزَائِـمَنَا وَكُـنَّ جِـبَـالَ[1]

يخاطب الشّاعر سحنون الإمام محمّد البشير في هذين البيتين،ليؤكد له قيمة ذكراه في حياة الشّعب الجزائريّ،فيها منارة للسَّير ليلاً،يهتدي بها السّائرون في الظُّلمات الحالكة عند الأزمات،وتوجه الأجيال القادمة للطّريق الصّحيح، وأنها ذكرى لا تزال مصدراً لأحزانهم على فراقه،ورحيله عنهم، وأنها تفل منهم عزائمهم،وتضعفها من شدّة الأسى على فقدانه،وقد كانت عزائمهم قويّة راسخة كالجبال، لكنّها وَهَنَتْ من شدّة التّأثر بموته،والتّذكّر فيه،وذكر خصاله،ومناقبه التي فقدت معه.

5-3-رثاء النّفس:

إنّ ذكر الموتى وتشيع الجنائز،وسماع أخبارهم،وحوادث وفاتهم، تلين قلب كلّ سامع واع، تجعله يحدث نفسه بالمصير ذاته،وأنّه ميت في ما،لا يؤخره عن ذلك إلا استفاء أجله، وفي مثل هذا نجد الشّاعر أحمد سحنون يفرد في ديوانه،ما يقرب عن(10)عشر مرثيّات،يرثي بها نفسه،لعلمه اليقيني بأنّ الموت على كلّ الكائنات الحيّة الموجودة على هذه البسيطة،وأنّ البقاء فيها لن يكون إلا لله وحده.

ومما دفعه للإكثار من مرثيّات نفسه، فقدانه لأحبابه وأصدقائه وخلانه، فرأى بأنّ الدنيا دار غرور،ولا يطمئن لحالها إلا الغافلون، وأن العيش استحال وتكدر بعد موت أعزّ النّاس على قلبه،

1- الديوان،ج01، ص254.
1- الدّيوان،ج01،ص255.

فجهّز نفسه، واستعد للرّحيل من أجل اللحاق بأصدقائه،إذ رأى في موتهم نذير له بقرب نهايته،كما بيّن ذلك في مرثية صديقه عبد اللطيف سلطاني،حينما نعى نفسه قائلاً:

وَمُـــوْتُ أَحِبَائِي نَـذِيْرُ نِهَايَـــتِي وَأَنِّي إِلَى مُوتِي عَرِفْتُ طَرِيْقِي[1]

وعطف على هذا النّعي قصائد رثائيّة شخصيّة، جاءت تحت العناوين التّالية:"بَكِيْتُ على عُمْرِي"،"السَّأَمُ"،"نِصْفُ الْعُمْرِ"،"يَا لَـعُمْرٍ قَدْ قَضَيْتُهُ"،"يَا ضَيْعَةَ الْعُمْرِ"،"الْـمُوْتُ وَالْحَيَاةُ"،"تَخَلَّفْتُ عَنِ الرَّكْبِ"،"تَتَابَعَ صَحْبِي"،"سَأَبْكِي"،"بَكِيْتُ".

حملت هذه المراثي في حمولة عتبات عناوينها دلالات كثيرة، منها:

البكاء على العمر المنقضي/ التّضجر من العيش بعد فقدان الأحبة/ التّحسر على فوات نصف العمر وضياعه/"النّدم على ضياع العمر/التّفكر الدّائم في الثّنائيّة الضّديّة الأبديّة"الموت والحياة"/الحزن المتواصل والمستمر بسبب الفقدان المتتابع للرفاق والخلان والأصحاب/البكاء على فراق الأحبة/وغير ذلك من المعاني والدّلالات.

ومما رثى به الشّاعر أحمد سحنون نفسه،وهو يتحسَّر على عمره الضائع،ما جاء في مطلع مرثيته "بَكِيْتُ على عُمْرِي"، حيث يقول:

بَكِيْتُ على عُمْرِي يَضِيْعُ بِـلاَنَفْعِ وَعُمْرِي الْذِي قَدْ ضَاعَ أَغْلَى مِنَ الدَّمْعِ
وَمَاذَا يُفِيْدُ الدَّمْعُ مَنْ ضَاعَ عُـمْرَهُ وَهَـــلْ تَـنْفَعُ الْأَلْـحَانُ مُنْعَدِمَ السَّمْعِ؟[1]

يخبر أحمد سحنون في حسرة المتلقي، بأنّه بكى على عمره الضّائع، بلا نفع ولا فائدة،وأن عمره الذي ضاع أغلى من الدّموع التي ذُرِفَتْ عليها، لأنها لا تنفع الباكي في شيء،ولا تستطيع أن تسترد إليه عمره،شأنها شأن الألحان الشّجيّة،التي لا تنفع الأصم في شيء، لأنه لا يسمعها.

ثم يلتفت للفتية ناصحاً،مناديّاً:

فَيَا فِتْيَةَ الْإِسْلَامِ جِدُّوا لِتَرْبَحُوا شَبَابَكُمْ قَبْلَ الذَّهَابِ بِلَا رَجْـعِ
فإنّا خسرنا إذْ خَسِرْنَا شَبَابَـنَـا فَكُلُّ عَطَاءٍ بَعْدَهُ غَيْرَ ذي نَفْعِ
وَلاَ تَنْسُوا الْيومَ الذي فِيْهِ نَلْتَقِي بِأَعْمَالِنَا يَوْمَ التَّغَابُنِ وَالْجَمْعِ[2]

1- الدّيوان، ج02،ص246.

1- الدّيوان، ج02، ص33.

2-الدّيوان، ج02،الصفحة نفسها.

يوصي أحمد سحنون فتية الإسلام بالجدّ والاجتهاد، في مرحلة الشّباب، وأنْ يغتنموها، لأنّها مرحلة القوة والعطاء،والقدرة على الإنتاج، ليربحوا شبابهم، قبل ذهابه بلا رجعة، مؤكداً لهم بأنّ جيله قد خسر مرحلة شبابهم،وإنّ كلّ عطاء بعد هذه المرحلة عديم المنفعة، ثمّ يذكرهم بأن لا ينسوا يوم القيامة،حينما يلتقي الناس بأعمالهم،وهو يوم التغابن والجمع عند الله، فيكون النّدم والحسرة الكبرى.

وفي مرثية" السّأم"، يبدي فساد مزاجه بسبب سأمه من الحياة، فيقول:

أُحِسُّ بِنَفسِي صُرَاخَ الْأَلَمِ قَــوِيّاً لِيُسْـلِمَنِي لِلْـعَدَمْ
ومَــا ألَـمِي سُقْمٌ قَـدْ أَلَّمَ ولَــكِنَّهُ سَـأَمٌ قَدْ جَـثَمْ
وَأَخطَرُ مَا فِيْهِ أنْ لَا يُلَذَذَ ذُوْ سُأْمٍ أَيُّ شَيْءٍ طَعَمْ[1]

يصف أحمد سحنون حالته النفسية،التي ينتابها إحساس قويّ عميق بصراخ للألم، يقوده للتّفكير فالفناء، وهذا الشعور بالألم،ليس من مرض ألـمّ به،بل مصدره وطأة السّأم الجاثم على قلبه، وتفكيره الدائم في الموت، عكرّ صفو حياته، وغيّر طعم مزاجه،إذ يرى أن أخطر شيء أن لا يتلذذ المصاب بالسّأم بطعم أيّ شيء.

يواصل سحنون في وصف حالته النّفسيّة،وسأمه من الحياة، فيقول مرثيته"سَئِمْتُ الْحَيَاةَ":

سَـئِـمْتُ حَيَّاةً لَيْسَ فِيهَا هَـنِاءُ وعِـفْتُ وُجُوداً لَيْسَ فِيْهِ صَـفَاءُ
وَعِفْتُ رِجَالًا لَيْسَ يبدُونَ غَيْـرةً وَعِـفْتُ نساءً مَا لَــهُنَّ حَـيَاءُ
وأفدَحُ خَطْبٍ حلَّ بي فَقدُ أُخوَةٍ بِهِمْ تَـمَّ فِي عَصْرِ الْخَرَابِ بِنَـاءُ[1]

لقد سئم الشّاعر أحمد سحنون من الحياة التي لم يرزق فيها بالهناء،وعاف الوجود الذي لا ينعم فيه بالصّفاء،كما عاف الرّجال الذين انتفت منهم الغيرة على المحارم، والنّساء اللّواتي لا حياء لديهن، كما يرى فقدانه لإخوانه أعظم المصائب،التي حلّت على قلبه،لأنّه بهم كان يشعر بتمام البناء في عصر الخراب الذي حلّ حياته.

وما يؤكد حنينه،للعيش مع إخوانه،الرّاحلين إلى دار البقاء،ما قاله في مرثيته"تخلفت عن الركب":

سُنُو الْخصْبِ جَلَتْ عنّا وَغَــالْتْنَا سُنُو الْجَدْبِ
وَقُـرْبُ النَّاسِ لَا يـجْدِي فَجُدْ لِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ[2]

1-الدّيوان، ج02، ص36.
1-الدّيوان، ج02، ص247.
2-الدّيوان، ج02، ص249.

اعتبر سحنون حياته مع إخوانه وأصدقائه،هي سنوات الخصب والعطاء، وهي سنوات قد جَلَتْ وذهبت عنه بسبب موتهم،وحلّتْ محلّها سَنَوَاتُ الجَدْبِ والقحْطِ،بسبب فقدان أولئك الأحباب، ويرى أنّ القرب من النّاس،لا يجديه نفعاً،مما جعله يفقد كلّ الحيل للعيش،بعد رحيل رفاقه، واضطر إلى اللّجوء إلى الله لاهجاً بالدّعاء،أن يجود عليه بالقرب منه،أي:سأله أن يتوفاه،كي يرتاح من أحزانه، وهمومه وكروبه وشقائه،فذلك أجد عنده وأنفع له.

أمّا في مرثيته"الحياة والموت"، يؤكد نعيه، ونهاية حياته،فقوله:

أَفْظَعُ الْأَشْيَاءَ أَنَّ الْمَوْتَ آتٍ إِنَّـهُ يَـأْتِـي لِإِنْـهَاءِ حَيَـاتِـي
أَيُّ شيءٍ مُـفْزِعٍ كالـموتِ أمْ أيُّ شِـيءٍ هُوَ أَغْـلَى مِـنْ حَيَاتِي
يَا حَيَاتِـي أنتِ يَوْماً تنقَضِي مَا الذِي يَبْقَى إِذَا ضَاعَتْ حَيَاتِي؟[1]

بحسب رأيه إن أفظع الأشياء قدوم الموت،لأن ينهي حياته،ولا يشيء أفزع من الموت، ولا يوجد شيء أغلى عنده من حياته،ثم يناديها ليعلمها،بأنّها ستنتهي وتنقضي،ويتساءل:عم سيبقى إذا ضاعت حياته؟

وعلى هذا الضّياع، يندب أحمد سحنون عمره في مرثيته "يَا ضَيْعَةَ الْعُمْرِ"،إذ يقول:

يَـضِيْعُ الْعُمْرُ أَكْـثَرُهُ هَبَاءً وَنَـغْفَلُ عَنْ نِـهَايَـتِنَا غَـبَاءَ
نُـشَيِّعُ مَـيِّتاً فِيْ كُلِّ يَـوْمٍ وَنَلْقَى الْمَوْتَ صُبحاً أو مَسَاءَ
وَنَأْمَلُ فَوْقَ مَا نَحْيَا وَنَبْـقَى كَأَنَ النَاسَ قَدْ مُنِحُوا الْبَـقَاءَ
وَلَكِنَّ الْـحَيَاةَ لَـهَا انْـتِهَاءٌ وَنَنْسَى أَنَّ لِلْعُمْرِ انْـتِـهَاءُ
سَأَتـرُكُ هَذِهِ الدُّنْيَا بِرُغْمِـي لِأَلْـفِي عَنْدَ خَالِـقِي الْـجَزاءَ[2]

يَعْتَـرِفُ الشّاعر بالتّقصير في العمر، وضياع الكثير منه في الهباء بلا انتفاع، بسبب الغفلة عن نهايتنا، وهذا عين الغباء، لأننا نشيّع الموتى كلّ يوم، في الصباح والمساء، ونأمل نحن أن يَطُول عمرُنا لنبقى أحياء،وكأن النّاس قد منحوا ذلك،لكن الحقيقة أن لهذه الحياة التي نحياها نـهاية،وننسى أن للعمر كذلك له انتهاء وانقضاء،وفي ذلك تجديد وتأكيد نعي النّفس، وهذا ما يدفع الشّاعر أحمد سحنون لإقناع نفسه،بأنّها ستترك هذه الدّنيا،ليس بإرادتها،بل بالرّغم من أنفها وتموت لتلقى المصير الذي لقيّه الرّاحلون، وتـجد عند الخالق سبحانه جزاء أعمالها.

1-الدّيوان،ج02، ص60.

2- الدّيوان،ج02، ص56.

من خلال ما تقدّم من نماذج للرّثاء عند الشّاعر أحمد سحنون، يتبيّـن للمتلقي والدّارس معاً، حرصه على ترجمة مشاعره الفياضة المفعمة بالمحبّة،والمزينة بالصّدق،والمغمورة بالوفاء والإخلاص،لكّنّ من عاش معهم،وعاش لحظات احتضارهم،أواكتوى بنيران الشّوق والحنين إليهم،بعد رحيلهم، وغيابهم من دنياه وعن حياته،كلّ ذلكيجعله يتجرع الأحزان والمآسي،والكروب،وهو يودّعهم واحداً إثـر الآخر تباعاً،أويـتوقف فكره عند ذكراهم، ويتجدد بتذكّرهم الحزن،وتتنكدّ الحياة،مـما يـجعل الكآبة والسّأم ينوخان بفنائه،فيعتزل الشّاعر النّاس ويتمنى الرّحيل،ليلحق بالرّكب،ويـجد عند الله خير الجزاء.

يبدو من خلال هذا الوصف لحال الشّاعر كان يجهد نفسه في استدعاء الذكريات،التي جمعت مع رفاقه الرّحلين للعالم الأزليّ،مـما أضناه الوجد،وأعياه الحزن، وأجهده البكاء،ولم يجد إلّا الرّثاء تسريّة وعزاء،فكان الشّعر لهواحة فسيحة للبوح،والتّنفيس.

ثالثا –المبحث الثالث: قراءة وصفيّة تحليليّة لمرثيّات محمّد باي بلعالم

1–نبذة مختصرة عن حياة محمّد باي بلعالم (1930م–2009م):

1–1–التّعريف بالشّيخ:

هو الشّيخ باي:"أبو عبد الله محمّد عبد القادر بن محمّد بن المختار بن أحمد العالم القبلويّ الجزائريّ (المالكيّ المذهب) الشّهير بالشّيخ باي، يرجع نسبه إلى حمير القبيّلة العربيّة المشهورة باليمن"[1].

ولد الشّيخ محمّد باي "عام 1930م،في قرية «ساهل»من بلديّة «أقبلي»، بدائرة أولف ولاية أدرار، بجنوب الجزائر،وله أربعة إخوة هو ثالثهم،كان والده محمّد عبد القادر فقيهاً وإماماً ومعلماً"[2].

تربّى محمّد باي بلعالم في أسرة علميّة ديّنة،اِهتمت بتعليمه،إذ بدأه بحفظ القرآن الكريم في مدرسة ساهل بأقبلي،على يد المقرئ الحافظ لكتاب الله الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن بن المكي بن العالم، ثمّ قرأ على يد والده المبادئ النّحويّة والفقهيّة،ودرس على يد الشّيخ محمّد عبد الكريم المغيليّ مدة من الزّمن، ثم انتقل إلى زاوية الشّيخ مولاي أحمد بن عبد المعطي السّباعيّ بقصر«سالي»، ومَكَثَ فيها سبع سنوات،قرأ فيها الفقه المالكيّ وأصوله، النّحو، والفرائض، والحديث، والتّفسير[3].

أسس مدرسة "مصعب بن عمير"بدائرة أولف،ولاية أدرار، فدرّس فيها أنواع العلوم:كالتّوحيد والفقه، الأصول،والنّحو والصّرف[4].

توفي الشّيخ محمّد باي بلعالم يوم 19 أفريل 2009م،بعد حياة حافلة بالعطاء، والدّعوة إلى الله، مخلفاً وراءه ما يصل أو يفوق 40 مؤلفاً في شتى العلوم[5].

1–2–بعض مؤلفاته:

- ضياء المعالم على ألفيّة الغريب لابن العالم (جزءان).
- كشف الدّثار على تحفه الآثار.
- السّبائك الإبريزيّة شرح على الجواهر الكنزيّة.

1–محمّد باي بلعالم، الرّحلة العليّة إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات،المعرفة الدّوليّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر،2015م، ج2، ص 361.

2– المصدر نفسه، ص ص361،332.

3–المصدر نفسه، ص 362 .

4–محمد بسكر،أعلام الفكر الجزائريّ،مرجع سابق،ج02،ص85.

5– عبد الرّحمن بلوافي،الملتقى الوطنيّ الثّالث للشّيخ محمّد باي بلعالم بأولف ولاية أدرار،جريدة التّحرير الجزائريّة،السّنة الرّابعة، العدد910، يوم الأربعاء:13أبريل2016م،ص16.

- الدّرة السّنيّة في علم ما تراه البريّة(نظم).
- ميسر الحصول شرح على سفينة الأصول.
- فتح المجيب في سيرة النّبي الحبيب صلّذى الله عليه وسلّم.
- اللؤلؤ المنظوم على متن ابن آجروم.
- الرّحلة العليّذة إلى منطقه توات[1].
- وله رحمه الله مجموعة من قصائد وفتاوى.[2]

2- عناوين المرثيات وتصنيف أنواعها قراءة وصفيّة تحليليّة:

لقد سجلّ الشّيخ محمّد باي بلعالم حضوره في مراسم تشييع الجنائز وحفلات التّأبين، وكان حضوراً لافتاً ومتميّزاً،خصوصاً إذا كان المتوفى من ذوي الفضل والتّأثير،وأهل العلم ونشر الوعي، الإرشاد والإصلاح في المجتمع،حيث كان الشّيخ يقدّم تعازيه لأهل الميت،وأحبابه،وغيرهم من المريدين ويتكرّم على الجميع بإسماعهم ما جادت عليه قريحته،وعواطفه الجيّاشة تجاه الموقف المهيب، فيرثي الفقيد، ويذكر المشيعين بمناقبه، وخصاله وآثاره، في جون مشحون بالحزن والأسى.

ومن المراثي التي دونها الشّيخ محمّد باي بلعالم سبع مرثيّات، يمكن تصنيفها في الجدول التّالي:

الرقم	عنوان المرثيّة	المرثي	نوع الرّثاء	ملاحظة
01	مرثية محمد باي بن محمّد عبد القادر بلعالم لشيخيه العلّامة السّيد مولاي أحمد الطّاهر الإدريسيّ	أحمد الطّاهر الإدريسي	المشايخ	بخصوص نصوص هذه المرثيّات جاء بعضها في كتاب الرّحلة العليّة، وبعضها الآخر في كتب أخرى لها صلة بالشخصيات المرثية، وتجمعها كنصوص مخطوطة وهي بحاجة إلى دراسات أخرى تـمّ استلامها من
02	مرثية أخرى في وفاة العالم المرحوم الأستاذ الطّاهر مولانا أحمد	أحمد الطّاهر الإدريسيّ	المشايخ	
03	مرثيّة الشّيخ محمّد باي الشّيخ سيدي محمّد الرقاني في ذمّة الله	محمّد الرقاني	الفقهاء	
04	الشّيخ محمّد بن الكبير في ذمّة الله مرثيّة من محمّد باي بلعالم	محمّد بن الكبير	العلماء	
05	الشّيخ السيد الحاج محمّد الزّاوي في ذمّة الله وهذه مرثيّة من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم	محمّد الزّاوي	المشائخ	
06	الشّيخ السّيد الحاج عبد العزيز سيدا	عبد العزيز	المشايخ	

1-محمّد باي بلعالم،الرّحلة العليّة،مصدر سابق،ص ص364،366.

2-محمّد بسكر،أعلام الفكر الجزائريّ، مرجع سابق،ج02،ص88.

	عمر في ذمّة الله مرثيّة محمّد باي بلعالم	سيدا عمر		أمين خزانة الشّيخ محمّد باي بلعالم: السيد حامد محمّد الأمين
07	الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمة الله وهذه مرثيّة من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم	عبد القادر بكراوي	الأصدقاء	

(**الجدول رقم 08:إحصاء عناوين مرثيّات محمّد باي بلعالم وتصنيفها**)[1]

يظهر من خلال بيانات الجدول رقم 08، عناوين المرثيات المحررة من طرف الشّيخ محمّد باي بلعالم،وعدد سبه مرثيّات،نظمها بمناسبات وفاة مجموعة من المشايخ والفقهاء والأصدقاء،وبرغم من قلتها،بيد أنها تنوعت في أنواعها، فكان حضور رثاء المشايخ،ورثاء الفقهاء ورثاء الأصدقاء،ويمكن تفصيلها بالأعداد كما يلي:

- رثاء المشايخ والعلماء:(05) خمس مرثيّات.
- رثاء الفقهاء:(01) مرثيّة واحدة.
- رثاء الأصدقاء:(01) مرثيّة واحدة.

عبّرمحمّد باي بلعالم في هذه المرثيّات عن أحاسيسه المرهفة،ومشاعره الفيّاضة،وعواطفه الجيّاشة تجاه المتوفين الرّاحلين للعالم الأخرويّ،وأظهر من خلالها حزنه الشّديد،وتأثره العميق برحيلهم وفقدانهم والفراغ الذي تركوه من خلفهم في فقلبه.

3-وقفة تحليليّة لبعض النّماذج من أنواع الرّثاء في شعر محمّد باي بلعالم:

إنّ تلك المرثيّات المحررة من لدن الشّيخ محمّد باي بلعالم،والمختلفة الأنواع،والمناسبات،تستدعي من الباحث وقفةاستكشافية،من شأنها تقديم معطيات أساسيّة،للتّعرّف على بعض مميزات التّجربة الشّعريّة للشّيخ محمّد باي بلعالم،ويمكن الوصول إلى ذلك،من خلال قراءة تحليليّة في بعض النّماذج لأنواع مختلفة من الرّثاء المُؤَلَفِ فِيْهَا، وهي على النّحو التّالي:

3-1-رثاء المشايخ والعلماء:

لــم يفوت الشّيخ محمّد باي الفرصة،وهو يعيش لحظات توديع بعض شيوخ منطقة توات وعلمائها الأفاضل،فأسرع إلى تقديم التعازي،ومشاركة المكلومين بفقدان في بكائهم على ميّتهم وحزنهم على فراقه،غايته في ذلك التّسرية عنهم في مصابهم الجلل،وحثّهم على الصّبر،والاسترجاع، والتّسليم لقضاء الله،والرّضا بقدره،وتذكيرهم بأجر الصّابرين المحتسبين،فرثى شيخه مولاي أحمد الطّاهر

1- من عمل الطّالب.

الإدريسيّ في مرثيتين،ورثى الشّيخ محمّد الزّاويّ دفين عين صالح،ورثى الشّيخ عبد العزيز سيدا عمر والعلامة محمّد بن الكبير، ويمكن أن نقرأ ما رثى به هؤلاء في التّالي:

يقول في رثائه لشيخيه مولاي أحمد الطّاهر الإدريسي(1907م-1979م)[1]،واصفاً:

حَـدَثٌ أَلِيْمٌ جَـاءَ بِالْحَسَرَاتِ وَالـدّمُ مِـنْهُ ذَابَ فِـي الْعَبَـرَاتِ
فِـي طِـيْبَةَ وَرَدَتْ لَنَا أَنْبَـاؤُهُ بِـجِـوارِ طَـهَ وَصَـحْبِهِ الْـهُدَاتِ
الصَّبْرُ عِـيْلَ وَالآفَـاقُ تَغَـيَّرَتْ وَالصُّبْحُ مَثْلَ الْليلِ فِي الدَّهَمَاتِ
الْـحُلُو عَادَ الصَّبْرُ فِي مَذَاقِـهِ وْالْفِكْرُ يُحَكِي الْفُلْكَ فِي الْحَرَكَاتِ[2]

يصف الشّيخ محمّد باي بلعالم نعي شيخيه مولاي أحمد الطّاهر الإدريسي، بـ"الحدث الأليم"، حين بلغه النّعيّ، وهو ومن معه في البقاع المقدسة بالمدينة المنورة، بجوار قبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فكان حدثاً مصدراً للحسرة،وذرف الدّموع،نفاذاً للصّبر،حتى ضاق بهم الأفق،وتحوّل الصّبح،وغدا كالليل المظلم،وتعكّر المزاج، وأصبح كلّ شيء حلو مرّاً في مذاقه، واضطرب الفكر،وشعر به الشّاعر يدور يحاكي دوران الكواكب في الفلك، إنّه تعبير مركّز ودقيق،عن حالة نفسيّة مكلومة، إذ لـم تطق سماع خبر نعي الشّيخ، وهو في سفر بعيد، فكيف بحال عقله أن يطيق رحيله الأبدي.

يواصل وصف حالته المتأثرة فهذا الحديث الأليم، قائلاً:

فَتَـسَلَّلَتْ عَبَـرَاتُنَا فِـي الثَّرَى فَاخْضَلَّ مِنْهَا التُّـرْبُ فِـي الْفَلَوَاتِ
وَتَـحَيَّـرَتْ عُقُوْلُنَا وَتَصَاعَدَتْ أَنْـفَاسُنَا لِلْـجَوَّ بِالـزَّفَـرَاتِ
وَتَـبَلْبَلَتْ أَفْـكَارُنَا وَتَتَـابَعَـتْ صَـرَخَاتُـنَا لِلَّهِ بِالـدَّعَـوَاتِ
لِـيُنْزِلَ الشَّيْخَ الْفَقِيْدَ فِي جَـنَّةٍ وَعَلَيْهِ يُسْدِي سَحَائِبَ الرَّحَمَاتِ[3]

يصوّر محمّد باي بلعالم مشاهد الحزن التي عقبت خبر النّعي،حيث سالت دموعهم إلى التّراب، وتبلل من كثرتها ،تحيّرت عقولهم فيما تصنع، وارتفعت أنفاسهم بالزفرات في الجو، واضطربت أفكار، وتتابعت صرخاتهم لله بالدعوات،ليكرم الشّيخ الفقيد بالجنة، ويمنحه سحائب الرحمة والغفران.

1-هو الشيخ مولاي أحمد الطّاهريّ بن عبد المعطيّ المركشيّ السّباعيّ الإدريسيّ الحسنيّ، ولد بقرية أولاد عبد المولى...خلال 1325هـ/1907م،نشأ بمسقط رأسه،...توجه الشيخ إلى قصر العلوشية بسالي...يقول الشيخ عن أهلها:فبنوا بالبقعة دارا للسكنى،ومجلساً للتدريس،ومدرسة كبيرة لسكنى الطلبة"،ينظر :عبد الكريم حساني،الشّيخ مولاي أحمد،دار الكتاب العربي، ط1،الجزائر،2018م،ص ص35،57.

2-المصدر نفسه،ص347.

3-المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

وفي مرثية أخرى، يطلب محمّد باي سيلان الدّموع،ليعزي به شيخه، حيث يقول في طلبه:

دَعْ الدَّمْعَ يَجْرِي مِنْ جُفُونِي بِكَثْـرَةٍ فَـفِيْهِ عَـزَائِي إِنْ بُلَـيْتُ بِـنَكْـبَةٍ

لَقَدْ دَهَـمَ الْخَطْبُ الْـعَظِيْـمُ تَـوَاتَـنَـا فِي يَوْمٍ أَتَى نَعْيُّ السِّبَاعَي بِوَحْشَةٍ[1]

يطلب محمّد باي بلعالم ترك دموعه تجري من جفونه دون توقف،لأنه يرى فيها عزاءه لنكبته التي حلّت به بساحته،حيث داهم الخطب العظيم منطقة توات،وهو موت شيخه أحمد الطّاهريّ الإدريسيّ السّباعيّ،إذ كان يوم نعيه يوم موحش لا تطيقه النّفوس.

وبعد تصوّير الشيّخ محمّد باي لردود أفعالهم المليئة بالقلق والاضطراب،والتّفجع والتّحسر على فقد شيخه، طفق يذكر مناقبه،ويعدد خصاله،والتي أكد على بقائها من بعده، رغم فراقه للدنيا،فقال:

إنْ فـَارَقَ الـــدُّنيا فَـــإِنَّ خِـصَالَـهُ تَبْقَى مَدَى الْأَحْقَابِ فَي الْحَيَاةِ

فَـي الْعِقْدِ والْفُتُوحَاتِ خَلّفَ ذِكْـرَهُ كَذَاكَ مَا قَدْ جَـاءَ فِي النّفَحَاتِ

وَقُـلُوبُنَا حِـرْزٌ لِـحِـفْظِ تُـرَاثِـــهِ وَلِـجِسْمِهِ قَبْـــرٌ لَدَى الْـــوَفَاةِ[2]

في هذين البيتين يؤكد محمّد باي على أنّ خصال شيخ أحمد الطّاهر الإدريسيّ، سوف تبقى مدى الأحقاب في هذه الحياة،وشاهده في ذلك،ذِكْرُهُ لبعض مؤلفات الشّيخ الفقيد،مثل:

- العقد الجوهريّ على النّظم المسمى بالعبقريّ.
- فتوحات الإله المالك على النّظم المسمى بأسهل المسالك.
- نسمات النّفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء الصالحين والعلماء العاملين الثّقات[3].

كما أنّ طلبته وتلامذته قد حفظوا تراثه في قلوبهم وصدورهم، وأمّا قبره فقد حفظ جسده بعد دفنه، وتوديعه.وبعد ذلك التّفجُّع والتّحسُّر،واضطراب النّفوس والأنفاس، والحزن الشّديد على فراق الشّيخ، يقدّم محمّد باي بلعالم عزاءه،قائلاً:

وَعَـزَاؤُنَا صَبْرٌ جَمِيْلٌ أَجْـرُهُ قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بِالْإِثْبَاتِ

وَالْأَمْـرُ لِلْإِلَـهِ يُـرْجَعُ إِنّـنَا إِلَـيْهِ رَاجِعُوْنَا فِي الْحَالَاتِ[4]

1-المصدر نفسه،ص 349.

2- المصدر نفسه،ص 348.

3- المصدر نفسه،ص ص 27، 29 .

4- المصدر نفسه،ص 348.

كما أظهر محمّد باي تفجّعه،وأساه وحزنه،واضطراب نفسه، وتبلبل أفكاره،وحيرة عقله ،من شدة هول المصاب،ووطأته على قلبه،وتأثره لموت شيخه، يظهر عزاءه،ويعلنه متحلياً بالصّبر الجميل، مظنة الظّفر بالأجر الجزيل،مقتديّاً بوصايا القرآن الكريم،مسترجعاً الأمر الله،راضيّا بقضاء الله وقدره، مستسلماً لله الواحد الأحد الذي تصير إليه الأمور.

ومن العلماء الذين رثاهم محمّد باي في شعره، نجد الشّيخ محمّد بلكبير(1911م-2000م)[1]، يقول في شأن رثائه:

بَكَيْنَا عَلِيْكَ يَا شَيْخَ الْأَنَامِ وَحُقَّ لَكَ الْبُكَاءُ أَلْفَ عَامٍ
مَـلَائِكَةُ الْإِلَهِ تَقُوْلُ بُشْرَى لِشَيْخٍ كَـانَ غَوْثاً لِـلْأَنَـامِ
لِـشَيْخٍ كَرَّسَ الْـحَيَاةَ دُوْمـاً لِخِدْمَةِ دِيْنِ رَبِّـنَا السَّـلَامِ[2]

يخاطب محمّد باي بلعالم الشّيخ محمّد بلكبير مناديّاً واصفاً إيّاه بـ"شيخ لأنام"،ليخبره ببكائه عليه حزناً على موته ورحيله،ويرى أن الشّيخ يستحق البكاء ألف عام،كما أنّ ملائكة الله هي الأخرى تبشر الشّيخ بالقبول مُعْتَرِفَةً بفضله على النّاس،حيث كان غوثاً ومعيناً لهم على قضاء مآربهم،مكرّساً حياته كله لخدمة الإسلام.

ينادي محمّد باي الشّيخ محمّد بلكبير، مبديّاً إليه حزنه وتحسّره على موته:

بِمَوْتِكَ يَا إِمَامَ الْعَصْرِ غَابَتْ شُـمُوْسُ شَعْبِنَا عَنْ الْأَنَامِ
وَأَعْلَى مَنَارَةٍ سَقَطَتْ فَـأَدَتْ إِلَـى حُـزْنٍ وَدَمْعٍ مَعَ آلَامٍ[3]

يُلَـقّب محمّد باي بلعالم الشّيخ محمّد بلكبير بـ((إمام العصر))، ويُعْلِمَهُ بأنَّ موته تسبب في غياب الشمس المضيئة على النّاس،كناية عن غياب العالم الموَجِه من دنيا النّاس،وأنّه بمثابة المنارة العاليّة، التي يهتدي بها السّائرون في الظّلمات الحالكة، لكنها سقطت،فأدى ذلك الغياب، والسّقوط إلى الحزن والبكاء والتّألم.

---

1 -محمّد بن الكبير: هو محمّد بن محمّد عبد الله بن الكبير:كان رجلاً صوفيّاً، وقطباً بارزاً، ومؤسس المدرستين الشّهيرتين يتممون وأدرار،أسدى له رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة وساماً برتبه أثير من صنفي الاستحقاق الوطني دفعه هواري بومدين1420 هـ/1999 م،له تقام له زيارة سنوية في ذكرى وفاته15 سبتمبر كلّ سنة، ولد 1330 هـ/ 1911م، وتوفي في 16جمادي الثّانيّة 15سبتمبر2000م،ينظر:احمد أبا الصّافيّ جعفريّ،رجال في الذّاكرة وقفات تاريخية في أعماق الذّاكرة التّواتيّة،محمّد بن المزمّريّ (1160هـ)،حياته وأثاره،دار الغرب للنّشر والتّوزيع،ط02، وهران- الجزائر،1429 هـ/2018م،ص293.

2-محمّد باي بلعالم،الرّحلة العليّة،مصدر سابق،ج01،ص367.

3-المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

ويصوّر حال الناس في منطقة أدرار مع خبر الوفاة:

فَـأَدْرَارُ بَكَتْ دَماً عَلَـيْكُـمْ وَكَانَ الدَّمْعُ يَـجْرِي بِانْسِـجَامِ

فَلَيْسَ لَهَا سِوَى صَبْرٍ جَمِيْلٍ يُـعَدُّ لِـذَا الْـمُصَابِ يَا إِمَـامَ

نُـعَزِّى كُـلَّ فَرْدٍ فِـيْ تَوَاتٍ فِيْ فَقْدِ الشَّيْخِ مَنْ دَانٍ وَسَامِي[1]

يصف محمّد باي بلعالم وضعيّة أهل أدرار يوم موت الإمام،فكلّهم حَزِنُوا على الشّيخ محمّد بلكبير،وبكوا بكاء كثيراً،وليس لهم إلّا الصّبر الجميل الذي يقابل به هذا المصاب الجلل،ثمّ يعزّي أفراد منطقة توات فرداً فرداً،في فقد الشّيخ محمّد بلكبير،أينما كانت مرتبته،سواء من العوام، أو من الأعيان وعلّيّة القوم.

3-2-رثاء الفقهاء:

لاشك بأن للفقهاء دور عظيم في نشر الوعي، والإصلاح والإرشاد،بين شرائح المجتمع وفئاته ما أكسبهم المحبة، والتّقدير،والاحترام،وشرف المنزلة عند النّاس،فكان لفراقهم وفقدانهم أثر شديد الوقع في نفوس الجميع،حيث عبروا عن حزنهم،وتألمهم بما يملكون وقتئذ.وعبّر الأدباء والشّعراء بالكلمة الخالدة.

فكان للفقهاء حظّ من الذّكر في شعر محمّد باي بلعالم،تمثل في تحريره لمرثية،نظمها بمناسبة وفاة الفقيه محمّدالرّقاني(1931م-2006م)[1]،وتعدّ هذه المرثية أطول مراثي محمّد باي بلعالم، جاءت في ثلاث صفحات،عددأبياتها(56)ستةوخمسون بيتاً،تمّت فيها تزكيّة الشّيخ الفقيه محمّد الرقاني،وعدد فيها خصاله،وأخلاقه،ومناقبه،وكلّ ما سعى إليه في حياته من أعمال البر والخير،يقول فيها:

مَـاتَ الْـفَقِيْهُ وَمَاتَ الْجَوْدُ والْكَرَامُ وَسَالَ مِنْ عُيُوْنِنَا دَمْعٌ وفَاضَ دمٌ

1-محمّد باي بلعالم، الرّحلة العَلِيّة،المصدر نفسه،ج01،ص367.

1-محمّد الرّقاني الفقيه:هو سيدي محمّد بن سيدي أمبارك الرقاني ولد سنة 1931م بزاوية الرقاني وترعرع في أسرة كريمة مشهود لها بالعلم والفضل،حيث سهر والده على تربيته تربية إسلاميّة،وأخذه إلى سالي عند فقيه زمانه وشيخ عصره فضيلة الشّيخ مولاي أحمد الطّاهريّ الإدريسيّ الحسنيّ لينهل من معينه الصّافيّ سنة 1948م. وبعد التحاقه بحضرة شيخه أتمّ حفظ القرءان الكريم، وبدأ تلقي مختلف العلوم الشرعية فحفظ كل المتون المدرَّسة كالمرشد المعين لابن عاشر، وأسهل المسالك، والرسالة،ثم التحاق بقريته لتأسيس مدرسته للتعليم والإفتاء والإرشاد، فالتحق بمجلسه معظم سكان قريته صغاراً وكباراً لتتلمذ عليه،... حفظ عهد شيخه وسار على منهاجه إلى أن وفاه الأجل المحتوم يوم الاثنين 03 جانفي 2006م بعد 75 سنة حافلة بجلائل الأعمال:ينظر:صفحة شيوخ وعلماء توات:https://www.facebook.com/profile.php?id=100064778463985

نشر يوم :003يناير2022م،وأطلع عليه :يوم:2023/08/10م على السّاعة:10:15.

مُـحَمَّدٌ وَهُـوَ لِلـرَّقَانِـيِّ قَـدْ نُسَـبَـا وَبِـالْفَقَيْهِ النَّبِـيْهِ وَصْـفُهُ يُـعَـلُـمُ[1]

يستهل محمّد باي مرثيته، بإفادة خبر وفاة الفقيه محمّد الرّقانيّ،وَعَدَّ موته موت للجود والكرم، وهما خصلتان وُسِمَ بـهما الشّيخ محمّد الرّقاني في حياته،وكان هذا الموت سبباً في حزن صديقه محمّد باي ورفاقه،حيث سالت منهم دموع الحسرة والأسى والألم، على مَنْ عُرِفَ بجودة فقهه ونّباهة عقله، ووُصِفَ بذلك.

يصف محمّد باي مشاهد النّاس عند سماعهم بوفاة محمّد الرّقاني الفقيه، قائلاً:

شَيْخٌ عَظِيْمٌ لَهُ الْأَخْلاَقُ قَدْ جُمِعَـتْ وَالْـخَلْقُ مِنْ فَقْدِهِ أَصَابَـهَا سَقَمٌ
بَــكَتْ عَـلِيْهِ تَوَاتُ كُـلُّــهَا أَسَفاً وَالْأَرْضُ ضَاقَتْ وَبِالْأَحْزَانِ تَتَّسِمُ
لَـمَّا أَتَـى نَعْيُهُ لِــــمَكَّةَ غَـمَــرَتْ حَجِيْجَنِا لَوْعَةٌ هُـزَّتْ بِهِا الْقِـمَمُ[1]

يزكي محمّد باي في الشّيخ محمّد الرّقاني عظمة شخصيته،ودماثة أخلاقه،صفات كلّها مجموعة فيه،وقد أُصاب النّاسَ السّقمُ لِفَقْدِ هذا العالم الفقيه العظيم،وهذا ما يُوحي بشدّة حبّ الجميع له وبسمو مكانته في قلوبهم،حيث بكت منطقة توات كلّها متأسفة متحسرة على فقدان الفقيه وضاقت الأرض بالإحزان،كما أن خبر نعيه بلغ مكة المكرمة، فعمّت حجيج المنطقة حرقة من الحزن الشّديد، واضطربت نفوسهم جميعاً من فرط الوجد والتّحسر والتّأسف.

إنّ دواعي ذلك البكاء،كثيرة في مقدمتها غياب الفقيه عن دنيا النّاس،يقول محمّد باي:

إِنَّ الــــرَّقَــانِـيَّ شَيْخٌ فِـكْرُهُ ثَاقِبٌ وَعِــلْمُهُ نَافِــعٌ تُــهْدَى بِهِ أُمَـمٌ
قَدْ غَابَ عَنَّا وَغَابَ الصَّبْرُ فِي جَدَثٍ ضَمَّ الْحَبِيْبَ فَحَلَّ الْحُزْنُ وَالْبَكَـمُ
وَعَـمَّتْ الْـحَيْـرَةُ الْأَرْجَـاءَ قَـاطِـبَةٌ وَغَابَ عَنْ سَمْعِنَا سَمْعٌ وَفُضَّ فَـمٌ[2]

يصف محمّد باي الفقيه الرّقاني بأنّه شيخ يمتلك فكر ثاقب وعلم نافع،بفضله تتوسم الأمم الهداية،لكنه غاب عن دنياهم وغاب الصّبر،لأنّ الفقيه صار إلى قبره، يضمه اللّحد،فحلّ الحزن والصّمت،وعمّت الحيرة في كلّ الإرجاء والنّواحي، لأنّه غاب عن الأسماع من كان يسمعهم، وسكت فَمٌ كان يكلمهم بالعلوم والفقه في المسائل المختلفة.

1-محمّد باي بلعالم، مرثيّة الشّيخ باي بلعالم(الشّيخ سيدي محمّد الرّقاني في ذمّة الله)،خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير (مخطوطة)،الرّكينة،بلدية أولف،ولاية أدرار،ص1.

1-المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

2-المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

3-3-رثاء الأصدقاء:

من علامات البشر في هذه الحياة، أن يرزق المرء بأصدقاء يشطرونه آماله وأحلامه، ويقاسمونه أفراحه وأحزانه،وتزداد أيامها بهجة عندما يظفر بما يرغب، ويسرّ بما كان ينتظر ويترقب،لكنها لا تثبت على حال،ولا يهدأ لها قرار،فمن طبائعها التّلوّن والتّغَيُّر والتّبدّل والتّقلّب،فإذا حَلَتِ اليوم أَوْحَلَتْ في غَدٍ،وإذا أفرحت وأضحكت فاجأت بالحزن والبكاء،وتباعد بين الأحباب بالأمراض والأسقام والأسفار،فلاسرورٌ دائمٌ ولا صحةٌ باقيةٌ،وضحك دائمٌ،ولا حزنٌ مستمرٌ،ولا قُرْبٌ،وتَحَوُّلُ بين اجتماع الأحباب والأصدقاء وغيرهم بالموت، فيرثي الحيّ المتبقِيّصديقه الميت الرّاحل المتوفى، يحاول جهده في جمع ما أمكنه جمعه عن الفقيد، ثمّ ذكره في شعر قادر على تلبية الغرض.

هذا ما نجده في قصائد الشّيخ محمّد باي،فقد رثى من توفى من أصدقائه،وبكى حزناً على فقدهم وفراقهم،وها هو في أحدى مرثياته، نلفيه يرثي صديقه الشّيخ عبد القادر بكراويّ(1931م-2008م)[1]، حيث يقول في شأن وفاته:

فَارَقَ الْحَيَاةَ صَدِيْقَنَا الْمُكَّرَّمُ وَغَـدَا لِدَارِ الْـخُلْدِ فَيْـهَا يُكْرَمُ
بِدَرِ الْمَعَارِفِ قَـدْ تَغَيَّرَ لَوْنُـهُ لَـمِوْتِ هَذَا الشِّيْخِ فَهُوَ مُظْلِمُ
وَتَـزَلْزَلَتْ أَطْوَادُنَا وَبِحَـارُنَـا غَـارَتْ وغَـابَ الْـمَعْـلَـمُ
وَتَـشَرَّفَتْ بِهِ الْـقُبُوْرُ وَنُـوِّرَتْ وَبِدَفْنِهِ تَـحْيَا الْقُبُوْرُ وَتَـنْعَمُ[2]

افتتح محمّد باي مرثيته لصديقه بذكر خبر نعيه،الذي فارق الحياة ويصفه بـ"صديقنا المكرم"، والذي مضى إلى دار الخلود ليظفر بكرم الله له،ثم يصف بـ"بدر المعارف"ناقلاً صورته لونه المتغير المفزع بعد موته،والدّاعية إلى الحزن والأسى على فراقه،وتزلزلت الجبال،وغارت مياه البحار،بسبب غياب هذا المَعْلَمُ،وفي ذلك إيحاءات بليغة لقلق الناس،وحيرتهم،وفزعهم،على موته، لكّنّ ظفرت القبور بشرف دفنه فيها، ونوّرت بجسده،واكتسبت الحياةَ والنّعِيمَ بفضل وجوده فيها.

1-عبد القادر بكراوي:هو الشّيخ عبد القادر بن أحمد ولد خلال 1931 بقرية نومناس بلدية تمنطيط ولاية أدرار،حفظ القرآن الكريم على يد والديه،كما حفظ مصنف مختصر خليل في الفقه، وألفية ابن مالك في النحو،ثم انتقل إلى مدرسة الشّيخ محمّد بلكبير بأدرار، أتم فيها حفظ بعض المتون..."،ينظر:عبد الحميد بكري،النّبذة في تاريخ توات وأعلامها، الطّباعة العصريّة،برج الكيفان-الجزائر،جانفي2012م...وبعد وفاة والده خلفه في التدريس بالمدرسة بنومناس،والتي تخرج منها العديد من الأئمة والحفاظ،وطلاب العلوم الشّرعيّة، توفي عبد القادر بن أحمد بكراوي 28 أوت 2008.

2-محمّد باي بلعالم،الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمّة الله،خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير(مخطوطة)، الرّكينة،بلدية أولف،ولايّة أدرار،ص1.

ثــمّ يخاطبه صديقه المتوفـى محيّياً:

فَـعَلِـيْكَ يَا عَبْداً يُضَافُ لِقَـادِرٍ أَسْمَى السَّلَامِ بِالثّنَاءِ يُدَعَّـمُ

صَفُّ الْمَشَايِخِ مِنْكَ صَارَ شَاغِراً لَا يـُمْكِنُ الْبَدِيْلُ عَنْهُ يُـتَمِّمُ[1]

ينادي محمُد باي بلعالم صديقه عبد القادر بكراوي،ويحييه بأسمى السّلام،مدعماً تحيّته بالمدح و الثناء،ثمّ يخبره بأنّ صفّ الشّيوخ أصبح بموته، ورحيله فارغاً،يَطْلِبُ الخلف،ولا يمكن للبديل عنه أن يتمّه،بسبب البون الشّاسع بين الشّخصيتين، ومميزات كلّ واحد منهما.

ثم يؤكد محمّد باي بقاء علوم الشيخ عبد القادر بكراوي من بعده، قائلاً:

إنْ مِتَّ لَمْ تَمُوْتْ عُلُوْمُكَ فِي الْوَرَى الْعِلْمُ لَمْ يَمُتْ وَلِيْسَ يُعْدَمُ

تَحْمِي الصُّدُوْرُ عُلُوْمُكُمْ مِنَ الْفَنَا وَيُبْثُّ لِلْأَجْيَالِ لِيْسَ يُكْتَمُ[2]

يخاطب محمّد باي الشّيخ الفقيد ليؤكد له بقاء علومه بين النّاس بعد موته،فهي لن تموت،لأن العلم لم يمت ولا يعدم، فهو محميّ من الفناءفي الصّدور،وينشره بتعليمه للأجيال،ولن يكتم عنها.

وبعد هذه الوقفة الوصفيّة التّحليليّة،يتبيّن للدّارس أنّ الشّيخ محمّد باي بلعالم خاض كغيره من الشّعراء فنّ الشّعر،وكانت له تجربة لا يستهان بها في غرض الرّثاء،حيث تعددت موضوعات مرثيّاتها، وتباينت فيها أنواع الرّثاء،رغم قلّة ما كتبه فيها،مقارنة بالشّاعريْن السّابقيْن،الشّاعر محمّد العيد آل خليفة والشّاعر أحمد سحنون،اللذين طال نفسهما في هذا الغرض من الشّعر وغيره من الأغراض الشّعريّة،وتعددت موضوعاتهما المحرّرة،وتنوعت بذلك التّعدد أنواع الرّثاء في ديوانيهما.

1-المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

2-المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

الفـصل الـثّالث

الدّراسة الفنيّة والأسلوبيّة لشعر الرّثاء عند:

محمّد العيد آل خليفة – أحمد سحنون – محمّد باي بلعالم.

المبحث الأول: شعريّة الموسيقى والإيقاع الشّعريّ.

المبحث الثّانيّ: شعريّة الصّورة الفنيّة وجماليّاتها الإبداعيّة.

المبحث الثّالث : شعريّة التّناص .

المبحث الرّابع : التّحليل الأسلوبيّ للمستويّات:

(الصّوتيّ / المعجميّ /التّركيبيّ / الدّلاليّ) للنّماذج مختارة .

الدّراسة الفنيّة والأسلوبيّة في شعر الرّثاء عند:

محمّد العيد آل خليفة – أحمد سحنون – محمد باي بلعالم .

يتناول هذا الفصل الدّراسة الفنيّة والأسلوبيّة لبعض المرثيّات المختارة من دواوين وأشعار الأعلام الثّلاثة:((محمّد العيد آل خليفة،وأحمد سحنون،ومحمّد باي بلعالم))،في أربعة مباحث تجمع بين الفن والأسلوب ، هي في التالي:

أولاً– المبحث الأول: شعريّة الموسيقى والإيقاع الشّعريّ في المدونات الشّعريّة الثّلاثة.

1–شعرية الموسيقى وإيقاعاتها الشّعريّة:

لم يعد مصطلح ((الشّعريّة)) في الآونة الأخيرة مجرد حضور للعناصر الشّعرية المحركة للنّفس، التي كان القدماء يعدّونها أساس فنّ الشعر،والتي بدونها لا يصبح الشّعر شعراً،مثل التّخيل والوزن والمجاز والمحاكاة،أو مقابلاً لمصطلح" النثرية"،بل تطور مفهومه،والتّسع مجاله ليشمل كل إدراك لقيمة جمالية أو شعورية في أي شيء،أو حدث من الأحداث[1].

وفي هذا المقام،سيصبّ الاهتمام على البحث في شعريّة الموسيقى،وشعرية الإيقاع الشّعريّ، "وليس الشّعر في الحقيقة إلّا كلاماً موسيقيّاً تنفعل لموسيقاه النّفوس وتتأثر القلوب"[2] ،"والإيقاع الوزنيّ المنتظم من ألزم خصائص الشّعر،وأهم مقوماته،فعنصر الموسيقى ركيزة من ركائز العمل الفنّي في الشّعر،((فإذا خلا الشّعر من الموسيقى أوضعفت فيها إيقاعاتها،خفّ تأثيره،واقترب من مرتبة النّثر..))"[3]،ويرى عبد الحفيظ بورديم بأن ازدهار الشّعر موقوف على الموسيقى،حيث يقول:"ازدهار الشّعر لا يكون إلا بالموسيقى،حيث يندمج النّغم اللّفظيّ في النّغم الآلي فينشأ عن ذلك شكل إيقاعي يطرب ويعجب"[4].

1–عبد الحكيم الكرديّ،شعريّذة النّوع الأدبيّ، مجلّة النّقد الأبيّ فصول،المجلد2/25،العدد98، شتاء 2017م،ص15.

2–ابرهيم أنيس،موسيقى الشّعر،مكتبة الانجلو المصرية للطبع و النّشر،ط2،مصر،1952 م،ص15.

3–عبد الرّحمن الوجيّ،الإيقاع في الشّعر العربيّ، دار الحصاد للنشر والتّوزيع،ط1،دمشق،1989م،ص50

4– عبد الحفيظ بورديم،التجربة الشعرية في ديوان الشيخ أحمد سحنون،دار البلاغ للطباعة والنشر،باب الزوار–الجزائر،2007م، ص77.

فالقصيدة العربيّة بشتى أنماطها يشكل الإيقاع فيها محوراً جوهرياً،كما أنّه يضفي عليها جمالياً ودلالياً،سبب هذا قيام العربية على مبدأ التّناسب الإيقاعي والموسيقى في كثير من الأحيان[1].

ويصف محمّد ناصر نظرة الشعراء الجزائريين وحال القصيدة التّقليديّة عندهم، في قوله:"ظلّت نظرة الشّعراء الجزائريين التّقليديين المحافظين مرتبطة بنظرة النّقد العربيّ القديم،الذي يولي الجانب الموسيقي في العمل الشّعري أهميّة عظيمة،وظلّت النّظرة إلى الإبداع الشّعري تقاس بالمقياس التّقليديّ المعروف على أنّ الشّعر((كلام موزون ومقفى))،وكانت هذه النّظرة تتماشى مع وظيفة الشّعر الجماهيريّة"[2].

وللإشارة في هذا المقام فإنّ"الموسيقى التي نعنيها هنا ليست التي تكون في الألفاظ والكلمات فحسب،وإنّما هي التي تكون في البحر المختار والرّوي المناسب،والشّاعر المبدع حقاً،هو الذي يحسّ، بفطرته الفنيّة،جريان الموسيقى في أبياته حين يختار اللفظ،والكلمة،والوزن،والرّوي المنسجم مع موضوعه"[3]،فإذا تحقق هذا فهو عين شعرية الموسيقى،وجوهر شعرية إيقاعاتها الشّعريّة.

ومن هذه المنطلق"يجد الباحث في أوزان الشّعر الجزائريّ المعاصر اتجاهين أساسين،أولهما يتمسك بالشّعر التّقليدي حيث تتساوى في القصيدة الواحدة أزمنة النّغم،أمّا الثّاني فإنه يؤثر الشعر الحديث الذي تختلف فيه الأزمنة وتتفاوت من بيت إلى بيت"[4].

من الملاحظ لكلّ ذي عينين، غلبة نسبة الشّعر التّقليديّ((الكلاسيكيّ)) وكثرته، وبتعبير أبلغ وأدق الشّعر العموديّ،على نسبة الشّعر الحديث،و"إنّ الشّعر التّقليدي مازال يشغل الاهتمام بأكثر من الثلثين، ولاشك أن ارتفاع نسبة شيوع الشّعر التقليدي أمر يتفق وطبائع الأشياء"[5].

ولما كان محمد العيد آل خليفة وأحمد سحنون من رواد الحركة الإصلاحية، ومن بعدهما محمّد باي بلعالم،لا غرابة في أن تكون قصائدهم من نمط الشّعر التقليدي،"هو القالب الذي استوعبه الشعراء الجزائريون نتيجة اطلاعهم،على أدب العرب الأوائل من ناحية، وهو من ناحية أخرى القالب الذي ألفه المتلقي من خلال الكم الهائل الذي تراكم على ذهنه وهو يتلقى الشعر"[6].

1- ينظر:عبد الحفيظ بورديم،التجربة الشّعريّة في ديوان الشيخ أحمد سحنون،المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

2-محمّد ناصر،الشّعر الجزائريّ الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية1925-1975،مصدر سابق،ص192.

3- المرجع نفسه، ص ص 192،193.

4-حسين أبو النّجا،الإيقاع في الشعر الجزائري،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين،الجزائر،2003م،ص13.

5- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

6-المصدر نفسه،ص14.

وعلى هذا الأساس سيرتكز الحديث على شعرية الموسيقى وإيقاعاتها الشّعرية،الضّابطة لمرثيّات كلّ من أولائك الأعلام الثّلاثة: محمّد العيد أل خليفة،وأحمد سحنون،ومحمّد باي بلعالم:

1-1-عند محمّد العيد آل خليفة.

بعد التّعرف شخصية محمّد العيد آل خليفة،و"الذي عرفناه مرهف الإحساس،شديد التأثر بمعاناة شعبه، يفرح لأفراحه،ويألم لآلامه"[1]، وبعد الوقوف على نماذج من مرثياته، نجده لم يكن بدعاً في اعتماده للأوزان الشّعريّة الخليليّة،حيث وظفّ بحر البسيط،الوافر،الكامل،الطّويل،المتقارب، مجزوء الرّمل، الخفيف،مجزوءالخفيف، والمديد وغيرها من البحور الشّعريّة،يتماشي البحر حسب الحالة النّفسيّة والشّعوريّة والوجدانيّة لمحمّد العيد آل خليفة،وهو يتفاعل مع الإحداث التي يعايشها،ويمكن أن نمثل لبعض تلك البحور من الديوان،بما يلي:

فمن بحر الوافر نجد مثلا، مرثيته "باخرة الموت"، قال في مطلعها:

فَحَسْبُكَ أَيُّهَا الْخَطْبُ الْمُفَاجِي لَقَدْ أَشْهَدْتَنَا الْيَوْمَ الْعَصِيْبَا
وَحَسْبُكَ أَنْ أَثَرْتَ شُجُوْنَ نَضّو كَئِيْب يَأْلَفُ النَّضُو الْكَثِيْبَا
إِذَا مَا صَوَّتَ النَّاعِي بِأَرْضٍ تَرَاهُ بِسَفْكِ عَبْرَتِهِ مُجِيْبَا
يُنَاغِي الْبَائِسِيْنَ كَمَا يُنَاغِي لَعَمْرِي الْعَنْدَلِيْبُ الْعَنْدَلِيْبَا
وَيُحْيِي فِيْ رِثَائِهُمْ اللَيَالِي وَيَنَهِضُ فِي مَصَارِعِهِمْ خَطِيْبَا
بِقَلْبٍ يَلْفِظُ الْأَنْفَاسَ حَرَّى وَعَيْنٍ تَذْرِفُ الدَّمْعَ الصَّبِيْبَا[2]

من خلال تفعيلات هذه الأبيات والمتمثلة في(مفاعيلن/ مفاعلتن/ فعولن)مرة واحدة في كل شطر من البيت، بقافية موحدة، حرف رويها الباء المشبعة بالألف، استخدمها الشّاعر محمّد العيد لتترجم مشاعره،ورّقة عواطفه، وسرعة تأثره، بحظوظ البؤساء العاثرة من أبناء الوطن،الذين قضوا نحبهم في عرض البحر،وهم يجتازونه مطرودين من بلدهم جوراً وظلماً وعدواناً،فقد تأثر لهذا المشهد الشاحب،الذي حمل نعيه صوت النّاعي، فتقطع قلبه وتفتت عليهم، وسالت دموعه حزناً عليهم، وعلى مصيرهم الأليم.

كما كتب في وزن بحر الخفيف،مرثيّته"وقفة على قبور الشّهداء":

رَحِمَ اللهُ مَعْشَرَ الشُّهَدَاءِ وَجَزَاهُمْ عَنَّا كَرِيْمَ الْجَزَاءِ

1-محمّد بن سمينة، محمّد العيد أل خليفة دراسة تحليلية لحياته،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون-الجزائر،1992م،ص60.
2-الديوان،ص ص 286،287.

وسَقَى بِالـــنَّعيمِ مِـنْهُم تـراباً مُسْـــتَطَاباً مُـعَطَّرَ الْأَرْجَـاءِ
هَــذِهِ فِــي الثَّرَى قُبُورٌ حَوَتْـهُمْ أَمْ قُصُوْرٌ تَسْمُوُ عَلَى الْجَوْزَاءِ؟
لَا تخل مَعْشراً قضوا فِي سَبِيْلِ اللَّـ ـهِ مُوْتَى،بَلْ هُمْ مِنَ الْأَحْيَـاءِ
إِنَّـــهُمْ عِـنْدَ رَبِّـــهِمْ حَـوْلَ رِزْقٍ مِـــنْهُ فِـــيْ نِعْمَةٍ وَفِي سَـرَاءِ[1]

في هذه الوقفة الترّحميّة على قبور شهداء الوطن، تجيء كلمات الشّيخ محمّد العيد في وزن تفعيلات بحر الخفيف (فعلاتن–متفعلن–فعلاتن// فعلاتن–مستفعلن–فاعلاتن)جاءت هذه التّفعلات ناقلة أحاسيس الشّاعر محمّد العيد،ولسانه كلّه دعاء،وثناء على شهدائنا الأبرار،الذين استرخصوا كلّ غال ونفيس،وضحوا به من أجل نيل الحريّة، والعزة والكرامة،فماتوا في سبيل الدّفاع عن بلادهم،وهم الآن أحياء عند ربهم يرزقون، مسرورين بما أعدّه لهم من كرم ورزق ونعيم.

ومن خلال تعدد الأوزان الشّعريّة الوارد في المرثيات المدروسة،يتبيّن للقارئ بأنّ الشّاعر محمّد العيد آل خليفة،كان يتفاعل مع الأحداث،بحسب تأثيراتها في نفسه وسطوتها على قلبه،إذ سيطرت على مشاعره،وعواطفه سيطرة بليغة، استجابة إليها الأوزان العروضيّة،سواء كانت تلكم الأوزان كاملة أومجزوءة،وهذا ما يجعل محمّد العيد بعيداً عن التكلف والتّصنع في عرض تجربته الشّعريّة الشّعوريّة ويكسبه حلّة شعريّة مميزة عن غيرها.

1–2–عند أحمد سحنون:

سيقف المتلقي لمرثيات الشّيخ أحمد سحنون لا محالة على تنوعها في الموسيقى،وتعدد إيقاعاتها الشّعريّة،بسبب كثرتها من جهة،وبسبب تعدد سياقاتها،واختلاف الحالة النّفسيّة للشّاعر أحمد سحنون من موقف حزن إلى آخر من جهة أخرى،وهذا مؤشر منطقيّ وطبيعي يدفع إلى بدراسة وبحث ظاهرة الشّعرية الموسيقيّة وإيقاعاتها العروضيّة عنده.

عند العودة للمرثيات المبحوثة نجدها متعددة في الأبحر الشّعرية،وتباينت في لإيقاعاتها الموسيقية، فهناك البحر البسيط،والبحر الكامل،والبحر الطويل،والبحر الخفيف،وغير ذلك،ومن أمثلة ذلك التّعدد العروضي، نورد النّموذجين التّاليين:

ألّف الشّيخ أحمد سحنون في بحر البسيط مرثية في الشّيخ الإمام عبد الحميد والمعنونة بـــ((مات ابن باديس!))،والتي يقول فيها:

مَـاتَ ابْنُ بَادِيسَ حَـادِي أُمَّـةَ الْعَـرَبِ إِلَى الْـمَعَالِي وَحَامِي دَوْلَـةَ الْأَدَبِ

1–الديوان،المصدر نفسه ،ص 435.

مَاتَ ابْنُ بَادِيْسَ يَا لِلْمُسلِمِينَ فَـكَـمْ عَـزَّا الْجَزَائِرَ مِنْ هَوْلٍ وَمِنْ شَغَبِ
مَاتَ ابْنُ بادِيْسَ يَا لِلْمُسْلِمِينَ فَـكَـمْ دَهَى الْـجَزَائِرَ فِي ابْنِ صَالِحٍ وَأَبِ
مَاتَ ابْنُ بَادِيْسَ سَيْفُ الْعَرَبِ وَاحَربـا مِنْ الْعُرُوبَةِ بَعْدَ السَّيْفِ بِالْـغَلَبِ؟
مَـاتَ ابْنُ بَادِيْسَ لَـمْ تَفْلُلْ عَزِيْـمَـتُهُ مِنْ النِّضَالِ وَلَـمْ يَسْلَمْ مِنَ الدَّأَبِ
وَلَـمْ يَـمُدّ لِغَـيْـرِ اللهِ مِـنْهُ يَـداً وَلَمْ يَخَف بَطْشَ جَبَّارٍ وَلَمْ يَهَبِ[1]

ينظم الشّاعر أحمد سحنون هذه القصيدة يوم وفات الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس في 16 أبريل 1940م،في أول عهده بالشعر،وهي أول ما نظمه في شعر الرثاء[2]،ضمت(37) سبعة وثلاثين بيتاً شعريّاً،اختار لها إيقاع وزن البحر البسيط (مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ)،مرة واحدة في كلّ شطر من شطري البيت الشعري،عبرّ فيه أحمد سحنون عن أشجانه وأحزانه عن فراق فقيد الامّة العربيّة ابن الجزائر البار،حادي الأمّة،وحامي تراث الأدب العربيّ،فكان موته من المصائب والفواجع العصيبة،التي مرّت على المسلمين يومئذ فقد ناضل بقلمه،وعلمه لـم يفلْ عزمه،أويَسْتَكِينُ للخمول،ولم يمدّ يده لغير الله طمعاً،ولـم يخش بطش الظالمين والمعتدين،إذ كان صدّاح بالحق ونصرته.

ومـن الأوزان الشّعرية المشكّلة للموسيقى في مرثيّات أحمد سحنون،اختياره لوزن البحر المتقارب لمرثيته الخاصة برثاء لابنته سعيدة،والموسومة بالعنوان((غياب سعيدة))، يقول فيها:

"سَعِيْدَةُ" غـابَتْ وَلَـمْ تَرْجَـعِ فَيَا لَكَ مِـنْ نَـبَإٍ مُفْـزِعِ
ظَـنَنْاه مُـحْضُ خَيَالٍ غَرِيْـبٍ تَـصَوُّرُهُ مُرْجِـفٌ مُـدَّعِ
"سَعِيْدَةُ"مَاتَتْ كَأَنَّ لَـمْ تَعِيشْ بِأَحْـلَامِهَا بِـغَدٍ مُـمرع
هُـوَ الْـمَوْتُ يَـأْكُلُ أَحْلَامَنَا وَيَـأْكُلُنَا وَهُوَ لَـمْ يُشْبَعِ[3]

يظهر أحمد سحنون فزعه من نبإ وفاة ابنته سعيدة،بعدما ظنه خيالا محضاً،تصوّره مرجف مبدع، لكن الحقيقة السّاطعة لأنها توفت صغيرة، ولم تعمر طويلاً، ماتت بأحلامها،لأن الموت لم يمهلها، حيث جاءت تفعيلة (فَعُولُنْ) مكررة(08)ثمان مرات، على طول البيت الشّعريّ،على النّحو التّاليّ: (فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ/فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ)،لتستجيب لحالته النّفسيّة والفكريّة.

1-أحمد سحنون، الديوان،المصدر نفسه،ج1،ص 239.
2- المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.
3-المصدر نفسه،ج1،ص 239.

لاشك أن هذا التباين في الإيقاع الموسيقي بين النموذجين، يقدّم صورة مبدئية عن التنوع الحاصل بين كلّ مرثيات الشيخ أحمد سحنون،فقد"نوع في الأساليب الإيقاعية...التي تحرر الشعر من سيطرة الإيقاع الخارجي لتعطيه إيقاعا داخليا"[1].

1-3-عند محمّد باي بلعالم:

كما لاحظنا تنوع البحور الشعرية عن الشّاعرين محمّد العيد وأحمد سحنون، يمكن ملاحظة الأمر ذاته،عند الشّيخ محمّد باي بلعالم في مرثياته،فقد جاءت متنوعة هي الأخرى،فيما بينها في الأوزان الشّعريّة،فنجد البحر الكامل،والبحر الطويل،البحر الوافر البسيط،وغيرها من الأوزان الواردة في نظم مرثيات محمّد باي بلعالم.

فوزن البحر الكامل مثلاً،نقرأ في مريثته الأولى في شيخه الطّاهر الإدريسي،يقول في مطلعها:

حَدَثٌ أَلِيْمٌ جَاءَ بِالْحَسَرَاتِ وَالــدَّمُ مِنْهُ فِــي الْعَبَرَاتِ

فِــي طَـيْبَةَ وَرَدَتْ لَنَا أَنْباؤُهُ بِجِوَارِ طَهَ وَصَحْبِهِ الْهُدَاتِ[2]

كما هو معلوم بأن تفعيلات بحر الكامل تجيء على النحو(متفاعلن/ متفاعلن/ مستقعلن) مرة في كل شطر من البيت، تفاعلت الحالة الشّعورية للشّيخ محمد باي والنّفسية، وهو يرثي شيخه الطاهر الإدريسي، واصفاً خبر نعيه بالحدث الأليم الوارد إليه،وهو رفقة قافلة الحجيج بالمدينة المنورة،حيث بكوا عليه كثيراً، حزناً على موته وفقده.

أمّ إيقاعات البحر الطويل والمتمثلة في تفعيلاته(فعولن/ مفاعيلن/ فعول/ مفاعلن) مرة في كل شطر، فيها في مرثيته الثّانية لشيخه،حيث يقول في مطلعها:

دَعْ الدَّمْعَ يَجْرِي مِنْ جُفُونِي بَكَثْرَةٍ فَــفَيْهِ عَــزَائِي إِنْ بُلــيْتُ بِنَكْبَةٍ

لَقَدْ دَهَمَ الْخَطْبُ الْعَظِيْمُ تَوَاتَــنَا فِي يِوْمَ أَتَى نَعْي السِّبَاعِي بِوَحْدَةٍ[1]

في هذه المرثية يلتمس محمّد باي بلعالم سيلان الدّموع من عيونه،لإظهار حزنه الشّديد على شيخه،وكي تكون له عزاء في هذه النكبة العظيمة،التي دهت منطقة توات،حاملة نعي الشّيخ مولاي أحمد الطّاهر السّباعيّ.

1- عبد الحفيظ بورديم،التجربة الشّعرية في ديوان أحمد سحنون،مرجع سابق،ص85.

2-محمّد باي بلعالم، الرحلة العلية،مصدر سابق،ج2،ص347.

1-محمّد باي بلعالم، هذه مرثيّة في وفاة العالم المرحوم الاستاذ الطّاهر مولانا أحمد من بحر الطويل تتضمن تلميحاً للرّحلة التي قام بها عبر الصّحراء الجزائريّة سنة1395هـ /1975م،لتلميذه محمّد باي بلعالم،خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير(مخطوطة)، الرّكينة،بلدية أولف –أدرار، ص1.

جاءت هذه المرثية في تفعيلات البحر الطويل،وهي ((فعولن/ مفاعيلن/ فعول/ مفاعلن)،إيحاءاً بطول حزن الشيخ محمّد باي بلعالم على شيخيه،وشدّة آلامه وأشجانه على فراقه ورحيله،وتأثره العميق بموته.

ويورد إيقاع الوزن البسيط في مرثيته للشّيخ محمّد الزاوي، يقول في مطلعها:

مُـــصِيْبَةٌ نَزَلَتْ أَنْـــسَتْنَا مَـا سَبَقَا وَالْقَلْبُ مِنْ وَقْعِهَا قَدْ ذَابَ وَاحْتَرَقَا
دَهَى الْـجَنُوْبَ مُصَابٌ مُظْلِمٌ جَلَلٌ كُلَّ الْمَنَاطِقِ بِالْأَحْزَانِ قَـــدْ طَـرَقَا
وَقَدْ دَهَى عَيْنَ صَالَـحٍ قَذَى مُؤلِـمٌ كَأَنَّـمَا بَـــــصَرُ الْبِلَادِ قَـــدْ بَرَقَا
وَقَـــدْ عَرَى قَمَرُ الزَّمَانِ خَسْفٌ بَدَا وَالشَّمْسُ قَـــدْ كَسَفَتْ وَنُوْرُهَا فَرَقَا
مُحَمَّدُ الزَّاوِي مَاتَ وَالْـخِصَالِ التِّي تَجْرِي عَلَيْهِ سَتَبْقَى مَا الزَّمَانُ بَـــقَا[1]

على وقع هذه التفعيلات(مستفعلن/ فاعلن/ مستفعلن /فعلن) في كل شطر من شطري البيت الشّعريّ،تنظم كلمات هات المرثية،مستجيبة لنفسية الشّيخ محمّدباي المتأثرة بموت الشّيخ محمّد الزّاوي دفين مدينة عين صالح بالجنوب الشّرقيّ الجزائريّ،فقد تألم الشّيخ محمّد باي،كما تألمت سائر بلدان المنطقة،لغياب صاحب الخصال الكريمة،ورحيله إلى الأبد.

يستنتج من خلال الحديث عن شعرية الموسيقى والإيقاعات الشّعرية عند الشّعراء الثّلاثة: محمّد العيد آل خليفة، وأحمد سحنون،ومحمّد باي بلعالم،تَمَكُّنَهم من تَطْوِيْعِ الأوزان الشّعريّة المختلفة، لأحوالهم النّفسية المتأثرة بالإحداث المآلمة،والخطوب الجليلة، وفي تعابير دالة على صدق شعورهم، ومشاعرهم الصّادقة،وأحاسيسهم المرهفة،وانفعالاتهم المتدفقة،وغيرها.

ونؤكد في هذا المقام على "إن الذي يختار الوزن الشّعريّ انفعال الشّاعر نفسه، فعندما تثور في نفسية الشاعر عاطفة جياشة،يلجأ إلى الوزن أو إلى الموسيقى، لأنّها أقرب الوسائل للتعبير عن العواطف المشبوبة،ولأنّها هي الأخرى بدورها أكثر الوسائل قدرة على تبليغ العاطفة،وإثارتها عند القارئ والسّامع"[1].

إذن للموسيقى والإيقاعات الشّعريّة،أهمية خطيرة،فهما يمّكنان الشّاعر من البوح عن أحاسيسه، وهما الوسيلتان القادرتان على التّفاعل مع مختلف انفعالاته الشّعوريّة المختلفة،وهذا ما يؤكد شعريتهما

1-محمّد باي بلعالم،الشّيخ السيد الحاج محمّد الزّاوي في ذمّة الله وهذه مرثيّة من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم،خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير(مخطوطة)،الرّكينة،بلدية أولف-أدرار، ص1.

1-محمّد زكي العشماويّ، قضايا النقد الأدبي، بين القديم والحديث،دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنشر،بيروت- لبنان،1979م، ص247.

الفنيّة،وقيمتهما الوجوديّة ذات الأثر البليغ،والدّور الخطير،الذي يكسب القصيدة:المتانة في الفنّ، والقدرة على إثبات الحضور من جهة،والإسهام في تشكُّل التّجربة الشّعريّة لهذا الشّاعر،أوذلك الشّاعر من جهة أخرى.

فمطلب وجود الموسيقى وإيقاعاتها الشّعرية،ليس للتّرف الفنيّ،بل هو مطلب أساس،يساهم في بناء القصيدة الشّعريّة جماليّاً،وتكاملها لغويّاً،ودلاليّاً،فضلاً عن إسهامها في انسجام معاني محتواها العام لذا وجب الاهتمام بها،كي تكسب القصيدة قيمتها المعرفية،والفنيّة، والجماليّة،في آن واحد.

ثانياً– المبحث الثّاني:شعريّة الصّورة الشّعريّة ودلالتها الفنيّة.

إذا كانت الموسيقىعلى اختلاف مستوياتها،هي عمود الشّعر لدى معظم الدّارسين،فإنّ الصّورة لا تقل عنها أهمية، بل تفوقها عند البعض[1]، وعليه فإن الاهتمام بها، والبحث عنها في ثنايا النص الشعري،وفهم دلالاتها أمر ضروري لفهم المحتوى العام للنص، ومقاصده النّص الكلية.

ويعرف أحمد زكي الصّورة الشّعريّة، بقوله:"هي أثر الشاعر المُفلِق الذي يصف((المرئيات)) وصفاً،يجعل قارئ شعره نا يدري أيقرأ قصيدة مسطورة، أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود، والذي يصف((الوجدانيّات)) وصفا يخيل للقارئ،أنه يناجي نفسه، ويحاور ضميره،لا أنه يقرأ قطعة مختارة لشاعر مجيد"[2]،وعليه فالصورة آلية من الآليات الضّروريّة لترجمة المكنونات الذهنية،وتشخيصها في الواقع، واختزال هذا العالم المنظور الفسيح، بما يناسبه من معاني فالأذهان.

إنّ هذا المفهوم يجعل للصّورة دلالات ضمنية يحتويها النّص الأدبي عموماً،والنّصّ الشّعريّ خصوصاً مما يدفع بالقارئ أو المتلقي النبيه إدراكها،"لأن الصورة ليست زينة،وإنّما هي عنصر من عناصر بناء القصيدة،وهي تعكس ما يحسه به الشّاعر من امتزاج بين الفكرة التي يريد التّعبير عنها والعاطفة التي تضيف إلى الواقع ما تضيفه،أي أن العمل الفني ليس انفصالاً بين الصّورة والشّعور أو الفكرة"[3].وهذا ما سنحاول الوصول إلى بعضه،من خلال دراستنا للصّورة الشّعريّة، فيما يلي:

1–1– عند محمّد العيد آل خليفة:

لقد كان للصّورة الشّعريّة حضور كبير في مرثيّات الشّاعر محمّد العيد،وظفها لتقريب معانيه في ذهن القارئ والمتلقي،حيث استخدم الاستعارات والتّشبيهات والمجازات وغيرها من الصّور البلاغيّة والفنيّة،وردت بشكل انسيابي في بناء النّصّ،ومن أمثلة ذلك،ما قاله في رثائه لشاعريّة الرصّافي:

جَفَاكَ الشّعرُ يَا (مَعْرُوفُ) شَيْخاً وَطِبْتَ فَتَى بِهِ وَصَلاً وَطَابَـا
رَأَيْـــتَ الشّـعرَ أَشْبَهَ بِالْغَوَانِـــي يَخُصُّ بِصَادِقِ الْحُبِّ الشَّبَابَا
رَثَـيْتُ لِشَاعِرٍ فِـي الشَّرْقِ فَـحْلٌ خَبَا فِي الشِّعْرِ طَالِعُهُ وَخَابَـا[1]

1– الرّبعي بن سلامة،تطور البناء الفنيّ في القصيدة العربيّة،دار الهدى للطّباعة والنّشر والتّوزيع،عين مليلة–الجزائر،2006م، ص155.

2– زكي مبارك، الموازنة بين الشّعراء أبحاث في أصول النّقد وأسرار البيان،مطبعة المقتطف المقطم،ط1،القاهرة–مصر،1926م، ص60.

3–أحمد مطلوب،في المصطلح النّقديّ،مرجع سابق،ص175.

1–محمّد العيد آل خليفة،الدّيوان،مصدر سابق،ص33.

يخاطب محمّد العيد آل خليفة الشّاعر معروف الرّصافيّ ويصوّر له حالته مع نظم الشّعر بعدما صار شيخاً هرماً، فقال:"جفاك الشّعر"،حيث شبه((الشّعر))بالإنسان الذي يجافي،أي:يهجر ويعرض عن غيره،وتصعب معاشرته،حيث كانت علاقته بمعروف الرّصافيّ طيبة حينما كان شاباً يافعاً، على سبيل الاستعارة المكنيّة،للدّلالة على عجز الشّاعر معروف على قرض الشّعر،وأنّ شعره في مرحلة الشّباب أجود منه في مرحلة شيخوخته،وهي دلالة نفسيّة توحي بالضّعف والخور.

ويواصل محمّد العيد عمله التّصويريّ،إذ يقول:"رأيت الشّعر أشبه بالغوانيّ"،حيث يشبه الشّعر بالغواني، وهن النّساء الجميلات بالحسن،لايخصّنّ بحبّهنّ إلّا الشّباب،للدّلالة على تمنع الشّعر وصعوبته إجادته من طرف الشّاعر معروف الرّصافيّ لم كبر في العمر وصار مُسِناً.

ذلك الوصف والتّصوير لم ينف عن الرّصافي فحولته الشّعريّة،بل يؤكدها محمّد العيد بالقول:

رَثَيْتُ لِشَاعِرٍ فِيْ الشَّرْقِ فَحْلٍ خَبَا فِي الشَّعْرَ طَالِعُهُ وَخَابَا[1]

بيد أنّ الكبر والشّيخوخة خيّباه في قول الشّعر وإجادته،كما عرف عنه في سابق العهد،حينما كان مقتدراً على النّظم، وقرض الشّعر.

وفي مرثيته لنفسه والمعنونةبـ((يا نفس))،نلفي محمّد العيد أل خليفة يعاتب نفسه،ويرثيها مصوراً حالها، الذي آلت إليه،حيث يقول لها مخاطبا:

تُرِيْدِيْنَ يَا نَفْسُ الْحَيَاةَ طَلِيْقَةً لِتَقْضِي عَلِيْهَا مَأْرَبَا إِثْرَ مَأْرَبٍ

مَآرِبٌ لَا تَنْفَكُّ تَتَرَى كَأَنَّهَا كَوْاكَبٌ تَبْدُو كَوْكَباً إِثْرَ كَوْكَبٍ[1]

في البيت الثّانيّ يصور مآرب نفسه المتتالية غير المنقطعة في صورة الكواكب السّيارة المتتابع،لا تنفك ولا تنقطع،وهو تشبيه مرسل أداته "كأن"،دلالة هذا التّصوير بصريّة يمكن مشاهدها،أورد الشّاعر محمّد العيد لتشخص جشع النّفس وطمعها وغيوايتها، وإفراطها في شهواتها وتتبع أهوائها.

في رثائه للإمام عبد الحميد بن باديس،يصوّر للقارئ ذكراه، كما يلي:

إِنَّ ذِكْرَاكَ مَوْعِدٌ عَرَبِيٌّ وَطَنِيٌّ لَنَا كَثِيْرُ الزِّحَامِ

إِنَّ ذِكْرَاكَ تَبْعَثُ الْوَعْيَ فِي الشَّعْـ ـبِ كَبَعْثِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجِسْامِ[2]

1- الدّيوان،ص53.

1- الدّيوان،ص288.

2- الدّيوان،ص499.

في البيتين مجموعة من الصّوّر البيانيّة،تكمل الصّورة الأولى في التّشبيه البليغ،حيث شبه الشاعر محمد العيد"ذكرى الإمام بالموعد العربيّ والوطنيّ"،وهو يوم يزدحم الناس فيه،احتفاء وتكريماً للإمام.

أمّا الصّورة الثّانيّة فهي تتمثل الاستعارة المكنيّة،حيث شبه فيها ذكرى الإمام بباعث الوعيّ في الشّعب الجزائريّ،وقد قابلها بصورة ثالثة"باعث الأرواح في الأجسام"،يتكون في مجموع الصّورتين صورة رابعة تتمثل في التّشبيه التّمثيليّ،وهو مقابلة صورة بصورة أوموقف بموقف،غاية الشّاعر محمّد العيد،ودلالاته من تكثيف هذا التّصوير،هو بيان قيمّة الإمام عبد الحميد ميّتاً،وهي تتساوي مع قيمته وهو حيٌّ،لذا عُدَّتْ ذكراه موعداً وطنيّاً وعربيّاً، يُحتفى فيها بخصاله ومناقبه وعلومه المورثة للأجيال.

1-2-عند أحمد سحنون:

يقدّم أحمد سحنون مرثيّاته للقارئ والمتلقي،ولاشك أنّه سيسلك به كلّ الطّرق والوسائل الخطابيّة،من أجل إقناعه بأفكاره، وترسيخ معانيها في ذهنه، والتّصوير إحدى تلك الوسائل والآليات الكفيلة بتحقيق الأهداف المرجوة من نظم القصائد،نحاول الوقوف على بعض الصّور الشّعريّة التي أوردها الشّاعر أحمد سحنون في مرثيّاته.

ففي رثائه للرّبيع وهو يودعه،يصوّر وجوده،وتجلياته على الطّبيعة،متمنياً الزّمان كلّه :

لِـــيْتَ كُلَّ الزَّمَانِ كَـانَ رَبِـيْعاً لَيْتَ كُلَّ الْفُصُولِ كَانَ فِـــدَاهُ
مُـذْ أَطَلَّ اكْتَسَى الزَّمَانُ شَبَاباً وَازْدَهَى الْكَوْنُ فِي بَدِيْعِ حُلَاهَ
وَأَقَـامَتْ لَـــهَا الـطَّبِيْعَةُ عُرْسـاً رَنَّ فِي مَسْمَعِ الْوُجُودِ صَـدَاهُ[1]

يجتهد الشّاعر أحمد سحنون في تصوير أمنياته في صور واقعية وجوديّة بصريّة،فهو يتصوّر:"أن يكون كلّ الزّمان ربيعاً"، وأن تفدي كلّ الفصول بنفسها، ليبقى الرّبيع" ،لأنّ في وجوده "أصبح الزّمان شباباً"،و"لبس الكون أجمل الحلي فرحاً" "وأقامت الطّبيعة عرسها"،و"نشد الصّدى أغانيه في مسمع الكون" وكلّها استعارات مكنيّة، جاء بها، ليرثي بها ذهاب الرّبيع ووداعه.

ولم يكتف بذلك،بل استرسل في التّصوير ،وقال:

فَابْتَسَامَ الـــزَّهْوْرُ فَـــيْضُ سُرُورٍ وَغَـــنَاءُ الطَّيْرُ سِـحْرَ غَـــنَاهُ!
وَحَفِيْفُ الأوراقِ وَسْوَسَةُ الْحُلِي وعُـــرْفُ الـزَّهْرِ طَيْبُ شَـــذَاهُ
وَتَـــثَنِّي الأغْصَانِ رَقْصُ عَذَارِى كُلَّمَا نَـقَلَ النَّسِيْمُ خُـطَـاهُ![2]

1-أحمد سحنون،الدّيوان،ج1 ،ص46.
2- الدّيوان: ج1،ص46.

يواصل أحمد سحنون في هذه الأبيات،تصويره لحال الطّابعة في فصل الرّبيع، مقدّماً في هذه المرّة صوّراً بيانية أخرى،تمثلت في التّشبيهات البليغة،نحو قوله:"ابتسام الزهور فيض سرور"،غناء الطّيور سحر غناه"،"حفيف الأوراق وسوسة الحلي"،عرف الزّهور طيب شذاه"،"تثني الأغصان رقص عذارى" كلّها تقدّم جزء من آثار جمال الرّبيع على الطّبيعة.

وفي مرثية" أتونس خطبك خطب الشمال"،والتي رثى فيها "محمّد المنصف باي"حاكم تونس، يصور فيها صورة الموت مع الباي المتوفى، فيقول:

لَقَدْ عَصَفَ الموتُ "بالمنْـصُف" فَمَا أنْتَ يَا مُوْتُ بالـمُنْصِفْ!
أَتَـعْصِفُ بِالذَّائِدِيْنَ الْـحُمَاةِ! وبـــالمستبدين لَـــمْ تَعْصِفْ!
وتَـنْسِفُ رُكْناً سَـــمَا لِلعُـــلَا! وَأَبْـنَيَّةَ الْبَغْي لَـــمْ تَنْـسِفْ!
أَيَا مُوْتُ وَيْـحَكَ مَاذَا جَنِيْتَ لَـمَّا قَضِيْتَ عَلَى "المنصِفْ"؟[1]

يصوّر أحمد سحنون حدث وفاة محمّد المنصف باي تونس، بأنّ الموت عصف به،إذ شبهه بالرّيح التي تعصف كلّ شيء يعترض سبيلها،فاستعار العصف للموت،لبيان هول المصاب وشدته على النّفس،وآثاره البعديّة، مشكلاً بعبارة"عصف الموت" استعارة مكنيّة،ثم يلتفت الشّاعر للموت ذاته مناديّاً معاتباً "فما أنت يا موت بالمنصف"، وفي هذا التّعبير، تصوير لانتفاء العدل والإنصاف.

يفصل الشّاعر صورة الموت المقسط غير المنصف في عصفه بالذائدين الحماة من جهة،وتركه للمستبدين دون العصف من ناحية أخرى،مكوناً بهذا التّركيب التّقابلي تشبيهاً مزدوجاً ضمنيّاً ثمثيليّاً، تمثّل في تشبيه الموت العاصف بالذائدين بغيرالمنصف،وتخطيه على المستبدين دون عصف بهم،والتّشبيه مثله في البيت الموالي،حينما ينسف الموت بركن سما للعلا،ويعفي من النّسف أبنيّة البغاة،وهذا تصوّير جليّ لانعدام الإنصاف.

ثمّ ينادي أحمد سحنون الموت مرة أخرى ليسأله موبخاً إيّاه"أيا موت ويحك"،عَمّ جناه،لماذا قضى على محمّد المنصف باي؟اصطبغتْ صوّر هذه الأبيات بأساليب التّعجب والدّهشة والغرابة، والتّساؤل للدّلالة على عجز الشّاعر وقلقه من أفعال الموت السّابقة،وكلّ اشتملت على صفة أساسيّة وهي الاتصاف بعدم الإنصاف.

وفي رثائه لصدقه العزيز الشّيخ عبد اللّطيف سلطاني،يصوّر سيرته في المظاهر التّاليّة:

مَـاتَ مِنْ بَعْـدَمَا سَخَا بِالـحَيَاةِ لِبِلَادٍ عَاشَتْ "ظُـرُوفَ" مَمَاتِ

1-الدّيوان: ج1،ص265.

عَاشَ يُحْيِي شُعُورَهَا مِثْلمَا يـُحْيِـي ثُــزُولُ الْـــحَيَا أُصُولَ النّبَاتِ
وَتَحَدَّى مِنْ أَجْالِهَا السِّجْنَ والْمَوْتَ وَلَـــمْ يَكْــتَرِثْ بِبَطْشِ الطُّغَاةِ[1]

يبيّن أحمد سحنون بأن موت صديقه عبد اللّطيف سلطاني جاء بعد سخا بالحياة من أجل بلاده،التي عاشت ظروفاً عصيبة،حيث عاش يحيي شعورها الميّت بسبب قساوة تلك الظّروف،وفي هذا التّعبير"يحيي شعورها"استعارة مكنية،تصور الشّعوروهو من الأمور المعنوية المجردة شبهه الشّاعر بالكائنات التي تحُيي،وأكد على تشبيهه هذا بما جاء به من تمثل صريح،قوله:"مثلما يحيي نزول الحيا أصول النّبات"، فهما صورتان متماثلتان، شخصتا حياة الشّيخ سلطاني في ذهن القارئ والمتلقي.

ثــمّ يصوّره وهو يقاوم العذاب في السّجن والموت دون اكتراث من بطش الطّغاة وظلمهم،كلّ ذلك في سبيل حياة بلده وشعبها.

ومن دلالات هذا التّصوير في هذين البيتين،بيان مكانة الشّيخ عبد اللّطيف سلطاني،وقيمة حياته المملوءة بالسّخاء، والكرم والتّضحيّة، والتّحدي من أجل الوطن.

1-3- عند محمّد باي بلعالم:

تتجلى شعرية الصّورة الشّعريّة عند محمّد باي بلعالم، في ما أورده من تعابير،وعبارات دالة على التّصوير،والتّمثيل الجماليّ للكثير من المشاهد والمناظر،التي رسمها،في أبيات مرثيّاته،كي تكون له عوناً على تبليغ أفكاره الكامنة في ذهنه بالقوة،وتسهل على القارئ لأشعاره عملية التّلقي،وحسن الفهم والتّأويل.

ولتبسط الفهم أكثر،نذكر بعض تلك الصّور الشّعريّة الواردة في مرثيّات الشّيخ محمَّد باي، ومنها ما يقرأه المتلقي في مرثيّته للشّيخ عبد العزيز سيدا عمر،حيث يقول فيها مناديًاً واصفاً الشّيخ:

أَيــَا شَيْــخَنَا عَبْدَ الْعَزِيْزِ فَارَقْــتَنَا وَكُنْتَ لَنَا طَوْداً وَحِصْناً مُحَصَّنا[1]

فبعد ندائه للشّيخ عبد العزيز وإخباره بفراقه لهم،طفق محمّد باي يصوّر ماضيه قائلاً:"كنت لنا طوداً"،"حصناً محصناً"، وكلاهما تشبيهان بليغان،الأول يشبه فيه محمّد باي الشّيخ عبد العزيز بالطّود، ويقصد به الجبل الأشم، والثّانيّ يشبهه بالحصن المحصن، جاء بهذين التّشبيهين،ليصوّر بهما شخصيّة الشّيخ الإمام عبد العزيز المتميزة بسداد الرّأي والثّبات على كلمة الحق،والمحافظة على شؤونه.

1-الدّيوان: ج2،ص242.

1-محمّد فتحا بن محمّد بن عبد الكريم البلبالي مبدوبي، النّبذة النيرة من حياة الذهب الإبريز الشّيخ سيدي الحاج محمّد عبد العزيز سيدي عمر المهداويّ الأمويّ 1312هـ-1429هـ/1924-2006م،دار صبحي للطّباعة والنشر،ط1، غرداية-الجزائر، 2013م،ص236.

ثـمّ يواصل التّصوير،قائلاً:

جَـرَى دَمْعُنَا دَمّاً لِفَقْدِكَ سَـائِلاً وَمَا نَفَعَ الْبُـكَا لِفَقْدِ حَبِـيْـبِنَا[1]

يخبر الشّيخ محمّد باي عن حالـهم حيال سماعهم خبر وفاة الشّيخ عبد العزيز سيدا عمر، ويصف تصرفات ردود أفعالهم،مطبوعة بالبكاء والحزن،مصوّراً دموعهم السّيالة،في صورة الدّم،وذلك في قوله:"جرى دمعنا دماً" وهو تشبيه بليغ، دلالته شدة وطأة الحزن،والتّحسر على فقدان الحبيب. وهو ما يفسر تعكّـر أمزجتهم، واضطراب أذواقهم يوم موته،حيث يصف ذلك بقوله:

بِمَوْتِكَ صَارَ الْحُلْو مُرّاً وَقَدْ دَهَـى لِشَمْسِ الضُّحَى مَا كَانَ لِلِيْلٍ مَنْ عَنا[2]

فمن شدة الحزن والبكاء على فقدان الشّيخ عبد العزيز"صار الحلو مرّا"،صورة تعرض المتناقضين في طبيعة واحدة،حيث تحول الحلو إلى ضدّه وهو المرّ،قمّة المبالغة في التّشبيه، وفي صورة مقربة لها،مشاهدة شمس الضّحى اللّيل في النهار،وهو أمر ممتنع في واقع الحياة،لكن بشدة الحزن على الشّيخ صار في نفسية المحزونين ممكناً،للدلالة على الإفراط في الحزن على المحبوب، وأيّ محبوب؟

ويسترسل الشّيخ محمّد باي في عرض صوره الشّعرية،صورة تتلوها صورة،كقوله مخاطباً الشّيخ:

لَقَدْ كُنْتَ شَمْساً فِي سَـمَاءِ تَـوَاتِـنَا وَبَـدْراً يَـلُوْحُ بِالـضِّيَاءِ وَبِالـسَّنَا

وَكُنْتَ لِفِعْلِ الْخِيْـرِ حَاتِـمُ عَصْرِنَا وَكُـنْتَ لِنَشْرِ الْعِلْمِ جَـسْراً وَمَـوْطِنَا[1]

في هذين البيتين يخاطب الشّيخ محمّد باي الشّيخ عبد العزيز المتوفى،ويصوّر سيرته في الحياة قبل موته في صوّر عديدة،حيث قال له وهو يشببه:"كنت شمساً"،"بدرا"،كنت...حاتم عصرنا"، "كنت...جسراً"،"موطناً"،كلّ تشبيهات بليغة الغرض منها بيان أعمال الشّيخ الجليلة،وخصال الحميدة،ومناقبه النّبيلة،ومن دلالات تلك التشبيهات:الدّعوة إلى الهداية،الدّعوة إلى الإصلاح والإرشاد بيان سبل النّجاة،ونشر الوعي في المجتمع،الاتصاف بالجود والكرم، الحثّ على طلب العلم، المبادرة في تعليمه ونشره.

لـم تكون التّشبيهات البليغة هي المطية الوحيدة،الموظف عند الشّيخ محمّد باي في تأثير على متلقيه،بل نوّع في صوّره،وأوردها بحسب ظروف الأقوال،ومقتضيات الأحوال،بل أكّد على شعريّة صوره الشّعريّة،في كذا موقف تستعصي على العدّ والإحصاء،ويطول بين المقال عند الإتيان بها كاملة

1- المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

2-المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

1-المصدر نفسه،الصّفحة نفسها

غير منقوصة،إذ نكتفي بإيراد بعض ما يذكر في مرثيته للشّيخ محمّد بن الكبير،حين وصف اجتهاد الشّيخ في حياته المليئة بالنّشاط والعطاء، فيقول في ذلك مصوّراً مخبراً:

لِشِيْخٍ كَـرَّسَ الْـحَيَاةَ دَوْمـاً لِـخِدْمَةِ دِيْنِ رَبِّنَا السَّلَامِ
فَمِنْ بُـحُورِهِ انْفجَرَتْ عُيُونٌ فَـعَمَّ سِقَاؤُهَا كُلَّ الْآكَامِ
وَمِنْ أنْـوارِهِ انْبَـثَقَ الضِّـيَاءُ فَـزَالَ بِنُورِهِ حَلَكَ الظَّلَامِ[1]

في خلال هذه الأبيات الشّعريّة يَطّلِعُ القارئُ على جوانب من شخصيّة الشّيخ محمّد بلكبير وسلوكه في حياته،وقد سعى الشّيخ محمّد باي بلعالم في نقلها إلى صورة شعريّة،طبعها بالأسلوب المجازي،جاء مفعماً في معظمه:بالتّشبيهات،والكنايّات،والاستعارات،حيث شبه علوم الشّيخ بالبحور وفوائده بالأنوار،وأفكاره محطات،العقول بالآكام،وكنى الآلام بالوحل،والجهل بحلك الظّلام،من الاستعارات قوله:"فمن بحوره انفجرت عيون"،"فعمّ سقاؤها كلّ الآكام"،يقصد بهذا التّصوير علوم الشّيخ التي شبهها بالبحور/التي تفجرت عيونها،لتسقي كلّ القمم،على سبيل الاستعارة المكنيّة واستعار لفؤائد علوم الشّيخ لفظة"الأنوار"،حيث قال:"ومن أنواره انبثقت الضّياء"،فقد جعلها مصدراً للضّوء،يسترشد بها السّائرون في الظّلمات الحالكة،وبفضل نور تلك العلوم التي ينشرها بين النّاس وينتفعون بفوائدها.

يواصل الشّيخ محمّد باي في تصويره لسيرة الشّيخ محمّد بلكبير،إذ يقول:

وَمِنْ أَفْـكَارِهِ انْطَلَقَتْ فُـهُومٌ بِـهَا تُشْفَى الْبَرِيَّةُ مَنْ سِقَامٍ
وَمِنْ سَخَـائِهِ فَاضَ الْـعَطَـاءُ بِهِ انْتَشَلَ الْفَقِيْرَ مِنْ الْآلَامِ
وَمِنْ عُلُوْمِهِ انْـتَشَرَتْ عُلُوْمٌ فَكَمْ لِلْعِلْمِ عَـنْهُ مِنْ زِحَامِ[1]

بالمنوال ذاته،يستمر محمّد باي في ترجمته لحياة الإمام محمّد بلكبير، فقد كنى عن المحطات الانطلاق بالأفكار،وكنى عن الأدويّة بالفُهُوم، عن الأوحال بالآلام،وشبه العلوم بالرائح أوالأوراق التي تنتشر،وشبه السّخاء بالماء الذي يفيض،وشبه الفقير بالغريق،كما مزج ذلك في استعارات بيانيّة جميلة كقوله:"من أفكاره انطلقت فُهُومٌ"،"بها تشفى البرية من الإسقام"،"من سخائه فاض العطاء"، "انتشل الفقير من الآلام"،"ومن علومه انتشرت علوم"،"كم للعلم عنه من زحام"،كلّها استعارات مكنيّة، تقدّم جزء من حياة الشّيخ محمّد بلكبير رحمة الله عليه.

1- محمّد باي بلعالم ،الرّحلة العلية،مصدر سابق،ج1،ص367.

1- المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

من الملاحظ أنّ الصّورة الشّعرية عند محمّد باي في هذه الأبيات، تميّزت بالكثافة من حيث كثرة الكنايات،والتّشبيهات،والاستعارات،وبالرّغم من سهولة فهمها،وقربها للإدراك في ذهن المتلقي،لكنّها تقدّم مشاهد جيدة،ومناظر جميلة،لها دورها المعتبر في الإقناع،والتّأثير على أفكار القارئ لأشعار الشّيخ محمّد باي.

بعد هذا البسط الوجز لشّعرية الصّورة الشّعريّة عن الأعلام الثّلاثة(محمّد العيد آل خليفة،أحمد سحنون،ومحمّد باي بلعالم)،والتي ارتكزت في مجملها على توظيف المجازات والتّشبيهات المختلفة، والاستعارات،سعى بواسطته الشّعراء الثّلاثة بيان صوّرهم،وتشخيصها للمتلقي،وجعل المعاني المجردة مادية ملموسة محسوسة،والأمور المرئية معنوية،مع وجود قرائن المشابهة والتّمثيل،الدّالة على وجود ما يحقق التّصوير الفنيّ،والتّناغم الدّلاليّ لتلك الصّوّر المختارة بعناية،لتحقيق الأغراض الشّعريّة والفنيّة، والجماليّة التي قصدها المؤلفون قصداً،وعمدوا إليها عمداً،استجابة لمتطلبات التّعبير،والبوح عن المشاعر والعواطف الجيّاشة التي تختزنها تجاربهم الشّعريّة.

المبحث الثّالث:شعريّة الـتّناص وتجلياتها النّصيّة.

في هذا المبحث يتعرّف القارئ على بعض مواطن تشابه نصوص المرثيّات المدروسة وتداخلها مع غيرها من النّصوص السّابقة لها،لاكتشاف دوافع كتّابها،وأغراضهم،ومقاصدهم من ذلك التّضمين والتّداخل.

1- مفهوم النّصّ والـتّنّاصّ:

قبل الحديث عن شعريّة التّنّاص في النّصوص المقترحة للدّراسة،نقف بشكل سريع على مفهوم النّصّ،ومفهوم التّناصّ،فالنّصّ كما يراه لا رولان بارت"نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللّغات الثّقافيّة السّابقة،أوالمعاصرة التي تخترقه بكامله"[1]،ويقول عبد الملك مرتاض في تعريفه للنّصّ:"النّصّ حواريّة النّصوص،وحواريّة النّصوص ليست إلّا تناص النّصوص،وذانك أمران لامناص منهما في تكوين النّص وكينونته معاً"[2]

أمّا التّنّاصّ فتعرفه جوليا كريستيفا في قولها:"بأنّه جهاز لسانيّ، يعيد توزيع نظام اللّسان بواسطة بالرّبط بين كلام تواصليّ،يهدف إلى الإخبار المباشر،وبين أنماط عديدة من الملفوظات السّابقة عليه، أوالمتزامنة معه"[3].

أمّا محمّد مفتاح فيقول:"التّناص هو تعالق النّصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة،ويرى أن هناك تناصّاً ضروريّاً واختياريّاً وتناصّاً داخليّاً وخارجيّاً،ويعترف أنّ التّناص ظاهرة لغويّة معقدة تستعصي على الضّبط والتّقنين،أو يعتمد في تميزها على ثقافة المتلقي،ومعرفته الواسعة، وقدرته على التّرجيح"[4].

ويراه عصام واصل في قوله:"التّنّاصّ: هو الوجود الفعلي لنص في أخر بشكل معلن أوخفيّ، ويأتي هذا الوجود النّصيّ وفق ثلاث آليّات"[5]،ويواصل في تبيين الآليّات الثّلاثة التي بواسطتها يكون التّناصّ في النّصّ،وهي:"الاقتباس،السّرقة، الإيحاء"،ليوضح مفهومه للمتلقي.

1-عبد الستار الأسدي،التناص :السّرقات الأدبية والتأثر،مجلة كتابات معاصرة،العدد44، المجلد11، 2001م،ص71.

2-عبد الملك مرتاض،نظرية النّصّ الأدبيّ، دار هومة للطّباعة النّشر التّوزيع،ط2،الجزائر،2007م،ص4.

3-جوليا كريسطيفا:علم النّصّ، ترجمة فريد الزّاهيّ،مراجعة عبد الجليل ناظم،دار توبقال للنشر،ط1،الدار البيضاء-المغرب، 1991م، ص21.

4-حسين منصور العمريّ، إشكاليّة التّناصّ"مسرحيات سعد الله ونوس أنموذجاً"،دار الكنديّ للنّشر والتّوزيع،أربد-الأردن، ص18.

5- عصام واصل، في تحليل الخطاب الشّعريّ، دراسات سيميائيّة،دار التّنوير،ط01، الجزائر،2013م،ص86.

تشترك تلك المفاهيم في الاشتغال على كتلة واحدة،ويدور عملها في حيّز واحد،ألا وهو النّصّ كإنتاج بشري،له باللغة ومحتوى، يترجمان معاً أفكار كتبه،لغاية غير معلنة-في الغالب-يكتشف القارئ أو المتلقي،من خلاله احتكاكه بالنّص،بداية بالقراءة أوالتلقي،ثـمّ الفهم والتّأويل والإدراك.

وبناء على هذا التّوجّه،نحاول في ما يلي، البحث على بعض مواطن التّناصّ في مرثيّات الإعلام الثّلاثة(محمّد العيد آل خليفة،أحمد سحنون، محمّد باي بلعالم)، لمعرفة نوع التأثر ودرجته في مدوناتهم:

2- شعرية التّـنّاصّ وتجلياتها النّصّيّة:

2-1- عند محمّد العيد آل خليفة:

إنّ المطالع في ديوان الشّاعر محمّد العيد آل خليفة عموماً،وفي مرثياته خصوصاً،يلفه شاعرا ذا نزعة إنسانية،محبّا للخير للبشرية جمعاء، سباقاً لفعل الخير مزكياً أهله ومواطنه،نافرا من الفتن والشرور كلّها محذراً عواقبها،وشؤم أهلها، ملتزماً بدينه ولغته وعاداته وأخلاقه،إلى ذلك من خلال قصائده وأشعاره،موظفاً من النّصوص المعينة على تبليغ رسالته في الحياة،فجاءت نصوصه موشحة باقتباسات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية،ومن التّراث العربيّ أشعار وأمثال،وغيرها مما كان يرى فيه الحكمة في قوله وتوظيفه.

وليس غريباً أن وجد ذلك في شخصيته،التي اغترفت من مشارب الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، بداية من أسرته الملتزمة بتعاليم الإسلام،ومجتمعه المتدين بالدّين الإسلاميّ،والكتاتيب والمدارس والمساجد الحاملة لأمانة التّوعيّة،والتّثقيف،والدّعوة والإرشاد في الأوساط المسلمة،وسنكتفي بتناص بعض الأبيات الشّعريّة مع نصوص الآيات القرآنيّة:

يقول محمّد العيد آل خليفة في آخر مرثيته المعنونة بـ((يا فوادي))،وهو يرثي نفسه،واعظاً إيّاها:

خَـــفِ اللهَ وَارْقُـــبْ ثَـــوَابَ الْـــــمِعَادِ[1]

يقتبس الشّاعر محمّد العيد معنى هذا البيت الشّعر،من نص الآية القرآنيّة ،التي يقول الله تعالى فيها:﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ(46)﴾[2].

وفيها دعوة النّفس للخوف من الله وخشيته،وتعظيمه وتوقيره، في عالم الغيب، ومراقبته في السّر والعلانيّة،ابتغاء مراضاته، والنّيل من ثوابه.

---

1 - محمّد العيد آل خليفة،الدّيوان،مصدر سابق،ص 55.

2- سورة الرّحمن،الآية 46.

أمّا عن رثائه لفلسطين في قصيدته تحت عنوان((تقسيم فلسطين))،يعلن استهجانه لخارطة التقسيم، في قول في مطلعها:

يَا قِسْمَةَ الْقُدْسِ أَنْتِ ضِيْزَى لَمْ يَعْدِلِ الْقَاسِمُونَ فِـيْكِ[1]

في هذا البيت اقتباس مع نص الآية الكريمة،من سورة النّجم، حيث يستهجن الله يستنكر على المشركين قسمتهم غير العادلة في حقّه،فيقول:﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ(21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (22)﴾[2].

في هاتين الآيتين، سؤال توبيخي تقريعي للجائرين في قسمتهم غير العادلة وغير المتساويّة،فقد آثروا أنفسهم بالولد،وجعلوا لله ما لا يرضون ويكرهون،وفي ذلك قمة الجور والإجحاف،ومن هذه الصّورة اقتبس محمّد العيد آل خليفة ما فعله القاسطون في تقسيمهم للأراضي المباركة في فلسطين.

وفي مرثيته لمدينة هيروشيما التي نظم في شأن دمارها وخرابها،ومأساتها،قصيدة وَسَمَهَا بعنوان ((خطر العلم على البشرية))،وهاهو يقدّم الوصف المتناقض للعلم المدّمر بقوله:

نَـشَأَ الْـعِلْمُ مَلَاكـاً طَاهِـراً وَاسْتَحَالَ الْيَوْمَ شِيْطَاناً رَجِيْماً[3]

إنّ القارئ لهذا البيت سيتوقف على عجزه، ويستذكر الآية الكريم التي استوحى منها محمّد العيد معانيه، يقول الله تعالى:﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (17)﴾[4] .

لقد تأوّل الشّاعر محمّد العيد معنى هذه الآية الدّالة على حفظ الله لسمائه من كلّ شيطان رجيم،فساق جزء من هذا المعنى لوصف العلم الحديث الذي نشأ في بداياته ملاكاً طاهراً،ينفع البشريّة بنتائجه،وتنتفع هي منافعه،لكنه تحوّل في الوقت المعاصر إلى شيطان رجيم،حيث صار مصدراً للإضرار والشّرور،والإفساد والدّمار والخراب.

أمّا في مرثيته ((وقفة على قبور الشّهداء))،بصور حال الشّهداء في العالم الأزليّ، فيقول:

لَا تَـخْلُ مَعْشَراً قَضُوا فِي سَبِيْلِ اللَّـ ـهِ مُوْتَى، بَـلْ هُمْ مِـنْ الْأَحْـيَاءِ
إِنَّـهُمْ عِـنْدِ رَبِّـهِمْ حَـوْلَ رِزْقٍ مِنْهُ فِـــي نِعْمَةٍ وَفِـــي سَـرَّاءِ[5]

---

1 – محمّد العيد آل خليفة،الديوان،314.

2– سورة النجم، الآية:21،22.

3 – محمّد العيد آل خليفة،الديوان، 336.

4– سورة الحجر،الآية 17.

5 – محمّد العيد آل خليفة،الديوان، 435.

يتأول محمّد العيد آل خليفة لنص الآيات القرآنيّة الكريمة القائلة:﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169)فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ(171)﴾[1].

تتبين للقارئ في بيتي الشّاعر محمّد العيد آل خليفة بجلاء ووضوح،شعرية التّناصّ تضمينه لبعض ألفاظ الآيات الكريمة السّابقة،حسن توظيفه لمعانيها،وجودة استخدام للدّلالات العامّة منها،واقتداره على سبكه تعابيره،لتذكيّة شهداء الوطن من جهة،ولتخليدهم في نفوس الأجيال،كي تتخذونهم أسوة وقدوة لهم في حياتهم، والظّفر بحسن الخاتمة،والالتحاق بهم في دار النّعيم.

ونلفيه في تعزيته لآل المغزي بمدينة بسكرة،ينظم مرثيته((عظم الله أجركم))،قالها في فقيد عميد الأسرة فضيلة الشّيخ أحمد المغزيّ إمام المسجد الكبير والذي توفاه الله في حادث سيارة سنة 1979م[2]، يقول فيها موصيّاً شقيقه محمّد المغزيّ:

فَـتَحَمَّلْ مِنْ الأَسَى وَتَجَمَّلِ وَاعْتَصِمْ بِالرِّضَى وَخَلِّ الشُّجُونَا
كُلُّنَا مُضَّنَا الْمُصَابُ فَصَبْراً إِلَى اللهِ كُلُّنَا رَاجِعُونَا[3]

في سيل من الدّلالات يقتبس محمّد العيد، من القرآن الكريم معاني هذين البيت، فمن الآيّة الكريمة التي قال الله تعالى فيها:﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(17)﴾[4]،جاءت معاني الشّطر الأول من البيت الأول.مشفوعة ببعض معاني الآية الموالية،التي يقول الله تعالى فيها: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78)﴾[5].إنّها دعوة صريحة للاعتصام بحب الله و الالتجاء إليه في الشّدائد.

ثـمّ يوصي محمّد العيد معزيه بعدم الحزن، مستحضراً وصية الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لرفيقه أبي بكر،حينما رأه حزيناً،قال الله تعالى:﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[6].

1- سورة آل عمران، الآيات 169،170،171.

2-محمّد بن سمينة،العيديّات المجهولة تكملة ديوان محمّد العيد آل خليفة،مصدر سابق،ص189.

3 - محمّد العيد آل خليفة،الدّيوان، 435.

4-سورة لقمان،الأية17.

5-سورة الحج، الآية78.

6- سورة التوبة، الآية 40.

أم البيت الثّانيذ قفد جاء هو الأخر مشحوناً بدلالات المواساة والدّعوة إلى الصّبر على المصاب والرّضا بقاء الله، والتّسليم لقضائه،والتّذكر بأنّ الموت مصير كل حيّ،وهو بداية الرّجوع إلى الله،اقتبس في الشّاعر محمّد العيد معاني نص الآيّة القرآنيّة الكريمة،التي يقول فيها الله عز وجل:﴿الذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156)﴾[1].

من خلال هذه النّماذج من النّصوص الشّعريّة، والدّالة على تأثر الشّاعر بالنّصّ القرآنيّ،كان توظيفه لبعض المفردات والتّعابير القرآنيّة،ودلالات بعض الآيات،يجري على قلمه بشكل سلس،لا خلل فيه،ولا تعقيد.هذا ما أكسب للتّناصّ في المرثيّات شعريّة خلّاقة وجذّابة،تدفع بالقارئ لأشعار محمّد العيد آل الخليفة المزيد من القراءة والتّذوق،لما فيها من النّضج الفنيّ،والجزالة اللّغويّة،والمعاني المحكمة،والبناء المرصع،والقيّم النّبيلة.

2-2- عند أحمد سحنون:

لقد نهل الشّاعر أحمد سحنون من المنهل الذي انتهل من الّشيخ محمّد العيد آل خليفة،وسلك السّبيل ذاته في تكوين شخصيته،وتثقيفه،واشتركا في ميدان التّعليم وتوعيّة أبناء الجيل،وكان كلّ منهما عوناً للأخر في في مجال الدّعوة والإصلاح والإرشاد،وسخرا علمهما في نهضة أمتهما،ونصرتها في قضاياها المصيريّة العادلة.

لقد اصطبغت مرثيات الشّاعر أحمد سحنون بروح ثقافته العربية والدّينيّة، وهذا يعني أنّه لا تستطيع الفكاك من التّأثر بهما،والدّعوة إليها،فيكون اضطراره للاقتباس بالقرآن الكريم والسّنة النّبويّة ولبقية مصادر التّراث العربيّ أمراً حتمياً،ونقتصر هنا،على ذكر بعض الأبيات المتناصة مع القرآن الكريم،دون غيره من المصادر،تفادياً للتّشعب في الكلام،المفضي للإطالة والجنوح للإسهاب.

ففي رثائه لحال الأمّة الجزائريّة،بقصيدته المعنونة((إلى الأمّة الجزائريّة))،يقول فيها محذراً وناصحاً:

وَإِذَا مَا حِدْتُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ خُطْوَةً أَنْذَرْتُكُمْ سُوْءَ الْمَصِيرِ
وَاسْتَعِيْنُوا اللهَ يَنْصُرُكُمْ عَلَى كُــلِّ بَاغٍ، إِنَّهُ نِعْمَ النَّـصِيرِ[2]

يبني أحمد سحنون خطابه الدّعويّ على أسلوب التّرهيب والتّرغيب،متخذاً القرآن الكريم مصدراً لحججه،يستقي منه ما يشاء،خدمة لدعوته،وهذا ما نلحظ في البيت الأول،والذي يحذر فيه أمّته من الانحراف عن الدّين الإسلاميّ،مبيّناً لهم بأنّ عاقبة الانحراف غير محمودة،فأنذرهم سوء المصير،مقتبساً

1- سورة البقرة، الآية176.

2 - أحمد سحنون،الدّيوان،ج1،ص112.

أفكاره من نص الآية القرآنية،قال تعالى:﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ(14)﴾[1]،وقوله أيضا:﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ(13)﴾[2].

فالبعد عن دين الله والانحراف إلى غيره،يفسد على النّاس حياتهم الدّنيوية،ويجعلهم من التّعساء والأشقياء في الحياة الأخرويّة.

أمّا في البيت الثّاني فقد أمر الشّاعر متلقيه بالاستعانة بالله،فهو سبحانه ينصر من استنصر به وهو القاهر لكلّ باغ ومعتدي،حيث اغترف أحمد سحنون هذه المعاني من قول الله تعالى:﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128)﴾[3]،وقوله أيضا:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (07)﴾[4].وقوله أيضا: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (40)﴾[5].

فعلى المؤمنين الالتزام بشريعة الله،واقتفاء نهج رسول الله،وينصروا دينهم،ويستعينوا به،فقد وعدهم بالنّصّر،إن هم أطاعوه ونصروه.

ونلفيه الشّاعر أحمد سحنون،في مرثية المعنونة((لا ينجي من الموت معقل))، ينبه كلّ من غفل عن النّهايّة المحتومة،ألا وهي الموت و الذي لا يأتي إلا بغتة،دون إعلام مسبق منه، إذ يقول:

مَنِيْتُنَا تَأْتِي عَلَى حَيْنَ غَفْلَةٍ! وَكُلٌّ عَلَى حُكْمِ الْمَنِيَّةِ يَـنْزِلُ![6]

إنّ المتأني في قراءة هذا البيت،والذي ساقه أحمد سحنون رغبة منه في التّنبه والتّحذير من الغفلة عن الموت،التي هي نهاية كلّ كائن حيّ في هذه الدّنيا،وأنّ للعمر أجلاً محدود،لا ينقص منه، ولا يزيد إليه، يبدأ بالولادة وينتهي الوفاة،والتي ينشغل الناس عنها بسب الغفلة.

لقد تأول الشّاعر سحنون الكثير من النّصوص القرآنيّة الحاملة لتلك المعاني ولغيرها من المعاني المشابهة أوالقريبة منها في المعنى،ومن تلك الآيات القرآنية،قول الله عز وجل في شأن الغافلين عن الآخرة:﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7)﴾[1]،ويقول أيضاً:﴿وَأَنذِرْهُمْ

1- سورة الليل، الآيّة 14.

2- سورة فصلت، الآيّة 13.

3- سورة الأعراف، الآيّة 128.

4- سورة محمّد،الآيّة 07.

5-سورة الأنفال،الآية40.

6 - أحمد سحنون،الدّيوان،ج1،ص270.

1- سورة الرّوم، الآية 07.

يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39)﴾[1]،وقال يقول أيضا:﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)﴾[2].

ويواصل الشّاعر في التّذكّر والتّنبيه،والاستعداد للموت،فيقول:

فَتَـبّاً لِدُنْيَا لَا تَـدُوْمُ لِأَهْــلِهَا وَكُلُّ مُقِيْمٍ مَنْ بَنِيْهَا سَـيَرْحَلُ

وَإِنَّ كِتَابَ الْعُمْرِ لَابُدَ تَنْتَهِي صَحَائِفُهُ وَالْمَوْتُ لِلْكُلِّ مَنْهَلُ[3]

يقتبس أحمد سحنون فحوى هذين البيتين من قول الله جلَّ وعلا:﴿كُلُّنَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[4]، ويقول أيضا:﴿كلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ(27)﴾[5]

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (38)﴾[6].ويقول أيضا:﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61)﴾[7].

ثم ينادي الشاعر أحمد سحنون ،كل فرد غافل إلى التزود من دينه لأخرته،قائلاً:

أَيَــا غَافِلاً عِــنْ غَايَةٍ صَائِرٌ لــهَا! تَزَوَّدْ مِنَ التَّقْوَى إِذَا كُنْتَ تَـعْقِلُ

وَيَا مَنْ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي غَيْرِ طَائِـلٍ سَتُسْأَلُ عَمَا كُنْتَ بِالْأَمْسِ تَعْـمَلُ

فَلِيْسَ سِوَى تَقْوَى اللهِ يُفِيْدُكَ فِي غَدٍ وَلِــيْسَ عَلَى غَيْرِ الْإِلِهِ الْـمعَول[8]

في هذا الأبيات الثّلاثة يتوجه أحمد سحنون للغافل عن الموت،والذي هو مصير كلّ مخلوق، ولامناص له منه، وينصحه بالتّزود من التّقوى وألا يضيع عمره في غير ما نفع، فسيسأل عن أعماله وليس له سوى تقوى الله يفيد يوم القيام،يوم الحساب والسّؤال، ولا رحيم يومئذ إلّا الله.

تتناص هذه معاني هذه الأبيات وتتقاطع في دلالاتها ومقاصدها مع نصوص من القرآن الكريم نحو قول الله تعالى:﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[1]،ويقول

1- سورة مريم ،الآية 39.

2-سورة ق،الآية22.

3 - أحمد سحنون،الدّيوان، ج1،ص270

4- سورة آل عمران،الآية 185.

5-سورة الرّحمن،الايتان26،27.

6-سورة الرّعد،الآية38.

7- سورة الأنعام،الآية61.

8 - أحمد سحنون،الدّيوان، ج1،ص270

1- سورة النساء،الآية 131.

أيضا:﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ(197) ﴾[1]وقال أيضاً:﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281)﴾[2].

من خلال هذا الاستقصاء الجزئي،الرّامي لبحث مواطن التّناص في أشعار أحمد سحنون مع آيات القرآن الكريم،يدرك القارئ الحذق،بـما لا يدع مجالاً للشّك مدى درجة التّأثر الكبير عند الشّاعر أحمد سحنون بالأسلوب القرآنيّ،ومستويات حسن توظيفه في الآبيات،وانسجامه مع المقاصد الكليّة لمحتوى المرثيّات الوارد فيها،رغبة في التّأثير على المتلقي لغة وأسلوباً وفكراً.

2-3-عند محمّد باي بلعالم:

إنّ استحضار الباحث لشخصيّة الشّيخ محمّد باي بلعالـم، حيث تربى في أسرة علميّة، ونشأ في بيئة تهتم بالعلم، وكرّس هو حياته في العلم(طلباً ونشراً وتعليماً)،فتشكّلت ثقافته الدّينيّة، فعكف على على تدريس القرآن الكريم وعلوم المختلفة،وعلوم اللّغة(النّحو والصّرف)،وسائر العلوم المعينة على نشر الوعي والدّعوة والإصلاح الاجتماعيّ.

كلّ هذا أكسبه ثقافة واسعة مكنته من الاستفادة من أمّهات الكتب،فأعانته على التّأليف، حيث جاء الكثير من كتاباته يحمل شيئاً مما قرأه تأثراً، أوإعجاباً، أومحاكاته فكان الاقتباس، والاستشهاد، والتّناصّ حاضراً في إنتاجاته النّثريّة والشّعريّة،وفيما يلي،نورد بعض ما شكّل تناصاً في مرثيّات مع القرآن الكريم،وهاهو مثلاً في رثائه الشّيخ محمّد بلكبير، يقول:

فَـأَدْرَارُ بَكَتْ دَماً عَـلِيْكُمْ وَكَانَ الدَّمْعُ يَـجْرِي بِانْسِجَـامِ

فَلَيْسَ لَهَا سِوَى صَبْرٍ جَمِيْلٍ يُـعَدُّ لِذَا الْـمُصَابِ يَا إِمَـامُ[3]

يصوّر الشّيخ محمّد باي كثرة البكاء في أدرار،والتي كانت بسبب الإفراط في الحزن على فقدان الشّيخ محمّد بلكبير،مبيّناً ألّا عزاء يقدم لهذا المصاب،سوء التّحليّ بالصّبر الجميل،واللافت في صدر البيت الثّانيّ، تناص عبارة"صبر جميل" بالآية القرآنية الكريمة التي يقول الله فيه:﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (18)﴾[1]،وقوله أيضاً:﴿اصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (5)﴾[2].

1-سورة البقرة،الاية197.

2- سورة البقرة،الآية 281.

3 - محمّد باي بلعالم ،الرّحلة العلية،مرجع سابق،ج1،ص367.

1- سورة يوسف،الآية 18.

2- سورة المعارج ،الآية 05.

أورد محمّد باي تلك العبارة، ليصطحب المتلقي حالة سيّدنا يعقوب، عند شدّة حزنه على ابنه يوسف الغائب،بسبب كيد إخوته به،إذ لم يجد حلّاً بدلاً عن الصّبر الجميل،كما يصطحب حال نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم حينما اشتد به الأذى من المشركين فأمر الله سبحانه بالصّبر الجميل من أجل تجاوز محنته.

وحينما رثى محمّد باي الفقيه محمّد الرّقانيّ،كان التّناص مع بعض مفردات القرآن الكريم وعباراته ظاهراً بشكل واضح جداً في الكثير من أبيات المرثية،من ذلك ما قال في وصفه مزكّياً علمه:

فَقَدْ جَرِى مَرَجُ الْبَحْرِيْنِ فِي أَرْضِـهِ بَحْرُ الْجُدُودِ وَبَحْرَ الشّيخ يَلْتَطِمُ
وَمِنْ خِلَالِـهِمَا فَـاضَتْ مَوَاهِبُهُ وَجَادَتْ أَمْوَاجُهُ بِالدُّر منتظم[1]

يقدّم محمّد باي من خلال هذين البيتين الشّعريين صورة بيانيّة، الغرض منها،وصف وتزكيّة علم الشّيح محمّد الرّقاني،حيث استعار لوصفه لفظة "البحر"،لاتساعه،وكثرة خيراته،وفوائده،وليكون تشبيهه هذا قويّاً في ذهن القارئ،نجده يضّمن صدر بيته الأول اقتبساً من القرآن الكريم،موظفاً عبارة"مرج البحرين"،من الآية الكريمة من سورة الرّحمن،يقول الله تعالى فيها:﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ(19)﴾[2].

وفي موطن آخر يلقي محمّد باي بلعالم تحيته على الفقيه، قائلاً:

سَلَامُ رِبِّ عَلَيْهِ يَوْمَ مَوْلِدِهِ وَيَوْمَ سَارَ إِلَـى الدَّرْسِ يَنْتَظِمُ
وَيَوْمَ عَادَ إِلَىَ رَقَانَ مُـمْتَلِئاً عِلْماً فَكَانَ بِهَا كَالْبَدْرِ يَبْتَسِمُ
وَيُوْمَ لَبَّى نِدَاءَ اللهِ مُرْتَـحِلاً مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا لِلضَّرِيْحِ يَلْتَزِمُ[3]

يلقي الشّيخ محمّد باي بلعالم سلامه المتعدد،على الشّيخ الفقيه محمّد الرّقانيّ من يوم ولادته، ثـمّ يوم ذهابه للدّراسة وطلب العلم،ثـمّ يوم عودته إلى مسقط رأسه برقان وهو شيخ متضلع في الفقه، وما جاوره من علوم الدّين،وأخيراً سلام على يوم رحيله إلى قبره.

يدّون الشّيخ باي معظم هذه المعاني، وهو يستحضر معاني النّصّ القرآنيّ،الذي يقول الله فيه: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15)﴾[1].وورد المعني ذاته على لسان عيسى بن مريم، قال الله تعالى:﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33)﴾[2].

1- محمّد باي بلعالم، مرثيّة الشيخ باي بلعالم (الشّيخ سيّدي محمّد الرّقاني في ذمّة الله)،مصدر سابق،ص01.
2- سورة الرّحمن،الآية19.
3- المصدر السّابق،ص02.
1-سورة مريم، ص15.
2- سورة مريم،الآية 33.

والتّناص عينه نجد الشّيخ محمّد باي يوظفه في رثائه الشّيخ محمّد بلكبير فيقول:

سَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ زِدْتَ طِفْــلاً وَيَـوْمَ صِرْتَ شَـيْخاً لِلْـكِرَامِ
وَيَـوْمَ أَخَذْتَ عِلْمَكَ مِنْ مُرَبٍّ عُنِيْتَ بِذَا ابْنِ دِيْدِي فِي نِظَامِ
وَيَـوْمَ عَــلَوْتَ مَــنْبَرَ الْعُلُـومِ فَـنِلْتَ الْفَوْزَ فِي أَعْلَى مُقَامِ
وَيَــوْمَ نَــادَاكَ رَبٌّ لِلْــجِوَارِ فَــلَبِيْتَ النِّـدَاءَ بِـاحْـتِـرَامِ[1]

فقد جاءت هذه الأبيات الأربعة، موشحة ببعض ألفاظ، ومعاني الآيتين السّالفتين،استطاع الشّيخ محمّد باي بلعالم أن يكيف أفكاره،بالاستفادة من النّص القرآنيّ، وما فيه من عبارات وألفاظ، حتّى تكتسب المرثيّة معاني رصينة، قادرة على نقل مشاعر القويّة،وعواطفه الجياشة.

والأمرذاته في مرثيته للشّيخ عبد العزيز سيدا عمر،لايكاد يخلو منها بيت إلا وقد ألبسه شيئاً من التّعبير أوالنّصّ القرآنيّ، ومن أمثلة ذلك قوله،وهو يدعو للشّيخ بالرحمة:

فَكُونِي لِهُ يَا رَحْمَةَ اللهِ مَــنْــزِلاً وَكُونِي لَهُ يَا جَنَّةَ الخُلدِ مَسْـكَنَا
فَنَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يُسْكِنَ شَيْخَنَا فِي جَنَّةِ عَدْنٍ بِالنَّعِيْمِ وَبِالْـمُنَا[2]

في هذين البيتين تناصا مع آيات كثيرة من القرآن الكريم،حيث وردت فيهما ألفاظ قرآنيّة، نحو:"رحمة الله"،"جنّة الخلد"،"ربي"،"جنّة عدن"،"النّعيم".

فمن آيات "الرحمة" نقرأ قول الله تعالى:﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]،ويقول أيضاً:﴿فَأَمَّا الَّذِينَآمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾[2]،وقوله أيضاً: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

ومن آيات"جنة الخلد"،نقرأ قوله عز وجلّ:خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[4]،وقال أيضا:﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾[5].

---

1 – محمّد باي بلعالم ،الرّحلة العلية،مصدر سابق،ج1،ص367.

2 – محمّد فتحا بن محمّد بن عبد الكريم البلبالي مبدوييّ، النّبذة النّيرة من حياة الذّهب الإبريز،مصدر سابق،ص237.

1–سورة آل عمران،الآية107.

2–سورة النّساء،الآية 175.

3– سورة الأعراف، الآية56.

4–سورة التّوبة،الآية 22.

5–سورة الفرقان،الآية 15.

أما من آيات "جنة عدن"،و"النّعيم"،نجد قول الله تعالى:﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [1]،وقال أيضا:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[2].

إنّ ورود تلك الألفاظ القرآنيّة،وغيرها من مفردات القرآن الكريم وعباراته،ما هو إلّا تأكيد على تأثر الشّيخ محمّد باي بلغة القرآن الكريم،وبأساليبه المختلفة،ووروده في كتاباته وأشعاره،وهو دليل على التّعلق بالمعاني القرآنيّة،والدّعوة إليها،وهذا ما أكسب مراثيه مسحة قرآنيّة.

يستفيد القارئ مما سبق بأنّ شعريّات المدروسة هنا:شعريّة الموسيقى وإيقاعاتها،وشعريّة الصّورة الشّعريّة ودلالاتها،وشعرية التّناصّ،شعريّات أساسيّة في بناء النّصّ الشّعريّ، لها دورها في تشكيل المعنى العام للنّصّ،حيث يظلّ ذلك المعنى منقوصاً إذا لم يحسن المؤلف استعمال الموسيقى المناسبة،والايقاع الملائم،الصّور البيانيّة المعبرّة،وضوابط استخدامها وفق متطلبات المواقف المعيشة،وانسجمت مع الأحوال النّفسيّة المختلفة،كي ينتج نصّاً ذا قيمة معرفيّة وفنيّة وجماليّة،لذا وجبة العناية بها مجتمعة، وذلك ما وجدناه في مرثيّات الأعلام الثّلاثة(محمّد العيد آل خليفة، أحمد سحنون، محمّد باي بلعالم)، فقد وفيقوا جميعاً في ضبط الايقاعات الموسيقيّة واختيار الصّور البيانيّة القادرة على التّصوير،فجاءت الشّعريّات المرصودة شعريّات منسجمة مع الاختيار التّعبيريّة،والمقاصد المعنوية والفنيّة على حد سواء.

1-سورة التّوبة،الآية72.

2-سورة يونس،الآية9.

رابعاً– المبحث الرّابع:التّحليل الأسلوبيّ للمستويّات:(الصّوتيّ/ المعجميّ /التّركيبيّ/ الدّلاليّ) لنماذج المختارة

من خلال هذا المبحث،ستتم دراسة الظّاهرة الأسلوبية المساهمة في بناء بعض نصوص المرثيّات المدروسة،وتحليلها تحليلاً أسلوبيّاً،وذلك بتركيز الاهتمام على قضيّة واحدة على كلّ مستوى من المستويّات الأربعة للأسلوبيّة:المستوى الصّوتيّ،والمستوى المعجميّ،والمستوى التّركيبيّ،والمستوى الدّلاليّ رغبة في اكتشاف بعض الخصائص الأسلوبيّة والسّمات المميزة لأسلوب كلّ شاعر من الشّعراء الثّلاثة

1 – التكرار على المستوى الصّوتي:

"يعدّ التّكرارRepetitionظاهرة لغويّة من حيث اعتماد،في صوره البسيطة والمركبة على العلاقات التّركيبيّة Syntagmitic Relations بين الكلمات والجمل،وهو يعدّ وسيلة بلاغيّة ذات قيم أسلوبيّة"[1].

إنّ قضية التّكرار في النصوص الشّعرية تعدّ ظاهرة أساسيّة لا بد من وجودها،إذا بفضلها يحاول المؤلف تأكيد معاني،"والصوت أحد أنظمة اللّغة المتشابكة المعقدة"[2]،ودراسة الصّوت تعدد أول مدخل لدراسة النّصوص الشّعريّة،باعتبار الصّوب أول شيء يشد آذان السّامعين،ويلفت انتباههم، ويثير فضول المتلقين، فعناية الشّاعر بأصواته،ووضعها في المواطن المناسبة لها،من القصيدة غاية في الأهميّة،فالأصوات لبنة أساسيّة في تشكيل القصيدة،وبناء معانيها،إذ يعتبر إهمال أصواتها مؤشر قويّ على فشلها،وعدم مقدرتها على الصمود والمنافسة بين النّصوص المماثلة.

كما إنّ تركيز الشّاعر على التّكرار،وحُسْنِ استخدامه له،يمكّن النّصّ من الحضور الفنّي، ويعدد تكرار الأصوات في مواطن كثيرة ومختلقة مقصد ابتدائيّ،يَعْمُدُ إليه الشّاعر،لبناء قصيدته خدمة لمحتواها العام،وفيما يلي نقف على ظاهرة واحدة تكررت عند الشّعراء الثّلاثة،ولتكن ظاهرة"التّصريع"في المرثيّات المدروسة:

1–1–التّصريع في مطالع مرثيّات محمّد العيد آل خليفة:

يحفل الشّعر بظواهر كثيرة يتخيّر الشّاعر منها ما يناسب شعوره،ويخدم شعره،وترخدم مشاعره، من تلك الظواهر،نجد ظاهرة التّصريع،والتّصريع:هو اتفاق لفظتين في الجزء العروضيّ والقافيّة،ويكثر

1– رمضان الصّباغ،في نقد الشّعر العربيّ المعاصر دراسة جماليّة،دار الوفاء للطّباعة والنّشر والتّوزيع،ط1،الإسكندريّة–مصر، 2002م،ص211.

2– فرحان بدري الحربيّ،الأسلوبيّة والتّحليل الأدبيّ،دار الرّضوان للنّشر والتّوزيع،ط1،عمان،1437هـ–2016م،ص36.

وروده في مطالع القصائد،وهو فيها مستحسن[1]،هو من مذاهب العرب في شعرهم،يسعون فيه إلى إخفاء نوع من الشّحن الجماليّ على الشّعر سواء على الوجهة الدّلاليّة النّفسيّة،أوالوجهة الإيقاعيّة الصّوتيّة[2].

إنّ أهمية التّصريع تكمل فيما ينتجه من قيمة جماليّة إيقاعيّة،على مستوى المطلع في القصيدة، وعلى المستوى العروضيّ الضابط لوزنها بشكل عام،وعلى المستوى الدّلاليّ لمحتوى القصيدة،مما يدفع بالمتلقى إلى التّذوق الموسيقى،والاسترسال مع إيقاعاتها الموسيقيّة من جهة،وإلى البحث عن المعاني الألفاظ،ودلالات المفردات،وتراكيب النّصّ المختلفة للنّص من جهة أخرى،وفي انسجام الأمرين يكمل الإبداع الفنّي والأسلوبيّ.

والدّارس لمرثيّات الشّاعر محمّد العيد آل خليفة،يمكنه الوقوف على أعداد مطالعها،والتي يمكن تقسيمها إلى نوعين المصّرّعة وغير المصّرّعة،من خلال الجدول التّاليّ:

اسم المدونة	عدد المرثيات	نوع المطلع	
		مصرع	غير مصرع
الدّيوان	46	45	01
التّكملة الديوان	14	10	04
المجموع	60	55	05

(الجدول قم 10: أعداد المطالع المصرّعة/ غير المصرّعة في مراثي محمّد العيد أل خليفة)[1]

من خلال التّأمل الجيد للجدول رقم(10)،يدرك القارئ أن عدد المطالع المصرعة في مرثيّات الشّاعر محمّد العيد،يبلغ سبعة وخمسين(57)مطلعاً،يعني ما نسبته(91.67بالمائة) من مجموع المرثيّات المقدر بستين مرثيّة،مقابل ثلاث مرثيّات بنسبة (8.33 بالمائة)من العدد الكلّيّ للمرثيّات، فإذا كانت نسبة حرف التّصريع في مطالع المرثيات كبيرة، على المستوى الأفق لمعماريّة القصيدة،فكيف ستكون نسبة تكرار الحرف ذاته على المستوى العمودي في أعجاز أبيات تلك المرثيّات وبالتّحديد حرف الرّوي فضلاً نسبة الحرف في مفردات القصيدة،علما بأنّها تتفاوت في أعداد أبياتها،مما يجعل لصوت الحرف المكرر،أثراً بليغاً في أذن السّامع أوالمتلقي،وهذا ما يخلق لديه حالة من الإعجاب والانبهار بالقصيدة في مجملها،شكلاً ومضموماً،وفيما يلي،نورد حروفاً مكررة لمطالع مختلفة لبعض المرثيّات:

1-جبور عبد النّور،المعجم الأدبيّ،مصدر سابق،ص68.

2- المصدر نفسه،ص68.

1 - من عمل الطّالب.

-مطلع مرثيّة ((أطلال"وقفة على تمقاد"))، يقول فيها محمّد العيد:

وَقَـفَتُ عَلَى (تِـمْقَادَ) وَقْفَةَ جَائِـلٍ وَطُفْتُ بِهَا مُسْتَرْشِداً بِالدَّلَائِلِ[1]

حرف التّصريع المكرر في هذا البيت الشّعريّ، هو حرف اللّام (جائل/بالدّلائل)، من صفاته: التّوسط، الانحراف والجهر والاستفال والانفتاح.

-مطلع مرثيّة ((إلى روح شوقي)) يقول فيها محمّد العيد:

عَـجَباً لِلدَّارِ،كَـيْفَ تِـدُوْرُ؟ تَـكَبَ الشِّعْرُ بِـهِا وَالشُّـعُورُ[2]

حرف التّصريع المكرر في هذا البيت الشّعريّ،هو حرف الرّاء (تدور/الشّعور)،ومن صفاته: التّوسط والجهر والاستفال والانفتاح والانحراف والتّكرير.

-مطلع مرثيّة((في رثاء الأمير شكيب أرسلان))، يقول فيها الشّاعر محمّد العيد:

تَـوَارَى الْكَـوْكَبُ الْقُـطْـبُ فَـعَمَّ الْعَالَـمُ الـخَطْبُ[3]

حرف التّصريع المكرر في هذا البيت الشّعريّ، هو حرف الباء(القطب/الخطب)،ومن صفاته: الجهر، الشّدة والاستفال والانفتاح والإذلاق والقلقلة.

1-2-التّصريع في مطالع مراثي أحمد سحنون:

إنّ البحث عن ظاهرة التّصريع القائمة في مرثيّات أحمد سحنون،ومعرفة نسبة وردها في تلك القصائد المبحوثة،يتطلب العودة إلى مطالع مرثيات أحمد سحنون،التي قدّر عددها بـ(88) بثماني وثمانين مرثيّة، وهو ما سيتعرف عليه القارئ، من خلال الجدول التّاليّ:

اسـم المدونة	عددالمرثيات	نوع المطلع	
		مصرع	غير مصرع
الجزء الأول من الدّيوان	33	23	10
الجزء الثاني من الدّيوان	55	41	14
المجموع	88	64	24

(**الجدول قم 11:أعداد المطالع المصرعة/غير المصرعة في مراثي أحمد سحنون**)[1]

من خلال التّأمل الجيد في الجدول رقم(11)،يدرك القارئ أن عدد المطالع المصرعة في مرثيّات الشّاعر أحمد سحنون،يبلغ أربع وستين(64)مطلعاً،يعني ما نسبته(72.73بالمائة) من مجموع المرثيّات

1- محمّد العيد آل خليفة،الدّيوان،ص 351.

2- المصدر نفسه، ص 457.

3- محمّد بن سمينة،تكملة ديوان محمّد العيد آل خليفة،مصدر سابق،ص 40.

1 - من عمل الطّالب.

المقدر بستين مرثية، مقابل ثلاث مرثيّات بنسبة(27.27 بالمائة)من العدد الكلي للمرثيّات،وهذا يشي بتكرار حرف التّصريع في عروض وضرب البيت الأول من كل مرثيّة،كما سيتكرر على مستوى أعجاز أبيات المرثيّات، أي على مستوى ضروب كل المرثيّة، وهو ما يعرف بحرف الرّوي من القافية.

وفيما يلي، نورد بعض المطالع لحروف مختلفة، تحتوي على التّصريع:

-مطلع مرثية((دمعة على "مصباح"))، يقول فيها أحمد سحنون:

مَاتَ مَصْبَاحُ فَانْـطَفَا مِصْبَاحٌ وَدَجَى الْلَيْلُ وَاخْتَفَى الْإِصْبَاحُ![1]

حرف التّصريع المكرر في هذا البيت الشّعريّ،هو حرف الحاء(مصباح/الإصباح)،صفاتها، أنّـها: رخـوة ومهموسة ومستفلة ومنفتحة.

-مطلع مرثيّة((بكيت على عمري))، يقول فيها أحمد سحنون:

بَكِيْتُ عَلَى عَمْرِي يَضِيْعُ بِلَا نَفْعِ وَعُمْرِي الْذِي قَدْ ضَاعَ أَغْلَى مِنَ الدَّمْعِ[1]

حرف التّصريع المكرر في هذا البيت الشّعريّ،هو حرف العين(نفع/الدّمع)،ومن صفاتها، أنّها: متوسطة ومجهورةومستفلة ومنفتحة.

-مطلع مرثيّة((جرح فلسطين))، يقول فيها أحمد سحنون:

للهِ جُـرْحُكِ يَا فِلِسْطِـيْـنُ قَــدْ مَزَّقَ الْقَلْبَ مِنْهُ سِكِّيـنُ[2]

حرف التّصريع المكرر في هذا البيت الشّعريّ،هو حرف الحاء النّون (فلسطين/سكّيْن)،صفاتها، أنها:متوسطة ومجهورة ومستفلة ومنفتحة، ولا يكتمل صوتها إلّا بالغنّة.

يلاحظ من خلال هذا التّمثل لمطالع المرثيّات المصرعة في ديوان الشّيخ أحمد سحنون،أنّه يكيف حروفه بحسب أحواله النّفسيّة، ومتطلبات الحدث، والأدوات المعين على البوح والتّعبير.

1-3-التّصريع في مطالع مراثي محمّد باي بلعالم:

كما تبيّنا من ظاهرة التّصريع في مرثيات كل من:محمّد العيد آل خليفة،وأحمد سحنون،نتعرض للبحث عن الظّاهرة ذاتها في مراثي الشّيخ محمّد باي بلعالم،وذلك بعد الاطلاع على أعداد المطالع المصرّعة،وغيرّ المصرّعة لمعرفة مدى اهتمام محمّدباي بلعالم واشتغاله على ظاهرة التّصريع في قصائد وهذا ما يمكن التّعرف على من خلال الأعداد المدونة في الجدول التّالي:

1- أحمد سحنون،ديوان الشّيخ أحمد سحنون،مصدر سابق،ج1،ص277.

1- المصدر نفسه،ج2،ص 33.

2- المصدر نفسه،ج2،ص 108.

اسم المدونة	عدد المرثيات	نوع المطلع	
		مصرع	غير مصرع
مراثي محمّد باي	07	07	00
المجموع	07	07	00

(الجدول قم 12: أعداد المطالع المصرّعة/غير المصرّعة في مراثي محمّد باي بلعالم)[1]

من خلال التّأمل الجيد في الجدول رقم(12)،يدرك القارئ أن عدد المطالع المصرّعة في مرثيّات الشّيخ محمّد باي بلعالم،بلغ سبعة(07)مطالع،وهو العدد الكل لمجموع المراثي المؤلفة عنده،مع انعدام المطالع غير المصرّعة، وهذا يعني أنّ نسبة التّصريع،بلغت النّسبة الكاملة،أي مائة بالمائة.

نستنتج أن الشيخ محمد باي بلعالم كان يولي الاهتمام للتّصريع في مطالع مرثياته،لأدراكه لقيمه الفنيّة والجماليّة والدّلاليّة،التي تحيط به،لذا كان وروده في مطالع المرثيات أمراً مهماً بالنسبة له.ومن تلك المطالع، نذكر الأبيات التّاليّة:

-مطلع((مرثيّة محمّد باي بلعالم بن عبد القادر بلعالم لشيخه العلّامة السّيد مولايّ أحمد الطّاهر الإدريسيّ))، يقول فيها محمد باي:

حَدَثٌ أَلِيْمٌ جَاءَ بِالْحَسَرَاتِ وَالــدَّمُ مِنْهُ فِــي الْعَبَرَاتِ[1]

حرف التّصريع المكرر في هذا البيت الشعري،هو حرف التاء المبسوطة(الحسرات/العبرات)،ومن صفاتها،أنّها:شديدة ومهموسة ومستفلة ومنفتحة.

-مطلع مرثيّته((الشّيخ السّيد الحاج محمّد الزّاوي في ذمّة الله))، يقول فيها محمّد باي:

مُــصِيْبَةٌ نَزَلَتْ أَنْسَتْنَا مَا سَبَـقَا وَالْقَلْبُ مِنْ وَقْعِهَا قَدْ ذَابَ وَاحْتَرَقَا[2]

حرف التّصريع المكرر في هذا البيت الشّعريّ،هو حرف القاف المشبعة (سبقا/احترقا)،ومن صفاتها،أنّها:شديدة ومجهورة ومستعلية ومنفتحة ومقلقلة.

-مطلع مرثيّته((الشَّيْخ السّيد الحاج عبد القادر بكراويّ في ذمّة الله))، يقول فيها محمّد باي:

فَــارَقَ الْحَيَاةَ صَدِيْقُنَا الْمُكْرَّمُ وَغَــدَا لِــدَارِ الْـخُلدِ فِيْهَا يُكْرِمُ[3]

1- من عمل الطّالب.

1-محمّد باي بلعالم، الرّحلة العليّة،مصدر سابق،ج2،ص347

2-محمّد باي بلعالم، الشّيخ السّيد الحاج محمّد الزّاوي في ذمّة الله، مصدر سابق،ص1.

3-محمّد باي بلعالم، الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراويّ في ذمّة الله، مصدر سابق،ص1

حرف التّصريع المكرر في هذا البيت الشّعريّ،هو حرف الميم(المكرّم/يكرم)،صفاتها:الجهر والتّوسط والانفتاح والاستفال والغنّة والإذلاق.

يتضح للقارئ من خلال ما تقدم،بأنّ الشّيخ محمّد باي بلعالم كان يختار حروف مطالع مرثيّاته اختياراً، لذا جاءت تلك الحروف متناسقة مع سياقات تعابيره،ومعاني ألفاظه،مما أضف على مرثيّاته شيئاً من الحُسْنِ والجمال الفنّي والإبداعيّ فضلاً عن الجمال الأسلوبيّ والدّلاليّ.

تبد قضية التّصريع في مرثيّات الإعلام الثّلاثة(محمّد العيد آل خليفة،أحمد سحنون،ومحمّد باي بلعالم)ظاهرة حاضرة وبشكل لافت،يعود ذلك إلى معرفتهم بآثارها الأسلوبية المتنوعة،مما جعل اهتمامهم بها كان كبيراً جدّاً،إذا ساهم توظيف التّصريع في مطالع المرثيّات،إلى تحسين موسيقى القصائد،وضبط إيقاعاتها الشعرية،من جهة،وإلى تأكيد المعاني من جهة أخرى.

2- التّقابل على المستوى المعجميّ:

يعد التّقابل من القضايا ذات الاهتمام البليغ في الدّراسات الأسلوبيّة،باعتباره يشكل جزء أساسيّا في أداء الأسلوب والمعاني والدلالة، إذ لا يمكن للمؤلف إغفاله،ولا الاستغناء عنه.

يعرف التّقابل في الاصطلاح بأنّه:"تناظر يقوم على كمون صدق قضية،في تعبيرها عن الواقع"[1].هذا المفهوم يشمل كل أنواع التّقابلات، أمّا التّقابل المعجميّ، فتعرفه زهرة الإوركيد،بالقول: "التّقابل المعجميّ هو وجه من أوجه التّوازي الأثيرة لدى الشّعراء قديماً وحديثاً، ويعود ذلك إلى فعاليّة التّقابل في إنتاج الدّلالة من ناحية،وفي تقسيم الكلام إلى وحدات متناظرة يسهل فهمها،وترتيبها في الذّهن من ناحية أخرى"[2].

وفي هذين التعريفين تأكيد على أهمية التّقابل في بناء الأساليب المختلفة المشكّلة النّصوص،ومن ثمّة بات بحثها مهم لمعرفة الخصائص الأسلوبيّة وسماتها الفنيّة لمؤلف ما.

وفي السّياق نحبث سويا مواطن التّقابل المعجميّ في المراثيّ المدروسة،لمعرفة صور تعامل الشعراء الثّلاثة من التّقابل، في نصوصهم:

2-1- عند محمّد العيد آل خليفة:

1- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة،دار الكتاب اللّبناني،ط1،بيروت-لبنان،1405هـ-1985م،ص173.

2- زهرة الإوركيد،دراسات في النّقد الأدبيّ الحديث،الجزء الرّابع،أرشيف:أدباء وشعراء ومطبوعات،منتديات ستار تايمز، https://www.startimes.com/f.aspx?mode=f&print=true&t=22241587&src،أطلع عليه بتاريخ :31 /2023/08م،السّاعة:12:40مساءا.

يحاول الشّاعر محمّد العيد آل خليفة ككل شاعر،بذل ما أمكنه بذله من الأساليب والتّراكيب، الموشحة بالمفردات،والألفاظ الدّالة،وليس غريب أنْ تأتي جلّ مرثيّاته مزيّنة بالتّقابل في مفرداتها المعجميّة،خصوصاً إذا علمنا أنّه أفرد في مجال تأملاته الفلسفيّة والأدبيّة،قصيدة حملت عنواناً يشير إلى اجتماع المتناقضات في الحياة،بشكل صريح دون تلميح،والعنوان هو((اقتران الأضداد))،يقول فيها بخصوص هذا الشّأن:

وَكَيْفَ تُمَـيِّزُ الشَّيْءَ إِلَّا بِضِـدِّهِ لِـذَاكَ تَـرَى الـضِّدَانِ يَـقْتَـرِنَانِ
تَـأْمَلْ تَـرَ الْأَضْدَادَ فِـي كُلِّ كَائِنٍ فَـكَمْ مِنْ قِبَاحٍ قُورِنَتْ بِحِسَانِ
يُشَاهِدُهَا الْإِنْسَانَ فِي كُلِّ حَادِثٍ وَفِـي كُلِّ مَرْئِـى بِكُلِّ مَـكَانِ[1]

فهو يرى محمّد العيد آل خليفة بأنّ الشّيء يميز بضده، فأقترنهما أمر طبيعيّ،بل يدعو للتّأمل في كلّ شيء فالاستنتاج بعد التّأمل تجد جلّ الأشياء مقرونة بأضادها،كاجتماع الأشياء القبيحة مع الأشياء الحسنة مثلاً،وذلك ما يشاهده المرء في الإحداث والمرئيّات في كلّ مكان.

لم يكتف بهذه الرّؤية في الاقتران،بل يقول:

فَسَلِّمْ لِمَنْ أَجْرَى-كَمَا شَاءَ-سُنَّةً بِـدِيْعةً ضـع مِنْ قَدِيْـمِ زَمَـانِ[2]

فالتّضاد وتقابل الأشياء المتناقضة،ووجوده في كلّ الأشياء يراه سنة إلهيّة،جعلها الله سبحانه وتعالى في الكون كلّه،للدّلالة على بديع صنعه،وهو موجود فيه منذ الأزل.

يمكن للقارئ الوقوف على ظاهرة التّقابل المعجميّ في مرثيّات الشّاعر محمّد العيد آل خليفة، عند تصفح الدّيوان،والقراءة الفاحصة لما ورد فيها من أشعار وهي كثيرة جداً،نكتفي بانتخاب مرثيّته المعنونة بعنوان((يا دار))،لتكون نموذجاً شعريّاً يمكنه تقديم لمحة موجزة عن توظيف محمّد العيد للتّقابل في شعره.

قصيدة ((يا دار)) من إحدى مرثيّات محمّد العيد آل خليفة،والمنضويّة تحت نوع رثاء النّفس، جاءت في الصّفحات(من07إلى09)،من الدّيوان،احتوت على(36 ستة وثلاثين بيتاً)، حملت((يا دار)) في صبغة أسلوب النّداء،ومكون من "يا" النّداء، والمنادي"دار" ونكرة مقصودة،يعني بها دار الدّنيا،اختزل هذا العنوان تحته معاني كثيرة جداً،ملخصها تقديم وصف عن الدّنيا والتي تتصف

1-محمّد العيد آل خليفة،الدّيوان،ص62.

2-المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

بالتّناقض،وعدم الثّبات على حال معينة،بل جمعت بين كلّ الأضداد، وهذا ما خاطب به الدّار مناديّاً في مطلع المرثيّة،قائلاً:

بَـيْضٌ وَسُوْدٌ وَأَخْيَارٌ وَأَشْــرَارٌ كَمْ تَحْتَوِيْنَ عَلَى الأَضْدَادِ يَا دَارُ[1]

في هذا المطلع يبين الشاعر بأنّ ضدين(بيض هو سود)،وأنّ ضدّ(أخيار هو أشرار) سائلاً متعجباً في حال هذه الدّار التي تجمع الكير من الأضداد،بل أصبح اقتران الأضداد فيها سنّة إلهيّة، تدل على بدائع صنع الله في الكون،ومما أورده من التّقابلات الثّنائيّات الضّديّة بهذه المرثيّة نجد:

المفردة	ضدّها	المفردة	ضدّها	المفردة	ضدّها
بيض	سود	إقلال	إكثار	النجم مرتفع	النجم منهار
أخيار	أشرار	الليل	الصبح	شتاتا	يجمعها
العرش	الفرش	نعسان	مستيقظ	آكام	أودية
خير	شرّ	الماء	النار	البحر	البر
المسك	القار	الحصا	اللآلئ	هاد	مستريب
يرشدني	محتار	أعمى	تبصرة	أرغفة	أطمار
خفض	رفع	حصور	زوجا	إقبال	إدبار
ألمّ	التأم	أنجاد	أغوار	أسماع	أبصار
مرتفع	مدرار	أجاد	لم يصخ	عجاف	إيثار
الغريب	أنصار	جواري	بارح	رحمان	قهار

(**الجدول قم 13: المفردات وأضدادها في مرثيّة "يا دار"**)[2]

يقدّم هذا الجدول مجموعة لابأس بها من المفردات المتقابلة،وظّفها محمّد العيد آل خليفة في مرثيّته ((يا دار))، شملت جملة من مجالات متنوعة في الحياة متنوعة مثل:

- عالم الإلهيّات، كتقابل:(رحمان/قهّار).
- عالم الأحداث، كتقابل:(بيض/سود، خير/شرّ،إقلال/إكثار).
- عالم الفلك ومتعلقاته، كتقابل:(اللّيل/الصّبح، النّجم مرتفع/النّجم منهار، شتاتا/يجمعها).
- عالم الأرض ومتعلقاته، كتقابل:(الماء/النّار،البحر/البر،الحصا/اللآلئ،آكام/أوديّة،أنجاد[3]/أغوار[4]).

1- محمّد العيد آل خليفة،الدّيوان،ص62.

2 - من عمل الطّالب.

3- أنجاد:مفردها نَجْدٌ، والنَّجْدُ:ما غَلُظَ من الأرض وأَشرَفَ وارتَفَعَ واستَوى.

4-أغوار:مفردها غوْرٌ،والغور: كلُّ مُنْخفِض من الأرض.

- عالم الإنسان ومتعلقاته، كتقابل:(العرش/الفرش،نعسان/مستيقظ،هاد/مستريب،يرشدني/محتار، أعمى/تبصرة،إقبال/إدبار،أرغفة/أطمار،ألـمّ/ألتأم،خفض/رفع،حصوراً/زوجاً،أ لمّ/الْتام،أسماع/أبصار، الغريب/أنصار،جواري/بارح،مرتفع/مدرار، أخيار/وأشرار).
- عالم الحيوان ومتعلقاته،كتقابل:(عجاف/إيثار،أجاد/ لم يصخ).

يظهر هذا العرض،توظيف الشّاعر محمّد العيد الكبير للمفردات وأضدادها،في عوالم الحياة الفسيحة والمختلفة،وفي ذلك رسالة مفادها،أن هذا الكون الفسيح،تحكمه علاقات الأشياء المتقابلة فيما بينها،وفي وجود هذا التّقابل والتّضاد،سرّ خطير،في ظلّه تستمرّ الحياة.وتجدر الإشارة في السياق ذاته،أن أغلب التقابلات الواردة في المرثية،جاء في صيغة التنكير[1] للدّلالة على الكثرة،وفي تنكيرها وجه من وجوه شعرية القصيدة.

إنّ وجود التّقابل في هذا النّص،أوفي غيره من النّصوص،ومواطنه في الدّيوان كثيرة جدّاً،أمر حتميّ،تفرضها معطيات كثيرة،من أهمها:متطلبات الفنّ الأسلوبية الشّكليّة والضّمنيّة من جهة، وواقعيّة الوجود وفلسفياته القائمة التّضاد من جهة ثانيّة،وسرديّة الحياة وإلزاميّة المدافعة من جهة ثالثة.

2-2- عند أحمد سحنون:

يمكن بحث التّقابل المعجمي عند أحمد سحنون، من خلال مرثيته المعنونة بـ"لسنا سواء"،والتي توحي للقارئ بوجود التقابل من خلال العنونة.

القصيدة جاءت في الجزء الثّانيّ من الدّيوان،وتقع في الصفحتين(266-267)منه،احتوت على (20 عشرين بيتاً)،نظمها الشّاعر سحنون، بمناسبة وفاة والدة الإخوة"سعادة"رحمه الله،بتاريخ:8صفر 1407للهجرة 12 أكتوبر1986م[2].ضمت هذه القصيدة بين أبياتها مجموعة من التّقابلات، جاءت في صورتين،الأولى تقابل بالمفردات، أمّا الثّانيّة ففيها التقابل بالعبارات، ويمكن التعرف على ذلك بالاطلاع على الجدولين التّالين:

المفردة	ضدّها		المفردة	ضدّها
الرّجال	النّساء		موتى	أحياء
واحد	ألف		ألوفاً	هباء

1- التّنكير ضدّ التّعريف بمختلف صوره، وتكمل شعرية التّنكير في كونه:"يكسب العبارة حسنا،وروعة ولطف موقع لا يُقادر قدره وتجدك تعدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما"،ينظر:أحمد مطلوب،في المصطلح النّقدّي،مرجع سابق،ص145.

2 -أحمد سحنون،الدّيوان،ج2،مصدر سابق،ص267.

كراماً	لئاماً		أسخياء	بخلاء
صباحاً	مساء		حيارى	أهْدَاء
الهناء	عناء			

(**الجدول قم 14: المفردات وأضدادها في مرثية "لسنا سواء"**)[1]

بعد قراءة هذا الجدول،نجد توظيف أحمد سحنون للتقابل المعجمي المفرداتي،حيث أورد أغلب لمفرداته في صيغة التنكير، ليطرق في ذهن المتلقي، بأنّ هذه دلالات هذه المفردات توحي إلى كثيرتها في واقع الناس المعيش،نحو(كراماً/لئاماً- موتى/أحياء- أسخياء/بخلاء-حيارى/أهْدَاء-صباحا/ مساء- ألوف/هباء) بالصّرف النّظر عما لا يحتمل التّعدد كمفردتي (واحد)،و(عناء).

العبارة	ضدّها		العبارة	ضدّها
ليس الرجال سواء	ولا النساء سواء		استقاموا	لم يستقيموا
مدعين لعلم	لا يحسنون الهجاء		رأنا بناة	لا يتقنون البناء
مدعين لعلم	لا يعرفون		بـهن الهناء	صار عناء

(**الجدول قم 15: العبارات وأضدادها في مرثية "لسنا سواء"**)[2]

يظهر هذا الجدول التّقابل الحاصل بيت العبارات في مرثيّة ((لسنا سواء))،وأغلبه ورد في صيغتي النّفي أو في الجناس النّاقص،نحو:(استقاموا/لم يستقيموا-مدعين لعلم/لا يعرفون- رأينا بناة/لا يتقنون البناء-مدعين لعلم/لا يعرفون- بـهن الهناء/صار عناء)،ولقد أورد الشّاعر أحمد سحنون هذه العبارات المتقابلة،لتشخيص صوّر التّضاد،والتّناظر القائم في واقع النّاس في ذهن المتلقي،وتـمثّل دلالاته ومعانيه وإدراك مقاصده.

إنّ قلّة المفردات والعبارات المتقابلة في هذه المرثيّة وقد جاءتا في أعداد متقاربة[المفردات(9)، والعبارات (6)]،مقارنة بسابقتها عند محمّد العيد آل خليفة[المفردات(27) والعبارات(03)]، يوحي بعدم عناية الشّاعر أحمد سحنون بهذا النّوع من الأسلوب اللّسانيّ،وذلك يمكن للقارئ معاينته على طول مرثياته في الدّيوان بجزئيه،وما ورد منه، فقد جاء عفويّاً، لم يقصده الشّاعر قصداً في تعابيره،وهذا يفسّر اختلاف أدوات الشّاعرين في الإقناع، ويجعل شعرهما متمايزن من حيث الاستعمال والتّوظيف .

2-3- عند محمّد باي بلعالم:

1 - من عمل الطّالب.

2 - المصدر نفسه.

كما تمّ بحث ودراسة ظاهرة التّقابل عند محمّد العيدآل خليف،وأحمد سحنون،ستتم دراستها- بعون الله- على الموالي ذاته،عند محمّد باي بلعالم، وذلك من خلال انتخاب مرثيته في الشّيخ عبد العزيز سيدا عمر، وهي واحدة من مجموع سبع مرثيات، احتوت على ثلاثة وعشرين بيتاً.

يمكن للدارس الوقوف على المفردات المتقابلة في هذه المرثية، من خلال تأمل الجدول التالي:

المفردة	ضدّها		المفردة	ضدّها
الحلو	مرّاً		الشّباب	الكهول والشيوخ
الضحى	الليل		جسراً	موطناً
الخير	الشّرّ		حيّ	الـممات=الفناء
شمساً	بدراً		بان[1]	كامناً

(**الجدول قم 16**: **العبارات وأضدادها في مرثية "الشيخ عبد العزيز سيدا عمر"**)

يظهر هذا الجدول عدداً مقبولاً من المفردات المتقابلة،نحو التقابلات:(الحلو/مرّاً)،(الخير/الشّر)، (شمس الضحى/ الليل)،(حيّ/الممات)...الخ.

من الملاحظ جدّا بأن توظيف المفردات المتقابلة في هذه المرثية،جاء قليلاً جدّاً مقارنة بسابقيه، ناهيك عن غياب تقابل العبارات الذي لم يحفل به في هذه القصيدة،وهذا ما يَكتشِفُه للباحث،من قللّة اهتمام محمّد باي بظاهرة التّقابل،وعنايته بظواهر أخرى،كظاهرة التّرادف اللّفظي مثلاً، وهذا ما نجده في هذه المرثية ذاتها،نحو:ترادف:(حصناً=محصناً)،(الضياء=السناء)،(عوناً=نافعاً)،(المدح=الثناء)، (الممات=الفناء)،(النعيم= الـمنا[2])،(موجهاً=مبيّاً)،(منزلاً=مسكناً)،(اللقاء=معادنا).

3 – التّماثل في المستوى التّركيبيّ:

يعرف كمال عويد العامريّ التّماثل في معجمه،بالقول:"التّماثل:بالمعنى الدّقيق لكلمة التّماثل، هو انتظام في بناء الجملة التي تسهم في جعل العناصر المتماثلة أو المتشابهة تتوازى وتتجاور في حالة محددة بهذا الشّكل أوذاك"[3].

يعدّ المستوى التّركيبيّ من أهم المستويّات الأسلوبيّة،باعتباره يجمع بين الأجزاء الصّغيرة (الحروف والأصوات)، والأجزاء الكبيرة(الألفاظ والأسانيد المركبة) في العبارات والجمل، المتضافرة في بناء النّص، وفهم العلاقة القائمة بين تلك العناصر،يقدم سنداً قويّاً لفهم دلالات تلك الأجزاء،سواء قيامها على

1- بَانَ: ظَهَرَ، وبَرَزَ وكُشِفَ،واتَضَحَ.

2- تكتب في الأصل بالألف المقصور(المنى)، لكّنّ كتبت هنا للضّرورة الشّعريّة.

3 – كمال عويد العامريّ،معجم النّقد الأدبيّ،دار المأمون للتّرجمة والنّشر،ط1،بغداد،العراق،2013م،ص401.

المستوى الأصوات،أوانـدماجها في المستوى التّركيبي،الذي يُسلم الناتج في تراكيب إلى المستوى الدّلاليّ حيث يتصرف كلّ مؤلف يتعامل بحسب ما يمتلكه من أدوات وأساليب،وقدرته على توظيفها،فينتج ما يميّزه عن غيره من المؤلفين،خصوصاً إذا علمنا بأنّ التّراكيب في اللّغة العربيّة كثيرة جدّا، تتنوع بتنوع أنواع الجمل النّحويّة من جهة،وبتنوع الأساليب البلاغية من جهة ثانيّة، مما يجعل النّصوص المنتجة تتمتع بالثّراء الأسلوبيّ، وهذا ما سنكتشفه بخصوص قضية التّماثل في المستوى التركيبيّ،عن الإعلام الثّلاثة:

3-1- عند محمّد العيد آل خليفة:

يمكننا الوقوف على بعض مواطن التّماثل في مرثيات الشّيخ محمّد العيد آل خليفة، باختيار مرثيّته ((الوداع الوداع))،والتي رثى بها محمّد العيد آل خليفة الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر.

جاءت المرثيّة في الصّفحات (من463إلى465)، عدد أبياتها (43) بيتاً،نشرت في العدد(5) من جريدة البصائر 1926م[1].ألفها للتّعبير عن حزنه العميق على وفاة الأمير خالد،وهو أحد الأبطال الجزائريين،الذين ناضلوا وكافحوا عن القضية الجزائريّة في مطلع القرن العشرين بالقلم واللّسان،وقد مات منفياً بعيدا عن مسقط رأسه الجزائر[2].

تنوع فيها الشّاعر محمّد العيد من أساليب من الخبريّة والإنشائيّة،في صور مختلفة،نكتفي بذكر صورتين،كنموذجين لقضية التّماثل على المستوى التّركيبيّ عن محمّد العيد آل خليفة:

-الصّورة الأولى:الفعل +الفاعل(ضمير مستتر)+ المفعول به + نعت(الصّفة).

يورد محمّد العيد هذه الصّورة للإخبار المزين بالوصف،وهو يخبر القارئ سبباً بكائه فيقول:

أَبْكِ الـزَّعِيْمَ الْـمُفَدَّى أَبْكِ الْأَمِيْـرَ الْـمُطَاعَا
أَبْكِ الْكَرِيْـمَ الْمُرَجَّى أَبْكِ الْغَـيُورَ الشُّجَاعَا
أَبْكِ الْجَلِيْلَ مَـزَايَـا أَبْكِ الْـجَمِيْلَ طِبَاعَا[3]

فالأبيات الثّلاثة تماثلت في تركيبها،حيث وردت جملا فعليّة إخباريّة،وتشابه في الاتجاهين:

أ- في الاتجاه الأفقي نرى تماثل الصّدور مع الأعجاز على مستوى البيت الواحد:

(أبكِ الـزّعِيمَ الـمفدَّى /يتماثل/ أبكِ الأميـرَ الـمطاعا).

1-محمّد العيد آل خليفة،الدّيوان،ص419.

2-المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

3- المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

(أَبْكِ الكريــمَ المرجَّى/يتماثل/ أبْكِ الغـيورَ الشّجاعا).

(أَبْكِ الجليلَ مــزايــا/يتماثل/أبْكِ الـجميلَ طـباعـا).

ب- في الاتجاه العموديّ نرى تماثل الصّدور فيما بينها،وتماثل الإعجاز فيما بينها:

الصّدور:(أبكِ الـزّعيمَ الـمفدَّى-أبكِ الكريــمَ المرجَّى-أبكِ الجليلَ مــزايــا).

الأعجاز:(أبكِ الأميـرَ الـمطاعا-أبكِ الغـيورَ الشّجاعا-أبكِ الـجميلَ طـباعا).

ويمكن تحليل الصّورة(الفعل+الفاعل(ضمير مستتر)+المفعول به+النّعت(الصّفة)في الجدول التّالي:

الفعل	الفاعل	المفعول به	النّعت
أبكِ//أبكِ	ضمير مستتر تقدير (أنت)	الزّعيمَ//الأميرَ	المفدى//المطاعا
أبكِ//أبكِ	ضمير مستتر تقدير (أنت)	الكريمَ//الغيورَ	المرجى// الشُّجاعا
أبكِ//أبكِ	ضمير مستتر تقدير (أنت)	الجليلَ//الجميلَ	مزايا/طباعا

(**الجدول قم 17: العبارات وأضدادها في مرثية "لسنا سواء"**)[1]

فمحمّد العيد كان حريصاً في نظم هذه الأبيات الشّعريّة،أن تتكافأ أجزاءها(الأشطر)، وجملها وعناصر تلك الجمل المكوّنة لتلك الأبيات،بحيث لايجد القارئ أدنى خلل في التّركب،ولا ركاكة في الأسلوب،ولا اضطراب في التّعبير،فجاءت الأبيات متماثلة تماثلاً كليّاً:سواء في المبنى،وفي أداء المعنى يؤدي ماعليه من الدّلالات،بحسب السّياقات التي نُظِمَ فيها،والأغراض التي نظمت من أجلها.

-الصّورة الثّانيّة: حرف التّوبيخ + فعل +الفاعل(ضمير متصل)+مفعول به.

تظهر هذه الصّورة في قوله الشّاعر محمّد العيد آل خليفة،في قوله:

هَـلَّا اصْطَنَعْتِ جَمِيْلاً لَـدَى الْجَمِيْلُ اصْطَنَاعَا

هَـلَّا ذَكَرْتِ كَـفَاحـاً فِيْـكِ الْأَذَى وَالـنِّزَاعَـا[2]

تظهر في هذين البيتين صورة التّماثل القائمة في بين صدر البيت الأول،وصدر البيت الثِاني،في قوله:(هَلَّا اصطـنعتِ جميلاً//هَـلَّا ذكرتِ كـفاحاً).و يمكن تحليلها في الجدول التَّاليّ:

حرف التوبيخ	الفعل	الفاعل	المفعول به
هَـلَّا	اِصْطَنَعْـ	(تِ)ضمير متصل	جَـمِيْلاً
هَـلَّا	ذَكَـرْ	(تِ)ضمير متصل	كِـفَاحاً

(**الجدول قم18: تماثل صدر البيت الأول وصدر البيت الثّاني**)[1]

1- من عمل الطّالب.

2- محمّد العيد آل خليفة،الدّيوان المصدر السّابق،ص420.

1- من عمل الطّالب.

يتضح جليّا من خلال هذا الجدول،التّماثل والتّشابه القائم بين المستوى التّركيبيّ لصدر البيت الأول،والمستوى التّركيبيّ لصدر البيت الثّانيّ،فكلّ مفردة فيهما،تتماثل مع ما يقابلها، وكلّ موقع منهما،له ما يقابله،فمثلاً:حرف التوبيخ(هلّا//هلّا)،الفعل (اصْطَنَعْ //ذَكَرْ) وكلاهما جاء فعلاً ماض للدّلالة على التّوبيخ،وهكذا.

3-2- عند أحمد سحنون:

من خلال القراءة التّأمليّة في مرثيّة الشّاعر أحمد سحنون المعنونة بـ((روح باديس))،ألقاها في الذّكرى الثّانيّة لوفاة الشّيخ عبد الحميد بن باديس،جاءت في الصّفحات(من246إلى 248) من الجزء الأول من الديوان،ضمت (48)بيتاً،جدد فيها أحمد سحنون حزنه على فقدان الإمام بن باديس، ذاكراً مناقبه وخصاله،مستذكراً ذكرياته،وأنشطته، وحركته الدؤوبة،وعمله المتواصل على المتداد ساعات اليوم،من الصباح حتى المساء،سعياً تعليم الناس،وتثقيفهم، وتنشئة الجيل وتوعيته،ويمكن معاينة قضية التّماثل في الصّورتين التّاليتين،من باب تقديم النّموذج:

-الصّورة الأولى:فعل + الفاعل (مصدر مؤول)+المفعول به+ الفاعل.

يختار الشّاعر أحمد سحنون لمعانيه،ما يراه مناسباً من الأساليب والتّراكيب القادرة على ترجمة خواطره، والبوح عن أحواله النّفسيّة،وهو يعبّرعن مشاعره،وعواطفه الجيّاشة،رغبة في التّأثير على المتلقي لشعره،ومما يوظّفُه من التّراكيب،الجمل المركبة، الحاملة لمشاعر الشّاعر، المتفاعلة مع الأحداث المعاشة أوالمتخيّلة،الغاية القصوى التوثيق للتجربة الشّعريّة الشّخصية الخاصّة بصاحب النّصّ المدروس،ومن إحدى صوّرها، أن يرد التّركيب كما يلي: فعل+ الفاعل (مصدر مؤول)+ المفعول به+ الفاعل.

هذه الصّورة يمكن أن يلفيها القارئ في مطلع مرثيّة((روح باديس))،والتي قال فيها سحنون:

آنَ أنْ يـهجرَ الْكَرَى الْأَحْرَارُ وَيَـثُورُواْ لِـحَقِّهِمْ وَيَـغَـارُواْ

آنَ أنْ تُكَسّـِرَ الْقُيُودَ بِـلَادٌ! ذُلَّ فِـيْهَا إبْنُهَا وَعَـزَّ الْـجَارُ[1]

عند قراءة البيتين والتّأمل في صدريهما، وهما(آنَ أنْ يـهجرَ الْكَرَى الْأَحْرَارُ - آنَ أنْ تُكَسّـِرَ الْقُيُودَ بِـلَادٌ!) يكتشف القارئ تماثلاً في مستوى تركيبهما،يقدّمه الشّاعر أحمد سحنون في صورة جملة مركبة (فعل+ الفاعل (مصدر مؤول)+ المفعول به+ الفاعل)، وهي صورة يمكن لكلّ قارئ معاينتها، والوقوف عليها، تماثلت فيها مفردات،وعناصر تركيبها الصّدرين، بحيث يمكن تحليلها في الجدول التّالي:

1-أحمد سحنون،الدّيوان، مصدر سابق،ج1،ص246.

الفعل	الفاعل(مصدر مؤول)		المفعول به	الفاعل
	أن (المصدرية)	الفعل		
آنَ	أنْ	يَـهْــجُـرَ	الْكَـرَى	الْأَحْرَارُ
آن	أنْ	تُـكَسِّـــرَ	الْقُـيُودَ	بلادٌ

(**الجدول قم 19: تماثل صدر البيت الأول مع صدر البيت الثاني**)[1]

يبرز الجدول تماثل عناصر التركيب صدر البيتين الشعريين ،بحيث تماثل الفعل بالفعل(آن// آن)،والتّماثل الفاعل بالفاعل والذي جاء في شكل(مصدر مؤول)،رُكِّبَ من[أن المصدرية+الفعل]= (أن يَهْجُـرَ//أنْ تَكَسَّـرَ)،وتـماثل المفعول به (الْكَـرَى// القيودَ)،وأخيراً تماثل الفاعل المؤخر بانظيره (الأحرارُ// بلادٌ)،تقدّم هذه الصوّرة التركيبة التي يوّظفها أحمد سحنون في أشعره، قد تكثر أو تقِلُّ، بالمقارنة بغيرها من الصّور فـي مرثياته خصوصاً،أو بغيرها من قصائد الدّيوان عموماً.

-الصّورة الثّانيّة:حرف الاستفهام + (جملة فعلية)+واو الحال(الجملة الحالية).

يواصل أحمد سحنون في البوح عن مشاعره،وخواطره،إذ يعرضها بالتّركيب الذي يراه مناسباً وفي زمان اللائق بها،لترجم بصدق أحاسيسه،وتكشف عن مكبوتاته،بصورة تخضع للحالة الشّعوريّة من ناحية،ولمتطلبات الكتابة الشّعريّة من ناحيّة أخرى، وفي البيتين الشّعريين التّاليين:

كَيْفِ يَنْسَى شَعْبُ الْـجَزَائِرِ بَادِيْسَ وَبَادِيْسُ نَجْمُهُ السَّيِّارُ؟

كَيْفِ يَنْسَى شَعْبُ الْـجَزَائِرِ بَادِيْسَ وَبِادْيسُ سَيْفُهُ الْبَتَّارُ؟[2]

يقف القارئ للبيتين على ما دل على التّماثل فيهما، والذي بلغ إلى حد التّطابق بسبب تكرار جلّ مفرداتهما،في الاتجاهين العمودي والأفقي معاً،حيث يمكن تحليلهما في الجدول الموالي:

حرف الاستفهام	الجملة الفعليّة			واو الحال	الجملة الحالية(جملة أسمية)		
	الفعل	الفاعل	المفعول بـــه		المبتدأ1	الخبر م1(ج أ)	
						مبتدأ2	خبر م2
كَيْفَ	يَنْسَى	شعبُ الجزائرِ	باديسَ	و	باديسُ	نجمُهُ	السّيّارُ؟
كَيْفَ	يَنْسَى	شعبُ الجزائرِ	باديسَ	و	باديسُ	سيفُهُ	البتّارُ؟

(**الجدول قم 20: تماثل البيتين على مستوى الصّدر والعجز**)[1]

1- من عمل الطّالب.

2- أحمد سحنون،الدّيوان، مصدر سابق،ج1،ص246.

1 -من عمل الطّالب.

يقدّم هذا الجدول صورة واضحة عن التّماثل الحاصل بين تراكيب البيت الأول وتراكيب البيت الثاني،فتماثلت معظم تعابيرهما على المستوى التركيبي،إلى حدّ التطابق والتكرار،مكوّنة أسلوباً أبشائيّاً، تمثل في أسلوب الاستفهام، رُكِّبَ من جملتين:الأولى فعلية،والثّانية حاليّة.

ومن المفردات التّماثلة في هذه الصّورة،نجد:

حرف الاستفهام(كيف//كيف)،الفعل(ينسى//ينسى)،الفاعل(شَعْبُ الجزائرِ)،المفعول به (باريسَ//باديسَ)،وبعد هذه الجملة،تقع الجملة الحاليّة المركبة من واوالحال وهو متماثل(و//و)، والجملة الاسميّة المشكلة من:المبتدأ(بن باديسُ //بن باديسُ)،وخبره الذي جاء في صورة جملة اسميّة، المبتدأ:فيها هو(نجمُهُ /يتماثل مع/ سيفُهُ)،وخبره هو(السّيّار /يتماثل مع/ البتّار).

إنّ التّماثل بهذا الشّكل والذي يصوّر حالة من الحالات الاسلوبيّة بين هذه التّراكيب،يبيّن مدى اهتمام الشّاعر أحمد سحنون،وحرصه على تأكيد معانيه،وترسيخه في ذهن المتلّقيّ،ووروده في القصيدة استلزمته الحالة النّفسيّة للشّاعر،للتعبير بصدق عن شعوره لحظات نظم هذه القصيدة.

3-3- عند محمّد باي بلعالم:

كما بحثت قضيّة التّماثل عند محمّد العيد آل خليفة،وأحمد سحنون،يمكن بحثها عند محمّد باي بلعالم،من خلال معاينة مرثيّته في الشّيخ محمّد بلكبير،المحتوية على (24)بيتاً،ألفها بمناسبة وفاة الشّيح محمّد بلكبير في 15 سبتمبر2000م، تنوعت تراكيبها الأسلوبية،واختلفت صور ورودها،حيث يمكن تقييد قضية التماثل عنده في الصّورتين التّاليتين:

-الصّورة الأولى:حرف العطف + شبه الجملة(جار والمجرور)+(الجملة الفعليّة).

هذه الصورة تظهر في صدور الأبيات الأربعة التّالية:

وَمِنْ أَنْـوارِهِ ابـَثَقَ الضِّـيـَاءُ فـَزَالَ بـِنُورِهِ حَلَكُ الظَّلَامِ

وَمِنْ أفْكَارِهِ انْبـَطَقَتْ فُهُـوْمٌ بِهَا تُشْفَى الْبَرِيَّةُ مِنَ سِقَامِ

وَمِنْ سَخَائِهَ فَاضَ الْـعَطَـاءُ بِهِ انْتشَلَ الْفَقِيرَ مِنْ الآلامِ

ومِـنْ عُـلُومِهِ انْتَشَرَتْ عُـلُومٌ فَكَمْ لِلْعِلْمِ عَنْهُ مِنْ زِحَامِ[1]

يتميز محمّد باي بلعالم في صناعة تراكيبه المتماثلة،حيث تطلعنا صياغة صدور الأربعة، على تماثل يصيل إلى التّماثل في نوع المفردات،فضلا عن التّماثل في الأوزان والمواقع الإعراب،هناك تماثل مشترك،تـماثل في مجيء على صدور الأبيات كلّها في الصّورة المراد تحليلها،وتماثل آخر جاء على

1-محمّد باي بلعالم،الرّحلة العلية،مصدر سابق، ج1، ص367

مستوى صياغة صّدور الأبيات،مثّله تماثل الوزن اللّفظيّ للمفردات،وذلك ما حصل بين صدر البيت الأول،وصدر البيت الثّالث،وبين صدر البيت الثّاني،وصدر البيت الرّابع.

يمكن عرض الصّورة التّفصيليّة في البيانات التّحليليّة في الجدول التّالي:

رقم البيت	حرف العطف	شبه الجملة		الجملة الفعليّة		
		الجار	المجرور	الفعل		الفاعل
الأول	وَ	مِنْ	أنوارُهُ	انبَثَقَ	مسند لضمير	الضَّيَاءُ
الثالث	وَ	مِنْ	سخائُهُ	فاَضَ	المفرد المذكر (هو)	الْعَطَاءُ
الثاني	وَ	مِنْ	أفكارُهُ	انْطَلَقَ	(تْ) تاء التأنيث الساكنة	فُهُومٌ
الرابع	وَ	مِنْ	علومه	انتَشَرَ	(تْ) تاء التأنيث الساكنة	عُلُومٌ

(**الجدول قم 21**: **تماثل أربع صدور**)[1]

من خلال البيانات المجدولة،يمكن تحديد مواطن التّماثل الواردة في الأبيات الأربعة،والموضحة للصّورة التّركيبيّة:[حرف العطف+شبه الجملة(جار والمجرور)+(الجملة الفعليّة)].تماثلت في هذه الصّورة عناصر تركيب صدور الأبيات الأربعة،يمكن معاينته بشكل دقيق فيما يلي:

تماثل البيت الأول والثالث في:حرف العطف(و//و)،وفي شيبه الجملة:الجار(من//من)+ المجرور (أنوار+(ه)الضمير المتصل//سخائـ+(ه)الضمير المتصل)،كما أنّهما تماثلا في عناصر الجملة الفعليّة: الفعـل(انبثق//فاض)،حيث أسند كلّ منهما للمفرد المذكر(هو)+الفاعل(الضِّياءُ//العَطَاءُ)، وجاءكلّ الفاعلين معرفة مفرداً مذكراً .

أمّا البيت الثّاني والرّابع فقد تماثلاً في:حرف العطف(و//و)،وفي شبه الجملة:الجار(من//من)+ المجرور(أفكار+(ه)الضمير المتصل//علوم+(ه)الضمير المتصل)،وتماثلا في عناصر الجملة الفعليّة:الفعل (انطلقتً//انبطقت)،حيث اتصلت كلّ منهما به تاء التّأنيث السّاكنة+الفاعل(فُهُومٌ//عُلُومٌ)، وجاء كلّ من الفاعلين نكرة جمعاً مذكّراً.

–الصّورة الثّانيّة:الفاء العاطفة +(جملة فعلية)+(شبه الجملة).

ركّب محمّد باي بلعالم بعض أساليبه التّعبيريّة في تركيب آخر مخالف للتّركيب السّابق ومعاكس له،صورته:**[**الفاء العاطفة +(جملة فعلية)+(شبه الجملة)].تقع في عجزي البيتين الشّعريين التّاليين:

وَيَـوْمَ عَلَـوْتَ مِنْـبرَ الْعُلُـومِ فَنِلْتَ الْفَوْزَ فِي أَعْلَى مُقَامِ

1 – من عمل الطّالب.

وَيَـوْمَ نَـادَاكَ رَبٌّ لِلْجِوَارِ فَـلَبَيْـتَ الـنِّدَاءَ بِـاحْتِـرَامِ[1]

بقصر النّظر على جزعي البيتين،سيرصد القارئ صورة التّماثل الحاصلة في تركيبهما،وهي الصّورة المبيّنة سلفاً،ويمكن عرضها بشكل مفصّل، في الجدول الآتي:

الفاء العاطفة	الجملة الفعلية			شبه الجملة	
	الفعل	الفاعل	المفعول به	الجار	المجرور
فَـــ	نِـلْـــ	(تَ) ضمير متصل	الْـفَـــوْزَ	فـي	أعلى مقام
فَـــ	لَبَّـــيْـــ	(تَ) ضمير متصل	الـنِّـــدَاءَ	(الباء)بـِ	احـــتـــرام

(**الجدول قم 22: تماثل عجزين شعريين**)[2]

تبيّن معطيات هذا الجدول تفاصيل الصّورة المقصودة بالشرح،حيث يظهر تماثل أجزاء تركيبها بوضوح،فقد تماثلت فيه الفاء العاطفة(فَـ //فَـ)،وعناصر الجملة الفعليّة:الفعل(نِـلْـ// لبِّيْـ)، والفاعل (تَ//تَ)،وهو ضمير متصل يعود على المفرد المخاطب المذكر،وتماثل فيها المفعول به(الفَوْزَ// النِّدَاءَ).

كما تماثلت في هذه الصورة عناصر شبه الجملة،على النحو التالي:تماثل حرف الجرّ(في// الباء)، وتماثل المجرور(أعلى مقام//احترام)، وبهذا تكتمل كلّ أجزاء الصّورة التماثلية،ويستنتج الباحث بأن التّماثل في هذا الموطن عند محمّد باي بلعالم، اختلف عما عرفناه عند محمّد العيد آل خليفة، وأحمد سحنون،بورد التماثل في صدور الأبيات في الكثير من المواطن،بينما ورد عنده في أعجاز الأبيات في هذا الموطن المدروس.

4- الانزياح في المستوى الدّلالي:

اهتمت الدراسات النقدية والأدبية الحديثة بظاهرة "الانزياح"،باعتباره قضية أساسية في تشكل جماليات النّصوص الأدبيّة،وبوصفه-أيضا-حدثاً لغويّاً في تشكيل الكلام وصياغته،والانزياح هو خروج الكلام عن نسقه المثالي المألوف،أو هو خروج عن المعيار لغرض قَصَد إليه المتكلّم،أوجاء عفو الخاطر، لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة[1].

1-محمّد باي بلعالم،الرّحلة العليّة،مرجع سابق، ج1، ص368.

2- من عمل الطّالب.

1 -أحمد غالب الخرشة،أسلوبيّة الانزياح في النّصّ القرآنيّ،الأكاديميون للنّشر والتّوزيع،ط1،عمان-الأردن،1435هـ-2014م، ص13.

ويعرف أحمد محمد ويس الانزياح بقوله:"هو استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب ورموزاً استعمالاً يخرج بها عما هو معتاد ومألوف،بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتّصف به من تفرّد وإبداع، وقوّة وجذب وأسر"[1].

أما جون كوهين فيرى الانزياح:"خرق لقانون اللّغة،أي انزياح لغوي يمكن ندعوه،كما تدعوه البلاغة القديمة((صور بلاغيّة))،وهو حده الذي يزود الشعرية بموضوعها الحقيقي"[2].

من هذا كان منطلق اهتمام الأسلوبين بدراسة الانزياح،فبحثوا أنواعه،وأشكاله،وتأثيراته البليغة في أداء المعنى،وانعكاساته الدّلالية على دلالات الألفاظ،وتراكيب العبارات والجمل، ومحتويات النّصوص.

ولما كان للانزياح أنواع،سنقتصر البحث على نوع وحد فقط،إنه الانزياح الدّلاليّ،والذي يعني "الانتقال من المعنى الأساسي أو المعجمي للفظة إلى المعنى السّياقيّ الذي تأخذه الكلمة حينما توضع في سياق معين تحد معنى الجملة بأكملها،حيث تنزاح الدّوال عن مدلولاتها،فتختفي الدّوال المألوفة للألفاظ لتحمل مكانها دلالات جديدة غير معهودة،يسعى إليها المتكلم"[3].

3-3- عند محمّد العيد آل خليفة:

إنّ الوقوف على كلّ صوّر الانزياحات الدّلاليّة في مرثيّات محمّد العيدآل خليقة،أمر مجهد جدّاً، باعتبارها نصوصاً تتميز بالطول بعض الشّيء في أغلبها،عبّر فيها الشاعر محمّد العيد بصدق عن كلّ مكبوتاته التي شعربها أثناء معايشته للأوقات التي تزامنت مع أخبار النعي أوالفراق،والتوديع أوالتشييع أوإلقاءالتعازي،وسنحت له الفرص بالبوح عما شعر به اتجاه المفقودين والراحلين وهم كثيرون جدّا في ديوانه.

لكّنّ سيتم الوقوف على أهمّ الحقول الدّلاليّة الواردة في مرثيته للشّيخ البشير الإبراهيميّ،المعنونة بـ((أبت النّفس أن تراك عديما))[1]،وهي قصيدة ألقاها في حفل تشييعه للإمام البشير بمقبر((سيدي أمحمّد)) بالجزائر العاصمة يوم الجمعة20صفر1385هـ -21 ماي 1965م[2].

1-أحمد محمّد ويس،الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة، مجد المؤسسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع،ط1، بيروت-عمان،1426هـ-2005م،ص7.

2-جون كوهين، بنية اللغة الشعرية،مرجع سابق،ص42.

3-أحمد غالب الخرشة،أسلوبية الانزياح في النص القرآني،مرجع سابق، ص53.

1-محمّد العيد آل خليفة، الديوان،ص488.

2- المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

تحتل هذه المرثيّة الصّفحات(من 488إلى 490)،نظمها محمّد العيد في (43 بيتاً)،عبّر فيها عن حزنه الشّديد على فراق الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي[1]،وذكّر الحاضرين بخصاله ومناقبه،وسائر آثاره. وحمّلها جملة من المعاني،والعواطف الصّادقة،الدّالة على الوفاء والإخلاص في الصّداقة والمحبّة له.

لقد كرّس الشيخ الإبراهيميّ حياته في خدمة دينه ووطنه ولغته،لايدّخر جهداً من أن صون ذلك الثّلاثيّ المقدّس،ويمكن معرفة أهمّ الحقول الواردة في هذه المرثيّة،من خلال الجدول التّاليّ:

عنوان الحقل	الدّال	المدلول	الدّال	المدلول
حقل الأخوة والصداقة	الإخاء	مودّة	الولاء	النصرة
	حميما	صديق	الخليل	المخلص
	ودّاً	حبّ	صديقاً	خليل
	عاطفاً	مشفقاً	الصّديق	الحبيب
حقل الحياة والبقاء	يحي	ينمي	فردوسها	جنتها
	روضاً	حديقة	الرّوح	الحياة
	عشتَ	عمّرتَ	مقيماً	ماكثاً
	تَسْكُنُ	تَقْطُنُ	موطن الكرامة	مستقر الإقامة
	روحها	حياتها	محيطا	عليماً
حقل الموت والفناء	تحطيما	تهديما	قبر	لحدّ
	موت البشير	وفاة البشير	نعشك	محملك
	النعي	خبر الوفاة	القبر	الرّمس
	الموت	الوفاة	راحلا	ذاهبا
حقل الفزع والحزن	فَقْدٌ	ضياع	الفجيعة	البلية
	البلاء	المصيبة	أساهم	حزنهم
	اكتأب	حزن	هدّها	خرّبها
	عزاء	تفريج كربة	كليما	مجروحا
حقل الأخلاق والخصال الحميدة	كريما	سخاء	الحق	الصواب
	مديما	مستمرا	الكرم	الجود
	وقورا	رزيناً	التكريم	التشريف
	كافلا	عائل	عظيما	رفيع المنزلة
	تربي	تثقف	مطمئا	مرتاحاً
	تحضن	تعانق	رحيما	عطوفا
	تُعبّي	تملأ	الكرامة	الشرف
	تحكم	تُدِيْرُ	العهد	الوصية

1-محمّد البشير الإبراهيميّ (1889م-وتوفي 1965م):رائد من رواد النهضة الجزائرية الحديثة،وواحد من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وهو الخليفة الأول بعد وفاة الإمام ابن باديس.

	كمال	تمام	مخلص	صافي الوّد
	كظيما	كتوماً	يرعى	يحافظ
حقل الخصال الذميمة	الجفاء	غلظة الطبع	الذميما	المكروه
	العيب	الوصمة	لئيما	شحيح النّفس
	النّفاق	الخداع	أن يُضام	أن يُـقهر
حقل العلم والمعرفة	((البشير))	الإبراهيمي	بحراً	عالـماً
	العلم	المعرفة	فصحى اللغى	اللغة العربية
	عالـماً	خبيراً	الكتب	المؤلفات
	عليما	خبيرا	التعليما	التدريس
	عقلاً	إدراكاً	المكاتب	المكتباب
	المعارف	العلوم	أعلامها	عظماؤها
	الفنون	المهارات	((الأصمعي))	كتب الأصمعي
	المعاهد	المراكز	((ابن دريد))	كتب ابن دريد
	المجمع الكناني	مجمع اللغة	((الخليل))	كتب الخليل الفراهيدي
	((اللسان))	اللغة	((الكسائي))	كتب الكساء
	منطقا	حكمة	الأديب	المؤلف
	((الصاحب))	كتب ابن فارس	حكيما	عليماً
حقل الطبيعة والأرض والفلك	ترابا	أرضاً	أطوادها	جبالها
	الثرى	التراب	السديم	نجوم بعيدة
	أرض	موطئ القدم	محيطا	عليماً
	أطواد	جبال	السّماء	الفضاء
حقل الإنسان والرّيادة والقيادة	الجسم	البدن	رائدا	مقدّماً
	الروح	النّفس	إماما	قائداً
	القلب	باطن البدن	قائدا	رئيساً
	النفس	الروح	رمزا	علامة
	رئيساً	قائداً	زعيما	سيّداً

(الجدول رقم 23: أهم الحقول الدلالية في مرثية "أبت النفس أن تراك عديماً")[1]

من خلال هذا الجدول رقم (23):سيقف المتلقي على عدد لا بأس به من الحقول الدّلاليّة، كحقل الأخوة والصداقة،وحقل الحياة والبقاء،وحقل الموت والفناء،وحقل الفزع والحزن، وحقل العلم والمعرفة،وغير ذلك من الحقول المذكورة في الجدول،أو التي لم تذكر فيه.

ضمّت تلك الحقول عدداً كبيراً من المفردات،نحو(الإخاء-النّعي-القبر-الأديب-رحيماً-القلب-رائدا...الخ)،انزاحت عن معانيها الأصليّة المعجميّة،ولَبِسَتْ معاني جديدة لمدلولات جديدة،

1- من عمل الطّالب.

عَمَدَ إليها محمّد العيد آل خليفة عمداً،لتقدّم تلك المعاني الجديدة إيحاءات فرضتها السّياقات التّعبيريّة حيث جاءت تلك الانزياحات خادمة للنّص،تسعى لتقديم مستوى من الأداء المعنويّ في ضوء معاني المدلولات الجديدة،وهي مدلولات مفتوحة التّأويل،تتيح المساحة لإسهامات المتلقي التّأويليّة،ووعيه الثّقافيّ،ومقدرته الاستيعابيّة،ليتفرد النّصّ بفضلها عن باقي النّصّوص الشّعريّة المشابهة له في الدّوال ذاتها،ومن ثمّة تحقيق خاصيّة التّميز،وشعريّة الأسلوب.

4-2-عند أحمد سحنون:

يتخير كلّ شاعر ألفاظه لقصائد وأشعره،وفق الضّوابط الشّعريّة،والسّياقات التّعبيريّة،مكيّفاً تجربته مع أحاسيسه ومشاعره النّفسيّة،متأقلماً مع ظروف الأحداث واملاءاتها الواقعيّة،مغتنماً المناسبات كي تكون الأفكار صادقة في معانيها،والألفاظ في مدلولاتها،وذلك ما لايمكن إخفاء،أثناء البوح عن مكنونات الفؤاد،فيوظّف دوال موحيّة بانزياح المعاني لمدلولات عميق المعنى،منتقلة من المعنى المعجميّ السّطحيّ إلى المعنى العميق،يتخيّر الشّاعر الحالة الأولى اختياراً(المستوى المعجميّ)،لبلوغ الحالة الثّانيّة (المستوى الدّلاليّ العميق) وهو يقصدها قصداً.

هذا ما يمكن رصده في مرثية الشّيخ أحمد سحنون،وهو يحرر مرثيته في الشّيخ محمّد البشير الإبراهيميّ،والموسومة((الذكرى الأولى لوفاة الإمام محمّد البشير الإبراهيميّ))[1]،وردت هذه القصيدة من الصّفحة(253) إلى الصّفحة(254) في الجزء الأول من الدّيوان،احتوت على (35)بيتاً.ويمكن رصد أهمّ الحقول الدّلاليّة الواردة في هذه المرثيّة في الجدول التّالي:

عنوان الحقل	الدّال	المدلول	الدّال	المدلول
حقل الحياة والبقاء	أحيا	نـما	ساقي الحجى	راوي العقول
	لم يَمُتْ	بقي حياً	خلودا	دواماً
	الحياتا	العيش	عذبا	طيبا سائغا
	عذبا	مُسْتساغًا	فراتا	حلواً
	عشت	حييت	تبني	رفع
	روحا	نفساً	تحيي	تنمي
	يروي	يسقي	ستبقى	ستترك
حقل الموت والفناء	الموت	الفناء	ناعي الأحرار	نقل خبر وفاتهم
	أماتا	أنها	حتفها	هلاكها
	مات	توفى	رفاتا	حطاماً
	يطوي	يثني	ننسى	غاب عقلنا عنه

[1]-أحمد سحنون،الديوان،مرجع سابق،ج1،ص253.

	يعدم	يقتل	فتهدمت	تحطمت
حقل العلم والمعرفة	علّم	فهّم	آدابه	إنتاجه الفكري
	الفصحى	اللغة العربية	ألباب	عقول
	ميراث باديس	تركة باديس	التعاليما	التدريس
	دهاتا	أذكياء	ثقاتا	أمناء
حقل الفزع والحزن	أفزعت	أخفت	أتعبت	أرهقت
حقل الأخلاق والخصال الحميدة	علّم الناس	درّس الناس	أنفق	صرف
	كسا	ألبسا	يهدي	يرشد
	وفاء	تفاني	حلما	رؤيا
	أناتا[1]	الوقار	حماتا	حراساً
	تفانى	حلم	لم يخجلوا	لم يرتبكوا
حقل الخصال الذميمة	جمودا	سكونا	الطغاة	البغاة
	عداتا	بغاة	هناتا	أخطاء
	انحرفتم	الميلان	انفلاتا	انحراف
	الجهل	عدم المعرفة	الدّجال	النّصّاب
	سباتا	نوم خفيف	ضعفا	خورا
	جناتا	حدائق	أفاتا	شرّ
	شتاتا	متفرقا	جهلا	حمق
	أعبد لهوى	أطيع النفس	عاق	عاص
حقل الرّيادة والقيادة	إقدام	اقتحام	عنوان	اسم
	عزم	تصميم	رعاة	حفظة
	فدى	عوض	كماة	الدرع

(**الجدول رقم 24: أهم الحقول الدلالية في مرثية"الذكرى الأولى لوفاة الإمام محمّد البشير الإبراهيمي"**)[2]

يقدّم هذا الجدول رقم(24)لمحة عن أهم الحقول الدّلاليّة الواردة في مرثية أحمد سحنون، المنظومة بمناسبة الذّكرى الأولى لوفاة الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي،ففيها:حقل الحياة والبقاء، وحقل الموت والفناء،وحقل الخصال الحميدة،وحقل الخصال الذّميمة،وحقل العلم والمعرفة، وحقل الفزع والحزن،وحقل الرّيادة والقيادة.

احتوت هذه الحقول على مجموعة من الدّوال،لها مدلولاتها،وهي على قسمين: قسم لمعاني الألفاظ،وهي الصّورة المعجمية للدّوال،وقسم لمعاني تلك الدّوال بعد التّوظيف،ومن تلك الدّوال

1- أناتا: تكتب في الأصل:أناة ، والأمر كذلك في حماتا:حماة، لكن كتبت بهذه الصيغة للضرورة الشعرية،و الملاحظة عينها نجدها مع بعض المفردات الأخرى،مثل :(الحياتا=الحياة)،(التعاليما= التعاليم)....الخ.

2- من عمل الطّالب.

ومدلولاتها،نجد(الحياة=العيش)،(ستبقى=ستدوم)،(الموت=الفناء)،(الدّجال=النّصاب)،(ألبابا=عقولا)، (الجهل=عدم المعرفة)،(إقدام=تصميم)، (جنات=حدائق)، (فدى=عوض) ...الخ

يلاحظ الدّارس إنّه بالرّغم من تشابه الحقول بين مرثيتي الشّاعرين،وتشابههما في الدّال،بيد أن معاني المدلولات تباينت بعد التوظيف،وازاحات لمعاني جديدة بسبب اختلاف السّياقات،وهذا ما يؤكد على أهميّة اختيار الألفاظ الدّالة والغنيّة بالمعاني،ليجعل النّص مفتوحاً على قراءات متعددة،وهو تحيلنا عليه مرثيّة أحمد سحنون المنظومة بمناسبة الذّكرى الأولى لوفاة الشّيخ محمّد البشير الإبراهيميّ.

4-3- عند محمّد باي بلعالم:

يمكن للباحث أنْ يدرس قضيّة الانزياح في شعر محمّد باي بلعالم،من خلال تحليله لمرثيّته في الشّيخ عبد القادر بكراويّ المعنونة بـ((الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراويّ في ذمّة الله،وهذه مرثيّة العبد الفقير محمّد باي بلعالم))[1]،عدد أبياتها اثنان وثلاثون(32) بيتاً، ألقاها في جنازة تشييعه، وتأبينه بمسقط رأسه بقصر نومناس،بلدية تمنطيط،دائرة فنوغيل،ولاية أدرار،حمّلها أحزانه وأشجانه،وشدّة تحسره على فقدان صديقه،تنوعت فيها معاني المفردات،حيث يمكن الوقوف على الحقول الدّلاليّة المشكلة لمحتوى المرثيّة،في الجدول التّاليّ:

عنوان الحقل	الدّال	المدلول	الدّال	المدلول
حقل الحياة والبقاء	الحياة	العيش	نُـوِّرَتْ	أضِيئتْ
	دار الخلد	الجنة	تَـنْعَمُ	تطيب
	تحيا	تنمو	الجنان	الحدائق
حقل الموت والفناء	فارق الحياة	مات	غارت	ابتعدت
	القبور	اللحود	غابت	اختفت
	يدفنه	يواريه التراب	الضريح	القبر
	الفناء	الموت	تمت/ متّ	تتوفى/ توفيت
	تجمّدت	تحجرت	الفقيد	الميت
حقل العلم والمعرفة	الشيخ	الإمام	علمكم	درايتكم
	شيخ الزمان	عالم الوقت	علومكم	معارفكم
	بدر المعارف	العالم	علومك	معارفك
	المدارس	المحاضن	المعارف	العلوم
	الميادين	المراكز	علم الشريعة	القوانين الدينية
	العلم	المعرفة	النحو	القواعد

1- محمّد باي بلعالم، الشّيخ الحاج عبد القادر بكراوي في ذمة الله،مصدر سابق،ص1.

	الثقافة	انتاج الفكر	الأصول	الموارد
	المفاهيم	المصطلحات	الفتاوى	مراسيم الدين
	الخطابة	فن الإقناع	ناطقا	متكلما
	نوابغ	عباقرة	دراية	معرفة
حقل الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة	الصّراحة	الوضوح	معتدلا	مستويا
	الفصاحة	الطلاقة	يبحث	يفتش
	النّزاهة	أمانة	الصّبر	التّحمل
	المهابة	الوقار	الـجود	الكرم
	شيمة	خصلة	تكرم	تـجود
	الثناء	المدح	تنعم	توسع في العيش
	الضرغم[1]	الشجاع	ليس يكتم	لا يخفي شيئا
	الشجاعة	الإقدام	الفضل	الـمنَّة
حقل الأخلاقوالخصال الذّميمة	مداهنا	منافقا	التّخريف	خلل في الذّاكرة
	التّطرف	البعد الشديد	الطغاة	المعتدين
حقل التّوحيد والتّصوف	الله	الخالق	ربّـه	سيّده
	الإله	القادر	السّلام	الأمان
	ربّ	معبود	الصّلاة على النّبي	الدّعاء له بالرّحمة
	مؤمنا	مصدّقا	هجرة المختار	خروجه للمدينة
حقل الفرح والبشرى	الخلد	الدّوام	الثواب	الأجر
	العريس	المتزوج	عفو	صفح
	أفراحنا	مسراتنا	رحمة	غفران الذنب
	ترنم	طرب	برحم	يغفر
	يكرم	بجود	منعما	مستمتعا
حقل الحزن والفزع	تزلزلت	اضطربت	غاب	اختفى
	الحزن	الأسى	نعزي	نواسي
	يعزيكم	يواسيكم	دفنه	غطاه بالتراب
حقل الأهل والأصدقاء	الجدود	آباء الآباء	أسرة البكري	أهل البكري
	الأجداد	الجدود	الأحفاد	أبناء الأبناء
	خير خليفة	خير نائب	صديقنا	حبيبنا
حقل الكون	أطوادنا	جبالنا	الضرغم	الأسد

1- الضّرغم : اسم من أسماء الأسد.

والطّبيعة	بحارنا	علومنا	أصقاعنا	نواحينا
	الطيور	العصافير	أقطار	جهات
	الـمَعْلَمُ	العلامة	منارة	معلم
	الغيث	المطر	الزمان	الوقت
	بـحر	عالم	سمائكم	مكانتكم الرّفيعة

(الجدول رقم 25: أهم الحقول الدّلاليّة في مرثية"الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي")[1]

من خلال هذا الجدول رقم(25)،تكتشف الدّارس أهم الحقول الدّلالية في مرثيّة محمّد باي بلعالم في الشّيخ عبد القادر بكراويّ،وهي حقول شابهت تلك الحقول المكتشفة في المرثيّتين السّالفتين في البحث،مع إضافة بعض الحقول الأخرى.ولقد ضمت هذه المرثيّة حقل الحياة والبقاء،وحقل الموت والفناء،وحقل العلم والمعرفة،وحقل الأخلاق الحسنةوالخصال الحميدة،وحقل الأخلاق السّيئة والخصال الذّميمة،وحقل التّوحيد والتّصوف،حقل الفرح والبشرى،وحقل الحزن والفزع،وحقل الأهل والأصدقاء، وحقل الكون والطّبيعة،اكتنزت هذه الحقول عدداً لابأس به من ألفاظ ذات مدلولات تُفْهَمُ من سياقات التّراكيب الأسلوبيّة،المكونة لنّصّ المرثيّة،نورد من تلك الدّوال مقرونة بمدلولاتها،ما يلي: (الحياة=العيش)،(الجنان=الحدائق)،(الثّقافة=إنـتاج الـفكر)،(فـارق الـحياة=مات)،(القبور=اللّحود)، (أفراحنا=مسراتنا)،(الضّرغم=الشّجاع)،(رحمة=غفران الـذّنوب)،(يعزيكم=يواسيكم)،(الضّريح=القبر)، (الخلد=الدّوام)،(صديقنا=حبيبنا)،(أطوادنا=جبالنا)،(الـمَعْلَمُ= العـلّامة)،(بـحر=عالم)....الخ.

إنّ هذه المدلولات تعمل على إثراء النّصّ على مدار كلّ المستويات المشكّلة للنّصّ،وفي مقدّمتها المستوى المعجميّ والمستوى الدّلاليّ، فيكتسب النّصّ بفضلها ثروة لغويّة وأسلوبيّة كبيرة، تتسم بالكثافة الدّلاليّة في الإطار السّياقيّ للنّصّ ،وهذا ما يسعى إلى محمّد باي بلعالم،وهو يستبدل بين المفردات والألفاظ،مع مراعاته لانزياحاتها الممكنة عند تلقي النّصّ، ومحاولات فَهْمِ مضامينه.

1 – من عمل الطّالب.

خـاتـمة

خاتمة:

ونافلة القول مما سبق بسطه من أفكار،في بحث موضوع((شعريّة الرّثاء في الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر دراسة فنيّة أسلوبيّة في شعر محمّد العيد آل خليفة- أحمد سحنون-محمّد باي بلعالم "أنموذجاً"))،بحث تـمّ إعداد خطّة حاولت رصد النّقاط أساسيّة محوريّة في الموضوع،ودراستها دراسة مستفيضة،من خلال تتمّ الإجابة عن تساؤلات الإشكاليّة الرّئيسة،بحسب وجهات النّظر الممكن، التي مكنتنا من استخلاص جملة من النّتائج الهامّة والمفيدة،يمكن بيانها في النّقاط التّاليّة:

– يرى المنظور الأدب الغربيّ القديم أنّ الشّعر ينشأ من ميولات فطريّة في الإنسان بدافع المحاكاة والتي تتحقق باستخدام الوزن،واللّغة،والإيقاعيّ الموسيقيّ،أمّا في المنظور العربيّ القديم في الشّعر هو صناعة وثقافة،تـمكّنُ من ضبط الكلام بالوزن والقافيّة،وهما يميزانه عن الكلام المنثور.

– يقّسم الشّعراء أشعارهم إلى أغراض شعريّة مختلفة، وتتعرف كذلك بـمسميات أخرى، مثل:أقسام الشّعر،أركان الشّعر،فنون الشّعر،بيوت الشّعر،ضروب الشّعر،أنواع الشّعر...الخ، أبرزها: المديح، والهجاء،والنّسيب،والرّثاء والوصف والتّشبيه،والحكمة،والعتاب وغيرها.

– الشّعر في النّقد العربيّ الحديث،هو الفنّ القائم عن القوائم من أربعة"الصّورة والصّوت، الجرس، والإيقاع الموسيقيّ"،تمّكّن الشّاعر من البوح عن أحاسيسه ومشاعره،وتجعل ناتجه الأدبيّ متميزاً في عرضه، أمّا في النّقد الغربيّ الحديث فالشّعر هو التّعبير الخياليّ الإيقاعيّ عن الوجدان العارم، مع اعتماد الذّوق،والعفويّة في البوح عن المشاعر القويّة،وترجمة الأحاسيس.

– الشّعريّة في الأدب الغربيّ القديم تعتمد على وضع مجموعة من القواعد الخاصّة بالشّعر والمسرح والخطابة،بحسب ما أبان عنه أرسطو في كتابه المرجع "فنّ الخطابة"، أمّا في تراثنا العربيّ تقارب مصطلح الشّعريّة بعدة مصطلحات،نحو:"صناعة الشّعريّ"،"نظم الكلام"،"عمود الشّعر"، "الأقاويل"، و"نظرية النّظم".

– تَفَرُّد حازم القرطاجني،ودعوته إلى منهج قراءة الاستنباط قوانين صناعة الشّعر التي يمكنها إنّ تعالج الكثير من الإشكالات المتعلقة بالنّص المبحوث،ويفك شفراته والوقوف على عتباته النّصيّة المختلفة.

– دعوة الشّكلانيين الرّوس لإقامة علم الأدب،وذلك بوضع مبادئ مستمدة من الأدب نفسه.

– الشّعريّة عند جان كوهين هي علم،موضوعه الشّعر، ويدعم بهذا نّظرية رومان جاكيسون القائلة بـ"أدبيّة الأدب".

– الشّعريّة عند رومان جاكسون هي الدّراسة اللّسانيّة الوظيفية،في سياق رسائل الألفاظ عامّة وتزداد خصوصاً بالشّعر،كماتعدّ ظاهرة الانزياح اللّغوي هي محور الشّعريّة عنده.

– يرى تزفيطانطودوروف الشّعريّة هي:"الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبيّ، أيّ: "الأدبيّة"،ما يجعل للشّعريّة أهميّة،وتتمثل في كشف البنى الأدبيّة الثّانويّة،وراء كثافة النّص.

– تأثر بعض النّقاد العرب بالمنظور الحداثي لمفهوم الشّعريّة، ودعوتهم لها،باعتبارها مرجعاً يمكنهم من تطويل الأدبيّ،وتحريره من المفاهيم والممارسات القديمة،ومنه الدّعوة إلى التّجديد وتبني الأفكار الحديثة.

– برى كمال أبوديب بأن الشّعريّة هي:"خصيصة علائقيّة"يتجدد فيها النّصّ من خلال شبكة العلاقات الخاصّة لمكوناته الأوليّة ،وأثناء تفاعلها،وحركيتها مع مكونات أخرى،يتحول ذلك الاحتكاك إلى فاعليّة خلق للشّعريّة.

– دعوة أدونيس إلى الثّورة على المفاهيم المعتادة في ميدان الكتابة والإبداع،ورفض كلّ شيء يدعو إلى التّقليد والثّبات،وفي المقابل تبنيه كلّ الإشكال التّعبيريّة،وأدواتها،في ظلّ الدّعوة إلى التّجديد والحداثة لتحقيق الإبداع.

– تتجلى علاقة الشّعر بالشّعريّة في كونه المصدر الأول والأساسي لعمل الشّعريّة،والشّعريّة،هي بدورها،وظيفة من وظائف اللّغة،أوالتّعبير الفنيّ الإبداعيّ الجماليّ،مع مراعاة تضافر المستويّات الثّلاثة (اللّفظيّة، التّركيبيّة، والدّلاليّة)، وهي مستويّات أساسيّة في علم الأسلوب والأسلوبيّة ومن هنا تظهر حاجة الشّعر للشّعريّة والمرتبطة بالأسلوبيّة،الدّاعيّة لاختيار الألفاظ والمعاني، والدّلالات الوظيفيّة، القادرة على خدمة النّص الأدبيّ الشّعريّ.

– مفهوم الرّثاء يتجلى في البكاء،والحسرة والتّفجّع،والتّأسف والحزن على الميت،وكلّ هذه الأمور فطريّة أَلِفَتْها الطّبيعة الإنسانيّة، بدافع إظهار شدة التّأثر بالفقيد،ونفاذ الصّبر على فراقه، ويكون ذلك في شكل ندبة، أوتأبين،أوعزاء.

– للرّثاء أنواع كثيرة ومتباينة في أغراضها وموضوعاتها،ظهرت قديماً،واستمرت مع توالي العصور الحقب والأزمان،حتّى الوقت المعاصر،مثل:رثاء النّفس،ورثاء الأهل ولأقارب والأبناء،ورثاء الأصدقاء والأحباب،ورثاء الملوك والرؤساء،ورثاء الملوك والخلفاء والأمراء والرّؤساء والوزراء،ورثاء القادة والعظماء والشّهداء وأهل الفضل من الوجهاء،ورثاء البلدان والأوطان والمدن،ورثاء العلماء ونخبة والفكر..الخ.

– ثراء الأدب القديم والحديث بقصائد الرّثاء وأشعاره،جاءت متنوعة:كرثاء المهلهل لأخيه كليب، ورثاء الخنساء لأخيها صخر،ورثاء حسان بن ثابت رضيّ الله عنه للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ورثاء أحمد شوقي في حافظ إبراهيم،ورثاء نزار قباني لمدينة قرطبة، ورثاء عبد الرّحمان العشماويّ للشّهيد الفلسطينيّ محمّد جمال الدّرة.

– لشعر الرّثاء الجزائريّ الحديث والمعاصر،امتدادات في الأدب القديم، بداية من قصائد الرّثاء لبكر بن حماد التّاهرتيّ في العهد الرّستميّ، والمرثيّات الشّعريّة لعبد الكريم بن ابراهيم النّهشليّ وابن رشيق القيراوانيّ،ومحمّد بن علي القلعيّ في عهد الدّولة الحماديّة،والنّصوص الرّثائيّة لعفيف الدّين التّلمسانيّ، وابن خميس،والسّلطان حمو موسى الزّيانيّ،وغيرهم من الشّعراء الزّيانيين،فضلاً عن قصائد الرّثاء للمقريّ،وعبد الكريم بن الفكون،ومحمّد بن علي الجزائريّ في عهد الأتراك.

– حضور شعر الرثاء في الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر من بداية الاحتلال الفرنسي وما بعده، في المدونات الشّعريّة، والتي ألفها الشّعراء الجزائريون،نذكر منهم على سيل التّمثيل لا الحصر: محمّد بن عزوز الجزائريّ،محمّد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري،محمّد الدّيسيّ،محمّد بن العابد الجلالي، عمر بن البسكريّ العقبيّ، والرّبيع بوشامة، ومحمّد الأخضر السّائحيّ، وغيرهم كثير.

– تجليّ شعر الرّثاء في الشّعر الجزائريّ المعاصر من الاستقلال،حتّى القرن الواحد العشرين الميلاديّ، شهدت قصائد الرّثاء في العلماء والأدباء،وأخرى خصّت برثاء الرّؤساء والزّعماء،وغيرها اتخذ من رثاء الأبطال والشّهداء أوالدّول والأوطان والمدن موضوعاً له.

اهتمام كلّ من الشّعراء الجزائريين الثّلاثة:((محمّد العيد آل خليفة،وأحمد سحنون، ومحمّد باي بلعالم))،بالتأليف والكتابة في شعر الرّثاء، وأفردوا له قصائد رثائيّة،تمّ تمييزها بالعناوين التّاليّة: "المراثي"،" فقد الأحبة"،"مرثيّة"....الخ

– تنوع موضوعات الرّثاء في شعر محمّد العيد آل خليفة،وأحمد سحنون،ومحمّد باي بالعالم،سالكين من سبقهم في هذا الفنّ،والتزامهم بقضايا دينهم، ووطنهم وأمتّهم وزمنهم.فرثوا المشايخ والعلماء، ورثوا الأدباء والشّعراء، ورثوا الأبطال والشّهداء،والقادة والزّعماء، والملوك والأمراء والرّؤساء، ولم ينسوا رثاء الأوطان والمدن والدّول، ولا الأهل والأحباب والأصدقاء،بل رثوا أنفسهم،وعدّوا أنفسهم من الرّاحلين.

– عرض الشّعراء الثّلاثة((محمّد العيد آل خليفة،وأحمد سحنون،ومحمّد باي بلعالم))،مراثيهم في أساليب فنيّة متباينة،حيث تمايزت في شعريّة الموسيقى وإيقاعاتها الشّعريّة، وتباينت في شعريّة الصّوّر الشّعريّة المختلفة الدّلالات والمعاني.

– ظاهرة التّناص القرآنيّ وشعريتها،ماثلة في أغلب المدونات الشّعريّة المدروسة، تجلت في أجزاء قصائد الرّثاء المختار بوضوح، كشف عن تأثر الشّعراء الثّلاثة بالأساليب القرآنيّة،والتي أضافت معان جديدة لمحتويّات القصائد.

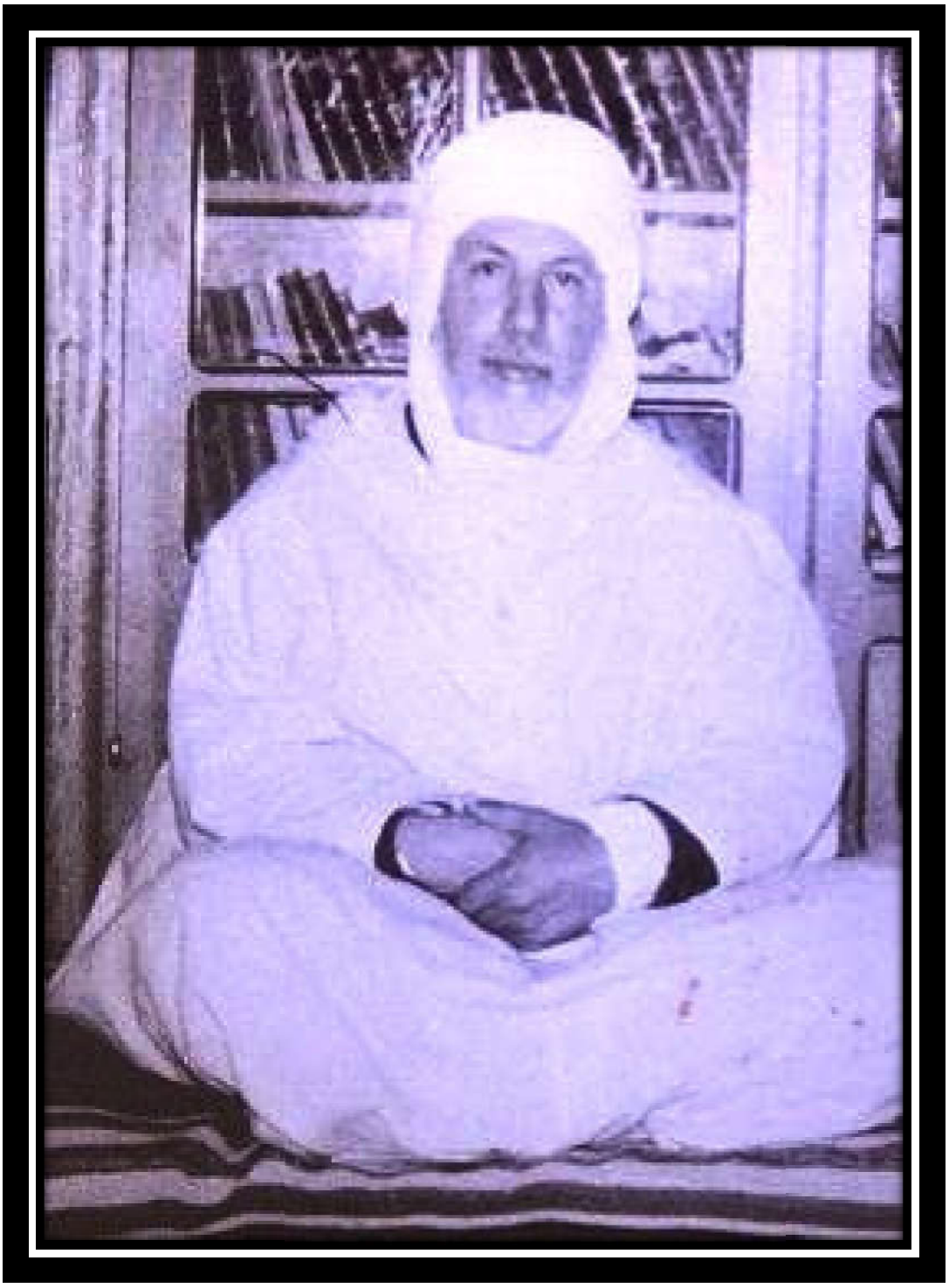
– اعتماد الشّعراء الثّلاثة على أساليبهم الشّخصيّة،والمصقولة بثقافاتهم الدّينيّة والكونيّة،جعلتهم يتباينون على المستويات الرّئيسة(الصّوتيّ، والمعجميّ، والتّركيبيّ،والدّلاليّ)،يكتشف ذلك الدّارس، من خلال استخدام التّحليل الأسلوبيّ،القادر على تناول العديد من الظّواهر الأسلوبيّة،وفهم مخرجاتها التّطبيقيّة.

– حضور ظاهرة التّكرار على المستوي الصّوتي مرثيّات الشّعراء الثّلاثة((محمّد العيد آل خليفة،وأحمد سحنون،ومحمّد باي بلعالم))، تمّ اختيار التّصريع في مطالع المراثي للتّمثيل عن الظّاهرة،وبيان آثارها على محتوى القصيدة التي ورد فيها.

– وجود التّقابل على المستوى المعجميّ أحال على الكثير من المفردات والعبارات المتقابل في كلّ المدونات المدروسة، والملاحظة ذاتها تعلقت بالتّماثل على المستوى التّركيبيّ إذا احتوت هذه المدّونات على الكثير من الصّور التّركيبيّة، للجمل الموظفة في أبيات المراثي،والتي جاءت متنوعة في الأساليب اللّغويّة بين الإخبار والإنشاء،وبين الجمل الاسميّة والجمل الفعليّة،وأشباه الجمل،بحسب استخدامات كلّ شاعر لها،ووفق سياقات المعنويّة.

– اعتماد ظاهرة الانزياح على المستوى الدّلالي ثراء المرثيات المدروسة بالحقول الدّلاليّة،وتنوعها بفضل حسن توظيف الألفاظ والمفردات الدّالة، والمحمّلة بالمعاني الإيحائيّة لدوال لا حصر لها، يمكن اكتشافها من خلال تنوع القراءات،وتعدد التّأويلات،تحدد ذلك قدرة كلّ متلقي، ومستواه الثّقافيّ، والفكريّ،درجة استيعابه للمعاني المدركة.

ملاحق



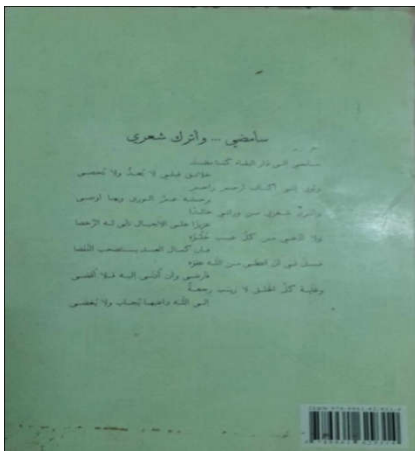
محمّد العيد آل خليفة (1904م–1979م)[1].

1 – صفحة جريدة البصائر:https://elbassair.dz/10489 ،أطلع عليه بتاريخ:17 /07/ 2023م، السّاعة: 17:30مساءا.

الواجهتان: الأماميّة والخلفيّة لديوان محمّد العيد آل خليفة [1]



الواجهة الأماميّة



الواجهة الخلفيّة

الواجهتان: الأمامية والخلفية لتكملة الديوان [2]

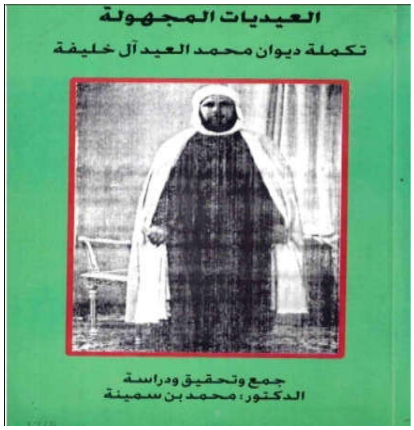


الواجهة الأماميّة



الواجهة الخلفيّة

الواجهتان: الأمامية والخلفية للعيديات المجهولة [3]



الواجهة الأماميّة



الواجهة الخلفيّة

1 –محمّد العيد آل خليفة، الدّيوان،مصدر سابق.صفحتي الواجهة الأماميّة والخلقية من الغلاف.

2 –محمّد بن سمينة، تكملة الديوان،مصدر سابق، صفحتي الواجهة الأماميّة والخلقية من الغلاف.

3 –محمّد بن سمينة، العيديات المجهولة، مصدر سابق، صفحتي الواجهة الأماميّة والخلقية من الغلاف.

صور شخصية لبعض الاعلام المذكورين في ديوان محمّد العيد آل خليفة[1]



محمّد بن شنب(1866م–1929م)



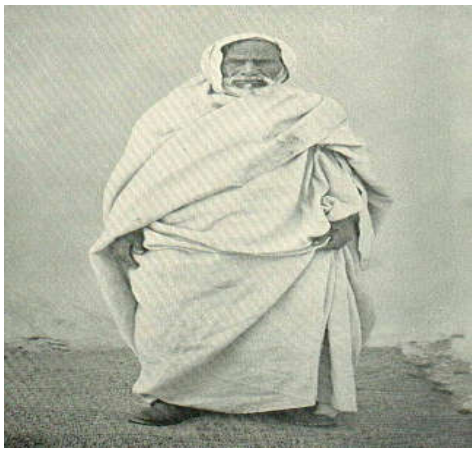
عبد الحميد بن باديس(1889م–1940م)



الأديب شكيب أرسلان (1869م–1946م)



الشّاعر أحمد شوقي(1868م–1932م)



عمر المختار(1858م–1931م)



غازي الأول(1912م–1939م)

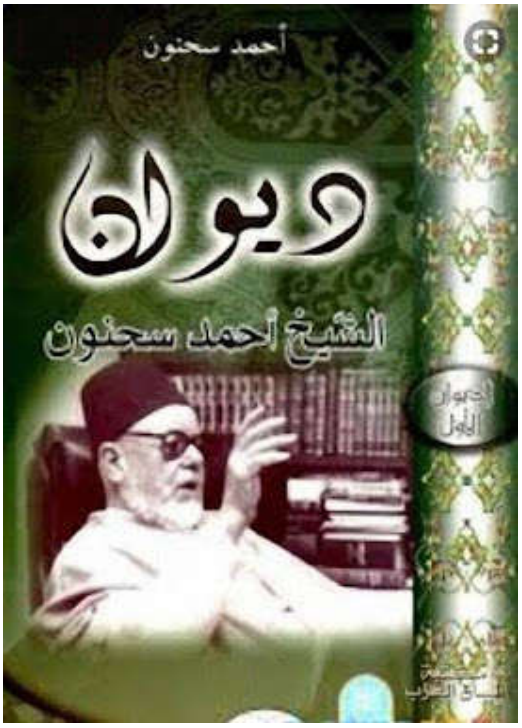
1 – موقع بحث قوقل، صور، https://www.google.com/search، أطلع عليه بتاريخ: 03 /08/ 2023م، السّاعة: 17:30مساءا.



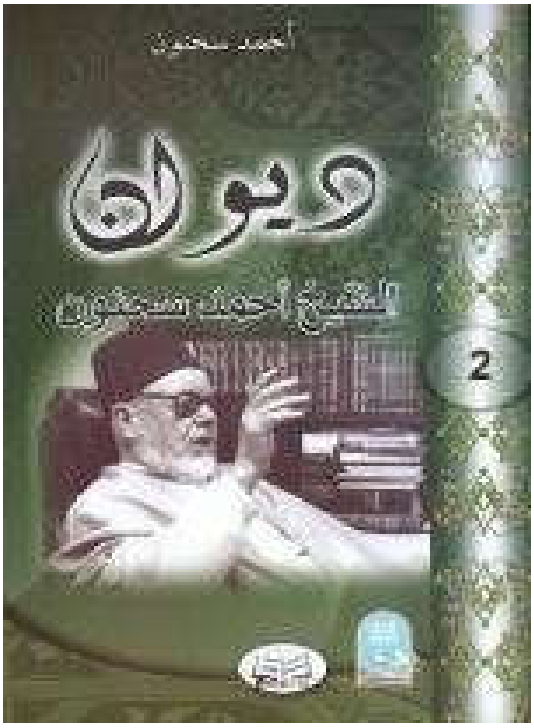
أحمد سحنون (1907م– 2003م)[1]

1 – صفحة مسجد دار الأرقم، Dar al Arkam،فيسبوك:
https://www.facebook.com/100064329025810/posts/1570882543087142، أطلع عليه بتاريخ:11 /2023/06، على الساعة: 08:23 صباحاً.

الواجهتان الأماميتان لديوان أحمد سحنون للجزأين[1]



الواجهة الأمامية للجزء الأول



الواجهة الأمامية للجزء الثاني



الشّيخ أحمد سحنون يلقي بعض قصائده[1]

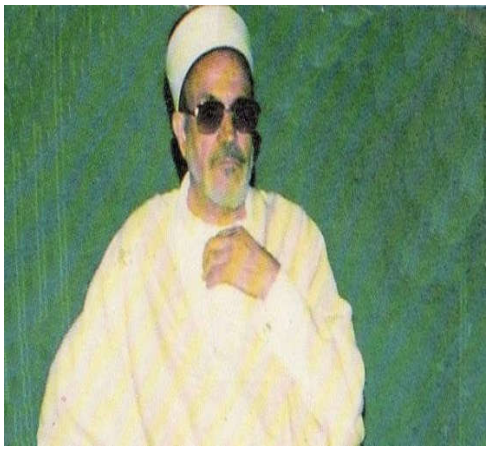
1 –أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، مصدر سابق، صفحتي الواجهتين الأماميتين من غلاف الجزء 01+02.

1 – محمّد الهادي الحسني، العالم الشّاعر، والدّاعيّة الصابر، الشروق أونلاين،https://www.echoroukonline.com أطلع عليه بتاريخ: 2023/06/05م،على الساعة:14:28.

صور شخصية لبعض الاعلام المرثين في ديوان أحمدسحنون [1]



محمد البشير الابراهيمي(1889م–1965م)



عبد اللطيف سلطاني(1902م–1984م)



محمّد المنصف باي(1881م–1949م)



محمّد ضياء الحق(1923م–1988م)



سيد قطب(1906م–1966م)



حمزة بوكوشة (1909م–1994م)

1- موقع بحث قوقل، صور، https://www.google.com/search ،أطلع عليه بتاريخ: 03 /08/ 2023م، السّاعة: 17:30مساءا.



محمّد باي بلعالم(1931م–2009م)[1]

1 – جامعة أحمد دراية–أدرار، العلامة الشيخ محمد باي بلعالم (1930 . 2009)،–https://www.univ-adrar.edu.dz/18415/ ،أطلع عليه بتاريخ:2023/08/16،على الساعة:23:13.

صور لنسخ الصّفحات الأولى لمرثيات الشّيخ محمّد باي بلعالم[1]



مرثية محمّد باي في مولاي أحمد الطّاهر الادريسي



مرثية محمّد باي في محمد الرقاني



مرثية محمّد باي في عبد العزيز سيدا عمر



مرثية محمّد باي في محمد الزازي



مرثية محمد باي في عبد القادر بكراوي



مرثية محمّد باي في محمد الزازي بلكبير

1 –محمّد باي بلعالم، مراثيات الشيخ محمد باي بلعالم(مخطوطات)، (جمع وترتيب الطالب)،خزانة المدرسة القرآنية مصعب بن عمير الركينة زاوية حينون أولف –ولاية أدرار.

صور شخصية للأعلام المرثيين في مرثيات محمد باي بلعالم [1]



مولاي أحمد الطاهر السباعي(1907م–1979م)



محمّد بلكبير(1911م–2000م)



محمد الرقاني الفقيه(1931م–2006م)



محمد الزاوي(1940م–2008م)



عبد العزيز سيدا عمر (1923م–2008م)



عبد القادر بمراوي(1931م–2008م)

1- موقع بحث قوقل، صور، https://www.google.com/search، أطلع عليه بتاريخ: 03 /08/ 2023م، السّاعة: 21:50مساءا.

ملخص:

يحاول البحث إلى كشف أهم جذور شعر الرّثاء في الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر، وامتدادات التّاريخيّة في الأدب الجزائريّ القديم،وذلك بالتّعرّف على أهم الشّعراء الجزائريين القدامى، بداية من عهد الدّولة الرّستميّة،وما تلاها من دويلات عاشت،وظهرت في الجزائر،وشهد بوجودها وحفظ إنجازاتها الحضاريّة،تاريخ العصر الوسيط،كالدّولة الحماديّة،والدّولة الزّيانيّة،وصولاً إلى عهد الأتراك العثمانيين، فكان شعر الرّثاء حاضراً في كلّ هذه العهود،وذلك ما يقرأه المتلقي في أشعار بكر بن حماد،وابن رشيق القيروانيّ،وعفيف الدّين التّلمسانيّ،والسّلطان أبوحمو موسى،وعبد الكريم بن الفكون، ومحمّد المكيّ بن عزوز الجزائريّ،ومحمّد الدّيسيّ، والربيع بوشامة،ومحمّد الأخضر السّائحيّ، وغيرهم.

لاغرو بأنّ الفنّ الأدبيّ إذا توافر دوافع وأسبابه،فإنّه لا يقطع الصّلة بماضيه بل سيواصل حتماً سيرة أسلافه محاكيّاً ومقلّداً تارة،ومبتكراً ومبدعاً تارة ثانيّة،وحتّى يُثْبِتَ فنّ الرّثاء الجزائريّ الحديث والمعاصرعلى وجوده، وعراقة أصوله،سارع رواده إلى الكتابة في رثاء العلماء والأدباء،ورثاء الرّؤساء والزّعماء والقادة،ورثاء الأبطال والشّهداء، في قصائد شعريّة تباينت في شكل عرضها، بين الشّكل العروضيّ التّقليديّ، وشعر التّفعيلة الحديث.

وحتّى يكون البحث عملي،تمّ اختيار ثلاثة أعلام من الشّعراء الجزائريين المخضرمين،هم:((محمّد العيد آل خليفة، وأحمد سحنون،محمّد باي بلعالم))،شاركوا في حياتهم بتجاربهم الشّعريّة المختلفة،تمت دراستها دراسة فنيّة أسلوبيّة،بهدف التّعريف هؤلاء الشّعراء، والتّعرف على مدوناتهم،وما احتوتها من عناوين شعريّة مخصصة لشعر الرّثاء،وأنواعه،وتحليل بعض النّماذج منها تحليلاً أسلوبياًرغبة في الوقوف على ما جاء فيها من شعريات مختلفة،وما ميّزها من ظواهر على المستويات الأربعة:(الصّوتيّ/ المعجميّ /التّركيبيّ/الدّلاليّ).وباعتماد المنهج الوصفي القائم على التّحليل،تـمّ استخلاص جملة من النتائج،من أهمها:للشعر الرّثاء الجزائريّ الحديث امتدادات تاريخيّة في الأدب الجزائريّ القديم، شهدت على ذلك قصائد شعراء الدّويّلات المتعاقبة،مما جعل حضور شعر الرّثاء في الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر أمر طبيعيّ من بداية الاحتلال الفرنسيّ وما بعده،في المدونات الشّعريّة، والتي ألفها الشّعراء الجزائريّون، كما اعتماد الشّعراء الثّلاثة المبحوثة مدوناتهم على أساليبهم الشّخصيّة،والمصقولة بثقافاتهم الدّينيّة والكونيّة، جعلتهم يتباينون على المستويات الرّئيسة(الصّوتيّ، والمعجميّ، والتركيبي،والدّلاليّ).

الكلمات المفتاحية: شعر الرّثاء، امتدادات تاريخية،الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر، محمّد العيد–أحمدسحنون–محمّد باي بلعالم، شعريّة، أسلوبيّة.

Abstract

This research aims to explore the primary origins of lamentation poetry in modern and contemporary Algerian poetry, as well as its historical connections to ancient Algerian literature. It seeks to identify the prominent ancient Algerian poets, starting from the era of the Rustamiya state, and subsequent states that emerged in Algeria. These states have been documented and their cultural contributions have been preserved. The historical period known as the Middle Ages encompasses various significant states, including the Hammadid state and the Zayanid state, leading up to the era dominated by the Ottoman Turks. The presence of lamentation poetry can be observed across various eras, as evidenced by the works of Bakr bin Hammad, Ibn Rashiq al-Qayrawani, Afif al-Din al-Tilmisani, Sultan Abu Hammu Musa, Abd Al-Karim bin Al-Fakun, Muhammad Al-Makki bin Azouz Al-Jazairi, Muhammad Al-Disi, Al-Rabi' Boushamah, Muhammad Al-Akhdar Al-Sahihi, and other poets.

It is not surprising that literary art, driven by its objectives and rationales, maintains a strong link with its historical antecedents. Consequently, it follows a trajectory that involves both imitation and innovation, occasionally replicating established conventions and at other times forging new paths through creative endeavors. To establish the legitimacy of modern and contemporary Algerian lament as an art form and to trace its historical roots, its early practitioners promptly composed laments intended for scholarly and literary audiences. This collection of literary verses encompasses expressions of sorrow and grief dedicated to presidents, leaders, heroes, and martyrs. The poems exhibit a diverse range of stylistic presentations, alternating between the conventional prosodic structure and contemporary iambic poetry.

To ensure the practicality of the research, the researcher selected three notable Algerian poets, specifically Mohamed Al-Eid Al-Khalifa, Ahmed Sahnoun, and Mohamed Bey Belalem, who actively engaged in their own lives with diverse poetry experiences. A comprehensive examination was conducted to analyses the technical and stylistic aspects of these poets, with the objective of acquainting readers with their works. Tofamiliarize oneself with the blogs of these individuals, an exploration of their poetic titles dedicated to the genre of lamentation is undertaken. The objective is to conduct a stylistic analysis of select models, aiming to identify the various poetic elements and distinctive phenomena present across four linguistic levels: phonological, lexical, syntactic, and semantic. Through the utilization of a descriptive methodology grounded on rigorous analysis, a multitude of outcomes were derived, with particular emphasis placed on identifying the most significant findings. The contemporary genre of Algerian elegiac poetry can be traced back to its historical roots in ancient Algerian literature, seen via the poetic works of successive states' poets. The presence of sorrow poetry in modern and current Algerian poetry may be observed as a natural phenomenon that emerged during the initial stages of the French occupation. This is evident in the poetry blogs authored by Algerian poets. The three poets under study each developed their own distinctive styles, influenced by their religious and universal cultures, resulting in variations across diverse linguistic levels, including vocal, lexical, syntactic, and semantic.

Keywords: The poetry oflamentation, historical extensions, modern and contemporary Algerian poetry, Mohamed Al-Eid, Ahmed Sahnoun , Mohamed Bey Belalem, poetic, stylistic.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

أولاً- الكتب:

1. ابتسام مرهون الصّفار، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعيّ، مطبعة الإرشاد ،بغداد، 1968م.
2. إبراهيم أنيس،موسيقى الشّعر،مكتبة الانجلو المصريّة للطّبع والنّشر،ط2،مصر،1952 م.
3. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبيّة، المؤسسة العربيّة للنّاشرين المتّحدين،صفاقس- تونس،1986م.
4. أحمد أبا الصافي جعفري،رجال في الذاكرة وقفات تاريخية في أعماق الذّاكرة التّواتيّة، محمّد بن المزمري(1160هـ)،حياته وأثاره،دار الغرب للنشر والتوزيع،ط02،وهران-الجزائر،1429 هـ/2018م.
5. أحمد بن عمار،مختارات مجهولة من الشّعر العربيّ،تقديم:أبو القاسم سعد الله،ط2،دار المعرفة، الجزائر،1991م.
6. أحمد بن محمّد المقريّ التّلمسانيّ، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب،تحقيق :إحسان عباس،دار صادر،بيروت لبنان،1388هـ-1968م.
7. أحمد بن محمّد بن علي الفيوميّ، المصباح المنير (معجم عربيّ- عربيّ)، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، 1987م.
8. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)،دار البصائر للنّشر والتّوزيع،الجزائر،2009م.
9. أحمد غالب الخرشة،أسلوبيّة الانزياح في النّصّ القرآنيّ،الأكاديميون للنّشر والتّوزيع، ط1، عمان-الأردن، 1435هـ-2014م.
10. أحمد محمّد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة، مجد المؤسسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع،ط1، بيروت-عمان،1426هـ-2005م.
11. أحمد مطلوب، في المصطلح النّقديّ،مكتبة لبنان ناشرون،ط1،بيروت -لبنان، 2012م.
12. أدونيس،سياسة الشّعر، دراسات في الشّعريّة العربيّة المعاصرة، دار الآداب،ط1،بيروت، 1985م.
13. أرسطو،كتاب أرسطو في فن الشّعر،ترجمة وتقديم وتعليق إبراهيم حمادة، النّاشر مكتبة الأنجلو المصريّة.

14. أبو إسحاق بن علي الحصريّ القيروانيّ،زهر الأدب وثمر الألباب،تفصيل وشرح: مبارك زكي، تحقيق:محمّد محي الدّين عبد الحميد،دارالجيل للنّشر والتّوزيع والطّباعة،ط4،بيروت–لبنان، (د،ت).
15. أسيا تميم، الشّخصيات الجزائريّة 100شخصة،دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر،2008م.
16. إميل ناصف، أروع ما قيل في الرّثاء، دار الجيل للطّبع والنّشر والتّوزيع،ط2، بيروت –لبنان.
17. إميل يعقوب، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة،دار صادر،ط01،بيروت–لبنان،1425هـ /2004م.
18. بشير تاوريريت،الشّعريّةوالحداثة بين أفق النّقد الأدبيّ وأفق النّظريّة الشّعريّة،دار سلان للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق–سوريا، 2010م.
19. تاكيشى إيتو،هيروشيما ونغاساكي، ترجمة: أكيراكويانو،مراجعة:محمود عبده، دار الشرق، ط1، بيروت–لبنان،1414هـ -1994م.
20. تزفيطان طودوروف،الشّعريّة،ترجمة:شكري المبخوت،ورجاء بن سلامة،دار توبقال للنشر، ط2،الدّار البيضاء–المغرب،1990م.
21. جان كوهن، بنية اللغة الشّعريّة، ترجمة:محمّد الوالي ومحمّد العمري،دار توبقال للنّشر، ط1،الدّار البيضاء–المغرب،1986م.
22. جان كوهن،النّظريّة الشّعريّة: بناء لغة الشّعر،ترجمة:أحمد درويش،دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع،ط4،القاهرة–مصر،2000 م.
23. جبور عبد النوّر، المعجم الأدبيّ، دار العلم للملايين، ط2، بيروت – لبنان، 1983م.
24. جمال الدّين بن الشّيخ،الشّعريّة العربيّة،ترجمة:مبارك حنون،ومحمّد الوالي ومحمّد أوراغ،دار توبقال للنّشر،ط1، الدّار البيضاء–المغرب،1996م.
25. جوليا كريسطيفا:علم النّصّ،ترجمة فريد الزاهي،مراجعة عبد الجليل ناظم،دار توبقال للنّشر، ط1،الدار البيضاء–المغرب،1991م.
26. جون هيرسي،هيروشيما،ترجمة:عبد الله بن صالح العجيري، ط2،مركز تكوين للدّراسات والأبحاث، 1414هـ–2019م.
27. الحاج محمّد بن رمضان شاوش،باقة السّوسان في التّعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بن زيان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر،2011م.

28. أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم المقاييس في اللّغة،تحقيق شهاب الدّين أبو عمرو، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع،ط1، بيروت – لبنان ، 1432- 1433 هـ / 2011 م.
29. أبو الحسن حازم القرطاجنيّ ،منهاجُ البُلغَاء وسِرَاجُ الأدَباءِ ، تقديم محمّد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلاميّ، ط 3، بيروت – لبنان.
30. أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء،تحقيق وتقديم: محمّد الحبيب ابن الخواجة، دار الغرب الإسلاميّ، ط3، بيروت –لبنان، 1986م.
31. حسن كاظم، مفاهيم الشّعريّة(دراسة في مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم)،المركز الثّقافيّ العربيّ،ط01،بيروت،1994م.
32. حسين أبو النّجا،الإيقاع في الشّعر الجزائريّ،منشورات اتحاد الكتّاب الجزائريين، الجزائر، 2003م.
33. حسين منصور العمري، إشكالية التّناص"مسرحيات سعد الله ونوس أنموذجاً"،دار الكندي للنشر والتوزيع، أربد–الأردن.
34. خيرالدّين الزّركلي،الأعلام قاموس لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ط15، دار العلم للملايين،بيروت–لبنان،أيار/مايو2002م.
35. رابح بونار،المغرب العربيّ تاريخه وثقافته،دار الهدى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر2000م.
36. الرّبعي بن سلامة، تطور البناء الفنيّ في القصيدة العربيّة،دار الهدى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عين مليلة –الجزائر،2006م.
37. رمضان الصباغ،في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية،دار الوفاء للطّباعة والنّشر والتوزيع، ط1، الإسكندرية–مصر، 2002م.
38. رومان جاكبسون،قضايا الشّعريّة، ترجمة: محمّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنّشر، ط1،الدّار البيضاء–المغرب، 1988م.
39. زكي مبارك،الموازنة بين الشعراء أبحاث في أصول النقد وأسرار البيان،مطبعة المقتطف المقطم، ط1، القاهرة–مصر،1926م.
40. أبو زيد محمّد القرشي،شرح جمهرة أشعار العرب،شرح:علي حسن وشجيع فرجاني، مراجعة: حمزة القرشي،شركة القدس للنّشر والتّوزيع،ط1،القاهرة،2012م.

41. أبو سالم عبدالله بن محمّد العياشي،الرّحلة العياشيّة(1661م-1663م)،تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،دار السّويدي للنّشر والتّوزيع،ط1 أبو ظبي –الإمارات العربيّة المتحدة، 2006م.
42. سعد العمامرة،الجيلاني العوامر،شهداء الحرب التّحريريّة بوادي سوف،مطبعة النّخلة، بوزريعة-الجزائر،1991م.
43. سعد بن البشير العمامرة، هواري بومدين الرّئيس القائد (1932-1978)، قصر الكتاب، ط1، البليدة-الجزائر،1997م.
44. أبو سعيد الأصمعيّ، فحولة الشّعراء، تحقيق عبد المنعم خفّاجيّ، دار القلم للترّاث، القاهرة – مصر.
45. سعيد علوش،معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة،دار الكتاب اللّبنانيّ،ط1،بيروت-لبنان، 1405هـ-1985م.
46. سليمان باشا الباروني،الأزهار الرّياضيّة في أئمّة وملوك الإباضيّة،مراجعة:محمّد علي الصّليبي، دار الحكمة،ط1،لندن،2005م.
47. سليمان شريفي،الشهيد المتأخر،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران-الجزائر،2002م.
48. السّيد أحمد الهاشميّ، جواهر الأدب في أدبيات لغة العرب،المكتبة التّجاريّة،ط27،القاهرة – مصر، 1389هـ-1969م.
49. سيد حنفي حسنين، حسان بن ثابت شاعر الرّسول، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ،المؤسسة المصريّة العامّة للتّأليف والترّجمة والطباعة والنشر،(د.ط)،مصر،(د.ت).
50. شارل هنري تشرشل،حياة الأمير عبد القادر،ترجمة:أبو القاسم سعد الله،ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر،2015م.
51. الشّريف الجرجانيّ،معجم التّعريفات،تحقيق وتقديم:محمّد صدّيق المنشاوي،دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتّصدير،القاهرة، 2004م.
52. شهاب الدّين أحمد بن محمّد المقريّ التّلمسانيّ، أزهار الرّياض في أخبار عياض،ضبط وتحقيق وتعليق:مصطفى السّقا،إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شبلي، مطبعة لجنة التّأليف للنّشر والترّجمة، القاهرة، 1358هـ-1939م

53. شوقي ضيف، عصر الدّول والإمارات" الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السّودان"،دار المعارف، ط1، القاهرة،1995م،
54. صالح العلي الصّالح وآمنة الشّيخ سليمان الأحمدي، المعجم الصّافي في اللّغة العربيّة، (د.ط)، (د،ت).
55. صالح خرفي، محمّد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م.
56. صلاح فضل، أساليب الشّعريّة المعاصرة، دار الأدب،ط1،بيروت – لبنان،1995م.
57. الطّاهر بومزبر،أصول الشعريّة العربية،الدّار العربيّة للعلوم-ناشرون،منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،1428هـ- 2007م.
58. الطّاهر بومزبر،التّواصل اللّسانيّ والشّعريّة مقاربة تحليليّة لنظريّة رومان جاكبسون، الدّار العربيّة للعلوم-ناشرون ومنشورات الاختلاف،ط1،الجزائر،1428هـ -2007م.
59. الطّاهر توات،أدب الرّسائل في المغرب العربيّ في القرنين السّابع والثّامن الهجريّ، ديوان المطبوعات الجامعيّة،ط2،الجزائر، 2010م.
60. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثّقافية للتّأليف والتّرجمة والنّشر، ط2،بيروت-لبنان،1400هـ-1980م.
61. عاشور فنّي ، الكتاب الجزائريون (قاموس بيوغرافيّ)،دار القصبة للنّشر، الجزائر،2007م.
62. أبو العباس أحمد المقريّ، رحلة المقريّ إلى المغرب والمشرق،تحقيق:محمّد بن معمر،منشورات الرّشاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، سيدي بلعباس-الجزائر،1425هـ-2004م.
63. عبد الحفيظ بورديم، التّجربة الشّعريّة في ديوان أحمد سحنون،دار البلاغ للطّباعة والنّشر، الجزائر، 2009م.
64. عبد الحفيظ بورديم،التّجربة الشعريّة في ديوان الشّيخ أحمد سحنون،دار البلاغ للطّباعة والنشر،باب الزّوار-الجزائر،2007م،
65. عبد الحميد حاجيات،أبوحمّو موسى الزّيانـيّ حياته وآثاره، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر،1394هـ-1974م.
66. عبد الرّحمن الوجي،الإيقاع في الشّعر العربيّ، دار الحصاد للنّشر والتّوزيع، ط1،دمشق، 1989م.

67. عبد الرّحمن بن خلدون، مقدمة بن خلدون،مراجعة سهيل زكار،دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع،بيروت-لبنان،1421هـ-2001م.
68. عبد السّلام المسدّي، الأسلوبيّة والأسلوب، الدّار العربيّة للكتاب،ط3، طرابلس-ليبيا، 1982م.
69. عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجانيّ،كتاب دلائل الإعجاز،قراءة وتعليق: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي،ط5،القاهرة-مصر،2004م.
70. عبد الكريم الفكون،منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية،تحقيق:أبو القاسم سعد الله،دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت -لبنان ،1408هـ -1987م.
71. عبد الكريم النّهشليّ القيرواني،الممتع في صناعة الشّعر،تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندريّة.
72. عبد الكريم حساني،الشّيخ مولاي أحمد،دار الكتاب العربي، ط1،الجزائر،2018م.
73. عبد الملك مرتاض، معجم الشّعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطّباعة النّشر والتّوزيع-الجزائر،2006م.
74. عبد الملك مرتاض،الأدب الجزائريّ القديم دراسة في الجذور،دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع،ط4،الجزائر،2016م.
75. عبد الملك مرتاض،نظرية النّص الأدبيّ، دار هومة للطباعة النّشر التوزيع،ط2، الجزائر، 2007م.
76. عثماني الميلود، شعرية تودوروف، عيون المقالات، ط1، الدّار البيضاء،1990م.
77. عصام واصل،في تحليل الخطاب الشعري، دراسات سيميائيّة،دار التنوير،ط01، الجزائر، 2013م.
78. أبو علي الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزديّ، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقد وتحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الجيل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط5، بيروت – لبنان، 1401هـ - 1981م.
79. غازي طليمات وعرفان الأشقر،الأدب الجاهليّ:قضاياه.أغراضه.أعلامه.فنونه،دار الإرشاد، ط1، حمص-سوريا،1412هـ-1992م.
80. أبو الفرج قدامة بن جعفر نقد الشّعر،مطبعة الجوائب،ط1، قسطنطينية، 1302هـ.

81. أبو الفرج قدامة بن جعفر،نقد الشّعر،تحقيق وتعليق:محمّد عبد المنعم خفاجيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان.
82. فرحان بدري الحربيّ،الأسلوبيّة والتّحليل الأدبيّ، دار الرّضوان للنّشر والتّوزيع، ط1،عمان، 1437هـ-2016م.
83. أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن علي الإفريقي المصري بن منظور، لسان العرب، دار صادر،ط1،بيروت-لبنان، 1300هـ.
84. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافيّ،دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت-لبنان، 1998م.
85. أبوالقاسم محمّد الحفناوي،تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشّرقيّة، الجزائر، 1324هـ-1906م.
86. القاضيّ علي بن عبد العزيز الجرجانيّ، الوساطة بين المتنبي وخصومه،تحقيق وشرح: محمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجاويّ، دار إحياء الكتب العلميّة مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ وشركائه، القاهرة.
87. كامل سلمان الجبوري معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة2002 م،منشورات دار الكتب العلمية،ط01،بيروت –لبنان، 2002م/1424هـ.
88. كمال أبو ذيب ،في الشّعريّة، مطبعة الأبحاث العربيّة ش.م.م، ط1،بيروت –لبنان، 1987م.
89. كمال عويد العامريّ،معجم النّقد الأدبيّ،دار المأمون للتّرجمة والنّشر،ط1، بغداد، العراق، 2013م.
90. محمّد أحمد بن طباطا العلويّ، عيار الشّعر،شرح وتحقيق عباس عبد السّاتر،مراجعة نعيم زرزور،منشورات محمّد علي بيضون دار الكتب العلميّة، ط2، بيروت-لبنان، 2005م-1426هـ.
91. محمّد الأخضر عبد القادر السّائحيّ، روجي لكم تراجم ومختارات من الشّعر الجزائريّ الحديث، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر،1986م.
92. محمّد الطّمار، الرّوابط الثّقافيّة بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعيّة،2007م

93. محمّد الطّمار،تاريخ الأدب الجزائريّ، تقديم:عبد الجليل مرتاض،ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط2، الجزائر،2010 م.
94. محمّد الميليّ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،دار الكتاب العربيّ،الجزائر،2007م.
95. محمّد باي بلعالم، الرّحلة العليّة إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات،المعرفة الدّوليّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر،2015م.
96. محمّد بسكر،أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة،
97. محمّد بن رمضان شاوش،والغوثي بن حمدان،إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، دار البصائر للنّشر والتّوزيع، الجزائر،(د.ت).
98. محمّد بن سلّام الجمحيّ،طبقات الشّعراء، دار الكتب العلميّة، بيروت –لبنان، 1422هـ - 2001م.
99. محمّد بن سمينة، محمّد العيد أل خليفة دراسة تحليلية لحياته،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون-الجزائر،1992م.
100. محمّد بن سمينة، محمّد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنيّة للكتاب،الجزائر،1989م.
101. محمّد بن سمينة،محمّد العيد آل خليفة دراسة تحليليّة لحياته، ديوان المطبوعات الجامعيّة،بن عكنون-الجزائر.
102. محمّد بن شاكر بن أحمد الكتبي،فوات الوفيات، تحقيق:محمّد محي الدّين عبد الحميد،مكتبة النّهضة للنّشر والتّوزيع،القاهرة،1951م.
103. محمّد بن ميمون الجزائريّ،التحفة المرضية في الدّولةالبكداشيّة في بلاد الجزائر المحميّة، تحقيق: محمّد بن عبد الكريم،دار الوعي للنّشر والتّوزيع،ط1،رويبة-الجزائر ،1439هـ-2018م.
104. محمّد رشيد رضا،تاريخ الأستاذ الإمام محمّد عبده (1266-1323هـ/1849-1905م)،دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتّصدير، ط2، القاهرة-مصر،1427هـ/2006م.
105. محمّد زكي العشماوي،قضايا النقد الأدبي،بين القديم والحديث،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت- لبنان،1979م.
106. محمّد صالح صديق،شخصيات ومواقف،دار البدر للطّباعة والنّشر والتّوزيع،المحمديّة-الجزائر، 2010م.
107. محمّد عزّام، المصطلح النّقدي في التّراث الأدبيّ العربيّ، دار الشّرق العربيّ، بيروت – لبنان.

108.محمّد عزّام، المصطلح النّقديّ في التّراث الأدبيّ العربيّ، دار الشّرق العربيّ، حلب-سوريا.
109.محمّد فتحا بن محمّد بن عبد الكريم البلبالي مبدوبي، النّبذة النيرة من حياة الذهب الإبريز الشّيخ سيدي الحاج محمّد عبد العزيز سيدي عمر المهداوي الأموي 1312هـ-1429هـ/1924-2006م،دار صبحي للطّباعة والنشر،ط1،غرداية-الجزائر، 2013م.
110.محمّد ناصر،الشّعر الجزائريّ الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنيّة 1925-1975،دار الغرب الإسلاميّ،ط2،بيروت-لبنان، 2006م.
111.مشري بن خليفة،الشّعريّة العربيّة مرجعياتها وإبدالاتها النّصّيّة/دراسة،ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر،2007م.
112.المنجد في اللّغة والأعلام،ط29،دار المشرق العربيّ ش. م.م ، بيروت-لبنان،2008م.
113.منشورات خمسينيّة جامعة الجزائر 1962-2012م،أعمال محمّد بن مصطفى بن الخوجة 1283-1333هـ/1865-1915م، منشورات ثالة،الأبيار-الجزائر،2012م.
114.نجم الدّين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، جوهر الكنز" تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة"،تحقيق محمّد زغلول سَلام،(د.ط)،النّاشر منشأة المعارف بالإسكندريّة، الإسكندريّة – مصر،2009 م.
115.نجيب بن خيرة، الأديب موسى الأحمدي نويوات حياته وآثاره،دار البصائر للنّشر والتّوزيع، الجزائر،2009م.
116.أبو هلال الحسن العسكريّ،كتاب الصناعتين"الكتابة والشّعر"،تحقيق:علي محمّد البجاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربيّ للطّباعة والنّشر،ط2،مصر،1971م.
117.يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وشرح:عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، طبعة خاصة2011م، الجزائر،2011م.
118.يحيى بوعزيز،أعلام الفكر والثّقافة في الجزائر المحروسة،دار البصائر،للنّشر والتّوزيع،حسين داي-الجزائر،طبعة خاصة2009، 2009م.

ثانياً- الدّواوين الشّعريّة:

119.أحمد الطيب معاش، دواوين الزمن الحزين، دار الهدى عين مليلة-الجزائر2005م.
120.أحمد سحنون،ديوان الشّيخ أحمد سحنون،منشورات الحبر،ط01،الجزائر،2007م.
121.أحمد شوقي،الشّوقيّات، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثقافة،(د.ط)،القاهرة-مصر،2012م.

122.أحمد عاشوري،آلام حامد الهواري نصوص شعرية وغيرها،موفم للنشر،الجزائر،2013م.
123.حافظ إبراهيم،ديوان حافظ إبراهيم، ضبط وشرح وترتيب:أحمد أمين وأحمد الزّين،إبراهيم الإبياريّ،الهيئة المصريّة العامّة للكتاب،ط3، مصر،1987م.
124.حامد حسن، الأعمال الشّعريّة الكاملة-الجزء الأول- المجلد الأول- قصائد الرّثاء، دار الينابيع للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق –سوريا،2003م.
125. أبو الحسن علي بن صالح ، مآسي!! وأين الآسي؟ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.
126.ابن خميس، ديوان ابن خميس، تصحيح وتقديم: إحسان عباس،دار صادر.
127.الخنساء،ديوان الخنساء،اعتنى به وشرحه:حمدُو طمّاس،دار المعرفة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط2، بيروت-لبنان،1425هـ -2004م.
128.ديوان العيد محمّد العيد علي خليفة،موفم للنّشر، الجزائر،2010م.
129.رابح لخذاري،صهيل الوجع، منشورات أرتيستبلت،ط1، القبة-الجزائر،2007 م.
130.ابن رشيق القيرواني،ديوان ابن رشيق،جمع وترتيب:عبد الرّحمن غاني،دار الثّقافة للنشر والتوزيع،بيروت-لبنان،1409هـ-1989م.
131.الشّمّاخ الذّبياني،ديوان الشّماخ بن ضرار الذّبيانيّ، تحقيق وشرح صلاح الدّين الهاديّ،دار المعارف، القاهرة-مصر،1968م.
132.عبد الرّحمان الصّالح العشماويّ،ديوان قوافل الرّاحلين،مكتبة العبيكان، ط1،الرّياض، 1428هـ /2007م.
133.عبد القادر آعبيد، روح تتمرآى...قلب يتشرق،دار فيسيرا ،الجزائر،2014م.
134.عدنان بلبل الجابر،ماجد الحكواتي،ديوان محمد الشهيد محمد الدرة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت،2001م.
135.عفيف الدّين التّلمسانيّ،ديوان عفيف الدّين التّلمسانيّ،دراسة وتحقيق:يوسف زيدان،دار الشّروق، القاهرة،2008م.
136.عقاب بلخير،بكائيات وصهد الحيرة في زمن الحجارة،رابطة إبداع الثّقافيّة، الجزائر، 2003م.
137.فاتح علاق، الكتابة على الشّجر، دار التّنوير،ط1،الجزائر،2009م.

138.كعب بن زهير بن أبي سلمى المازنيّ، ديوان كعب بن زهير، تحقيق وشرح وتقديم: علي فاعور،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان،1417هـ -1997م.
139.محمّد الأخضر السّائحيّ، همسات وصرخات، موفم للشر، الجزائر،2010م.
140.محمّد بن سمينة تكملة ديوان محمّد العيد آل خليفة، دار الغرب الإسلامي،ط01، بيروت-لبنان، 1997م.
141.محمّد بوزيدي، صوت الجزائر،دار الكتاب العربي للطباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة،ط2، الجزائر،2012م.
142.محمّد رمضان شاوش،الدّر الوقاد من شعر بكر بن حمّاد التّاهرتيّ، المطبعة العلويّة، ط1، مستغانم-الجزائر،1966م.
143.محمّد شايطة، بشائر الخلود، دار المعرفة،الجزائر،2008م.
144.محمّد شايطة،تجليات في زمن المنفى،المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة،وحدة الرّغاية-الجزائر،2007م.
145.محمّد شيبي،واسطة العقد،منشورات التّبيين/الجاحظيّة سلسلة الإبداع الأدبيّ، الجزائر، 2001م.
146.مهلهل بن ربيعة،ديوان مهلهل بن ربيعة،شرح وتقديم:طلال حرب،الدّار العلميّة،(ن.ط)، (د.ت).
147.نزار قباني، الأعمال الشّعريّة الكاملة،منشورات نزار قباني،ط2،بيروت-لبنان،1998م.

ثالثاً- رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه:

148.هدى أوبيرة،مصطلح الشّعريّة عند محمّد ينس(رسالة ماجستير)،إشراف:مشري بن خليفة، جامعة قاصدي مرباح بورقلة-الجزائر،2011م-2012م.

رابعاً- المخطوطات:

149.سليمان جوادي، الدّيوان السّادس رصاصة يطلقها حمّه لخضر، (مخطوط).
150.محمّد باي بلعالم،الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراويّ في ذمّة الله،خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير(مخطوطة)،الرّكينة،بلديّة أولف،ولاية أدرار.

151.محمّد باي بلعالم،الشّيخ السّيد الحاج محمّد الزّاوي في ذمّة الله وهذه مرثيّة من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم،خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير(مخطوطة)،الرّكينة،بلديّة أولف، أدرار.
152.محمّد باي بلعالم،مرثيّة الشّيخ باي بلعالم(الشّيخ سيدي محمّد الرّقانيّ في ذمّة الله)،خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير(مخطوطة)،الرّكينة،بلديّة أولف،ولاية أدرار.
153.محمّد باي بلعالم،هذه مرثيّة في وفاة العالم المرحوم الأستاذ الطّاهر مولانا أحمد من بحر الطّويل تتضمن تلميحاً للرّحلة التي قام بها عبر الصّحراء الجزائريّة سنة 1395هـ/1975م، لتلميذه محمّد باي بلعالم،خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير(مخطوطة)،الرّكينة، بلـديّة أولف،أدرار.

خامساً– المقالات العلميّة الأكاديميّة:

154.عبد الحكيم الكردي،شعرية النّوع الأدبي، مجلّة النّقد الأدبيّ فصول،المجلد2/25،العدد98، شتاء 2017م.
155.عبد السّتار الأسديّ،التّناصّ:السّرقات الأدبيّة والتأثر،مجلّة كتابات معاصرة،العدد44، المجلد2001،11م.
156.عليّ حبيب الله عليّ إبراهيم، الشّعر عند حازم القرطاجنيّ من خلال كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء،مجلة كلية الآداب، المجلد/ العدد ع2، جامعة أم درمان الإسلاميّة، 2010م.
157.محمّد صلاح زكي أبو حميدة، عناصر الشّعريّة عند حازم القرطاجنيّ، مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانيّة، المجلد5، العدد1، 2002م.

سادساً– المقالات الصّحفيّة:

158.عبد الرّحمن بلوافي،الملتقى الوطني الثالث للشّيخ محمّد باي بلعالم بأولف ولاية أدرار،جريدة التّحرير الجزائريّة،السّنة الرّابعة، العدد910، يوم الأربعاء:13أبريل2016م.

سابعاً– الجرائد والمجلات:

159.جريدة البصائر،العدد33،السّنة الثّانية،السّلسلة الثّانيّة،الجزائر،الاثنين 22أبريل 1948م.
160.جريدة البصائر،العدد75،السّنة الثّانيّة،السّلسلة الثانية،قسنطينة–الجزائر،11أبريل1949م
161.جريدة البصائر،العدد79،السّنة الثّانيّة،السّلسلة الثّانيّة،قسنطينة–الجزائر، 9مـاي1949م
162.جريدة البصائر،العدد97،السّنة الثّانيّة،السّلسلة الثّانيّة،قسنطينة–الجزائر،5ديسمبر1949م

163.مجلة الشّهاب، ج 3، المجلد 15، أوت 1938م، قسنطينة، الجزائر.
164.مجلة الشّهاب،ج 6، المجلد 14، أوت 1938م، قسنطينة- الجزائر.
165.يومية النّهار،العدد3730، بتاريخ:24 ديسمبر2019م.

ثامناً- المواقع الالكترونيّة:

166.جامعة أحمد دراية-أدرار،العلّامة الشّيخ محمّد باي بلعالم(1930 . 2009)، https://www.univ-adrar.edu.dz/18415/ ،أطلع عليه بتاريخ:16/08/2023 م، على السّاعة:13:23 مساء
167.جميل حمدوي،تاريخ الشّعريّة الغربيّة، المجلة الثّقافيّة الجزائريّة: https://thakafamag.com/?p=17049، أطلع عليه يوم: 03/08/2022م، على السّاعة: 23:50 مساء.
168.زهرة الإوركيد،دراسات فى النقد الأدبى الحديث،الجزء الرابع، أرشيف: أدباء وشعراء ومطبوعات، منتديات ستار تايمز: https://www.startimes.com/f.aspx?mode=f&print=true&t=2241587&src،أطلع عليه بتاريخ:31 /08/2023م،السّاعة:12:40مساء
169.صفحة جريدة البصائر:https://elbassair.dz/10489 ،أطلع عليه بتاريخ:17/07/ 2023م، السّاعة: 17:30مساء.
170.صفحة شيوخ وعلماء توات: https://www.facebook.com/profile.php?id=100064778463985،نشر يوم: 03يناير2022م،وأطلع عليه :يوم:10/08/2023م على السّاعة: 22:15مساء.
171.صفحة مسجد دار الأرقم، Dar al Arkam،فيسبوك: https://www.facebook.com/100064329025810/posts/1570882543087142، أطلع عليه بتاريخ:11 /06/2023، على الساعة: 08:23 صباحاً.

172.محمّد الهادي الحسني، العالم الشّاعر، والدّاعيّة الصابر، الشروق أونلاين:
https://www.echoroukonline.com،أطلع عليه بتاريخ: 06/05
/2023م،على الساعة:14:28 مساء.
173.محمّد جربوعة، جمهور شاعر العرب محمّد جربوعة، فيسبوك:
https://www.facebook.com/profile.php?id=100071112924
584،أطلع عليه بتاريخ:22 /2023/07م، على السّاعة:18:10 مساء.
174.مدونة عين البيضاء التاريخ والحضارة،نشر بتاريخ:29أوت 2016م،
http://ainbeida04.blogspot.com/2016،أطلع عليه يوم:2023/07/20
على السّاعة:20:30 مساء.
175.مركز سلف للبحوث والدّراسات، ترجمة الشّيخ عمر ابن البسكري، أعلام السلفية (18)،
إشراف:محمّد بن إبراهيم السّعديّ: https://salafcenter.org/3282،أطلع عليه
يوم: 2023/07/11م، على الساعة 19:00مساء.
176.موقع بحث قوقل، صور،https://www.google.com/search ،أطلع عليه
بتاريخ: 03 /08/ 2023م، السّاعة: 17:30مساء.
177.موقع "جامعة وهران للعلوم والتكنولوجيا محمد بوضياف:-https://www.univ
usto.dz/ar/biographie-mohammed-boudiafar،أطلع عليه
بتاريخ:21جويلية 2023م،على الساعة :9:30صاحاً.
178.موقع الجزيرة، محمّد الدّرة،الطفل الذي اهتز العالم لاستشهاده،
https://www.aljazeera.net/encyclopedia،أطلع عليه بتاريخ: 07/22
/2023م،على السّاعة: 11:15صباحاً.
179.وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفا،:https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id ،أطلع عليه
بتاريخ:5 /8/ 2023م، على السّاعة 20:00 مساء.

فهرس المحتوى

فهرس المحتوى

العنوان	الصّفحة
– شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ – إهداء – مقدمة	أ– ي
المدخل التّمهيديّ:	
أولاً: مفهوم الشّعر والشّعريّة في الأدب العربيّ والأدب الغربيّ العربيّقديماً وحديثاً وعلاقة الشّعر بالشّعريّة والأسلوبيّة	1
1–مفهوم الشّعر والشّعريّة في الأدب العربيّ والأدب الغربيّ العربيّقديماً وحديثاً.	2
1-1- مفهوم الشّعر في الأدبيّ الغربيّ والأدب العربيّ قديماً.	2
1-2-مفهوم الشّعر في الأدب العربيّ والغربيّ حديثاً.	2
2–مفهوم الشّعريّة الأدبيّ الغربيّ في الأدب العربيّ قديماً وحديثاً.	2
2-1- مفهوم الشّعريّة في الأدب الغربيّ والأدبيّ العربيّ قديماً.	7
2-2-مفهوم الشّعريّة في الأدب الغربيّ والأدبيّ العربيّ الحديثين.	9
2-2-1- الشّعريّة في المنظور الغربيّ الحديث.	9
2-2-1-1- شعريّة جان كوهين .	11
2-2-1-2 - شعريّة رومان جاكبسون	12
2-2-1-3- شعريّة تزيفطان طودورف.	13
2-2-2- الشّعريّة في المنظور العربيّ الحديث.	14
2-2-2-1- شعريّة كمال أبو ديب.	15
2-2-2-2- شعريّة أدونيس.	16
3 – علاقة الشّعر بالشّعريّة والأسلوبيّة.	16
ثانياً: الـرّثــاء: تعريفه، دوافعه وأغراضه، أقسامه، نماذج من الرّثاء العربيّ (القديم والحديث).	17
1– تعريف الرّثاء.	20
1-1- في اللُّغَةِ.	20
	20

1-2- في الاصطلاح.	21
2- دوافع الرّثاء وأغراضه	23
2-1-الدوافع.	23
2-2- الأغراض.	23
3- أقسام الرّثاء.	24
3-1- النّدبُ.	25
3-2- التّأبين.	25
3-3- الْعَـزَاءُ	27
ثالثاً- نماذج من الرّثاء من الأدب العربيّ القديم والحديث:	29
1- نماذج من الأدب العربي القديم	29
1-1- رثاء المهلهل بن ربيعة لأخيه كليب.	29
1-2- رثاء الخنساءلأخيها صخر	30
1-3- رثاء حسّان بن ثابت رضي الله عنه في النّبيّ محمّدﷺ	30
2- نماذج من الأدب العربي الحديث والمعاصر	31
2-1- رثاء أحمد شوقي في حافظ إبراهيم:	31
2-2- رثاء نزار قباني لمدينة قرطبة:	31
2-3- رثاء عبد الرّحمان صالح العشماويّ للشّهيد الفلسطينيّ محمّد جمال الدّرة.	33
الفصل الأول: **امتدادات شعر الرّثاء الجزائريّ الحديث والمعاصر في الأدب الجزائريّ القديم وتجلياتها.**	34
أولاً: المبحث الأول: الرّثاء في الشّعر الجزائريّ القديم.	36
1-شعر الرّثاء على عهد الرّستميين (160هـ - 292هـ/776م- 909م).	36
1-1- الحياة العلميّة الثّقافية والأدبيّة في العهد الرّستميّ.	36
1-2- شعر الرّثاء في أشعار بكر بن حماد التّاهرتيّ(**200هـ -296هـ**).	38
2- شعر الرّثاء على عهد الحماديين (398هـ-547هـ/1007م-1152م).	40
2-1- عبد الكريم بن إبراهيم النّهشليّ(ت405هـ/1014م)	41
2-2- بن رشيق(396هـ-456هـ/999م-1064م)	42

2-3-محمّد بن علي بن حمادالقلعي(548- 628هـ/1153- 1231م)	45
3- شعر الرّثاء على عهد الزّيانيين (633هـ-962 هـ/1235م-1554م).	47
3-1-عفيف الدّين التّلمسانيّ (610هـ-690هـ)	48
3-2- ابن خميس(650هـ-708هـ/1252م- 1309م).	50
3-3- السّلطان أبو حمو موسى الزّياني(....-805هـ):	54
3-4- أحمد بن عبد الله بن الزّواوي(800هـ-984هـ/1398م-1472م).	56
3-5-محمّد بن عبد الرّحمّن الحوضيّ (ت910هـ/1505م).	58
4- شعر الرّثاء على عهد الأتراك (930-1246هـ/1514-1830م).	59
4-1- المقريّ (992هـ-1041هـ/ 1584م-1631م).	61
4-2- عبد الكريم بن الفكون (ت1073هـ/1663م).	63
4-3- محمّد بن علي الجزائريّ كان حيّاً(1751م).	66
ثانياً:المبحث الثّاني:تجليات الرّثاء في الشّعر الجزائريّ الحديث والمعاصر من الاحتلال الفرنسي ومن بعده.	68
1- شعر الرّثاء في عهد الاحتلال الفرنسيّ للجزائر (1830م/1930م).	68
1-1-محمّد المكيّ بن عزوز الجزائريّ (1270-1334هـ/1854-1915م).	68
1-2-محمّد بن مصطفى بن الخوجة الجزائريّ (1282هـ-1333هـ/1865-1915م)	70
1-3- محمّد الدّيسيّ (1270هـ -1340هـ/1854م -1922م).	71
2-شعر الرّثاء في فترة الثّلاثينيّات إلى عشية الاستقلال 1962م.	72
2-1-محمّد بن العابد الجلالي(1308هـ- 1387هـ/1890م -1967م).	73
2-2- عمر بن البسكري العُقْبي (1898م -1986م).	74
2-3- الرّبيع بوشامة (1916م-1959م).	76
2-4- محمّد الأخضر السّائحيّ (1918م-2005م)	80
ثالثا:المبحث الثالث:نماذج من الرّثاء في الشّعر الجزائريّ المعاصر من الاستقلال حتّى القرن 21م.	82
1-رثاء العلماء والأدباء.	83
2- رثاء الرّؤساء والزّعماء والقادة.	92
3- رثاء الأبطال والشّهداء.	97

4- رثاء الأوطان والمدن.	100
الفصل الثّانيّ:الجانب التّطبيقيّ (الجزء الأول) **شعر الرّثاء بين التّقليد والتّجديد في قصائد.** **"محمّد العيد آل خليفة- أحمد سحنون- محمّد باي بلعالم"**	107
أولاّ: المبحث الأول: قراءة وصفيّة تحليليّة لمراثي محمّد العيد آل خليفة.	108
1- نبذة مختصرة عن حياة محمّد العيد آل خليفة (1904م-1979م).	108
1-1- التعريف بالشاعر.	108
1-2- بعض مؤلفاته.	109
2- تقديم موجز للدّيوان الشّعريّ لمحمّد العيد دراسة وصفية:	109
3- عناوين قصائد الرّثاء وتصنيف أنواعها في محتوى الديوان وتكملته قراءة وصفية تحليلية:	111
3-1- عناوين المراثي الواردة في الدّيوان.	111
3-2- عناوين المرثيّات الواردة في تكملة الدّيوان/ العيديّات المجهولة.	113
3-3- أنواع الرّثاء المعروضة في الدّيوان وتكملته.	114
4- وقفة تحليليّة لبعض النّماذج من أنواع الرّثاء في شعر محمّد العيد:	120
4-1-رثاء المشايخ والعلماء.	120
4-1-1-رثاء العالم محمّد بن شنب (1866م-1929م)	120
4-1-2-رثاء الإمام عبد الحميد بن باديس (1889م-1940م).	121
4-2-رثاء الأدباء والشّعراء:	124
4-2-1-رثاء الشّاعر المصريّ أحمد شوقي(1868م-1932م).	125
4-2-2-رثاء الأديب اللبنانيّ شكيب أرسلان (1869م- 1946م).	126
4-3-رثاء الأبطال والشهداء:	128
4-3-1-رثاء الشّهداء البؤساء.	128
4-3-2- رثاء شهداء الجزائر.	129
4-4-رثاء القادة والزعماء.	130
4-4-1-رثاء القائد عقبة بن نافع الفهري (629م-683م).	130

4-4-2-رثاء الزّعيم اللّيبي عمر المختار(1858م- 1931م).	127
4-5-رثاء الملوك والأمراء والرؤساء.	128
4-5-1-رثاء الأمير عبد القادر (1807م-1883م).	129
4-5-2-رثاء الملك العراقيّ غازي الأول (1912م-1939م).	132
4-6-رثاء الأوطان والمدن والدّول.	134
4-6-1-رثاء الأوطان.	135
4-6-2-رثاء المدن.	136
4-6-2-1-تعرف موجز بمدينة هيروشيما اليابانية.	136
4-7- رثاء الدّول:	139
4-7-1-رثاء فلسطين.	139
5-رثاء النّفس.	141
ثانيا: المبحث الثّاني: قراءة وصفية تحليلية لشعر الرّثاء في ديوان أحمد سحنون.	144
1-نبذة مختصرة عن حياة أحمد سحنون (1907م-2003م)	144
1-1- التعريف بالشّاعر.	145
1-2-منجزاته وآثاره:	145
2- التّعريف بالدّيوان الشّعريّ لأحمد سحنون.	145
2-1-الدّيوان الأول.	146
2-2-الدّيوان الثّانيّ.	146
3-عناوين قصائد الرّثاء وتصنيف أنواعها في محتوى الدّيوان قراءة وصفيّة تحليليّة:	147
3-1-عناوين المراثي الواردة في الجزء الأول.	147
3-2-عناوين المراثي الواردة في الجزء الثّاني.	148
4-أنواع الرّثاء المعروضة في الدّيوان بجزأيه:	151
5-وقفة تحليليّة لبعض النّماذج من أنواع الرّثاء في شعر أحمد سحنون:	152
5-1-رثاء الإخوة /الأصدقاء/ أبناء الأصدقاء:	152
5-2-رثاء المشايخ والعلماء.	155
5-3- رثاء النفس.	157

ثالثاً–المبحث الثالث: قراءة وصفية تحليلية لمرثيّات محمّد باي بلعالم	162
1–نبذة مختصرة عن حياة محمّد باي بلعالم (1930م–2009م):	162
1-1-التعريف بالشّيخ.	162
1-2-بعض مؤلفاته.	162
2– عناوين المرثيات وتصنيف أنواعها قراءة وصفيّة تحليليّة:	163
3– وقفة تحليليّة لبعض النّماذج من أنواع الرّثاء في شعر محمّد باي بلعالم:	164
3-1-رثاء المشايخ والعلماء.	164
3-2- رثاء الفقهاء.	168
3-3- رثاء الأصدقاء.	170
الفصل الثّالث: الجانب التّطبيقيّ (الجزء الثاني):	
الدّراسة الفنيّة والأسلوبيّة لشعر الرّثاء عند:	
محمّد العيد آل خليفة – أحمد سحنون – محمّد باي بلعالم.	172
أولاً– المبحث الأول: شعرية الموسيقى والإيقاع الشّعريّ في المدونات الثّلاثة.	173
1–شعريّة الموسيقى وإيقاعاتها الموسيقيّة.	173
1-1- عند محمّد العيد آل خليفة.	175
1-2- عند أحمد سحنون.	176
1-3- عند محمّد باي بلعالم	178
ثانياً– المبحث الثّانيّ: شعريّة الصّورة الشّعريّة ودلالاتها الفنيّة.	181
1-1-عند محمّد العيد آل خليفة.	181
1-2- عند أحمد سحنون.	183
1-3-عند محمّد باي بلعالم	185
ثالثاً– المبحث الثّالث :شعريّة التّناص وتجلياتها النّصيّة.	189
1– مفهوم النّص والتّناص.	189
2–شعريّة التّناص وتجلياتها النّصيّة.	190
2-1-عند محمّد العيد آل خليفة.	190
2-2-عند أحمد سحنون.	193
2-3-عند محمّد باي بلعالم	196

رابعاً– المبحث الرّابع :التّحليل الأسلوبي للمستويات:(الصّوتيّ / المعجميّ /التّركيبيّ / الدّلاليّ) للنّماذج المختارة.	200
1 – التّكرار على المستوى الصّوتي.	200
1-1- التّصريع في مطالع مرثيّات محمّد العيد آل خليفة.	200
1-2- التّصريع في مطالع مرثيّات أحمد سحنون.	202
1-3- التّصريع في مطالع مرثيّات محمّد باي بلعالم.	203
2– التّقابل في المستوى المعجميّ.	205
2-1- عند محمّد العيد آل خليفة.	205
2-2- عند أحمد سحنون.	205
2-3- عند محمّد باي بلعالم.	209
3 – التّماثل في المستوى التّركيبيّ.	210
3-1- عند محمّد العيد آل خليفة.	211
3-2- عند أحمد سحنون.	212
3-3- عند محمّد باي بلعالم.	215
4– الانزياح في المستوى الدّلالي.	217
4-1-عند محمّد العيد آل خليفة.	218
4-2- عند أحمد سحنون.	220
4-3- عند محمّد باي بلعالم.	222
– **خاتمة**	226
– **ملاحق**	231
– **ملخص**	241
– **قائمة المصادر والمراجع.**	244
– **فهرس المحتوى**	259

***** الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات*****